

مِفْهَامُ الْقُرْآنِ

مُؤَلَّفٌ  
بِجَعْفَرِ الشَّيْبَانِيِّ

الجزء الثاني من

مَنْشُورَات

مُؤَسَّسَةُ مَجَلَّةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

أَبْرَانَ - قَمُوقِنَةُ







PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL  
  
32101 016079525

---

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

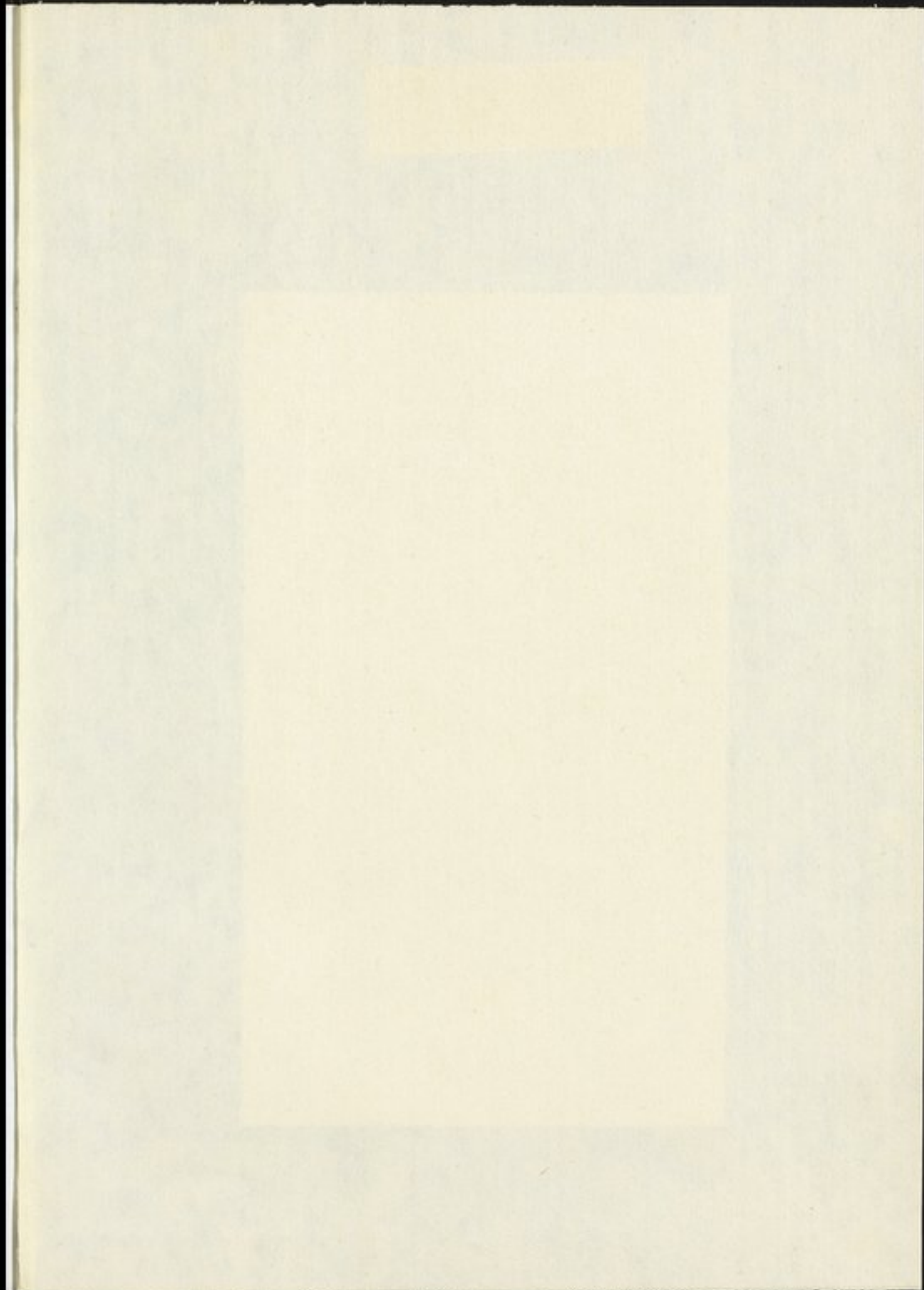
---

*This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or renew  
by this date.*

---

JUN 15 2008







Subhānī

تفسير موضوعي للقرآن الكريم

# مفاهيم القرآن

الجزء الخامس

تأليف

جعفر سبحاني

يبحث عن عصمة الانبياء ويعالج ادلة المخطئة لها ،

وعن مفهوم الامام وعصمته ، وعدالة الصحابة ،

واطاعة السلطان الجائر في القرآن الكريم

-----

من منشورات مؤسسة سيد الشهداء العلمية



2273

. 935

. 3

v. 5

### مواصفات الكتاب

- ١ - اسم الكتاب : مفاهيم القرآن
- ٢ - المؤلف : جعفر السبحاني
- ٣ - الموضوع : دفاع عن عصمة الانبياء و تبين مفهوم الامام و ...
- ٤ - عام الطبع : ١٤٠٧ هـ ق
- ٥ - المطبعة : العلمية - قم
- ٦ - الناشر : مؤسسة سيد الشهداء العلمية
- ٧ - حقوق الطبع : محفوظة للناشر
- ٨ - عدد النسخ : ٢٠٠٠



## كلمة قدسية

تفضل بها سماحة العلامة الحجة الاستاذ المحقق الشيخ لطف الله الصافي  
صاحب المؤلفات الاسلامية القيّمة، والمواقف الجهادية المشكورة  
دام ظلّه الوارف

بسم الله الرحمن الرحيم

### العصر الحاضر و المفاهيم الدينية

يشهد عصرنا الحاضر المسمى بعصر الذرة والفضاء ، صورة جديدة من رفض  
النصوص الشرعية، يتمثل في موقف خاص من قضايا الدين ، وهو تفسير الحوادث  
الخارقة للعادة والحقائق الغيبية وما يتحقق في مستقبل الزمان من الآيات والملاحم  
الثابتة كلها في الدين، والتي اخبرت بهانصوص الكتاب والسنة، وتحققت او تتحقق  
بارادة الله تعالى واذنه - بالتفسير والتعليل المادى الذى ينكر تأثير عالم الغيب  
في عالم الشهادة .

وهو موقف تابع وناشئ من انبهار طائفة كبيرة من المثقفين ببريق النهضة  
المادية الحديثة، ومن الافتتان بالتقدم الصناعى الراهن ، الأمر الذى آل الى ظهور  
الاتجاهات العلمانية التى تعتقد بفصل الدين عن الدنيا ، والدنيا عن الدين حيناً  
وباخضاع المفاهيم الدينية الغيبية لمقاييس العلوم المادية الحديثة حيناً آخر .  
ومما يزيد الطين بلة، والداء تفاقمًا، ان هذا الفريق يظهر ون الاسلام ويتظاهر ون



بالنصيحة له وللمسلمين ، ويدعون انه لا بد من تفسير الدين بنحو يقبله المفكر الغربي ، ولا يستنكره الملحد الشرفي ، وبالتالي : لا بد من تأويل اصطلاحاته وقضاياها بنحو يوافق المذاهب المادية ، والقوانين الطبيعية ، بينما يسعى فريق آخر الى التوفيق بين الدين ونظاماته في الادارة والحكم وغيرها ، وبين الانظمة الديمقراطية ، كما يريد بعضهم التوفيق بين الدين - وهو دين الهى - مع الانظمة الماركسية الملحدة .

فالثقافة عند هؤلاء هو الترديد والتشكيك فى الحقائق المقبولة فى الدين والتي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة ، مما لا يمكن ان يعلى بالعلل ، وبالتالي اخضاع الدين لمعطيات الحضارة المادية الحديثة ، ومقاييسها فاذن نحن فى عصر يزداد فيه التخوف من تعريض المفاهيم الدينية لخطر التحريف والتأويل واخضاع الدين للاهواء والامزجة والاذواق الشخصية ، على ايدى الجهال والانهمامين . فما احوجنا - فى هذا العصر - الى تبين مفاهيم الكتاب والسنة ، وتثبيت ما اتى به الاسلام ، على حقيقته ، وارجاع الناس الى النصوص ودلالاتها ورد المتشابهات الى المحكمات ، فى ضوء الكتاب العزيز والسنة المطهرة الشاملة لما ورد عن العترة الطاهرة .

ولقد نهض بهذه المهمة منذ اقدم العصور ولله الحمد رجال من رواد مذهب اهل البيت عليهم السلام و اصحابهم ممن دفعتهم غيرتهم الدينية الى الدفاع عن حياض الشريعة المقدسة ، مع الاحتفاظ بنصوص الكتاب و السنة ، فابقوا على مفاهيم الاسلام غضة طرية ، ناصعة ، ساطعة ، فشكر الله مساعيهم الجميلة وجزاهم عن الاسلام خير الجزاء .

ومما يثلج الصدر ان تستمر هذه الجهود الخالصة المخلصة فى سبيل الحفاظ على مفاهيم الدين ، حيث قام فى عصرنا هذا جماعة من الاعلام بنفس هذا العمل العظيم ونخص بالذكر صديقنا العلامة الفقيه والباحث المحقق الاستاذ الشيخ جعفر السبحاني

في ما كتب في سلسلة «مفاهيم القرآن الكريم» هذه المجموعة التي صدرت منها الى الان اربعة اجزاء والتي سدت فراغاً واسعاً في هذا المجال حيث اوضحت - في غاية القوة والاحاطة والانتقان والتحقيق - كثيراً من المفاهيم القرآنية الاسلامية وسدت الطريق في وجه المبدعين والمحرفين ، والمأولين والمشككين واجابت باسلوب برهاني مقنع على أسئلة طالما شغلت اذهان الشباب، واصحاب المدارس الحديثة .

وقد جاء الجزء الرابع رداً على الاتجاه المذکور وهو تفسير الجوانب الغيبية بالتعليقات المادية .

فله در مؤلفه الفقيه المحقق العلامة وحفظه الله ذخراً للحوزة والامة ، ونفع المسلمين جميعاً بعلومه ومؤلفاته . انه سميع مجيب .

لطف الله الصافي

٢٣ - ربيع الثاني ١٤٠٦



## كتاب كريم

تفضل به العلامة الحجة الاستاذ المحقق الشيخ ناصر مكارم الشيرازي  
دام ظله نشره تقديراً لجهوده العلمية الكبرى مشفوعاً  
بالشكر والتكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »

المائدة : ١٥

ان الواصف المطري مهما جد واجتهد ، ومهما بلغ شأواً عظيماً في القدرة  
على التحديد والتوصيف ، لا يتمكن من ان يصف كلامه سبحانه ويحدده بما هو  
لائق به كيف وهو كلام من لا يتناهى كمالاً وجمالاً ، كما لا يتناهى علماً وقدرة .  
فلو كانت هناك صلة بين الاثر والمؤثر وكان الاثر ظلالاً له ، فكلامه سبحانه  
لا يتناهى في الروعة والجمال ، لكونه اثرأ للكمال المطلق والجمال غير المتناهيين  
وعند ذلك لا يجد الباحث معرفاً محدداً لكلامه احسن مما ورد في الذكر الحكيم  
في هذا المضمار ، قال سبحانه : « قد جائكم من الله نور وكتاب مبين » .

( المائدة : ١٥ )

وقال سبحانه : « يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم  
نوراً مبيناً »

( النساء : ١٧٤ )

وقال تعالى : « وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب  
ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط

مستقيم ، ( الشورى : ٥٢ ) الى غير ذلك من الايات التى تعد الذكر الحكيم نوراً منزلاً من الله سبحانه الى البشر كله فى جميع العصور والقرون ولجميع الاجيال والمجتمعات فيجب علينا ان نقف على السر الذى اصبح به القرآن نوراً وضياء .  
اقول ان علماء الطبيعة كشفوا عن اسرار النور وخواصه ، فلاحظوا :

اولاً : ان سرعة النور لاتضاهيها سرعة اى شىء آخر .

ثانياً : ان حياة النبات والحيوان رهن للنور ، فلولاها لما استقرت الحياة وما اخضر لها عود .

ثالثاً : ان النور يكشف الحجب فى المجتمع فلا يرى اجرام المجرم فى وضع النهار ، واذا طرأت الظلمة خرج المجرمون من اوكارهم ابتغاءً للفساد ، ونشراً للرديلة .

رابعاً : ان النور يكافح العوامل الهدامة للحياة فيقتل الجراثيم والميكروبات المضرة ، ويبقى الذرات النافعة للحياة الى غير ذلك من الانوار المشكوفة الثابتة للنور فى مجال علم الطبيعة .

هذا هو حال النور الحسى الذى يمشى به الانسان فى حياته المادية ، واذا كان هذا حال النور الحسى فالنور المعنوى الذى به حياة الانسان الروحية ، اولى ان يكون كذلك .

ومن حسن الحظ أن نجد النور المعنوى ( القرآن والسنة ) حاملاً لهذه الاوصاف والاثار على الوجه الاكمل والاثم .

فاذا كان النور الحسى اسرع الاشياء المادية فى السير والدوران ، فالنور الذى يحمله القرآن الكريم مثله فى السرعة والانتشار ، فقد انبثق نور القرآن من ام القرى وانتشر بسرعة فائقة فى اجواء العالم وبدد الظلام عن أم القرى وما حولها الى ان وصل الى منتهى الخف والحافر .

واذا كانت الحياة المادية لاتستقر فى هذا الكوكب الا بضوء الشمس فالحياة المعنوية لاتستقر فى هيكل الفرد والمجتمع ، الا بالايمان والعمل الصالح



ولا يهتدى الانسان الى كل منهما ، الابير كة الوحي المجسد في الذكر الحكيم .  
 واذا كان ضوء الشمس ونور الكوكب يبدد الحجب في البوادي والصحارى  
 والمدن والبلدان فيغيب المجرم ويختفي المسيء ، فالنور المعنوى الذى يحمله  
 القرآن ومثله كل وحي سماوى ، يضىء المجتمع وينور القلوب فلا تجد فيه مجالاً  
 لظهور الرذائل وانتشار المساوىء وانما تظهر رذائل الاخلاق في غياب الايمان  
 والقرآن عن المجتمع .

واذا كان النور الحسى يكافح العوامل الهدامة للحياة فالنور المعنوى  
 ايضاً يكافح الغى والفساد ، والهرج والمرج ، والجهل والفقر وغيرها من الامور  
 التى تعد من العوامل الهدامة لحياة الانسان المعنوية .

ولاجل ذلك ترى ان الرسول (ص) يأمر بالتمسك بالقرآن الكريم عند  
 التباس الفتن على الانسان كقطع الليل المظلم ويقول : اذا التبست عليكم الفتن  
 كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وماحل مصدق... (١)  
 ولاجل هذا الامر وغيره عكف علماء الاسلام منذ فجر الدعوة الاسلامية  
 على دراسة القرآن وقراءته وحفظه وتفسيره والعناية به بشتى الطرق والوجوه .  
 وقد بلغ اقبال المسلمين والعناية بكتابهم مبلغاً لا يوجد له نظير في جميع انحاء  
 العالم والمجتمعات البشرية . كيف وقد اسسوا للاستضاءة من ذلك النور ، علوماً  
 كثيرة خدموا بها القرآن الكريم وعالجوا بها مشاكله ومبهمات ومعضلاته ،  
 شكر الله مساعى الجميع .

#### منهج التفسير الموضوعى :

ان السيرة الرائجة في تفسير القرآن الكريم هي تفسيره سورة بعد سورة ،  
 فالمفسر الموفق هو من يأخذ بتفسير سورة الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران وهكذا الى  
 ان ينتهى الى آخر القرآن او الى ما اتصل اليه جهوده ، وهذه سيرة رائجة في

جميع القرون ، غير ان هناك منهجاً آخر لتفسير الذكر الحكيم لم يقع موضع العناية الكبيرة للسلف الصالح من المفسرين وهو «**المنهج الموضوعي**» لتفسير القرآن .

والمقصود منه جمع الايات الواردة في كل موضوع والبحث عنها دفعة واحدة وهذا هو الطريق الامثل الذي ستحل به معضلات الايات وترتفع مبهماتهما، فان القرآن يفسر بعضه بعضاً وينطق ببعضه ببعض ، ولا مناص للمجتمع القرآني من العناية بهذا المنهج ايضاً كما كان له العناية بالمنهج الاول ، فالمنهجان متواكبان في الاضائة والتنوير . ولكل مزيتة ومحاسنه .

ثم ان من الذين عانوا في سد هذا الفراغ وبذلوا جهوداً واسعة في سبيله العلامة الحجة المحقق الاخ الشيخ جعفر السبحاني ادام الله تأييده . فقد سلك هذا الطريق وكشف حقايق قيّمة فشكر الله مساعيه ووفقه لادامة هذا المشروع .

فقد اختار من بين الموضوعات اولا ما يتصل بالله سبحانه وصفاته وافعاله والنبوات العامة والخاصة فلاجل ذلك قام بطرح مباحث التوحيد في الجزء الاول في اثني عشر فصلا على وجه بديع .

ولقد اعجبني من هذه الفصول الفصل المعقود لتفسير التوحيد في العبادة ، وما يميز به ما يشبه العبادة عن غيره فقد اعتمد في هذا المبحث على ضابطة قيّمة استنبطها من الذكر الحكيم .

ولما انتهى بحثه في هذا الجزء الى قسم خاص من التوحيد وهو «**التوحيد في الحاكمية**» وان الحكم حق مختص بالله سبحانه ، لا يناله غيره الا ناديه ، جعل مدار البحث في الجزء الثاني **معالم الحكومة الاسلامية** بأسلوب رائع وطريقة جديدة في نوعه ، الى غير ذلك مما يراه القارئ في اجزاء هذا الكتاب القيم من الموضوعات الهامة .

اضف الى ذلك كله ان الكتاب يشتمل على مزايا اخرى قيّمة في ذاتها



منها الصراحة في البحث ، وطرح المباحث بقلم واضح بعيد عن التعقيد ،  
والإيجاز المخل ، والاطناب الممل .

ومنها الحفاظ على المفاهيم الإسلامية من دون أي تحوير فيها وتغيير ،  
والتحرز عن المناهج المزيجة الملققة ، التي تأخذ من الإسلام شيئاً ، ومن المناهج  
غير الإسلامية شيئاً آخر ، فتمزجها وتقدم المجموع الملقق باسم الإسلام ،  
من المناهج التي لها الضرر الكثير على الإسلام وأهله ، أعاذنا الله من شرور هذه  
الفكرة وخطورة هذه المناهج .

وقد مشى المؤلف فيما يمت إلى هذه المباحث في ضوء القرآن الكريم  
من دون أي خضوع للأفكار المادية أو إخضاع المفاهيم الإسلامية لتلك المناهج  
فشكر الله سعيه ، وضاعف أجره وجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

قم - الحوزة العلمية

ناصر مكارم الشيرازي

١٢ من شوال سنة ١٤٠٧

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المفاهيم القرآنية بين الجمود والتأويل

ان الذكر الحكيم يشتمل على معارف واصول كما يشتمل على احكام وفروع ، والغاية المتوخاة من المعارف والاصول ، هي تحصيل العلم والمعرفة اولا والاذعان والايمان ثانياً ، كما ان الهدف من تشريع الاحكام والفروع هو الدعوة الى العمل والتطبيق .

فلو كان شرف كل علم بشرف موضوعه ، فالعلم الاول - بما انه يبحث عن معرفة الله سبحانه ومعرفة اسماء وصفاته وافعاله وما ينبغى له وما لا ينبغى له - يكون هو الاشرف والفقهاء الاكبر ، كما ان العلم الثاني - بما انه يبحث عن حكمه سبحانه بما يتعلق بافعال العباد - يكون هو الفقهاء الاصغر . ولكل، ائمة وقادة فكريين ، وكثيراً ما يكون الانسان اماماً في باب المعارف والعقائد ، وفي الوقت نفسه يكون غير رفيع المستوى في باب معرفة الاحكام ، وبما يكون على العكس ، فالكل اذا تكلموا فيما احسنوا ، ارشدوا الى الطريق المهيح والحق المبين، فاذا نطقوا في غيره اتوا بما تندش منه العقول ويقضى منه العجب (١) .

(١) قال امير المؤمنين على عليه السلام : «لوسكت من لا يعلم لرفع الاختلاف»

لاحظ در الاحكام للامدى .

فاللازم على رواد العلم حسب ما أمر به الرسول - تنزيل كل امرء منزله (١) والخذ عنهم فيما برعوا وفاقوا فيه ، وترك الافتقاء والتبعية فيما لاحذق لهم فيه ولا براعة ، وهذا هو دأب الدين ، وهي السنة القرآنية التي أمر الله بها سبحانه حيث قال : « وأتوا البيوت من ابوابها » . (البقرة : ١٨٩)

و كذلك علم الحديث والسنة ، فربما يكون الرجل قدوة في الحفظ ، عارفاً بمتون الاحاديث واسانيدها ، وليس له مقدرة علمية لتحليل مفادها والغور في اعماقها فيكون ذلك من موارد قوله ﷺ : « نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو افقه منه » (٢) فليس كل من روى كلاماً للنبي ﷺ ، يقبل رأيه الذي رأى ، ولا كل من حفظ اللفظ ، كان اهلاً لبيان كنه المعنى وما يستنبط منه ، بل لكل من الحفظ والنقد والتحليل رجال متخصصون ، ولكل فن اهل وارباب ، فمن خاض في علم بلا كفاءة كان خطأؤه اكثر من سوابه و« كان ما يفسده اكثر مما يصلحه » هذا هو الاصل الذي دعى اليه القرآن ، واستقرت عليه سيرة العقلاء ، ولكن الغفلة عن هذا الاصل في بدايات القرون الهجرية الاولى ، احدثت تخبطاً في الاوساط الاسلامية فنجمت بين المسلمين بدع يهودية وآراء مسيحية من القول بالتشبيه واثبات المحل لله تعالى والجهة له سبحانه فوصف البارئ المنزه عن كل نقص ، بالجلوس والنزول الى الارض ، واثبت له الاجزاء والاعضاء كالوجه والعين واليد والرجل ونسب اليه الاستعلاء الحسى على العرش ، وكان السبب لهذا التخبط أمران :

اولاً : الاغترار بما وضعه اعداء الاسلام من الاحبار والرهبان الذين تظاهروا بالايمان واضرروا الكفر تنفيذاً لحقدهم وعدائهم ، ويقف القارى على نماذج

(١) روى مسلم في صحيحه ج ١ ص ٥ عن عائشة ان رسول الله (ص) امرنا ان ننزل الناس منازلهم .

(٢) سنن الترمذى ج ٥ كتاب العلم الباب ٧ ، الحديث ٢٦٥٧ مسند احمد ج ٢ ص ٢٢٥



كثيرة من هذه الاسرائيليات فيماروي عن كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الملك بن جريج ، ومن شا كلهم من المتأسلمين لالمسلمين الحقيقيين .  
 ثانياً : الجمود على ظواهر بعض الايات والاحاديث من دون تعمق في اغوارها ولانفحص في مفاهيمها واعماقها حتى عاد التفكير في مفاد الاية والحديث تأويلاً بغيضاً ، فعند ذلك هاجت بحار الفتن وتلاطمت امواجهها بالبدع المهلكة ، فسمي التفكير في القرآن والتدبر في كلمات الرسول « كفرأ » و « زندقة » ، وعد اقصاء العقل وعزله عن القضاء في المعارف والاصول « قداسة » و « نزاهة » !!!  
 ففي هذه الظروف والاحوال قامت قيامة تأسيس المناهج ونجمت فرق كثيرة كل يدعى الانتساب الى الوحي والسنة .

وكل يدعى وصلاً بليلى وليلى لا تفر لهم بذاكا  
 واليك تسمية بعض هذه الفرق وبيان رؤوسها :

#### ١ - مبتدعة السلف :

وهم المغترون بكل حديث وقعت أعينهم عليه ، فجمعوا في حقائبهم كل رطب ويابس ، وأخذوا بالظواهر وتركوا الاستعانة بالقرائن ، وسموا كل بحث من اى أصل من الاصول والمعارف « تأويلاً » و « خروجاً عن الدين » ، و كبحوا العقل بتهمة الزندقة ، واستراحوا لما رروا عن ائمتهم من ذم علم الكلام ، فوصفوا الجمال المطلق والكمال اللامتناهي بالمحل والجسم والنزول والصعود ، وخرقوا له كثيراً من الاشباه والنظائر .

ترى كثيراً من هذه الاحاديث في مرويات حماد بن سلمة ونعيم بن حماد ومقاتل بن سليمان ومن لف لفهم ، ففي مروياتهم تلك الاثار المشينة ، وقد قلدهم كثير من البسطاء في القرون المتأخرة ، فحسبوها حقائق راهنة وألفوا فيها الكتب .  
 وعلى هذا الاساس الف كتاب التوحيد لمحمد بن اسحاق بن خزيمة المتوفى عام ٣٢١ و كتاب السنة لعبدالله بن احمد بن حنبل ، و كتاب النقض لعثمان بن سعيد الدارمي السجزي المجسم فانه اول من اجترأ من المجسمة بالقول : « بان

الله لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته فكيف على عرش بعيد» (١)  
ولقد عزب عن هؤلاء المساكين ان التفكير في آي الذكر الحكيم والغور  
في اعماقها مما أمر به منزله سبحانه حيث قال «كتاب انزلناه اليك مبارك  
ليدبروا آياته» (ص : ٢٩) . وليس صرف آيات الاستواء على العرش والوجه  
واليد والعين وما شابهها، عن الظاهر المتبادر من مفرداتها، الي ما هو المتبادر عند ائمة  
البلاغة، وتأويلاً وخرجاً عن ظاهر الكلام . اذ للكلمة بمفردها حكم ، وللجملة  
المتكوّنة من بعض الكلمات حكم آخر .

وان كنت في ريب من هذا فلاحظ لفظ الاسد بمفرده ، ونفس اللفظ في قول  
القائل : « رأيت أسداً يرمى » ، فحملها في الجملة الثانية على الحيوان المفترس  
سرف لظاهر الكلام بلا دليل ، وتأويل بلا مستوع .

وبهذا يظهر ان الصفات الخبرية الواردة في القرآن كالوجه وغيره لها حكم  
عند الافراد ولها حكم آخر اذا ما جاءت في ضمن الجمل فلا يصح حملها على  
المعاني اللغوية اذا كانت هناك قرائن صارفة عنها فاذا قال سبحانه : « ولا تجعل  
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» (الاسراء: ٢٩)  
فيحمل على ما هو المتبادر من الآية عند العرف العام اعني الاسراف والتقتير فبسط  
اليد كناية عن الانفاق بلا شرط كما ان جعل اليد مغلولة الى العنق كناية عن  
البخل والتقتير، ولا يعنى به بسط اليد بمعنى مدها، ولا غل اليد الى العنق بمعنى  
شدها اليه .

و على هذا يجب ان يفسر قوله سبحانه : « الرحمن على العرش استوى»  
(طه - ٥) فالعرش في اللغة هو السرير و الاستواء عليه هو الجلوس غير ان هذا  
حكم مفرداتها ، واما معنى الجملة فيتفرع الاستظهار منها ، على القرائن الحافة  
بها ، فالعرب الاقحاح لا يفهمون منها سوى العلو والاستيلاء وحملها على غير ذلك  
يعد تصرفاً في الظاهر ، وتأويلاً لها فاذا سمع العرب قول القائل :

(١) لاحظ مقدمة الشيخ محمد زاهد الكوثري على كتاب الاسماء و لصفات للبيهقي



قد استوى بشر على العراق  
من غير سيف ودم مهبraq  
او سمع قول الشاعر :

ولما علونا واستوينا عليهم  
تر كماهم مرعى لنسر وكاسر  
فلا يتبادر الى اذهانهم سوى العلو والسيطرة والسلطة لالعلو المكاني الذي  
يعد كمالاً للجسم واين هو من العلو المعنوي الذي هو كمال الذات .

وقد جاء استعمال لفظ الاستواء على العرش في سبع آيات مقترناً بذكر  
فعل من افعاله وهو رفع السموات بغير عمد او خلق السموات والارض وما بينهما  
في ستة أيام فكان ذاك قرينة على ان المراد منه ليس هو الاستواء المكاني بل  
الاستيلاء والسيطرة على العالم كله، فكما لاشريك له في الخلق والايجاد لاشريك  
له ايضاً في الملك والسلطة، ولاجل ذلك يقول في بعض هذه الآيات «الاله الخلق  
والامر تبارك الله رب العالمين» . (الاعراف - ٥٤)

فالتأويل بلا قيد وشرط، اذا كان ضاللاً كما سيوافيك بيانه، فكذلك الجمود  
على ظهور المفردات وترك التفكير والتعمق ايضاً ابتداء مفض الى صريح الكفر  
فلو حمل القارىء قوله سبحانه «ليس كمثله شيء» ( الشورى : ١٣ ) على ان الله  
مثلا وليس لهذا المثل مثل... اذن يقع في مغبة الشرك وجبائله وقد نقل الرازي  
في تفسيره لهذه الاية كلاماً عن ابن خزيمة فراجع (١) .

وما احسن قول ابن العربي في هؤلاء المجسمة المشبهة :

قالوا الظواهر اصل لا يجوز لنا  
عنها العدول الى رأى ولا نظر  
بينوا عن الخلق لستم منهم ابداً  
ما للانام و معلوف من البقر

وهؤلاء سلف المشبهة وائمة المجسمة ، وقد اغتر بقولهم جماعة من البسطاء  
المحدثين الى ان طلع امام الاشاعرة فادعى في القترات الاخيرة من حياته انه



تاب من الاعتزال وصار من شيعة منهج احمد بن حنبل وان مذهبه لا يفترق عنه قيد شعرة ، فقام بتعديله واصلاحه بشكل خاص خال عما يناقض عقول الناس الا فيما شذ ونذر. وليس مذهب الاشعري الا صورة معدلة من مذهب الحنابلة وأهل الحديث كما سيوافيك فصار القول بالتشبيه والتجسيم الصريح متر وكأ بعده الى قرون ولكن العجب ان هذه البدع بعد اخمادها، اخذت تنتعش في اوائل القرن الثامن بيد احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني المتوفى عام ٧٢٨ هـ فجدد ما اندرس من آثار تلك الطائفة المشبهة ، وقد وصفه السبكي في السيف الصقيل «بانه رجل جسور يقول بقيام الحوادث بذات الرب» ، ولكنه يقول بأنكر من ذلك ، وقد أتى بنفس ما ذكره الدارمي المجسم في كتابه «غوث العباد» المطبوع بمصر عام ١٣٥١ هـ في مطبعة الحلبي .

وعلى ذلك فابن تيمية أذن امام المدافعين عن بيضة أهل التشبيه وشيخ اسلام أهل التجسيم ممن سبقه من الكرامية وجهلة المحدثين ، الذين اهتموا بالحفظ المجرد ، وعفلوا عن الفهم والتفكير ، ولاجل ذلك نرى ان الشيخ الحراني يرمى المفكرين من المسلمين كإمام الحرمين والغزالي في كتابيه ( منهاج السنة و الموافقة المطبوع على هامش الاول ) ، بانهما أشد كفراً من اليهود والنصارى . مع انه (اي ابن تيمية) يعتنق عقائد يخالف جمهوره المسلمين وائمة اهل البيت عليهم السلام .

#### معطلة السلفية :

وهذه الزمرة من السلفية وان كانت بريئة مما ذهب اليه المجسمة فهم لا يفتقون اثر الظواهر ، بل يصر فونها عما يتبادر منها في بادىء النظر ، الا انهم لا يخوضون في المراد منها حذراً مما يسمى بـ «وصمة التأويل» .  
فعقيدة هؤلاء في الصفات الخبرية ان لله سبحانه يداً وعيناً واستواءً على العرش ، لكن لانعلم كنهها . و في مقدم هؤلاء مالك ابن أنس ، وقد سأل عن

معنى قوله سبحانه «الرحمن على العرش استوى» انه كيف استوى؟ فقال في جواب السائل: ما أظنك الا صاحب بدعة، فالاستواء مذكور، والكيف مجهول، والايمان به واجب. وفي رواية «والكيف غير معقول».

فلوصحت نسبة هذا الكلام الى امام المالكية فهو بلاشك من المعطلة، خصوصاً اذا كانت الرواية على قوله: «الكيف مجهول»، فهو يعتقد ان الله سبحانه جلوساً على العرش، لكن مجهولاً كنهه او محالاً دركه، فيجب الايمان به لا السؤال عن حقيقته فيتوجه السؤال الى امام المذهب المالكي انه لماذا هجم على السائل بقوله ما أظنك الا صاحب بدعة! مع ان وظيفة العالم ارشاد الجاهل لا الهجوم عليه بكلمة لاذعة، كما انه يتوجه اليه، أن الآية ونظائرها تصبح عند ذلك من الالغاز التي لا يفهم معناها بل يجب الايمان بها، ومع ذلك كله فقد راج هذا المذهب بعد ما رجع الامام الاشعري من مذهب الاعتزال الى مذهب المحدثين وفي مقدمهم احمد بن حنبل، يقول ابن خلكان: كان ابو الحسن الاشعري اولاً معتزلياً ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ورقى كرسياً ونادى باعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا اعرفه بنفسى انا فلان بن فلان كنت اقول بخلق القرآن وان الله لا تراه الابصار وان افعال الشر انا افعلها وانا نائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعائبهم (١).

فغايه ما عند الامام الاشعري واتباعه ان الله سبحانه صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولكن لا تعرف كنه اللفظ الوارد فيه ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الايات وتأويلها، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بانه لا شريك له وليس كمثل شئء، وذلك قد اثبتناه يقيناً (٢).

وهذه الطائفة قد خرجت من مغبة التشبيه والتجسيم غير انهم تورطوا في اشراك التعطيل وحبائله فعطلوا العقول عن التفكير في المعارف والاصول كما عطلوها

(١) وفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٨٥

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٩٢.



عن التدبير في الآيات والاحاديث فكأن القرآن الغاز نزل الى البشر وليس كتاباً للتعليم والارشاد قال تعالى : «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء» (النحل: ٨٩) فاذا كان القرآن مبيناً لكل شيء فكيف لا يكون مبيناً لنفسه وكيف يكون المطلوب منه نفس الاعتقاد من دون فهم معناه. وفي الختام نشير الى عدة أمور :

١- ان القوم يطلقون عنوان «المعطلة» على القائلين بوحدة الذات و الصفات بمعنى ان صفاته سبحانه عين ذاته لاشيء زائد عليه وان الذات كلها علم وكلها قدرة، وكلها حياة، وليست هذه الصفات اموراً زائدة على نفس الذات . والقوم لما لم يصلوا الى مغزى تلك العقيدة رموا القائلين بها بالتعطيل اى (تعطيل الذات عن الاتصاف بالصفات) وهم برآء عن هذه التهمة ان لم يعطلوها عن الاتصاف بها، بل نزهاوا الذات عن الاتصاف بالصفات الزائدة، فكم فرق بين تعطيل الذات عن الصفات وبين تنزيهه عن الصفات الزائدة . فتوصيفهم بالتعطيل ظلم واضح بل المعطلة حقيقة هم الذين عطلوا العقول عن البحث حول المعارف واكتفوا بالايمان المجرد الخالى عن التعمق والتفهم .

٢- ان معطلة السلف كانوا يحرمون النظر في المعارف بحجة ان النبي ﷺ قال: عليكم بدين العجائز، فانه الفائز. غير ان هذا النص لم يوجد في صحاح القوم. ولا فى مسانيدهم ، بل الصحيح ما روى ان « عمرو بن عبيد » لم اثبت منزلة بين الكفر والايمان فقالت عجوزة : « قال الله تعالى : هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، فلم يجعل الله من عباده الا الكافر و المؤمن » فقال سفيان : عليكم بدين العجائز .

واقصى ما يمكن ان يقال ان الرواية صدرت من النبي ﷺ عند ما استدلت المعجوزة على وجود الصانع بحركة دولابها وكف اليد عن تحريكها على ما هو معروف فاستدلت بحركة الاجرام السماوية على ان لها محرراً كما ان لحرارة دولابها محرراً ، واين هذا من تعطيل العقول عن المعارف .

٣- ثم ان تعطيل العقول عن البحث والمعرفة اخذ في هذه الاعصار صبغة



علمية مادية بحتة بحجة ان مبادئها ومقدماتها ليست في متناول الباحثين لانها موضوعات وراء الحس والطبيعة ولا تعمل فيها حواس الانسان، فهذا هو السيد الندوى يتمسك بهذا الوجه و يعد ترك البحث فضيلة، و البحث عن المعارف القرآنية كفراناً للنعمة .

يقول : « وقد كان الانبياء ﷺ أخبروا الناس عن ذات الله و صفاته و أفعاله، وعن بداية هذا العالم ومصيره، وما يهجم عليه الانسان بعد موته، و آتاهم علم ذلك كله بواسطة عفوآ بدون تعب، و كفوهم مؤونة البحث والفحص في علوم ليس عندهم مبادئها ولا مقدماتها التي يبنون عليها بحثهم ليتوصلوا الى مجهول، لأن هذه العلوم وراء الحس والطبيعة، لا تعمل فيهما حواسهم، ولا يؤدي اليها نظرهم، وليست عندهم معلوماتها الأولية» .

« لكن الناس لم يشكروا هذه النعمة وأعادوا الأمر جذعاً، وأندوا البحث أنفأ وبدأوا رحلتهم في مناطق مجهولة لا يجدون فيها مرشداً ولا خريتا» (١) .

ان الكاتب حسب ما توحى عبارته متأثر بالفلسفة المادية التي تحصر ادوات المعرفة بالحس ولا يقيم وزناً للعقل الذي، هو احدى ادواتها . وهذا من الكاتب امر عجيب جداً، فان الله سبحانه كما دعا الى الانتفاع بالحس ومطالعة الطبيعة و كشف قوانينها وانظمتها دعى الى التعقل والتفكر في كل ماورد في القرآن الكريم حيث قال : افلا يتدبرون القرآن، ام على قلوب اقفالها (محمد : ٢٣) وليست الآية ناظرة الى التدبر في خصوص الانظمة السائدة على النبات و الحيوان والانسان، بل التدبر في مجموع ما جاء في القرآن، فقد جاء في القرآن الكريم معارف دعى الى التدبر فيه نظير :

« ليس كمثل شئ» . « والله المثل الاعلى» . « له الاسماء الحسنى» .

« الملك القدس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر» .

« اينما تولوا فتم وجه الله» .

هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .  
وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وهو معكم اينما كنتم  
يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب .  
الى غير ذلك من المعارف العليا الواردة في القرآن الكريم ولا يحصل  
اليها الانسان الا بالتدبر والتعقل ولا يكفي في التعرف عليها العلوم الحسية وان  
بلغت القمة .

ثم ان لصدر المتألهين كلاماً حول هذه الطائفة طويلاً عن ذكره الكلام كما  
ان للسيد العلامة الطباطبائي كلاماً قيماً آخر تر كنا ذكره روماً للاختصار (١) .  
٤ - ان العقيدة الاشعرية هي عقيدة حنبلية معدلة ، وقد تصرف في جميع  
ما كان غير معقول في العقيدة الاولى فلاجل ذلك حلت محل ذلك المذهب بعد  
اضطرابات واشتباكات بين معدل المذهب واتباع العقائد الحنبلية .

وقد توفق الرجل في تعديل المذهب واول منه ما يناقض العقول ومع ذلك  
كله أبقى من المذهب الحنبلي اموراً على وجهها ولم يقدر على تأويلها وهي عبارة  
عن مسألة قدم القرآن اولاً ، ورؤية الله سبحانه ثانياً ، والقول بالقضاء والقدر على وجه  
يجعل الانسان مكتوف الايدي ، فلوا غمضنا عن هذه المسائل الثلاث فقد توفى الامام  
الاشعري في اصلاح العقائد الحنبلية بعد ثبوتها في نفوس الناس وانتشارها في العالم :

#### المؤولة :

ان المؤولة من الباطنية ليسوا بأقل خطراً من اصحاب الجمود فقد وضعوا  
لتفسير المفاهيم الاسلامية ضابطة باطلة لا يوافقها العقل ولا دل عليها من الشرع  
شيء قالوا :

للقرآن ظاهر و باطن والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة ،  
ونسبة الباطن الى الظاهر كنسبة اللب الى القشر وان باطنه يؤدي الى ترك العمل  
بظاهره واستدلوا على ذلك بقوله سبحانه : « ف ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه

(١) لاحظ الاسفار الاربعة ج ١ ص ٥ - والميزان ج ٨ ص ١٥٧ .



الرحمة وظاهره من قبله العذاب» (١) .

فاذا كانت تلك الضابطة في فهم الشريعة والعمل بالقرآن صحيحة ، اذن اصبحت الشريعة غرضاً لكل نابل، وفريسة لكل آكل فلا يبقى منها شيء ، وفي هذه الحالة يدعى كل مؤول ان الحق معه وان المراد ما اختاره من التأويل على الرغم من اختلاف تأويلاتهم . انظر الى ما يقولون حول المفاهيم الاسلامية وانهم كيف يتلاعبون بها فالصلاة عبارة عن الناطق الذي هو الرسول لقوله سبحانه : «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» .

والغسل عبارة عن تجديد العهد ممن افشى سراً من اسرار الباطنية من غير قصد ، والاحتلام عبارة عن افشائه، والزكاة هي تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين ، والجنة راحة الابدان من التكاليف ، مشقتها بمزاوتها (٢) .

فاذا كان ما ذكره حقيقة الدين والتكاليف فلم يبق بين الديانة والاحاد حد ولا فصل . هذه نماذج من تأويلات الباطنية وقد ظهرت بوادر هذه الفتنة ونبتت نواتها من المأمون العباسي الى ان صاروا طائفة كبيرة حاكمة على الاسلام والمسلمين ومحاربة لهم بغير السيف والنازل عن طريق الاحتيال الموصل لهم الى آربهم واهوائهم ويليهم فسي التخريب والاضرار التصوف الذي جاء به ابن العربي شيخ هذه الطريقة فقد قام بتأويل المفاهيم القرآنية على وجه لا دليل عليه فيقول ان جبرائيل هو العقل الفعال ومكائيل هو روح الفلك السادس ، واسرافيل هو روح الفلك الرابع ، وعزرائيل هو روح الفلك السابع (٣) ، كما يفسره قوله سبحانه : « مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان » ان مرج البحرين هو بحر الهيولى الجسمانية الذي ، هو الملح الاجاج، وبحر الروح المجرد ، وهو العذاب الفرات يلتقيان في الموجود الانساني ، وان بين الهيولى الجسمانية والروح المجرد ، برزخ ، هو النفس الحيوانية التي ليست في صفاء الروح المجردة ولطافتها

(١) الفرق بين الفرق ص ١٨ (٢) المواقيف ج ٨ ص ٣٩٠

(٣) تفسير ابن العربي ج ١ ص ١٥٠



ولافى كثرة الاجساد الهيولانية وكتافتها .

ولكن مع ذلك لا يبغيان اى لا يتجاوز احدهما حده فيغلب على الآخر بخاصيته فلا الروح المجردة ، تجرد البدن وتخرج به وتجعله من جنسه ، ولا البدن يجسد الروح ويجعله مادياً . (١)

تجد نظائر هذا الفرار في كتبه كالفقوحات المكية والفصوص فيطبق كثيراً من الآيات القرآنية على كثير من نظرياته الصوفية وقدمنى الاسلام باهل اصحاب الجمود في القرون الاولى وحتى الآن ، كما منى بالمؤولة من الباطنية والمتصوفة من اوائل القرن الثالث حتى الان .

#### التأويل باسم التفسير العلمى :

غير ان التأويل قد اتخذ في العصر الحاضر لونا خاصاً واسماً فخماً ، يطلق عليه التفسير العلمى فالغاية عند هذه الطبقة ، اخضاع القرآن على المكتشفات العصرية فيما يتعلق بالاجرام السماوية والارضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية ، وقد ظهرت هذه النزعة في اواخر القرن الثالث عشر الهجرى وألفت هناك كتباً بسطها كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهرى المصرى .

لكن التفسير بهذا النمط ، انما يستحسن اذا وافق ظاهر الآية ، غير ان المؤلفين فى هذا القسم لا يكتفون بذلك بل يفسرون القرآن لغاية اخضائه على المكتشفات ، ترى أنهم يفسرون قوله سبحانه : « وأرسل عليهم طيراً أبابيل » بالميكروب ، وقد ناقشنا هذا اللون من التفسير فى بعض مسفوراتنا .

#### التأويل الالهادى :

هذا النوع من التأويل منى به الاسلام من زمن بعيد غير أنه أخذ فى هذه الاعصار صبغة علمية تخدع عقول الشباب ، والحافز الى هذا النوع من التأويل

هو إخضاع المفاهيم الغيبية على الأمور الحسية المادية ، ونأتى بنماذج من هذا النوع حتى يقف القارئ الكريم على ان هذا النوع من التأويل فى العصر الحاضر ، والتأويل عند الباطنية فى الأعصار السالفة ، وجهان لعملة واحدة .

١- انه سبحانه عندما يبعد معاجز عيسى وآياته يقول: «قد جئتمكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الاكمه والابرس وأحيى الموتى وانبتكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين» (آل عمران-٤٩) فاصحاب تلك المدرسة يزعمون انه تمثيل لاخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته الى خفة العلم ونوره ، وان المراد من «الاكمه» من ليس عند نظر ، كما ان المراد من «الابرس» المتلون بما يشوه الفطرة . (١) .

فاذا كان هذا هو المقياس فى تفسير القرآن الكريم فهو تفسير للقرآن على عمى فلا تراعى فيه اللغة ولا قوانين الادب ولا قوانين البلاغة ولا السنة الصحيحة ولا . . . ولا . . .

وعلى هذا الاساس عاد الكاتب ينكر ان يكون ابراهيم قد ألقى فى النار وخرج منها سالماً (٢) كما ينكر معاجز داود وسليمان وينكر الملائكة والجن والشيطان (٣) ، الى غير ذلك من التأويلات المزيفة التى تسير الروح الالحادية . والعجب ان علامة مصر الشيخ عبده شيخ الازهر الذى كان يترجى منه الحفاظ على المفاهيم الاصيله ، تورط فى هذا المأزق ففسر الملائكة وابليس تفسيراً مادياً بعيداً عن ساحته (٤) .

كما ان موقفه فى تفسير السحر كذلك ايضاً ، حيث يفسر قوله سبحانه : «ومن شر النفاثات فى العقد» بالتمامون المقطعون لرابط الالفه ، المحرقون لها بما

(١) الهداية والعرفان فى تفسير القرآن ص ٤٥

(٢) ، (٣) لاحظ المصدر نفسه ص ٧ ، ٢٥٦ ، ٣٥٧

(٤) لاحظ المنار ج ١ ص ٢٦٧



يلقون عليها من ضرام نعامهم (١) .  
 وقد تأثر بهذا المنهج تلميذة الشيخ محمد رشيد رضا ، فعاد ينكر ان يكون  
 للنبي معجزة غير القرآن الكريم ، ويقول في جواب المحتجين بانشقاق القمر :  
 قد بينا ان ما تدل عليه الآيات القرآنية المؤيدة بحديث الصحيحين بانشقاق القمر في  
 حصر معجزة نبوته في القرآن ، هو الحق الذي لا ينهض لمعارضته شيء (٢) .  
 فاذا كان شيخ الازهر (عبده) وتلميذه سائرين على هذا النمط من التأويل  
 فما الظن بغيرهما من البسطاء .  
 اذا كان رب البيت بالدف مولعاً فشيمة اهل البيت كلهم الطرب  
 ولقد كان المفسر المعاصر سيد قطب يميل الى هذا النوع من التأويل ولكنه  
 عند ما وصل الى تفسير سورة الجن تنبه الى ان في هذا اللون من التأويل ضرراً  
 وببلا وقال : الجزم بنفى وجود الجن ، و معلومات البشر عن هذا الكون وقواه  
 وسكانه من الضلالة بحيث لا تسمع بانسان يحترم عقله ان يجزم بشيء .  
 ان طريقتنا هو ابطال الخرافات والاساطير كما صنع القرآن الكريم  
 لا التبجح بنفى وجود هذا الخلق من الاساس بلا حجة ولا دليل (٣) .  
 وهذه المناهج المنحرفة مما لا يوافق عليها العقل ولا الكتاب العزيز ولا  
 السنة النبوية ولا احاديث العترة الطاهرة ، فلا مناص من الحفاظ على المعارف  
 الغيبية والتعمق فيها ، مجانبةً من الجمود على الظواهر ، والتأويل بلا دليل وحجة ،  
 وهذا هو الذي سلكتنا عليه في فهم كتاب الله واستخراج معارفه ارجو سبحانه ان  
 يجعله ضياءً ونوراً يسعى بين ايدينا في يوم القيامة انه بذلك قدير وبالاجابة جدير .

قم - جمع السبحاني

١٥ شوال المكرم ١٤٠٧

(٢) تفسير جزء عم ص ١٨١

(٢) تفسير المنار ج ١١ ص ٣٣٣ . والوحي المحمدي ص ٦٩

(٣) في ظلال القرآن الكريم ج ٢٩ ص ١٤٠

## عصمة الانبياء

وما تمسكت به المخطئة من الايات:



### في هذا الفصل :

- ١ - عصمة آدم والشجرة المنهى عنها ، وجعل الشريك لله .
- ٢ - عصمة شيخ الانبياء : نوح والمطالبة بنجاة ابنه العاصي .
- ٣ - عصمة ابراهيم الخليل ، وقوله للنجم : هذا ربي ، ومسألة نسبة تحطيم الاصنام الى كبيرها ، وقوله لقومه : انى سقيم .
- ٤ - عصمة يوسف ، وقول الله : «وهم بها» .
- ٥ - عصمة موسى ، وقتل القبطى ، ومشاجرته مع اخيه هارون .
- ٦ - عصمة داود وقصة فضائه فى النعجة .
- ٧ - عصمة سليمان ومسألة عرض الصافنات وطلبه الملك .
- ٨ - عصمة أيوب ومسألة مس الشيطان له بنصب وعذاب .
- ٩ - عصمة يونس وتركه قومه وذهابه مغضباً
- ١٠ - عصمة النبي الاكرم خصوصاً وما تمسكت به المخطئة من الايات الخمس
- ١١ - عصمة النبي الاكرم من الخطأ والسهو .
- ١٢ - دين النبي الاعظم قبل البعثة والايات الخمس التى تمسكت بها المخطئة فى ذلك المجال .

## عصمة آدم والشجرة المنهى عنها

ان المخطئة لعصمة الانبياء (في غير مجال تلقى الوحي) تمسكت بطائفتين  
من الآيات :

الاولى : ما يمس ظاهرها عصمة جميع الانبياء .

الثانية : ما يمس ظاهرها عصمة عدة خاصة منهم كآدم ونوح ...

وقد فرغنا عن البحث حول الطائفة الاولى من الايات في الجزء السابق ،

وحان حين البحث حول الطائفة الثانية منها

وقد طرحنا في هذا الجزء ابرز الايات التي وقعت ذريعة بايدي المخطئة

في مجال نفى العصمة عن عدة معينة من الانبياء وراعينا الترتيب التاريخي لهم ،

فنقدم البحث عن عصمة آدم على البحث عن عصمة نوح وهكذا .

ان حديث الشجرة المنهى عنها هو اقوى ما تمسك به المخالفون للعصمة،

المجوزون صدور المعصية من الرسل والانبياء وبعد ذلك في منطقتهم «كبيت القصيد»

في ذلك المجال ولاجل ذلك ينبغي التوسع في البحث واستقصاء ما يمكن ان يقع

ذريعة في يد المخالف فنقول :

ان حديث الشجرة ورد على وجه التفصيل في سور ثلاث نذكر منها ما يتعلق

بمورد البحث قال سبحانه : «وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة و كلا منها

رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فاللهما الشيطان عنها



فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم» (البقرة - ٣٥ - ٣٧) .

ويقول سبحانه : «ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوء اتهما وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين. فدلتهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوء اتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة و أقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالوا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين» (الاعراف ١٩-٢٤) فانت ترى انه سبحانه يتوسع في بيان القصة في هذه السورة، بينما هو يختصر في بيانها في السورة السابقة و وجه ذلك ان سورة الاعراف مكية و سورة البقرة مدنية ولما توسع في البيان في السورة المتقدمة أوجز في السورة اللاحقة ولم يفصل. ويقول سبحانه : «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى. فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى. ان لك الاتجوع فيها ولا تبرى. واذك لانظموها فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فاكلامنها فبدت لهما سوء اتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فاما يا تينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى» (طه - ١١٥ - ١٢٣) .

هذه السور الثلاث قد احتوت على مهمات هذه القصة فينبغى علينا توضيح ماورد فيها من الجمل والكلمات التي تعتبر ماثراً للتساؤلات الآتية :

## التساؤلات حول الايات :

- ان التساؤلات المطروحة حول الايات هي عبارة عن :
- ١ - ماهي نوعية النهي في قوله «لاتقربا» ؟
  - ٢ - ماهو المراد من وسوسة الشيطان لآدم وزوجته ؟
  - ٣ - ماذا يراد من قوله فازلهما الشيطان ؟
  - ٤ - ما ذا يراد من قوله « فعصى آدم ربه فغوى » فهل العصيان و الغواية بلازمان المعصية المصطلحة ؟
  - ٥ - ما معنى اعتراف آدم بظلمه لنفسه في قوله «ربنا ظلمنا انفسنا» .
  - ٦ - ماذا يراد من قوله سبحانه «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» فهل التوبة دليل العصيان ؟
  - ٧ - ما معنى قوله «وان لم تغفر لنا وترحمنا» ؟
- فلنرجع الى الاجابة على هذه الاسئلة واحداً بعد واحد وعندختم البحث يقف القارئ على ان آدم اباالبشر كان نزيهاً عما الصوبه من المخالفة للتكليف الالهى الالزامى المولوى الموجب للمعقوبة .

## ماهي نوعية النهي في «لاتقربا» ؟

ان النهي ينقسم الى قسمين : مولوى و ارشادى و الفرق بين القسمين بعد اشتراكهما غالباً في ان كلامهما صادر عن امر عال الى من هو دونه ، هو ان الامر قد ينطلق في امره ونهيه من موقع المولوية والسلطة متخذاً لنفسه موقف الامر، الواجبة اطاعته ، فيأمر بما يجب ان يطاع كما انه ينهى عما يجب ان يجتنب فعند ذلك يترتب الثواب على الطاعة ، والعقاب على المخالفة وهذا هو شأن اكثر الاوامر والنواهي الواردة في الكتاب والسنة .

وقد ينطلق في ذلك من موقع النصح والارشاد ، والعظة والهداية من دون



ان يتخذ لنفسه موقف الأمر ، الواجبة طاعته بل يتخذ لنفسه موقف الناصح المشفق ، القاصد لاسعاد المخاطب و انجائه من الشقاء ، وعند ذلك يترك انتخاب احد الجانبين للمخاطب ، مذكراً له ما يترتب على نفس العمل من آثار خاصة من دون ان تترتب على ذات المخالفة اية تبعه .

وان شئت قلت : ان نفس العمل والفعل ذو آثار طبيعية ومضاعفات تترتب عليه في كل حين وزمان ، من دون فرق بين فاعل وآخرفيذكر المولى العالم بعواقب الاعمال و آثار الافعال، بما يترتب على ذات العمل من سعادة وشقاء فيجعل المخاطب في موقف العالم بآثار الشيء ويترك اختيار احد الطرفين اليه، حتى يكون هو المختار في العمل فان اتبع نصحه وارشاده فقد نجا عما يترتب على العمل من الهلاك والخسران، وان خالفه تصيبه المضاعفات التي تكمن في ذات العمل .

### ولتوضيح ذلك نأتى بمثال :

ان الطبيب اذا وصف دواء لمريض وامره بتناول ذلك الدواء و الاجتناب عن امور اخرى ، فلو قام المريض بالطاعة والامتثال ، تترتب عليه الصحة والعافية وان خالف امر الطبيب لم يترتب على تلك المخالفة سوى المضاعفات المترتبة على نفس العمل وذلك لان الطبيب لم يكتب له تلك الوصفة الا بما انه طبيب ناصح ومعالج مشفق .

ومثل ذلك ما اذا قال سبحانه « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » بعد ما امر الناس بواجبات ونهى عن امور فلو خالف المكلف وترك الواجب كالصلاة والصوم وارتكب المنهيات كالكذب والغيبة فقد خالف عندئذ امرين :

١ - الامر بالصلاة والصوم .

٢ - الامر باطاعة الله ورسوله .

فلا يترتب على تينك المخالفتين سوى عقاب واحد لاعقابين و ذلك لان الامر الثاني لم يكن امراً مولوياً بل كان امراً ارشادياً لا يترتب على مخالفته

سوى ما يترتب على مخالفة الامر الاول، وذلك لان المفروض ان الامر لم يتخذ لنفسه عند الامر باطاعة الله ورسوله، موقف الامر، الواجب الطاعة، بل امر بلباس النصح والارشاد. اذا عرفت ذلك فنقول: ان مخالفة النهى عن الشجرة انما تعد معصية بالمعنى المصطلح اذا كان النهى مولويًا صادرًا عنه سبحانه على وجه المولوية لا امرًا ارشاديًا واردةً بصورة النصح، والقرائن الموجودة في الايات تشهد بانها ارشادية لا يترتب على مخالفتها، سوى ما يترتب على ذات العمل من الآثار الوضعية والطبيعية لامولوى حتى يترتب عليه وراء تلك الآثار، عقاب المخالفة و مؤاخذة التمرد، واليك هذه القرائن :

- ١ - لو كان النهى عن الشجرة نهياً مولويًا يجب ان يرتفع اثره بعد التوبة والانابة مع اننا نرى ان الاثر المترتب على المخالفة بقى على حاله رغم توبة آدم وانابته الى الله سبحانه وهذا دليل على ان الخروج عن الجنة والتعرض للشقاء والتعب، كان اثرًا طبيعياً لنفس العمل وكان النهى لغاية صيانة آدم عن هذه الآثار والعواقب كما اذا نهى الطبيب، المصاب بمرض السكر عن تناول المواد السكرية.
- ٢ - ان الآيات الواردة في سورة «طه» تكشف النقاب عن نوعية هذا النهى وتصرح بان النهى كان نهياً ارشادياً لصيانة آدم عما يترتب عليه من الآثار المكروهة والعواقب غير المحمودة، قال سبحانه : «فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. ان لك الاتجوع فيها ولا تعرى. وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى» (طه ١١٧ - ١١٩) فان قوله سبحانه «فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى» صريح فى ان اثر امتثال النهى هو البقاء فى الجنة ونيل السعادة التى تتمثل فى قوله: «ان لك الاتجوع فيها ولا تعرى. وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى» وان اثر المخالفة هو الخروج من الجنة والتعرض للشقاء الذى يتمثل فى الحياة التى فيها الجوع والعرى والظمأ وحر الشمس. كل ذلك يدل على انه سبحانه لم يتخذ لى النهى موقف الناهى، الواجبة طاعته بل كان ينهى بصورة الارشاد والنصح والهداية وانه لو خالفه لترتب عليه الشقاء فى الحياة والتعب فيها.



٣- انه سبحانه - بعد ما ذاق آدم وزوجته الشجرة وبدت لهما سوءاتهما وطفقا ينخسفان عليهما من ورق الجنة - ناداهما : «الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين» (الاعراف - ٢٢) .

فان هذا اللسان ، لسان الناصح المشفق الذي ارشد مخاطبه لمصالحه ومفاسده في الحياة ولكنه خالفه ولم يسمع قوله فعندئذ يعود ويخاطبه بقوله : الم اقل لك . . . الم انهك عن هذا الامر؟

٤ - انه سبحانه يبين ان وسوسة الشيطان لهما لم يكن الا لبدء ما ووري عنهما من سوءاتهما حيث يقول: «فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما» . (الاعراف - ٢٠)

وهذا يكشف عن ان ما يترتب على الوسوسة ومخالفة آدم بعدها لم يكن الا لبدء ما ووري عنهما من السوأة ، الذي هو اثر طبيعي للعمل من دون ان يكون له اثر آخر من ابتعاده عن لطفه سبحانه ، وحرمانه عن قربه ، الذي هو اثر المخالفة للخطابات المولوية .

٥- انه سبحانه يحكى ان وسوسة الشيطان لهما كانت بصورة النصح والارشاد حيث قال: «وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فديهما بغرور»-(الاعراف - ٢١) وهذا يكشف عن ان خطابه سبحانه اليهما كان بصورة النصح ايضاً وهذا واضح لمن له ادنى المام باساليب الكلام .

وهذه القرائن وغيرها الموجودة في الآيات الواردة حول قصة آدم تدل بوضوح على ان النهي في هذا المقام كان نهياً ارشادياً لا مولوياً وكان الهدف تبقية آدم بعيداً عن عوامل الشقاء والتعب ولكنه لم يسمع قول ناصحه فعرض نفسه للشقاء وصار مستحقاً لان يخاطب بقوله سبحانه : «قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع السى حين» (الاعراف - ٢٤) وقال سبحانه ! «قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو» (طه-١٢٣) .

اضف الى ذلك ان الظرف الذي تلقى فيه آدم هذا النهى ، (النهي عن الاكل

من الشجرة) لم يكن ظرف تكليف حتى تعد مخالفته عياناً لمقتضاه فان ظرف التكليف هو المحيط الذى هبط اليه مع زوجته بعد رفض النصيح، اما ذلك المحيط فكان معداً لتبصير الانسان باعدائه واصدقائه، ودورة تعليمية لمشاهدة نتائج الطاعة وآثار المخالفة اى ما يترتب على قبول قوله سبحانه من السعادة، وما يترتب على قبول قول ابليس من الشقاء وفى مثل ذلك المحيط لا يعد النهى ولا الامر تكليفاً بل يعد وسيلة للتبصير وتحصيل الاستعداد لتحمل التكليف فى المستقبل وكانت تلك الدورة من الحياة دورة اعدادية لابي البشر وامهم حتى يلمس الحقائق لمس اليد. الى هنا تمت الاجابة عن السؤال الاول غير ان هناك جواباً آخر ذكره اكثر المفسرين ونحن نأتى به بشكل موجز.

### جواب آخر عن الاشكال :

ان اكثر المفسرين من العدلية اختاروا ان مخالفة آدم لم تكن الامخالفة لنهى مولوى غير الزامى وهو ما يعبر عنه بترك الاولى وترك الافضل واما اطلاق العصيان وغيره من الكلمات الموهمة فى المقام ، فحاصل كلامهم فى ذلك ، ان الذنب على قسمين ذنب مطلق وهو مخالفة الارادة القطعية الالزامية للمولى الحكيم من غير فرق بين انسان وانسان فمن خالفه يكون عاصياً سواء فيه العاكف والباد، وذنب نسبي وهو ما يعد ذنباً وامراً غير صحيح بالنسبة الى شخص دون شخص وهو ما يكون العمل بالذات مباحاً وجائزاً غير قبيح فى حد نفسه، غير ان العرف والمجتمع يستقبح صدور من شخص خاص ويعدده امراً غير صحيح ومثاله ما يلى :

ان المساعدة المالية القليلة ممن يمتلك الآلاف المؤلفة وان كانت جائزة لكنها تثير اعتراض الناس على الفاعل مع انه لم يرتكب عملاً قبيحاً بالذات .  
كما ان اقامة الصلاة مع عدم تفرغ البال مبرئة للذمة ومسقطه للتكليف الا انه اذا اتى بها النبى بهذه الصورة يعد امراً غير لائق بمقامه وغير مترقب منه فوزان الاكل من الشجرة الممنوعة وزان صدور بعض الاعمال المباحة بالذات



من الشخصيات الكبيرة المحترمة .

وتزيد توضيحاً في ذلك: اذا وقفنا على انه سبحانه اعز آدم بتعليمه الاسماء وجعله معلماً للملائكة ومسجوداً لهم وفي هذه الحالة طلب منه ان يترك الاكل من الشجرة المعينة، كان المترقب من مثله ان يتورع عن أية مخالفة مهما صغرت ومهما كان الامر والنهي غير الزاميين ولاجل ذلك يعد هذا العمل مع ملاحظة ما حفته من الشرائط ، عصياناً محتاجاً الى التوبة .

### جواب ثالث عن الاشكال :

وها هنا جواب ثالث: وهو ان محور البحث عند المتكلمين في عصمة الانبياء عبارة عن مخالفة الانسان المكلف، للتكليف الالهي بعد تشريع الشرائع وانزال الكتب ولو كان هذا هو المعيار لما صدق في قصة آدم لان البيئة التي كان ابو البشر يعيش فيها قبل الهبوط ، لم تكن دار التشريع والتكليف ولم تكن هناك أية شريعة والمخالفة في هذا المحيط لا تعد نقضا للعصمة فلاحظ ، فقد تقدم بعض ذلك الكلام في ذيل الجواب الاول .

الى هنا تبين ان مخالفة آدم لتهيئه سبحانه لا تضاد عصمته وقد عرفت الاجوبة الثلاثة فحان حين البحث عن بعض المفاهيم الواردة في الآيات التي تقدمت عليك وربما يعد بعضها دليلاً على ان المخالفة من آدم كانت ذنباً شرعياً ولاجل ذلك يجب علينا توضيح هذه المفاهيم الواردة في القصة .

### ١ - ما معنى وسوسة الشيطان لادم :

وحقيقة هذا السؤال ترجع الى ان ظاهر الايات الماضية هو تأثير الشيطان في نفس آدم بالوسوسة قال سبحانه : «فوسوس لهما الشيطان» (الاعراف - ٢٠) وقال سبحانه : «فوسوس اليه الشيطان» (طه - ١٢٠) وعندئذ يتساءل: ان تطرق الوسوسة الى آدم من جانب الشيطان ، كيف تجتمع مع ما حكاه سبحانه من عدم

تسلط الشيطان على عباد الله المخلصين اذ قال : «ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغارين» (الحجر-٤٢) وقال سبحانه حاكياً قول ابليس : «فبعزتك لاغوينهم اجمعين الاعدادك منهم المخلصين» (ص - ٨٢ - ٨٣) .

والجواب عن ذلك : ان المراد من المخلصين هم الذين اجتباهم الله سبحانه من بين خلقه قال تعالى مشيراً الى ثلثة من الانبياء : «اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح و من ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا» (مريم - ٥٨) وقال سبحانه مشيراً الى طائفة من الانبياء : «ومن آباءهم و ذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم» (الانعام - ٨٧) .

فاذا كان المخلصون هم الذين اجتباهم الله سبحانه بنوع من الاجتباء ، لم يكن آدم عليه السلام يوم خالف النهى من المجتبيين وانما اجتباه سبحانه بعد ذلك قال سبحانه : «وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى» (طه - ١٢١ - ١٢٢) وعلى ذلك فوسوسة الشيطان لادم لاتنافى ما ذكره سبحانه فى حق المجتبيين وان الشيطان ليس له نصيب فى حق تلك الصفوة وليس له طريق اليهم . اضعف الى ذلك : ان وسوسة الشيطان فى صدور الناس انما هى بصورة النفوذ فى قلوبهم والسلطان عليهم بنحو يؤثر فيهم ، وان كان لا يسلب عنهم الاختيار والحرية ويؤيد كون الوسوسة بصورة النفوذ ، الاتيان بلفظة «فى» فى قوله سبحانه «يوسوس فى صدور الناس» (الناس - ٥) واما وسوسة الشيطان بالنسبة الى ابى البشر فلم تكن بصورة النفوذ والتسلط بشهادة تعديته بلفظة «لهما» او «اليهما» (الاعراف-٢٠ وطه - ١٢٠) وهذا التفاوت فى التعبير يفيد الفرق بين الوسوستين وان احدهما على نحو الدخول والولوج فى الصدور ، والاخرى بنحو القرب والمشاركة .

واما قوله سبحانه : «فازلهما الشيطان عنها» (البقرة-٣٦) وقوله : «فدليهما بغرور فلما اذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما» (الاعراف-٢٢) فلا يدلان على كون العمل الصادر منهما عصياناً بالمعنى المصطلح واما التعبير الوارد فى الآية فهو لاجلان



عمل آدم لم يكن مقروناً بالمصلحة بل كان مقروناً بالشقاء والبعد عن الحياة السعيدة فكل من افتقد هذه البركات والمصالح يصدق عليه انه «زل» او «ان الشيطان انزلهما عن مكانتهما بغرور» وبالجملة: فان هذه التعابير تجتمع مع كون النهي ارشادياً غير مولوى او نهياً مولوياً تنزيهياً كما هو المقرر في الجوابين الاولين .

### ما معنى «قوله «وعصى» و«فغوى» :

ربما يتمسك المخالف بهذين اللفظين ، حيث قال سبحانه : «وعصى آدم ربه فغوى» لكن لادلالة لهما على ما يرتأيه المستدل .

اما لفظ «عصى» فهي وان كانت مستعملة في مصطلح المتشعبة في الذنب والمخالفة للارادة القطعية الملزمة ولكنه اصطلاح مختص بالمتشعبة ولم يجز القرآن على ذلك المصطلح بل ولا اللغة فان الظاهر من القرآن ومعاجم اللغة ان العصيان هو خلاف الطاعة قال ابن منظور: «العصيان خلاف الطاعة، عصى العبد ربه: اذا خالف ربه، وعصى فلان اميره، يعصيه، عصيا وعصياناً ومعصية: اذا لم يطعه» وعلى ذلك فيجب علينا ان نلاحظ الامر الذي خولف في هذا الموقف فان كان الامر مولوياً الزامياً كان العصيان ذنباً واذا كان امراً ارشادياً تنزيهياً لم تكن المخالفة ذنباً في المصطلح ولا جل ذلك لا يصلح التمسك بهذا اللفظ واثبات الذنب على آدم. واما اللفظة الثانية اعني «فغوى» - فالجواب عنها: ان الغي يستعمل بمعنى الخيبة ، قال الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس امره      ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

اي ومن حرم من الخير ولم يلقه ، لا يحمده الناس ويلومونه .

وفي حديث موسى و آدم: «اغويت الناس» اي خيبتهم . كما انه يستعمل في معنى الفساد وبه فسر قوله سبحانه « فعصى آدم ربه فغوى » اي فسد عليه عيشه كما سيأتى (١) .

(١) لاحظ لسان العرب ج ١٥ ص ١٤٠

اذا عرفت ذلك فنقول : ان المراد من الغى فى الآية هو خيبة آدم وخسرانه وحرمانه من العيش الرغيد الذى كان مجرداً عن الظلم والعري بل من المنغصات والمشقات وليس كل خيبة تتوجه الى الانسان ناشئة من الذنب المصطلح كما انه يحتمل ان يكون المراد منه هو الفساد وبذلك فسر ابن منظور المصرى فى لسانه قوله سبحانه «وعصى آدم ربه فغوى» اى فسد عليه عيشه (١) ولا شك ان العيش فى الجنة لا يقاس بالعيش فى عالم المادة الذى هو دار الفساد والانحلال . ولو سلم ان الغى بمعنى الضلال فى مقابل الرشد لكن ليس كل ضلال معصية فان من ضل فى طريق الكسب او فى طريق التعلم يصدق عليه انه غوى اى ضل ولكنه لا يلزم المعصية .

وكان سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائى رضوان الله عليه يقول فى مجلس بحثه : ان لفظة «غوى» تعنى الحالة التى تعرض للغنم عند ما تنفصل عن القطيع فتبقى حائرة تنظر يمينا وشمالا ولا تشق طريقاً لنفسها، وكان آدم ابوالبشر حائراً بعد ما خالف نهى ربه وابتلى بما ابتلى به لا يدري كيف يعالج مشكلته وكيف يتخلص من هذا المأزق الحرج .

وعلى الجملة: فالغى ان اريد منه الخروج عن جادة التوحيد، والانحراف عما رسم للانسان من الواجبات والمحرمات، فهو يلزم الكفرتارة والذنب اخرى ولكن ليس كل ضلال على فرض كون الغى بمعنى الضلال ملازماً للجرم والذنب فمن ضل عن الطريق وتاه عن مقاصده الدنيوية او المصالح التى يجب ان ينالها، يصدق عليه انه «غوى» مقابل انه «رشد» ولكنه لا يلزم المعصية المصطلحة.

ولاشك ان آدم بعد ما اكل من الشجرة المنهية بدت له سوءته وخرج من الجنة وهبط الى دار الفساد فعندئذ غوى فى طريقه وضل عن مصالحة . وبالجملة فهذه الوجوه الثلاثة المذكورة حول «غوى» تثبت وهن الاستدلال بها على العصيان .

(١) لاحظ لسان العرب ج ١٥ ص ١٤٠ مادة غوى



### ما معنى قول آدم : «ربنا ظلمنا انفسنا»

ان الظلم ليس الا بمعنى وضع الشيء في غير موضعه ومن امثال العرب قولهم «من اشبه اياه فما ظلم» قال الاصمعي: الظلم «وضع الشيء في غير موضعه» وفي المثل «من استرعى الذئب فقد ظلم» ولاجل ذلك يعد العدول عن الطريق ظلماً ، يقال : «لزموا الطريق فلم يظلموه» اي لم يعدلوا عنه (١) .

فاذا كان معنى الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وتجاوز الحد لا يلزم ان يكون كل ظلم ذنباً بل يشمله وغيره فمن لم يسمع قول الناصح المشفق وعمل بخلاف قوله فقد وضع عمله في غير موضعه كما ان من خالف النهي التنزيهي فقد عدل عن الطريق الصحيح ، وبالجملة : فكل مخالفة وانحراف عن طريق الصواب ظلم . سواء كان الامر المخالف، مولويًا او ارشادياً الزامياً او غيره.

اضف الى ذلك انه سبحانه يعد الظلم للنفس مقابلاً لعمل السوء ويقول «ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً» (النساء - ١١٠) والاية تعرب عن ان الظلم للنفس ربما يكون غير عمل السوء وعند ذلك يتضح ان قول آدم «ربنا ظلمنا انفسنا» لا يستلزم الاعتراف بالذنب لان الظلم للنفس غير عمل السوء فالأول موجب لحط النفس عن مكائنها ولا يستلزم تجاوزاً عن حدود الله بخلاف عمل السوء فانه تجاوز على حدوده وبذلك يعلم ان المراد من قوله سبحانه «ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين» (البقرة - ٣٥) هو الظلم للنفس المستلزم لحط النفس عن مكائنها في مقابل عمل السوء المستلزم للتجاوز على حدوده سبحانه .

### ما المراد من قوله : فتاب عليه

«التوبة» بمعنى الرجوع فاذا نسبت الى الله تتعدى بكلمة «على» قال سبحانه :

(١) لسان العرب مادة «ظلم»

« لقد تاب الله على النبي و المهاجرين و الانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة »  
 (التوبة-١١٧) اى رجع عليهم بالرحمة، و اذا نسبت الى العبد تتعدى بكلمة «الى»  
 قال سبحانه «فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم» (البقرة - ٥٤) و قال سبحانه :  
 «أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه و الله غفور رحيم» (المائدة - ٧٤).

فاذا كانت التوبة بمعنى الرجوع ، فعند ما تعدت بـ « على » يكون معنى  
 قوله : « فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » ( البقرة - ٣٧ ) ان الله رجع عليه  
 بالرحمة ، فالتوبة فى هذه الجملة توبة من الله على العبد لامن العبد الى الله ومعنى  
 الاول هو رجوعه سبحانه على العبد، باللطف و المرحة .

ومثله قوله سبحانه : «ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى» ( طه - ١٢٠ ) فالتوبة  
 هنا من الله على عبده ومعنى الآية انه سبحانه اصطفى آدم لاجل تلقيه الكلمات  
 وسؤاله بها فعندئذ رجع الله عليه بالرحمة وهداه سبحانه و اخرجه من الغواية  
 التى غشيتها ، و الظلمة التى اكتنفته لاجل عدم الاصغاء الى نصحه سبحانه و تقديم  
 نصح غيره عليه .

نعم ان لفظه «فتاب عليه» فى سورتي البقرة و طه دالة على ان آدم « تاب  
 الى ربه» و لاجل توبته الى الله و رجوعه اليه بالندامة ، تاب الله عليه و رجع عليه  
 بالرحمة و الهداية ولكن لادلالة لكل رجوع و اناابة الى الله، على وقوع الذنب و صدوره  
 منه خصوصاً بالنظر الى ما قدمناه فى التفسير الثانى لمخالفة آدم و قلنا ان من  
 الممكن ان يكون نفس العمل جائزاً و مباحاً ولكن يعد صدوره من بعض الشخصيات  
 محظوراً و امراً غير صحيح فاناابة تلك الشخصيات الى الله فى تلك المجالات لا تعد  
 دليلاً على صدور الذنب بل تعد دليلاً على سعة علمها بالعظمة الالهية و لاجل ذلك  
 يقال «حسنات الابرار سيئات المقربين» و قال النبي ﷺ : «انه ليران على قلبى  
 وانى استغفر الله كل يوم سبعين مرة» (١) و ليس هذا الاستغفار دليلاً على صدور

(١) صحيح مسلم ج ٨ كتاب الذكر ص ٧٢ باب استحباب الاستغفار و الاستكثار منه .

وفيه «ليفان» مكان «ايران» وهو من مادة «الفين» اى الستر



الذنب بل هو دليل على سعة علمه وعمق ادراكه لعظمة الله .

### ما معنى الغفران في قوله : «وان لم تغفر لنا»

بقيت هنا كلمة وهي توضيح قوله سبحانه «وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» فربما يتبادر الى الذهن من هذا المقطع من الاية صدور الذنب من ايينا آدم عليه السلام فنقول : لادلالة فيه ولا في واحدة من كلماته على ما يتوخاه الخصم واليك بيان هدف الاية ومفرداتها .

اما الغفران فان اصله «الغفر» بمعنى التغطية والستر يقال غفره ، يغفره ، غفراً : ستره . وكل شيء سترته فقد غفرته فاذا كان الغفران بمعنى الستر فلا ملازمة بين الستر والذنب فان المستور ربما يكون ذنباً وربما يكون امرأ جائزاً غير مترقب الصدور من الانسان ولاجل ذلك طلب آدم من الله سبحانه على عادة الاولياء والصالحين في استصغارهم ما يقومون به من الحسنات واستعظامهم الصغير من العيوب فقال : «وان لم تغفر لنا» اي لم تستر عيبنا « ولم ترحمنا » اي لم ترجع علينا بالرحمة « لنكونن من الخاسرين » ولاشك ان آدم قد خسر النعيم الذي كان فيه ، بسبب عدم سماعه لنصح الله سبحانه ولاجل ذلك طفق يطلب منه ان يرجع عليه بالمغفرة اي بستر عيبه ، والرحمة اي باخراجه من الخسران الذي عرض له .

اذا وقفت على ما ذكرنا حول هذه الايات و الجمل وتأملت فيها بامعان ودقة يظهر لك ان الاستدلال بها على صدور الذنب المصطلح من آدم من غرائب الاستدلالات وعجائبها ولايصح لباحث ان يفسر آية دون ان يستعين لفهمها باختها وبذلك يتضح ان ما سلكناه من المنهج في تفسير القرآن ، هو الطريق الصحيح الذي يرفع النقاب عن وجوه كثير من الحقائق التي قد تخفى على الباحثين وهذا الطريق هو تفسير كتابه سبحانه بالطريق الموضوعي اي جمع الايات الواردة في موضوع واحد وعرض بعضها على بعض .

## ٢- عصمة آدم وجعل الشريك لله !

قد وقفت على اعظم شبه المخطئة للانبياء كما وقفت على الجواب عنها فهلم معي ندرس شبهة اخرى لهم جعلوها ذريعة لفكرتهم الفاسدة حيث استدلووا على عدم عصمة «آدم» (ع) بقوله سبحانه : «هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما انقلبت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين . فلما آتاها صالحاً جعل له شركاء فيما آتاها فتعالى الله عما يشركون . ايشر كون . ايشر كون . ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصراً ولا انفسهم ينصرون» . (الاعراف - ١٨٩ - ١٩٢)

استدل المخطئة لعصمة الانبياء بقوله سبحانه «فلما آتاها صالحاً جعل له شركاء» فائلين بان ضمير التثنية في كلا الموردین يرجع الى آدم وحواء اللذين اشير اليهما بقوله سبحانه في صدر الاية «من نفس واحدة وجعل منها زوجها» . ولكن الاستدلال بالاية مبني على القول بان المراد «من نفس واحدة» هي الواحدة الشخصية لا الواحدة النوعية اعني كل اب وام بالنسبة الى اولادهما ولكن القرائن تشهد بان المراد هو الواحد النوعي لا الشخصي .

توضيح ذلك ان تلك اللفظة قد استعملت في القرآن الكريم على وجهين :

**الاول** : ما اريد منه الواحد الشخصي كقوله سبحانه : «يا ايها الناس اتقوا

ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء» (النساء - ٢) فالمراد من «نفس واحدة» هو آدم ومعنى خلق الزوجة منهما كونها من جنسها والدليل على ان المراد هو الواحد الشخصي قوله «وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء» والمعنى انه سبحانه خلق الخلق من اب واحد وام واحدة فهذه الجماهير على كثرتها تنتهي اليهما ومثله قوله سبحانه «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» . (الحجرات - ١٣)

**الثاني** : ما اريد منه الواحد النوعي اي الاب لكل انسان ومثله الام وذلك



مثل قوله «خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث» (الزمر - ٦) فالمراد من «نفس واحدة» هو الواحد النوعى والمراد ان كل واحد منّا قد ولد من اب واحد وام واحدة والدليل على ذلك قوله سبحانه «يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث» .

ومثلها الآية المبحوث عنها فى المقام اذ ليس المراد منها شخص آدم ابو البشر بعينه بل المراد والد كل انسان ووالدته، فالجنسان يتقاربان ويتولد منهما الولد وتدل على ما اخترنا من المعنى قرائن فى نفس الايات .

**الاولى :** ان الآية وقعت فى عداد الآيات التى تعرب عن الميثاق الذى اعطاه الانسان لربه فى شرائط خاصة ولكنه حينما نال النعم ورفق فيها ، طفق بنقض ميثاقه وهذه طبيعة الانسان المجهز بالفرائض ويشير اليها قوله سبحانه : «واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذود دعاء عريض» (فصلت - ٥١) فاذا كانت هذه طبيعة الانسان فلا يبعد ان يسأل الله ان يرزقه ولدًا صالحاً ، معطياً لله ميثاقاً بأن يشكره على تلك النعمة ولكنه عند ما ينال النعمة يجعل له شركاء فيما آتاه وعلى ذلك فالاية جارية مجرى المثل المضروب لبنى آدم فى نقضهم ميثاقهم الذى واثقوه به :

والدليل على ان الآية واردة فى ذاك المجال ، ما ورد قبل هذه الآية من حديث الميثاق الذى اعطاه الانسان لربه ولكنه نقضه بعده قال سبحانه قبيل هذه الآيات : «واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بر ربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . او تقولوا انما اشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون (الاعراف - ١٧٢ - ١٧٣) .

والميثاق الذى ورد فى الاية، معطوف على ذلك الميثاق الذى ورد فى الايتين وهذا دليل واضح على ان المراد هو تعريف طبيعة الانسان وتوصيفها بالتعهد او لا

والنقض ثانياً وليس بصدد بيان حال الانسان الشخصى اعنى ابانا: آدم .

**الثانية:** ان سياق الآية ولحنها يوحيان بان الشخص الذى سأل الله ان يرزقه ولداً صالحاً ، كان يعيش فى بيته كان فيها آباء واولاد بين صالح وطالح ، فنظر اليهم فتمنى ان يرزقه الله ولداً صالحاً على غرار مارآه ، غير انه لما رزقه الله ذلك الولد الصالح ، نقض ميثاقه اى شكره الله على ما رزقه من صالح الاولاد وهذا غير صادق فى شأن ايينا آدم وامنا حواء، اذ لم يكن فى بيتهم آباء واولاد ، صالحون وطالحون حتى يتمنيا لنفسهما ولداً مثل ما رزقهم الله سبحانه .

**الثالثة :** ان ذيل الاية يشهد بوضوح على انها غير مرتبطة بصفى الله آدم وذلك لانه سبحانه يقول فى ذيلها : «فتعالى الله عما يشركون» فلو كان المراد من النفس وزوجها فى الآية شخصين معينين كآدم وحواء كان من حق الكلام ان يقول : «فتعالى الله عما يشركان» وهذا بخلاف ما اريد من النفس وزوجها ، الطبيعة الانسانية فى جانبي الذكر والانثى ، اذ حينئذ يصح الجمع لكثرة افراده .

**الرابعة :** انه سبحانه يقول : «ايشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا انفسهم ينصرون» ومن المعلوم ان المراد من الشرك هو الشرك فى العبادة وحاشا ان يكون آدم صفى الله مشركا فى العبادة كيف وقد وصفه الله سبحانه بالاجتباء حيث قال «ثم اجتبا ربه فتاب عليه وهدى» ( طه - ١٢٢ ) وقال سبحانه : «ومن يهد الله فهو المهتد» ( الاسراء - ٩٧ ) وقال سبحانه : «ومن يهد الله فماله من مضل» ( الزمر - ٣٧ ) وقال ايضا : «ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة» ( الاحقاف - ٥ ) .

كل هذه الايات تشهد بوضوح على ان الآية تهدف الى ذكر القصة على سبيل ضرب المثل وبيان ان هذه الحالة ، صورة تعم جميع الافراد من الانسان الامن التجأ الى الايمان فكأنه سبحانه يقول : «هو الذى خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها انساناً يساويه فى الانسانية فلما تغشى الزوج الزوجة وظهر الحمل دعوا ربهما بانه سبحانه لو آتاها ولداً صالحاً سوبا



ليكونا من الشاكرين لآلائه ونعمائه فلما آتاها الله ولد أصالحا سويا جعل الزوج والزوجة لله شركاء في ذلك الولد الذي آتاها فتارة نسبوه الى الطبيعة كما هو قول الدهريين واخرى الى الكواكب. كما هو قول المنجمين وثالثة الى الاصنام كما هو قول عبدها فرد الله سبحانه على تلك المزاعم بقوله: فتعالى الله عما يشركون» (١). وعلى ما ذكرنا يحتمل ان يكون المراد من الشرك هو الشرك في التدبير ومثل هذا لا يليق ان ينسب الى من هو دون الانبياء والاولياء فكيف يمكن ان يوصف به صفى الله آدم عليه السلام.

واقصى ما يمكن ان يقال هو ان المراد من النفس الواحدة وزوجها في صدر الاية هو آدم وحواء الشخصيان، ولكنه سبحانه عندما انتهى الى قوله «ليسكن اليها» التفت من شخصهما الى مطلق الذكور والاناث من اولادهما او الى خصوص المشركين من نسلهما، فيكون تقدير الكلام «فلما تغشاها» اي تغشى الزوج الزوجة من نسلهما «حملت حملا خفيفا فمرت به»... الى آخر الاية.

وهذا ما يسمى في علم المعاني بالالتفات وله نظائر في القرآن الكريم قال تعالى: «هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة» (يونس - ٢٢) ترى انه سبحانه خاطب الجماعة بالتسيير ثم خص راكب البحر بامر آخر ومثله الآية: ترى انه سبحانه اخبر عن عامة امر البشر بانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها وهما آدم وحواء ثم ساق الكلام الى مطلق ذرية آدم من البشر.

وهذا الوجه نقله المرتضى في «تنزيه الانبياء» عن ابي مسلم محمد بن بحر الاصفهاني (٢).

وتوجد وجوه اخر في تفسير الاية غير تامة (٣) وفيما ذكرنا غنى وكفاية.

(١) مفاتيح الغيب ج ٤ ص ٣٤٣ . (٢) تنزيه الانبياء ص ١٦ .

(٣) لاحظ مفاتيح الغيب ج ٤ ص ٢٤٩ الى ٣٤٣ ومجمع البيان ج ٤ ص ٥٠٨ -

٥١٠ واما المرتضى ص ١٣٧-١٤٣

## عصمة شيخ الانبياء نوح والمطالبة

بمنجاة ابنه العاصي

قد استدلت المخطئة لعصمة الانبياء على عدم عصمة نوح بما ورد في سورة هود من الاية ٤٥ الى ٤٧ واليك الايات :

«ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق واثم احكم الحاكمين. قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين. قال رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين » وقد استدلت بهذه الايات بوجوه :

١ - ان ظاهر قوله تعالى «انه ليس من اهلك» تكذيب لقول نوح «ان ابني من اهلي» واذا كان النبي لا يجوز عليه الكذب فما الوجه في ذلك ؟

٢ - قوله «فلا تسألن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين» فان ظاهره صدور سؤال منه غير لائق بساحة الانبياء ولاجل ذلك خوطب بالعتاب ونهى عن التكرار .

٣ - قوله «والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين» فان طلب الغفران آية الذنب وهو لا يجتمع مع العصمة .

واليك الجواب عن الوجوه الثلاثة .

اما الوجه الاول فتوضيح دفعه : انه سبحانه قد وعد نوحاً بانجاء اهله



الامن سبق عليه القول وقال : «حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيهما من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل» (هود - ٤٠) وهذا الكلام يعرب عن انه سبحانه وعد بكلامه شيخ الانبياء بانه ينجي اهله هذا، من جانب ومن جانب آخر يجب ان نقف على حالة ابن نوح وانه اما ان يكون متظاهرا بالكفر وكان ابوه واقفا على ذلك واما ان يكون متظاهرا بالايمان مبطناً للكفر وكان ابوه يتصور انه من المؤمنين به .

فعلى الفرض الاول يجب ان يقال: ان نوحاً قد فهم من قوله سبحانه «واهلك الامن سبق عليه القول» في سورتي هود الآية ٤٠ والمؤمنون الآية ٢٧ (١) انه قد تعلق مشيئته بانجاء جميع اهله الذين ينتمون اليه بالوشيجة النسبية والسببية سواء كانوا مؤمنين ام كافرين غير امرأته التي كانت كأمراًة لوط تخونه ليلاً ونهاراً وعندئذ يكون المراد من قوله «الا من سبق عليه القول منهم» هو زوجته فقط ولما رأى نوح ان الولد ادر كه الفرق تخالغ في قلبه انه كيف يجتمع وعده سبحانه بانجاء جميع الاهل مع هلاك ولده وعندئذ اعتراه الحزن ورفع صوته بالدعاء منادياً: «ان ابني من اهلي» من دون ان يسأل منه شيئاً بل اظهر ما اختلج في قلبه من الصراع والتضاد بين الامرين : الايمان بصدق وعده كما يفصح عنه قوله «ان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين» ، وغرق ولده وهلاكه .

وعلى هذا الفرض لم يكذب نوح حتى بكلمة واحدة بل لما فهم من قوله «واهلك» نجاة مطلق المنتمين اليه بالوشيجة الرحمية او السببية ، ابرز ما فهم وقال : «ان ابني من اهلي» فلا يعد الانسان كاذباً عند نفسه اذا ابرز ما اعتقده وافرغه في قالب القول، وان كان المضمون خلاف الواقع في حد نفسه وحينئذ اجابه سبحانه بان الموعد بانجائهم هم الصالحون من اهلك لامطلق المنتمين اليك

(١) قال سبحانه في سورة هود : «قلنا احمل فيهما من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول» وقال سبحانه في سورة المؤمنون : «فاسلك فيهما من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغفون» .

بالوشائج الرحمية أو السببية. وبعبارة اخرى : ان ولدك وان كان من اهلك حسب الوشيحة الرحمية لكنه ليس من الاهل الذين وعدت بنجاتهم وخلصهم. وبعبارة ثالثة : «ان ابنك» داخل في المستثنى اعنى قوله «الا من سبق عليه القول منهم» كما ان زوجتك داخله فيه ايضاً .

وهذا الجواب على صحة الفرض تام لاغبار عليه لكن اصل الفرض وهو كون ابن نوح متظاهراً بالكفر وكان الاب واقفا عليه غير تام لما فيه .

**اولاً :** ان من البعيد عن ساحة نوح ان يطلب من الله سبحانه ان لا يذر على الارض من الكافرين دياراً كما يعرب عنه قوله سبحانه حاكياً عن نوح «رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً. انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً» (نوح ٢٦ - ٢٧) ويتبادر الى ذهنه من قوله سبحانه «واهلك» مطلق المنتمين اليه مؤمناً كان أم كافراً. بل يعد دعاؤه هذا قرينة على ان الناجين من اهله هم المؤمنون فقط لا الكافرون و ان المراد من «من سبق عليه القول» مطلق الكافرين سواء كانوا منتمين اليه ام لا .

**ثانياً :** انه لا دليل على انه فهم من قوله «الا من سبق عليه القول منهم» خصوص زوجته ، بل الظاهر انه فهم ان المراد من المستثنى كل من عانداً الله وحاد رسوله من غير فرق في ذلك بين الزوجة وغيرها .

**وثالثاً :** انه سبحانه بعدما امر نوحاً بصنع الفلك اوحى اليه بقوله «ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون» (هود - ٣٧) والظاهر من قوله «الذين ظلموا» مطلق المشركين حميماً كان ام غريباً فاذا قال بعد ذلك «واهلك الامن سبق عليه القول» يكون اطلاق الجملة الاولى قرينة على ان المراد من الاهل هو خصوص المؤمن لا الظالم منهم اذ الظالم منهم داخل في قوله «ولا تخاطبني في الذين ظلموا» ، و ان شئت قلت : ان صراحة الجملة الاولى قرينة على ان المراد من قوله «الا من سبق عليه القول» مطلق الظالم والكافر زوجة كانت ام غيرها ، رحماً كان ام غيره وهذه الصراحة قرينة على ان المراد من «اهلك» هو



خصوص المؤمن لا الاعم منه. وبالجملة فلوصحت النظرية صح الجواب لكنها باطله  
 لاجل الامور الثلاثة التي المعنا اليها.

واما الفرض الثاني فالظاهر انه الحق وحاصله ان الابن كان متظاهراً  
 بالايمان مبطناً للكفر ويدل على ذلك قول نوح لابنه عند ما امتنع ان يواكب  
 اياه في ركوبه السفينة: «يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين» (هود - ٤٩)  
 اى لا تكن معهم حتى تشار كهم في البلاء ولو كان عارفاً بكفره لكان عليه ان يقول  
 «ولا تكن من الكافرين» وبما انه كان معتقداً بايمان ولده كان مدعياً بدخوله في  
 قوله «واهلك» ولما ادر كه الغرق ادر كتبه الحيرة في انه كيف غرق مع ان وعده  
 سبحانه حق لا يشوبه ريب وعندئذ اظهر ما في قلبه وقال «ان ابني من اهلي» .  
 واجابه سبحانه بانه ما ادر كه الغرق الا لاجل كفره فهو كان داخلاً في  
 قوله اولا «ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون» (هود - ٣٧) وثانياً في  
 المستثنى اى قوله «الا من سبق عليه القول» لا المستثنى منه اى «اهالك» وعندئذ  
 يقع السؤال والجواب في موقعهما ولا يكون نوح في حكمه كاذباً لانه كان يتصور  
 ان ولده مؤمن فنبهه سبحانه على انه كافر فاين الكذب في هذين الحكمين  
 وفي قوله سبحانه «انه عمل غير صالح» ائذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب  
 وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الابعاد وان كان حبشياً و كنت قرشياً ، لصيقتك  
 وخصيقتك ، ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحماً فهو ابعد بعيد منك  
 ثم ان الاخبار عن ابن نوح بانه عمل غير صالح مكان كونه عاملاً غير صالح  
 لاجل المبالغة في ذمه مثل قوله «فانما هي اقبال وادبار» (١) .

وهاهنا نكتة يجب التنبيه عليها وهوان العنصر المقوم لصدق عنوان الاهل  
 عند اصحاب اللغة والعرف هو انتساب الانسان الى شخص بوشيجة من الوشائج  
 النسبية او السببية وان لم يكن بينهما تشابه ووحدة من حيث المسلك والمنهج .  
 غير ان التشريع الالهى ادخل فيه عنصراً آخر وراء الوشيجة المادية وهو

صلة الشخص بالانسان من جهة الايمان ووحدة المسلك الى حد لو فقد هذا العنصر لما صدق عليه ذلك العنوان بل صار ذلك العنصر الى حد ربما يكتفى به في صدق الاهل على الافراد سواء أكانت فيه وشيخة نسبية ام لا ولاجل ذلك نجد انه سبحانه يكتفى بلفظ الاهل في التعبير عن كل المؤمنين فيقول في قصة «لوط» «فانجيناها واهله الا امرأته كانت من الغابرين» (الاعراف - ٨٣) وقال ايضا «انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين» (العنكبوت - ٣٣) وقال ايضا «وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناها واهله اجمعين الاعجوزاً في الغابرين» (الصافات - ١٣٣-١٣٥) ترى انه سبحانه اكتفى بلفظ الاهل من دون ان يغطف عليه لفظ «المؤمنين» او «من آمن به» مع عدم اختصاص النجاة بخصوص اهله وعمومها للمؤمنين ، معربا عن ان الايمان يجعل البعيد اهلا، والكفر يجعل القريب بعيدا . ولاجل ذلك اكتفى في قصة نوح بلفظ الاهل فقال «ونوحاً اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم» (الانباء - ٧٦) وقال ايضا «ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناها واهله من الكرب العظيم» (الصافات - ٧٥) ومن المعلوم عدم اختصاص النجاة بخصوص الاهل بشهادة قوله : «واهلك الامن سبق عليه القول ومن آمن» .

وبذلك يظهر سر قوله ﷺ «سلمان منا اهل البيت» فعد غير العرب من اهل بيته وما هذا الا لان التشابه الروحي اوثق صلة واحكم عرى كما ان التباين الروحي خير اداة لقطع العرى وهدم الوشيخة المادية .

ولاجل ذلك قال الامام الطاهر على بن موسى الرضا (ع) في حق ابن نوح «لقد كان ابنه ولما عصى الله عز وجل نفاه عن ابيه وكذا كل من كان مناهم يطع الله عز وجل فليس منا وانت اذا اطعت الله فانت منا اهل البيت» .

نعم لانقول ان ما ذكرناه هو المصطلح الوحيد في القرآن بل له مصطلح آخر يتطابق مع اصطلاح اهل اللغة والعرف وهو الاكتفاء بالوشيخة المادية ونرى كلا المصطلحين واردين في سورة هود قال سبحانه «واهلك الامن سبق عليه القول ومن



آمن» (هود-٤٠) فاطلق لفظ الاهل على مطلق المنتمى الى شيخ الانبياء كافرأ كان ام مؤمناً ثم اخرج الكافر من الحكم (احمل) لامن الموضوع وهو (الاهل) وقال «الامن سبق عليه القول» .

وفي الوقت نفسه يجيب نداء نوح بعد قوله «ان ابني من اهلي» بقوله «انه ليس من اهلك» .

### حول السؤال الثاني .

قد عرفت ما حول السؤال الاول من نسبة الكذب الى شيخ الانبياء نوح في قوله «ان ابني من اهلي» فهلم معي ندرس السؤال الثاني وهو ان قوله سبحانه: «فلاتسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين» يعرب عن وجود سؤال غير لائق بساحة الانبياء فلاجل ذلك خوطب ونهى عن التكرار فنقول: ان الله عز وجل قد وعده بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم وهذا الاستثناء كان دليلاً على ان في جملة «اهله» من هو مستوجب للعذاب وانهم كلهم ليسوا بناجين وعندئذ كان على نوح ان لاتخالجه شبهة حين اشرف ولده على الفرق في انه من المستثنين وليس داخلاً في المستثني منهم فعوتب على انه اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتهه عليه (١) .

وعلى هذا يكون المراد من قوله «فلاتسألن ما ليس لك به علم» النهي عن السؤال الذي لا يليق ان يطرح ويسأل اذا كان الجواب معلوماً بالقرائن والتفكير في اطراف القضية والا فالسؤال انما يتعلق بما لا يعلم لابما يعلم .

هذا ما اجاب به صاحب الكشاف وهناك جواب اوضح ولعله اليق بساحة الانبياء وهو انه لما وعد نوحاً بنجاة الاهل بقوله «الامن سبق عليه القول منهم» ولم يكن نوح مطلعاً على باطن ابنه بل كان معتقداً بظاهر الحال انه مؤمن ، بقي متمسكاً

بصيغة العموم للاهلية ولم يعارضه يقين ولا شك بالنسبة الى ايمان ابنه فلذلك  
«نادى ربه ...» .

واما قوله «انى اعظك ان تكون من الجاهلين» فليس راجعاً الى كلامه وندائه  
بل كان نداءً ربه في هذا الظرف واقعاً موقع القبول وكان السؤال صحيحاً ورصيناً  
بل هو راجع الى وقوع السؤال في المستقبل بعد ان اعلمه الله باطن امره وانه  
ان سأل في المستقبل كان من الجاهلين والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه عليه السلام  
على سمة العصمة، والموعظة لانتدعي وقوع الذنب وصدوره بل ربما يكون الهدف  
التحفظ على ان لا يصدر الذنب منه في المستقبل ولذلك امتثل عليه السلام نهى ربه  
وقال «اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم» (١) .

### جواب ثالث للسؤال الثاني .

هذا وللعلامة الطباطبائي جواب ثالث امتن من الجوابين السابقين فقال :  
ان قول نوح «رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق» في مظنة ان يسوقه الى سؤال نجاة  
ابنه وهو لا يعلم انه ليس من اهله فشملته العناية الالهية وحال التسديد الغيبي بينه  
وبين السؤال فادر كه النهى بقوله « فلا تسألن ما ليس لك به علم » بتفريع النهى  
على ماتقدم، مخبراً نوحاً بان ابنك ليس من اهلك لكونه عملاً غير صالح فلا سبيل  
لك الى العلم به فإياك ان تبادر الى سؤال نجاته لانه سؤال ما ليس لك به علم  
والنهي عن السؤال غير علم لا يستلزم تحقق السؤال منه لامستقلاً ولا ضمناً، والنهي عن  
الشيء لا يستلزم الارتنكاب قبلاً وانما يتوقف على ان يكون الفعل اختيارياً ومورداً  
لابتلاء المكلف فان من العصمة والتسديد ان يراقبهم الله سبحانه في اعمالهم وكلما  
اقتربوا مما من شأنه ان يزل فيه الانسان نبههم الله لوجه الصواب ودعاهم الى  
السداد والتزام طريق العبودية قال تعالى : « ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن

( ١ ) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للامام ناصر الدين الاسكندر

المالكي ج ٢ ص ١٠١ على هامش الكشاف



اليهم شيئاً قليلاً إذاً لاذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً . (الاسراء - ٧٥)

و مما يدل على ان النهى فى قوله «فلا تسألن» نهى عما لم يقع بعد ، قول نوح بعد استماع خطابه سبحانه «رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم» . ولو كان سأل شيئاً من قبل لكان عليه ان يقول : اعوذ بك مما سألت او ما يشابه ذلك، ومما يوضح ان نوحاً لم يسأل شيئاً من ربه قوله سبحانه «انى اعظك ان تكون من الجاهلين» تعليلاً لنهيه «فلا تسألن» فلو كان نوح سأل شيئاً من قبل لكان من الجاهلين لانه سأل ما ليس له به علم .

وايضاً لو كان المراد من النهى عن السؤال ان لا يتكرر منه ذلك بعد ما وقع منه مرة لكان الانسب ان يصرح بالنهى عن العود الى مثله دون النهى عن اصله كما ورد نظيره فى القرآن الكريم «اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم... يعظيكم الله ان تعودوا لمثله ابداً» (النور - ١٥ - ١٧) (١) الى هنا تبين الجواب عن السؤال الثانى واتضح انه لم يسبق منه سؤال غير لائق بساحته ، بقى الكلام فى السؤال الثالث وهو الذى نبحت عنه فى البحث التالى

### حول السؤال الثالث :

وحاصله ان طلب الغفران فى قوله «والان تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين» لا يجتمع مع العصمة .

اقول : ان هذا كلام، صورته التوبة وحقيقته الشكر على ما انعم الله عليه من التعليم والتأديب . اما ان صورته صورة التوبة فان فى ذلك رجوعاً الى الله تعالى بالاستعاذة و لازمها طلب مغفرة الله و رحمته اى ستره على الانسان ما فيه زلته و شمول عنايته لحاله ، والمغفرة بمعنى طلب الستر اعم من طلبه على المعصية المعروفة عند المتشرعة ، و كل ستر الهى يسعد الانسان ويجمع شمله .

واما كون حقيقته الشكر ، فان العناية الالهية التي حالت بينه وبين السؤال الذي كان يوجب دخوله في زمرة الجاهلين ، كانت ستراً الهياً على زلة في طريقه ورحمة ونعمة انعم الله سبحانه بها عليه فقوله : «والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين» بمعنى انه ان لم تعذني من الزلات ، لخسرت فهو ثناء وشكر لصنعه الجميل (١) .

و تظهر حقيقة ذلك الكلام مما قدمناه في قصة آدم من ان كثيراً من المباحات تعد ذنباً نسبياً بالنسبة الى طبقة خاصة من الاولياء والانبياء فعند صدور مثل ذلك يجب عليهم، تكميلاً لعصمتهم ، طلب الغفران والرحمة حتى لا يكونوا من الخاسرين وليس الخسران منحصراً في الاثيان بالمعصية بل رب فعل سائغ يعد صدوره من الطبقة العليا خسراناً وخيبة كما اوضحناه في قصة آدم .

نعم لم يصدر من شيخ الانبياء في ذلك المقام فعل غير انه وقع في مظنة صدور ذلك الفعل ، وهو السؤال عما لا يعلم ، فلاجل ذلك صح له ان يطلب الستر على تلك الحالة بالعناية الالهية الحائلة بينه وبين صدوره .

الى هنا تبين مفاد الايات و انه ليس فيها اشعار بصدور الذنب بل حتى ما يوجب العتاب واللوم .

ثم ان لبعض المفسرين من العدلية اجوبة اخرى للاسئلة المطروحة فمن اراد الوقوف عليها فليرجع الى مظانها (٢) .

\* \* \*

(١) الميزان ج ١٠ ص ٢٤٦ - ٢٤٧

(٢) لاحظ تنزيه الانبياء ص ١٨ - ١٩ ومجمع البيان ج ٣ ص ١٦٧ وبحار الانوار ج ١١

ص ٢١٣ - ٣١٤ الى غير ذلك



### عصمة ابراهيم الخليل والمسائل الثلاث ! (١)

ان الله سبحانه اتنى على ابراهيم بطل التوحيد باجمل الثناء، وحمد محنته في سبيله سبحانه ابلغ الحمد، وكرر ذكره باسمه في نيف وستين موضعاً من كتابه وذكر من مواهبه ونعمه عليه شيئاً كثيراً وقال: «واصطفاه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين» (البقرة - ١٣٠) وقد حفظ الله سبحانه حياته الكريمة وشخصيته الدينية لما سمي هذا الدين القويم بالاسلام ونسب التسمية به اليه قال تعالى «ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل» (الحج - ٧٨) وقال سبحانه: «قل اننى هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» . (الانعام - ١٨١)

ومع هذا الثناء المتضافر منه سبحانه على ابراهيم نرى ان بعض المخطئة للانبياء يريد ان ينسب اليه ما لا يليق بشأنه مستدلاً بآيات تأتي بها واحدة بعد واحدة ونبين حالها .

#### الاية الاولى :

« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين

(١) قوله : للنجم هذا ربي . ٢ - قوله : بل فله كبيرهم . ٣ قوله : لقومه :

انى سقيم .

فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما افل قال لاحب الافلين .  
فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لا كوتن  
من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال  
يا قوم انى برىء مما تشركون . (الانعام ٧٥ - ٧٨)  
قالت المخطئة ان قوله « هذا ربي » فى المواضع الثلاثة ظاهر فى انه (ع)  
كان يعتقد فى وقت من الاوقات بر بوبية هذه الاجرام السماوية وهذا مما لا يجوز  
على الانبياء عند العدلية ، وان زعمت العدلية انه عليه السلام تكلم بها ظاهراً  
غير معتقد باطناً ، فهذا أيضاً غير جائز على الانبياء لانه يقول شيئاً غير معتقد به  
وهو امر قبيح سواء سمي بالكذب ام لا .

والجواب : ان الاستدلال ضعيف لان الحال لا تخلو من احدى صورتين :  
الاولى : ان ابراهيم كان فى مقام التحرى والتعرف على الرب المدبر  
للعالم ولم يكن آنذاك واقفاً على الحقيقة لانه - كما قيل - كان صبياً لم يبلغ  
الحلم وصار بصدد التحقيق والتحرى ، فعندئذ طرح عدة احتمالات عديدة واحداً  
بعد واحد ثم شرع فى ابطال كل واحد منها الى أن وصل الى الرب الواقعى  
والمدبر الحقيقى .

وهذا نظير ما يفعله الباحثون عن اسباب الظواهر وعللها فتراهم يطرحون  
على طاولة التحقيق سلسلة من الفرضيات والاحتمالات ثم يعمدون الى التحقيق  
عن حال كل واحد منها الى ان يصلوا الى العلة الواقعية وعلى هذا يكون معنى  
قوله « هذا ربي » مجرد فرض لا اذعاناً قطعياً وليس مثل هذا غير لائق بشأن الانبياء  
وفى هذا الصدد يقول السيد المرتضى جواباً عن السؤال : انه لم يقل ذلك  
مخبراً ، وانما قال فارضاً ومقدراً على سبيل الفكر والتأمل .

الاترى انه قد يحسن من احدنا اذا كان ناظراً فى شيء وشاكاً بين  
كونه احد وصفيه ، ان يفرضه على احدهما لينظر فيما يؤدى ذلك الفرض  
اليه من صحة او فساد فلا يكون بذلك مخبراً عن الحقيقة ولهذا يصح من



احدنا اذا نظر في حدوث الاجسام وقدمها ان يفرض كونها قديمة ليتبين ما يؤدي اليه ذلك الفرض من الفساد « (١) .

وقد روى هذا المعنى عن الامام الصادق عليه السلام حيث سئل عن قول ابراهيم « هذا ربي » أشرك في قوله « هذا ربي » ؟ فقال عليه السلام : لا ، بل من قال هذا ، اليوم فهو مشرك ولم يكن من ابراهيم شرك وانما كان في طلب ربه وهو من غيره شرك .

وفي رواية اخرى عن احدهما (الباقر والصادق عليهما السلام) انما كان طالباً لربه ولم يبلغ كفراً وانه من فكر من الناس في مثل ذلك فانه بمنزلته (٢) .  
غير ان هذا الفرض ربما لا يكون مرضياً عند بعض العدلية لان الانبياء منذ ان فطموا من الرضاع الى ان ادرجوا في اكفانهم ، كانوا عارفين بتوحيده سبحانه ذاتاً وفعلاً ، خالقاً ورباً ، ولو كان هناك اراءة من الله لخليله كما في قوله « وكذلك نرى ابراهيم » كانت لزيادة المعرفة وليكون من الموقنين .

الثانية : انه كان معترفاً بربوبيته نافية ربوبية غيره ولكنه حيث كان بصدد هداية قومه وفكهم من عبادة الاجرام ، جاراهم في منطقهم لكي لا يصد مشاعرهم ويشير عنادهم ولجاجهم فتدرج في ابطال ربوبية معبوداتهم الواحد تلوا الاخر بما يطرأ عليها من الافول والغيبة والتحول والحركة مما لا يليق بالرب المدبر ، ومثل هذا جائز للمعلم الذي يريد هداية جماعة معاندة في عقيدتهم ، منحرفة عن جادة الصواب وهذه احدى طرق الهداية والتربية فاين التكلم بكلمة الشرك عن جد ؟ والى ذلك الجواب اشار السيد المرتضى في كلامه بان ابراهيم عليه السلام لم يقل ما تضمنته الايات على طريق الشك ولا في زمان مهلة النظر والفكر بل كان في تلك الحال موقناً عالمياً بان ربه تعالى لا يجوز ان يكون بصفة شيء من الكواكب وانما قال ذلك على احد وجهين :

(١) تنزيه الانبياء ص ٢٢

(٢) نور الثقلين ج ١ ص ٦١٠-٦١١ - الحديث ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١

الاول : انه ربي عندكم وعلى مذاهبكم كما يقول احدنا على سبيل الانكار للمشبه هذا ربه جسم يتحرك ويسكن .  
 الثاني : انه قال ذلك مستفهما واسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنها (١) .  
 والوجه الاول من الشقين في هذا الجواب هو الواضح .

### الاية الثانية :

قوله سبحانه : «ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل و كناهه عالمين . . .  
 وتالله لا كيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذاً الا كبيراً لهم  
 لعلمهم اليه يرجعون . . . قالوا اأنت فعلت هذا بألهتنا يا ابراهيم قال بل فعله  
 كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم  
 الظالمون . ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال افتعبدون من  
 دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلاتعقلون» .  
 (الانبياء ٥١ - ٦٧)

فزعمت المخطئة ان قوله عليه السلام « بل فعله كبيرهم » كذب لاشك  
 فيه ، لانه هو الذي كسر الاصنام وجعلها جذاذاً الا كبيرها فكيف نسب التكسير  
 الى كبيرها .

ولا يخفى ان الشبهة واهية جداً مثل الشبهة السابقة ، لان الكذب في  
 الكلام انما يتحقق اذا لم يكن هناك قرينة على انه لم يرد ما ذكره ، بالارادة  
 الجدية وانما ذكره لغاية اخرى ومع تلك القرينة لا يعد الكلام كذباً والقرينة  
 في الكلام امران :

الأول: قوله عليه السلام عند مفارقة قومه البلد ومخاطبتهم بقوله : «وتالله  
 لا كيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين» (الانبياء - ٥٧) ولا يصح حمل ذلك على



انه قاله في قلبه وفكرته، لابصورة المشاهدة والمصارحة وذلك لان ابراهيم كان مشهوراً بعدائه وكرهه للاصنام حتى انهم بعدما رجعوا الى بلدهم ووجدوا الاصنام جذاذاً، اسأؤوا الظن به واتهموه بالعدوان على اصنامهم وتخريبها «قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم». (الانبياء - ٦٠)

الثاني: ان من المسلم بين ابراهيم وعبدة الاصنام ان آلهتهم صغيرها وكبيرها لاتقدر على الحركة والفعل فمع تلك القرينة والتسليم الواضح بينه وبينهم بل وبين جميع العقلاء، اذا اجاب ابراهيم بهذا الكلام يعلم منه انه لم يتكلم به لغاية الجدل لغاية اخرى حتى يتنبه القوم على خطئهم في العقيدة.

ويزيد توضيحاً ما ورد في القصص: ان ابراهيم بعد ان حطّم الاصنام الصغيرة جعل الفأس على عنق كبيرها حتى تكون نسبة التحطيم الى الكبير مقرراً وبالقرينة وهي: ان آلة الجرم تشهد على كون الكبير هو المجرم دون ابراهيم ومن المعلوم ان هذا العمل والشهادة المزعومة، اشبه شيء في مقام العمل باستهزائه بالقوم وسخريته مما يعتقدون.

فعلى تلك القرائن قد تكلم ابراهيم بهذه الكلمة لاعتن غاية الجدل لغاية اخرى كما يبينها القرآن فاذا انتفى الجدل بشهادة القرائن القاطعة ينتفى الكذب واما الغاية من هذا الكلام فهو انه طرح كلامه بصورة الجدل وان لم يكن عن جد حقيقي، وطلب منهم ان يسألوا الاصنام بأنفسهم وانه من فعل هذا بهم؟ لغاية اخذ الاعتراف منهم بما اقرؤا به في الآية اعنى قولهم «لقد علمت ما هؤلاء ينطقون» حتى يتسنى للخليل كبتهم وتوبيخهم بانه اذا كان هؤلاء على ما يصفون «افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلاتعقلون» (الانبياء ٦٦-٦٧) وفي موضع آخر يقول «اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون» (الصافات ٩٥-٩٦) فقد تبين من ذلك ان قوله «بل فعله كبيرهم» لم يكن كلاماً عن جد وجزم وعزم حتى يوصف بالكذب بل كان كلاماً القى على صورة الجدل ليكون ذريعة لابطال عبادتهم وشر كهم وكانت القرائن

تشهد على انه ليس كلاماً جدياً و لو كان هذا الكلام صادراً من عاقل غير النبي ﷺ لاجزنا لانفسنا ان نقول: ان الغاية، الاستهزاء والتهمك بعبدة الاصنام والاولاد حتى يتنبهوا بذلك الوجه الى بطلان عقيدتهم .

ولما كان هذا النمط من الحوار والاحتجاج الذى سلكه ابراهيم فى غاية القوة والتمانة ، لم يجد القوم جواباً له الا الحكم عليه بالتعذيب والاحراق شأن كل مجادل ومعاند اذا افحم كما يقول سبحانه : « قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم . فارادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين » (الصافات ٩٧ - ٩٨) وفى آية اخرى « قالوا حرقوه وانصروا آلهمتهم ان كنتم فاعلين » ( الانبياء - ٦٨ ) هذا هو الحق الصراح لمن طالع القصة فى القرآن الكريم ومن امعن النظر فيها يجد ، ان الجواب هو ما ذكرنا .

### جواب آخر عن السؤال :

وربما يجاب بانه لم يكذب وانما نسب الفعل الى كبيرهم مشروطا لامنجزاً وانما يلزم الكذب لو نسبه على وجه التنجيز حيث قال « بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون » فكانه قال : فعل كبيرهم هذا العمل ان كانت الاصنام المكسورة ناطقة ، وبما ان المشروط ينتفى بانتفاء شرطه وكان الشرط - اعنى نطقها - منتفيا كان المشروط - اى كون الكبير قائماً بهذا الفعل - منتفياً ايضاً : وهذا الجواب لا ينطبق على ظاهر الآية لانها تشتمل على فعلين : أحدهما قريب من الشرط والاخر بعيد عنه ومقتضى القاعدة رجوع الشرط الى القريب من الفعلين لالى البعيد والرجوع الى كلا الفعلين خلاف الظاهر ايضاً واليك توضيحه

١- بل فعله كبيرهم : الفعل البعيد من الشرط .

٢- فاسئلوهم : الفعل القريب من الشرط .

٣- ان كانوا ينطقون : هذا هو الشرط .

فرجوعه الى الاول وحده او كليهما خلاف الظاهر والمتعين رجوعه الى



الثاني فصار الحكم بأنه فعله كبيرهم منجزاً لامشروطاً .

### الاية الثالثة :

استدلت المخطئة لعصمة ابراهيم بالاية الثالثة ، اعنى قوله سبحانه : «وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لايه وقومه ماذا تعبدون . أفكأ آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة في النجوم . فقال انى سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ الى آلهتهم فقال الانأ كلون » (الصفات ٨٣-٩١) استدلت بقوله « انى سقيم » قائلة بأنه لم يكن سقيماً وانما ذكر ذلك عذراً لتترك مصاحبتهم فى الخروج عن البلد .

اضف الى ذلك ان قوله « فنظر فى النجوم » يشبه ما يفعله المنجمون حيث يستشكفون من الاوضاع الفلكية ، الاحداث الارضية .

والجواب : ان الاشكال مبنى على انه عليه السلام قال : « انى سقيم » ولم يكن سقيماً ولم يدل على ذلك دليل اذ من الممكن انه كان سقيماً فى ذلك الوقت واما قوله « فنظر نظرة فى النجوم » فمن المحتمل جداً انه نظر الى السماء متفكراً حتى يلاحظ حاله وانه هل يقدر على المغادرة معهم أم لا ، والعرب تقول لمن تفكر : « نظر فى النجوم » بمعنى انه نظر الى السماء متفكراً فى جواب سؤال القوم كما يفعل احدنا عند ما يريد ان يفكر فى شىء . ويؤيد ذلك انه (ع) قاله عند مادعاه قومه الى الخروج معهم لعيد لهم فعند ذلك نظر الى النجوم واخبرهم بأنه سقيم ومن المعلوم ان الخروج الى خارج البلد لاجل التنزه لم يكن فى الليل بل كان فى الضحى فلو كانت الدعوة عند مطلع الشمس واول الضحى لم يكن النظر الى النجوم بمعنى ملاحظة الاوضاع الفلكية اذ كانت النجوم عندئذ غاربة فلم يكن الهدف من هذه النظرة الا التفكير والتأمل .

نعم لو كانت الدعوة فى الليل لاجل الخروج فى النهار كان النظر الى النجوم مظنة لما قيل ولكنه غير ثابت نعم هناك معنى آخر لقوله « فنظر نظرة

فى النجوم ، وهوانه عليه السلام كان به حمى ذات نوبة تعتريه فى اوقات خاصة متعينة بطلوع كوكب أدغروبه ، فلاجل ذلك نظر فى النجوم ووقف على انها قريبة الموعد والعرب تسمى المشاركة على الشىء باسم الداخلى فيه ولهذا يقولون لمن اضعفه المرض وخيف عليه الموت « هوميت » وقال تعالى لتبنيه « انك ميت وانهم ميتون » . ( الزمر - ٣٠ )

واما استعمال كلمة «فى» مكان « الى » فى قوله « فى النجوم » فلاجل ان الحروف يقوم بعضها مقام بعض قال الله تعالى « ولاصلبكنم فى جذوع النخل » ( طه - ٧١ ) وانما اراد على جذوعها وقال الشاعر :

وافتحى الباب وانظرى فى النجوم      كم علينا من قطع ليل بهيم

#### جواب آخر عن الشبهة :

وربما بجواب عن الاشكال : انه من قبيل المعاريض فى الكلام، والمعارضى عبارة عن ان يقول الرجل شيئاً يقصد به غيره ويفهم منه غير ما يقصده، فلعله نظر فى النجوم نظر الموحى فى صنعه تعالى الذى يستدل به على خالقه وصفاته ولكن القوم حسبوا انه ينظر اليها نظر المنجم فيها ليستدل بها على الحوادث فقال « انى سقيم » (١) .

ولا يخفى ان الجواب مبنى على انه لم يكن سقيماً آنذاك وهو بعد غير ثابت على ان المعاريض غير جائزة على الانبياء لارتفاع الوثوق بذلك عن قولهم . وبذلك يعلم قيمة ما أخرجه أصحاب الصحاح والسنن من طرق كثيرة عن ابي هريرة : ان رسول الله ﷺ قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات : نتين فى ذات الله : قوله : « انى سقيم » وقوله : « بل فعله كبيرهم هذا » وقوله فى سارة : « هى اختى » (٢) .

وقد عرفت ان ابراهيم لم يكذب فى الاولين واما الثالثة فهى مروية فى



التوراة المحرّفة فهل يمكن بعد هذا ، الاعتماد على الرواية ؟

والعجب ان ابن كثير صار بصدّد تصحيح الرواية وقال : ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يضم فاعله ، حاشا وكلا وانما اطلق الكذب على هذا تجاوزا وانما هو من المعارض في الكلام لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث «ان في المعارض لمنذوحة عن الكذب» (١) .

ونحن لانعلق على الحديث ولاعلى التوجيه الذي ارتكبه ابن كثير شيئا وانما نحيل القضاء فيه الى وجدان القارئ الكريم وكفى في سقم الحديث انه من مرويات ابي هريرة كما يكفى في كذب الحديث انه من الاسرائيليات التي وردت في التوراة المحرّفة .

والعجب ان رواة هذا الحديث يزرون على الشيعة في قولهم بالتقية ، بانها مستلزمة للكذب مع ان التقية من المعارض التي جوزها القرآن والسنة في شرائط خاصة لاشخاص معينين .

هذه هي الايات التي استدلت المخطئة بها على عدم عصمة بطل التوحيد وقد عرفت مفادها وهناك آيات اخر نزلت في حقه ، ربما وقعت ذريعة لهؤلاء المخطئة وبما انها واضحة المضمون لانرى حاجة الى البحث عنها وكفانا في هذا المضمار ما ذكره السيد المرتضى في «تنزيهه» فمن اراد الوقوف عليها فليرجع اليه .

كما انهم استدلوا بآيات نزلت في حق يعقوب ، لتخطئته وبما ان الشبهات ضعيفة تركنا البحث عنها وعطفنا عنان القلم الى بعض ما استدلت به المخطئة في هذا المضمار في حق صديق عصره ونزيه دهره سيدنا يوسف عليه و على نبينا وآله الصلاة والسلام .

\* \* \*

## عصمة يوسف « وقول الله ... وهم بها »

يوسف الصديق هو الاسوة

ان فيما ورد في سورة يوسف من الايات، لاجلي دليل على انه الانسان المثالي الذي لا يعد له مثال كيف وقد دلت الايات على انه اجتباها سبحانه من اوان حياته وصباه وعلمه من تأويل الاحاديث واتم نعمته عليه وقد قام القران بسرد قصته واسماها باحسن القصص ففيها براهين واضحة على طهارته ونزاهته وعصمته من الذنوب ، وصيافته من المعاصي ، ونها لكه في مرضات الله كيف وقد ابتلاه الله سبحانه ببلاءاً حسناً فوجده صابراً متمالكا لنفسه عند الشهوات والمحرمات وناجيا من القميرات التي لا ينجو منها الا من عصمه الله سبحانه فقد ظهر بهذا البلاء باطنه ، وتجلت به حقيقته ، وبان: انه الانسان الذي حاق به الخوف من الله سبحانه ، فطفق لا يغفل عنه طرفه عين ولا يبذل رضاه بشيء .

كيف ومن طالع القصة يقف على ان نجاة يوسف من مخالب الشهوة وخذعة امرأة العزيز لم تكن الا امرأ خارقاً للعادة ولولا عصمته لما كانت النجاة ممكنة بل كان امرا أشبه بالرؤيا منه باليقظة .

وفي هذا الصدد يقول العلامة الطباطبائي :

« فقد كان يوسف رجلا ، ومن غريزة الرجال الميل الى النساء و كان شاباً ، بالغاً اشده وذلك اوان غليان الشهوة وفوران الشبق و كان ذا جمال بديع



يدهش العقول ويسلب الالباب، والجمال والملاحة يدعوان الى الهوى ؟، هذا من جانب، ومن جانب آخر كان مستغرقاً في النعمة وهنئياً العيش، محبوباً بمشوى كريم وذلك من اقوى اسباب التهور. وكانت الملكة فتاة فائقة الجمال كما هو الحال في حرم الملوك والعظماء وكانت لامحالة متزينة لما يأخذ بمجامع كل قلب وهي عزيزة مصر - ومع ذلك - عاشقته والهة تتوق نفسها اليه وكانت لها سوابق الاكرام والاحسان والانعام ليوسف، وذلك كله مما يقطع اللسان ويصمت الانسان وقد تعرضت له، ودعته الى نفسها . والصبر مع التعرض اصعب وقد راودته هذه الفتانة وأتت بما في مقدرتها من الغنج والدلال وقد الحت عليه فجذبتة الى نفسها حتى قدت قميصه والصبر معه اصعب واشق وكانت عزيزة لا ير دأمرها ولا يثنى رأبها وهي ربه خصه بها العزيز وكان في قصر زاه من قصور الملوك ذي المناظر الرائعة التي تبهر العيون وتدعو الى كل عيش هنئياً .

و كانا في خلوة وقد غلقت الابواب وارخت الستور وكان لا يأمن من الشرع الامتناع وكان في امن من ظهور الامر وانتهاك السر لانها كانت عزيزة ، بيدها اسباب السر والتعمية، ولم تكن هذه المخالطة فائتة لمره بل كانت مفتاحاً لعيش هنئياً طويلاً وكان يمكن ليوسف ان يجعل هذه المخالطة والمعاشقة وسيلة يتوسل بها الى كثير من آمال الحياة وامانيها كالمملك والعزة والمال .

فهذه اسباب وامور هائلة لو توجهت الى جبل لهدته ، او قبلت على صخرة صماء لاذابتها ولم يكن هناك مما يتوهم مانعا الا الخوف من ظهور الامر او مناعة نسب يوسف او قبح الخيانة للعزيز ولكن الكل غير صالح لمنع يوسف عن ارتكاب العمل .

اما الخوف من ظهور الامر فقد مر انه كان في امن منه ولو كان بدا من ذلك شيء لكان في وسع العزيزة ان تأوله تأويلاً كما فعلت فيما ظهر من امر مر اودتها، فكادت حتى ارضت نفس العزيز ارضاءً فلم يؤاخذها بشيء وقلبت العقوبة على يوسف حتى سجن .

واما مناعة النسب فلو كانت مانعة لمنعت اخوة يوسف عما هو اعظم من الزنا  
 واشد اثمًا ، فانهم كانوا ابناء ابراهيم واسحاق ويعقوب امثال يوسف فلم تمنعهم  
 شرافة النسب من ان يهملوا بقتله ويلقوه فسي غيابت الجب ويبيعه من السيارة  
 بيع العبيد، ويشكلوا فيه أباهم يعقوب النبي فبكى حتى ابيضت عيناه .  
 واما قبح الخيانة وحرمتها فهو من القوانين الاجتماعية، والقوانين الاجتماعية  
 انما تؤثر اثرها بما تستتبعه من التبعة على تقدير المخالفة وذلك انما يتم فيما  
 اذا كان الانسان تحت سلطة القوة المجرية والحكومة العادلة واما لو اغفلت القوة  
 المجرية اوفسقت فاهملت او خفي الجرم عن نظرها او خرج من سلطانها فلان تأثير  
 حينئذ لشيء من هذه القوانين .

فلم يكن عند يوسف ما يدفع به عن نفسه ويظهر به على هذه الاسباب القوية  
 التي كانت لها عليه، الاصل التوحيد وهو الايمان بالله وان شئت قلت: المحبة الالهية  
 التي ملأت وجوده وشغلت قلبه ، فلم تترك لغيرها محلا ولا موضع اصبع (١) .  
 هذا هو واقع الأمر غير ان بعض المخطئة لم يرتض ليوسف هذه المكارم  
 والفضائل واستدل على عدم عصمته بما ورد في سورة يوسف في حق العزيزة ومن  
 هو في بيتها قال سبحانه «وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت  
 هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون » .

« ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء  
 والفحشاء انه من عبادنا المخلصين » ( يوسف ٢٣ - ٢٤ ) ومحل الاستدلال قوله  
 « وهم بها » اي هم بالمخالطة وان همته بها كان كهمتها به ولولا ان رأى برهان  
 ربه لفعل وقد صانته عن ارتكاب الجريمة بعد الهتم بها ، رؤية البرهان .  
 وبعبارة اخرى : ان المخطئة جعلت كلا من المعطوف والمعطوف عليه  
 «ولقد همت به - وهم بها» كلاما مستقلا غير مقيد بشيء وكأنه قال :

ولقد همت به : اي بلا شرط وقيد



وهم بها : اى جزما وحتما

ثم بعد ذلك - اى بعد الاخبار عن تحقق الهم من الطرفين - استدرك بان العزيزة بقيت على الهم الى ان عجزت واما يوسف فقد انصرف عن الاعتراف لاجل رؤية برهان ربه ولاجل ذلك قال :

«لولا أن رأى برهان ربه» اى ولولا الرؤية لاقترب وفعل وارتكب لكنه رأى فلم يقترب ولم يرتكب ، فجواب لولا محذوف وتقديره «لاقترب» .

ثم ان المخطئة استعانوا فى تفسير الاية بما ذكره من الاسرائيليات التى لا يصح ان تنقل وانما تنقل خبراً واحداً ليكون القارىء على اطلاع عليها : قالوا : جاس يوسف منها مجلس الخائن وادر كه برهان ربه ونجاه من الهلكة ثم انهم نسجوا هناك افكاراً خيالية فى تفسير هذا البرهان المرئى فقالوا ان طائراً وقع على كتفه فقال فى اذنه لا تفعل فان فعلت سقطت من درجة الانبياء وقيل : انه رأى يعقوب عاضاً على اصبعه وقال يا يوسف أما ترانى ؟ الى غير ذلك من الاوهام التى يخجل القلم من نقلها .

غير ان رفع الستر عن مرمى الاية يتوقف على البحث عن امور :

- ١ - ما هو معنى « الهم » فى قوله « ولقد همت به وهم بها » ؟
- ٢ - ما هو جواب « لولا ان رأى برهان ربه » ؟ وهذا هو العمدة فى تفسير الاية
- ٣ - ما هو معنى البرهان ؟
- ٤ - دلالة الاية على عصمة يوسف واليك تفسيرها واحداً تلوا الاخر.

#### الف - ما معنى الهم

لقد فسره ابن منظور فى لسانه بقوله : هم بالشىء يهم همّاً : نواه واراده وعزم عليه قال سبحانه «وهمّوا بمالم ينالوا» (التوبة - ٧٤) روى اهل السيران طائفة من المنافقين عزموا على ان يغتالوا رسول الله ﷺ فى العودة من تبوك ولاجل ذلك وقفوا على طريقه فلما قربوا من رسول الله ﷺ امر بتنحيتهم وسماهم رجلا

رجلا (١) هذا هو معنى الهم وتؤيده سائر الايات الواردة فيها لفظ الهم ولو استعمل في مورد في خطور الشيء بالبال وان لم يقع العزم عليه فهو استعمال نادر لا يحتمل عليه صريح الكتاب .

اضف الى ذلك ان الهمين في الموردين بمعنى واحد وبما ان هم العزيزة كانت بنحو العزم والارادة ، وجب حمل الهم في جانب يوسف عليه ايضا لاعلى خطور الشيء بالبال ، لانه تفكيك بين اللفظين من حيث المعنى بالاقربنة ولكن تحقق احد الهمين دون، الاخر لان هم يوسف كان مشروطا بعدم رؤية برهان ربه وبما ان العزم انقلب الى الوجود ورأى البرهان لم يتحقق هذا الهم من الاساس كما سيوافيك نعم لانكر ان الهم قد يستعمل بالقرينة في مقابل العزم قال كعب بن زهير:

فكم فهموا من سيد متوسع      ومن فاعل للخيران هم اوعزم  
ولكن التقابل بين الهم والعزم اوجب حمل الهم على الخطور بالبال ولولاه  
لحمل على نفس العزم .

كما ربما يستعمل في معنى المقاربة فيقولون : هم بكذا وكذا اي كاد يفعله وعلى كل تقدير فالمعنى اللائح من الهم في الاية هو العزم والارادة .

### ب - ما هو جواب لولا ؟

لاشك ان « لولا » في قوله سبحانه « لولا ان رأى برهان ربه » ابتدائية . فلا تدخل الاعلى المبتداء مثل « لوما » قال ابن مالك .

لولا ولوما يلزمان الابتداء      ان امتناعاً بوجود عقدا  
ومما لاشك فيه ان « لولا » الابتدائية تحتاج الى جواب ويكون الجواب مذكوراً  
غالباً مثل قول القائل :

كانوا ثمانين اوزادوا ثمانية      لولا رجاؤك قد قتلت اولادى  
وقد تواترت الروايات عن الخليفة عمر بن الخطاب انه قال في مواضع خطيرة:

(١) مجمع البيان ج ٣ ص ٥١ وغيره



«لولا على لهلك عمر» .

وربما يحذف جوابها لدلالة القرينة عليه او انفهامه من السياق كقوله سبحانه «لولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم» (النور - ١٠) اى ولولا فضل الله ورحمته عليكم لهلكتم وربما يحذف الجواب لدلالة الجملة المتقدمة عليه كقوله : « قد كنت هلكت لولا ان تدار كنتك » وقوله : « وقتلت لولا انى قد خلصتك » والمعنى لولا تدار كى لهلكت، ولولا تخليصى لقتلت، ومثل لولا سائر الحروف الشرطية قال الشاعر :

فلا يدعى قومي صرباً لحره  
لئن كنت مقتولا ويسلم عامر  
وقال الآخر :

فلا يدعى قومي ليوم كريمة  
لئن لم اعجل طعنة او اعجل  
فحذف جواب الشرط فى البيتين لاجل الجملة المتقدمة .

وبالجملة : لا اشكال فى ان جواب الحروف الشرطية عامة، وجواب «لولا» خاصة، يكون محذوفاً اما لفهمه من السياق اولدلالة كلام متقدم عليه والمقام من قبيل الثانى فقوله سبحانه : « ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه » يؤول الى جملتين : احداهما مطلقة والاخرى مشروطة ، اما المطلقة فهى قوله : « ولقد همت به » وهو يدل على تحقق « الهم » من عزيزة مصر بلا تردد اما المقيدة فهى قوله : « وهم بها لولا ان رأى برهان ربه » وتقديره « لولا ان رأى برهان ربه لهم بها » فيدل على عدم تحقق الهم منه لما رأى برهان ربه واما الجملة المتقدمة على « لولا » اعنى قوله « وهم بها » فلا تدل على تحقق الهم لانها ليست جملة منفصلة عما بعدها ، حتى تدل على تحقق الهم وانما هى قائمة مكان الجواب، فتكون مشروطة ومعلقة مثله وسيافيك تفصيله عن قريب .

### ج - ما هو البرهان

البرهان هو الحججة ويراد به السبب المفيد لليقين قال سبحانه : « فذاتك

برهانان من ربك الى فرعون وملائه » (القصص - ٣٢) وقال تعالى: «يا ايها الناس قد جائكم برهان من ربكم» (النساء - ١٧٤) وقال سبحانه «أله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين» (النمل - ٦٤) فالبرهان هو الحجة اليقينية التي تجلى الحق ولا تدع ريباً لمرتاب وعلى ذلك فيجب ان يعلم ما هذا البرهان الذي رآه يوسف؟

والذي يمكن ان يكون مصداق البرهان في المقام هو العلم المكشوف واليقين المشهود الذي يجز النفس الانسانية الى طاعة لامتيل معها الى معصية، وانقياد لاتصاحبه مخالفه، وقد اوضحنا عند البحث عن العصمة ان احدى اسس العصمة هو العلم اليقين بنتائج المآثم وعواقب المخالفة علماً لا يغلب، وانكشافاً لا يقهر، وهذا العلم الذي كان يصاحب يوسف هو الذي صده عما اقترحت عليه امرأة العزيز. ويمكن ان يكون المراد منه سائر الامور التي تفيض العصمة على العباد التي اوضحنا حالها في الجزء الماضي (١).

#### د - دلالة الاية على عصمة يوسف

ان الاية على رغم ما ذهبت اليه المخطئة تدل على عصمة يوسف قبل ان تدل على خلافها: توضيحه:

انه سبحانه بين هم العزيزة على وجه الاطلاق وقال «وهمت به» وبين هم يوسف بنحو الاشتراط وقال «وهم بها لولا ان رأى برهان ربه» فالقضية الشرطية لاتدل على وقوع الطرفين خصوصاً مع كلمة «لولا» الدالة على عدم وقوعهما.

فان قلت ان كلا من الهمين مطلق حتى الهم الوارد في حق يوسف وانما يلزم التعليق لوقلنا بجواز تقدم جواب لولا الامتناعية عليها وهو غير جائز بالاتفاق وعليه فيكون قوله «وهم بها» مطلقاً اذ ليس جواباً لكلمة «لولا».

قلت ان جواب «لولا» محذوف وتقديره «لهم بها» وليست الجملة المتقدمة



جواباً لها حتى يقال : ان تقدم الجواب غير جائز بالاتفاق ومع ذلك فليست تلك الجملة مطلقة بل هي أيضاً مقيدة بما قيد به الجواب لانه اذا كان الجواب مقيدة فالجملة القائمة مكانه تكون مثله وله نظير في الكتاب العزيز مثل قوله «ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً» (الاسراء - ٧٤) والمعنى انه سبحانه ثبت نبيه فلم يتحقق منه الركون ولا الاقتراب منه .

وقال سبحانه : «ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضر ونك من شيء» (النساء - ١١٣) والمعنى ان تفضله سبحانه على نبيه صار سبباً لعدم هم الطائفة على اضلاله .  
والآية مثل الآيتين غير أن الجواب فيها محذوف لدلالة الجملة المتقدمة عليه بخلافهما .

وحاصل الكلام انه في مورد الآية ونظائرها يكون الجزاء منتفياً بانتفاء شرطه غير ان هذه الجمل انما تستعمل في ما اذا كانت هناك ارضية صالحة لتحقيق الجزاء وان لم يتحقق لانتفاء الشرط وفي مورد الآية، ارضية الهم كانت موجودة في جانب يوسف لتجهزه بالقوى الشهوية، وغيرها من قوى النفس الامارة وكانت هذه العوامل مقتضية لحدوث الهم بالفحشاء، ولكن صارت خائبة غير مؤثرة لاجل رؤية برهان ربه، والشهود اليقيني الذي يمنع النبي عن اقتراف المعصية والهم بها . وان شئت قلت : منعتة المحبة الالهية التي ملأت وجوده وشغلت قلبه فلم تترك لغيرها موضع قدم، فطرد ما كان يضاد تلك المحبة .

وهذا هو مفاد الآية ولا يشك فيه من لاحظ المقدمات الاربع التي قدمناها .  
وعلى ذلك فيما ان «اللام» في قوله : «ولقد همت به» للقسم يكون معنى قوله «وهم بها» بحكم عطفه عليه والمعنى : والله لقد همت امرأة العزيز به والله لولا ان رأى يوسف برهان ربه لهم بها، ولكنه لاجل رؤية البرهان واعتصامه ، صرف عنه سبحانه السوء والفحشاء فاذا به عليه السلام لم يههم بشيء ولم يفعل شيئاً لاجل تلك الرؤية .

## اسئلة وأجوبة

ولاجل رفع الغطاء عن وجه الحقيقة على الوجه الاكمل تجب الاجابة عن عدة من الاسئلة التي تناحول الآية واليك بيانها واجوبتها .

## السؤال الاول

ان تفسير الهم<sup>١</sup> الوارد في الآية في كلا الجانبين بالعزم على المعصية، تكرر لما جاء في الآية المتقدمة بصورة واضحة وهي قوله «وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك» ومع هذا البيان الواضح لاوجه لتكراره ثانياً بقوله «ولقد هممت به وهم بها» خصوصاً في همتها به اذ ورد في الآية المتقدمة بصورة واضحة اعنى قوله «هيت لك» .

والجواب ان الدافع الى التكرار ليس هو لافادة نفسه مرة ثانية بل الدافع هو بيان كيفية نجاة يوسف من هذه الغائلة، ولجل ذلك عاد الى نفس الموضوع مجدداً ليذكر مصير القصة ونهايتها وهذا نظير ما اذا حدث احد عن تنازع شخصين واضرار احدهما بالآخر واستعداده للدفاع عن نفسه فاذا افاد ذلك ثم اراد ان يشير الى نتيجة ذلك العراك يعود ثانياً الى بيان اصل التنازع حتى يبين مصيره ونهايته والآيتان من هذا القبيل .

وبذلك يظهر ان ما افاده صاحب المنار في هذا المقام غير سديد حيث قال : انه قد علم من القصة ان هذه المرأة كانت عازمة على ما طلبته طلباً جازماً مصررة عليه ليس عندها ادنى تردد فيه ولا مانع منه يعارض المقتضى له فاذا لا يصح ان يقال : انها هممت به مطلقاً اذ الهم<sup>١</sup> مقارنة الفعل المتردد فيه (١) .

اقول قد عرفت دافع التكرار فلانعيده . بقى الكلام فيما افاده في تفسير الهم بانه عبارة «عن مقارنة الفعل المتردد فيه» ولا يخفى انه لا يصح في قوله سبحانه :



« فهموا باخراج الرسول » ( التوبة - ١٣ ) اى اخراج الرسول من مكة فهم كانوا جازمين بذلك وقد تأمروا عليه في ليلة خاصة معروفة في السيرة والتاريخ كما لا يصح في قوله سبحانه « وهموا بما لم ينالوا » (التوبة - ٧٤) حيث حاول المنافقون أن ينفروا بعير النبي ﷺ في العقبة في منصرفه من غزوة تبوك .

### السؤال الثاني:

ان تفسير البرهان بالعصمة لا يمتاسب مع سائر استعمالاته في القرآن مثلا البرهان في قوله سبحانه : « فذلك يرهانان من ربك » (القصص - ٣٢) عبارة عن معاجز موسى من العصا واليد البيضاء وعلى ذلك فيجب ان يفسر البرهان بشيء ينطبق على الاعجاز لا العصمة التي هي من مقولة العلم .

والجواب ان البرهان بمعنى الحجة وهي تنطبق تارة على المعجزة واخرى على العلم المكشوف واليقين المشهود الذى يصون الانسان عن اقتراح المعاصى وقد سبق منا في الجزء الرابع (١) ان العصمة لا تسلب القدرة فهي حجة للنبي في آجله وعاجله ودليل في حياته الى سعاده .

### السؤال الثالث :

ان قوله سبحانه « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » ظاهر في ان «السوء» غير «الفحشاء» فلوفر قوله « ولقد همت به وهم بها » بالعزم على المعصية يلزم كونهما بمعنى واحد وهو خلاف الظاهر .

والجواب : ان المراد من السوء هو الهم والعزم ، والمراد من الفحشاء هو نفس العمل فالله سبحانه صرف ببركة العصمة نفس الهم ونفس الاقتراح كليهما قال العلامة الطباطبائي: الانسب: ان المراد بالسوء هو الهم بها والميل اليها كما ان المراد بالفحشاء اقتراح الفاحشة وهي الزنا ثم قال : ومن لطيف الاشارة

ما فى قوله « لنصرف عنه سوء والفحشاء » حيث جعل السوء والفحشاء مصر وفين عنه لاهومصر وفاقاً عنهما لما فى الثانى من الدلالة على انه كان فيه ما يقتضى اقترا فلهما المحوج الى صرفه عن ذلك وهو ينافى شهادته تعالى بانه من عباده المخلصين وهم الذين اخلصهم الله لنفسه فلا يشار كهم فيه شىء ولا يطيعون غيره من تسويل شيطان او تزوين نفس او اى داع من دون الله سبحانه .

ثم قال : وقوله «انه من عبادنا المخلصين» فى مقام التعليل لقوله « كذلك لنصرف عنه سوء والفحشاء » والمعنى عاملنا يوسف كذلك . لانه من عبادنا المخلصين ويظهر من الاية ان من شأن المخلصين ان يروا برهان ربهم وان الله سبحانه يصرف كل سوء وفحشاء عنهم فلا يقترون معصيته ولا يهمون بها بما يريهم الله من برهانه وهذه هى العصمة الالهية (١) .

#### السؤال الرابع :

لو كان المراد من « برهان ربه » هو العصمة فلما ذا قال سبحانه : « رأى برهان ربه » فان هذه الكلمة تناسب الاشياء المحسوسة كالمعاجز والكرامات لا العصمة التى هى علم قاهر لا يغلب ويصون صاحبه عن اقتراف المعاصى .  
اقول: ان الرؤية كما تستعمل فى الرؤية الحسية والرؤية بالابصار، تستعمل ايضاً فى الادراك القلبي والرؤية بعين القواد قال سبحانه « ما كذب القواد ما رأى » (النجم - ١١) وقوله سبحانه « افمن زين له سوء عمله فرآه حسناً » (فاطر - ٨) وقوله سبحانه « فلما سقط فى ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » (الاعراف - ١٤٩) وهذه الايات ونظائرها تشهد بوضوح بان الرؤية تستعمل فى الادراك القلبي والاستشعار الباطنى .  
وعلى ذلك فيوسف الصديق لما وقع مقابل ذلك المشهد المغربى ، الذى يسلب اللب والعقل عن البشر، كان المتوقع بحكم كونه بشراً، الميل الى المخالطة



معها والعزم على الاتيان بالمعصية ولكنه لما ادرك بالعلم القاطع اثر تلك المعصية صانه ذلك عن اى عزم وهم بالمخالطة .  
هذا هو المعنى المختار فى الآيه وبذلك تظهر نزاهة يوسف عن اى هم وعزم على المخالطة .

وهناك تفسير آخر للآيه يتفق مع المعنى المختار فى تنزيه يوسف عن كل ما لا يناسب ساحة النبوة غير انه من حيث الانطباق على ظاهر الآيه يعد فى الدرجه الثانية وهذا المعنى هو الذى اختاره صاحب «المنار» وطلاءه بعض المعاصرين وزوقه وسيوافيك بيان صاحب «المنار» وما جاء به ذلك المعاصر فى البحث التالى :

#### المعنى الثانى للآيه :

ان المراد من الهم فى كلا الموردين هو العزم على الضرب والقتل مثل قوله سبحانه «وهموا بمالم ينالوا» (التوبة - ٧٤) حيث قصد المشر كون اغتيال النبى عند منصرفه من تبوك فيكون المعنى ان امرأه العزيز همت بضربه وجرحه وبطبيعة الحال لم يكن امام يوسف الا ان يدافع عن نفسه غير انه رأى ان ذلك ربما ينجر الى جرح امرأه العزيز ويكون ذلك ذريعه بيدها لاتهام يوسف وبهته، فقد ادرك هذا المعنى ولم يهم بها وسبقها الى الباب ليتخلص منها وعلى ذلك فيكون معنى الهم فى كلا الموردين هو الضراب ولكنه من جانب العزيزة بدافع ومن جانب يوسف بدافع آخر .

وهذا التوجيه يتناسب مع حالة العاشق الواله عندما يخفق فى نيل ما يصبو اليه ويتوق الى تحصيله فانه فى مثل هذا الموقف تحدث له حالة باطنية تدفعه الى الانتقام من معشوقه الذى لم يسايره فى مطلبه ولم يحقق له غرضه ، وقد حدث مثل هذا لأمرأة العزيز، فانها عندما اخفقت فى نيل ما تريد من يوسف ، دفعها الشعور بالهزيمة والافخاق الى الانتقام من يوسف وهذا هو معنى قوله : « ولقد همت به» على الاطلاق وبلا تقييد .

ولم يكن في هذه الحالة امام يوسف الا ان يدافع عن نفسه ولكنه لما استشعر بان ضرب العزيزة سوف يتخذ ذريعة لبهته واتهامه، اعتصم عن ضربها والهم بها وهذا معنى قوله «وهم بها» لان رأى برهان ربه» .

وهذا المعنى هو المختار لبعض اهل التفسير واختاره صاحب المنار وسعى في تقويته بقوله : تالله لقد همت المرأة بالبطش به لعصيانه امرها وهي في نظرها سيدته وهو عبدها وقد اذلت نفسها له بدعوته الصريحة الى نفسها بعد الاحتيال عليه بمرادته عن نفسه ومن شأن المرأة ان تكون مطلوبة لاطالبة ولكن هذا العبد العبراني قد عكس القضية وخرق نظام الطبيعة فاخرج المرأة من طبع انوثتها في دلالتها وتمنعها وهبط بالسيدة المالكة من عز سيادتها وسلطانها وعندئذ همت بالبطش به في ثورة غضبها وهوانتقام معهود من مثلها وممن دونها في كل زمان ومكان « (١) .

ثم ان بعض المعاصرين اختار المعنى المذكور غير انه فسر «برهان ربه» بغير الوجه المذكور في هذا الرأى بل فسره بانفتاح الباب بارادة الله سبحانه حيث ان امرأة العزيز كانت قد غلقت الابواب واحكمت سدها وعند ما وقع هذا الشجار بينها وبين يوسف ، سبق يوسف الى الباب فراراً منها وانفتح الباب له بارادة الله سبحانه وهذا هو برهان الرب الذي رآه ويدل على ذلك ان القرآن يصرح بغلاق الابواب ولا يأتي عن انفتاح الباب باى ذكر وهذا يدل على ان المراد من «برهان ربه» هو فتح الباب من عند الله سبحانه في وجه يوسف كرامة له . ولا يخفى ضعف هذا التفسير وذلك لانه لو كان المراد من البرهان هو انفتاح الباب لزم ذكره عند قوله او قبله «واستبقا الباب» لافى الآية المتقدمة عليه ويظهر ذلك بملاحظتهما حيث قال :

«ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه . . .» (الآية - ٢٤) .

«واستبقا الباب وقدت قميصه من دبرها والفاء سيدها لدى الباب»... (الآية - ٢٥)



تري انه يذكرهمه بها ورؤية البرهان في آية ثم يذكر استباقهما الى الباب في آية اخرى مع الفصل بينهما بذكر امور منها «انه كان من المخلصين» ، فلو كان المراد من «رؤية البرهان» هو انفتاح الباب كان المناسب ذكر الاستباق قبلها . على ان الظاهر من قوله «وغلقت الابواب» هو سد الابواب لا اقفالها بمعنى وضع قفل عليها يمتنع معه فتحها بيسر وانما لم تفلها لانها لم تكن تتوقع من يوسف ان لا يستجيب لها ويعصى امرها .

### المعنى الثالث للآية :

ان الهم من جانب يوسف هو خطوط الشيء بالبال وان لم يقع العزم عليه وربما يستعمل الهم في ذلك قال كعب بن زهير :

فكم فهموا من سيد متوسع ومن فاعل للخير ان هم او عزم  
ولا يخفى ان هذا التفسير عليل لان الظاهر من الهم في كلا الموردين واحد  
ولم يكن الهم من جانب العزيزة الا العزم ، والتفكيك بين الهمين خلاف الظاهر .  
وعلى كل تقدير فقصه يوسف الواردة في القرآن تدل على نزاهته من اول  
الامر الى آخره وانه لم يتحقق منه عزم ولا هم بالمخالطة لانه هم وعزم وانصرف  
لعلة خاصة .

ثم ان هناك لاكثر المفسرين اقوالا في تفسير الآية أشبه بقصص القصاصين وقد أضربنا عن ذكرها صفحاً فمن اراد فليرجع الى التفاسير .

وفي مختتم البحث تأتي بشهادة العزيزة بنزاهة يوسف عند ما حصحص الحق وبانت الحقيقة وقد نقلها سبحانه بقوله « قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين » (يوسف - ٥١) وشهدت في موضع آخر على طهارته واعتصام نفسه وقالت « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره لیسجنن وليكوناً من الصاعزين .» (يوسف - ٣٢)

## عصمة موسى وقتل القبطي ، ومشاجرته اخاه

ان الكليم موسى بن عمر ان احد الانبياء العظام ، وصفه سبحانه باتم الاوصاف واكملها قال عز من قائل : «واذ كر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً . وفادينا من جانب الطور الايمن وقربناه نجياً ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبياً» . (مريم ٥١ - ٥٣) وقال سبحانه : «ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين» . (الانبياء - ٤٨) ووصف كتابه بقوله : «ومن قبل كتاب موسى اما ما ورحمة» . (الاحقاف - ١٢)

ومع ذلك كله : فقد استدل المخالف بعدم عصمته بامرين :

احدهما : قتله القبطي وتوصيفه بانه من عمل الشيطان .

ثانيهما : مناقشته مع اخيه هارون مع عدم كونه مقصراً ، واليك البحث عن

كل واحد منهما .

### الف : عصمة موسى وقتل القبطي :

قال عز من قائل : «ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً و كذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى ففضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين . قال رب اني



ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيراً للمجرمين».

ويذكر القرآن تلك القصة في سورة الشعراء بصورة موجزة ويقول سبحانه «الم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين. قال فعلتها اذا وانا من الصالحين» . (الشعراء ١٨ - ٢٠)

وتدل الايات علي ان موسى ورد المدينة عند ما كان اهلها غافلين عنه اما لانه ورد نصف النهار والناس قائلون اوورد في اوائل الليل واما لغير ذلك فوجد فيها رجلين كان احدهما اسرائيليا و الاخر قبطيا يقتتلان فاستنصره الذي من شيعته علي الاخر فنصره فضربه بجمع كفه في صدره فقتله وبعد ما فرغ من امره ندم ووصف عمله بما يلي .

١ - هذا من عمل الشيطان .

٢ - رب اني ظلمت نفسي .

٣ - فاغفر لي فغفر له .

٤ - فعلتها اذا وانا من الصالحين .

وهذه الجمل الاربعة تعرب عن كون القتل امراً غير مشروع . و لاجل ذلك وصفه تارة بانه من عمل الشيطان، واخرى بانه كان ظملاً لنفسه ، واعترف عند فرعون بانه فعل ما فعل وكان عند ذاك من الصالحين ثالثاً وطلب المغفرة رابعاً . اقول : قبل توضيح هذه النقاط الاربعة نلفت نظر القارئ الكريم الي بعض ما كانت الفراعنة عليه من الاعمال الاجرامية ، ويكفي في ذلك قوله سبحانه : ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين . (القصص-٤) ولم يكن فرعون قائماً بهذه الاعمال الابعماله القبطيين الذين كانوا اعضاءه وانصاره . وفي ظل هذه المناصرة ملكت الفراعنة بني اسرائيل رجالاتاً ونساءً فاستعبدهم كما يعرب عن ذلك قوله سبحانه « وتلك نعمة تمنها علي ان عبادت بني اسرائيل » ولما قال فرعون لموسى :

«الم نربك فينا وليداً» واستعلي عليه بانه رباه وليداً منذ ان ولد الى ان كبر ... اجابه موسى بانه هل تمن على بهذا وقد عبدت بنى اسرائيل؟ وعلى ذلك فقتل واحد من انصار الطغمة الاثيمة التي ذبحت مئات بل آلاف الاطفال من بنى اسرائيل واستحيوا نساءهم. لا يعد في محكمة العقل والوجدان عملاً قبيحاً غير صحيح، اذ الى ذلك ان القبطي المقتول كان يصدد قتل الاسرائيلي لولم يناصره موسى كما يحكى عنه قوله: «بقتلان». ولو قتله القبطي لم يكن لفعله أى رد فعل، لانه كان منتمياً للنظام السائد الذى لم يزل يستأصل بنى اسرائيل ويريق دماءهم طوال سنين، فكان قتله فى نظره من قبيل قتل الانسان الشريف احد عبيده لاجل تخلفه عن امره.

اذا وقفت على ذلك فلنرجع الى توضيح الجمل التي توهم المستدل بها دلالتها على عدم العصمة فنقول:

١ - ان قوله «هذا من عمل الشيطان» يحتمل وجهين:

الاول: ان يكون لفظ «هذا» اشارة الى المناقشة التي دارت بين القبطي والاسرائيلي وانتهت الى قتل الاول. وعلى هذا الوجه ليست فيه أية دلالة على شيء مما يتوخاه المستدل... وقد رواه ابن الجهم عن الامام الرضا عليه السلام عند ما سأله المأمون عن قوله «هذا من عمل الشيطان» فقال: الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين لاما فعله موسى من قتله. (١)

الثاني: ان لفظ «هذا» اشارة الى قتله القبطي، وانما وصفه بانه من عمل الشيطان، لوجهين.

الف - ان العمل كان عملاً خطأً محضاً ساقه الى عاقبة وخيمة فاضطر الى ترك الدار والوطن بعد ما انتشر سره ووقف بلاط فرعون على ان موسى قتل احد انصار الفراعنة وأمروا عليه ليقتلوه ولولا ان مؤمن آل فرعون اوقفه على حقيقة الحال لاخذته الجلاوزة وقضوا على حياته كما قال سبحانه:

«وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان المأيا أمرت بك ليقتلوك



فاخرج انى لك من الناصحين ( القصص - ٢٠ ) فلم تكن لهذا العمل اية فائدة فريفة او اجتماعية سوى الجائه الى ترك الديار والقاء الرحل في دار الغربة «مدين» والاشتغال برعى الغنم اجيراً لشعيب عليه السلام .

فكما ان المعاصي تنسب الى الشيطان قال سبحانه : «انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» . (المائدة-٩٠) فكذلك الاعمال الخاطئة الناجمة من سوء التدبير وضلال السعي ، السائقة للانسان الى العواقب المرة ، تنسب اليه ايضاً .

فالمعاصي والاعمال الخاطئة كلاهما تصح نسبتها الى الشيطان بملاك انه عدو مضل للانسان والعدو لا يرضى بصلاحه وفلاحه بل يدفعه الى ما فيه ضرره في الآجل والعاجل ولاجل ذلك قال بعدما قضى عليه .. «هذا من عمل الشيطان انه عدو متصل مبین» .

ب - ان قتل القبطي كان عملاً ناجماً عن العجلة في محاولة تدمير العدو ، ولو انه كان يصبر على مفض الحياة قليلاً لنبذ القبطي مع جميع زملائه في اليم من دون ان توجد عاقبة وخيمة . كما قال سبحانه : «فاخذناه و جنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين» (القصص-٤٠)

٢- وبذلك يعلم مفاد الجملة الثانية التي هي من احدى مستمسكات المستدل اعنى قوله : «رب انى ظلمت نفسى» فان الكلام ليس مساوقاً للمعصية ومخالفة المولى ، بل هو كما صرح به ائمة اللغة وقدمنا نصوصهم عند البحث عن عصمة آدم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه ، وقد عرفت ان عمل موسى كان عملاً واقعاً في غير موقعه . وخاطئاً من جهتين : من جهة انه ساقه الى عاقبة مرة ، حيث اضطر الى ترك الاهل والدار والديار . ومن جهة اخرى انه كان عملاً ناشئاً من الاستعجال فسي اهلاك العدو بلا موجب ولاجل تينك الجهتين كان عملاً واقعاً في غير محله فصح ان يوصف العمل بالظلم ، والعامل بالظالم . والذي يعرب عن ذلك انه جعله ظلماً لنفسه لا للمولى ولو كان معصية لكان ظلماً لمولاه وتعدياً على حقوقه

كمننا هو الحال في الشرك فإنه ظلم للمولى وتعد عليه قال سبحانه : «الاشرك بالله انه لظلم عظيم» . (لقمان - ١٠٤)

٣ - واما الجملة الثالثة اعنى قوله : «فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم» فليس طلب المغفرة دليلاً على صدور المعصية ، لانه بمعنى السر . والمراد منه الغاء تبعه فعله وانجاءه من الغم وتخليصه من شر فرعون وملاءه وقد عبر عنه سبحانه «وقتل نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا» . (طه - ٣٠) وقد نجاه سبحانه باخبار رجل من آل فرعون عن المؤامرة عليه فخرج من مصر خائفاً يترقب الى ان وصل ارض مدين فنزل دار شعيب وقص عليه القصص وقال له شعيب . . لا تخف نجوت من القوم الظالمين . (القصص - ٥) وبذلك غفر وستر عمله ونجاه سبحانه من اعين الفراعنة . ويمكن له الورد الى ماء مدين والنزول في دار احد انبيائه (ع) .

اضف الى ذلك : ان قتل القبطي وان لم يكن معصية ولكن كان المترقب من موسى تركه وعدم اعترافه . فصدور مثله من موسى يناسب طلب المغفرة . . فان حسنات الابرار سيئات المقربين . اذ رب عمل مباح لا يؤاخذ به الانسان العادي ولكنه يؤاخذ به الانسان العارف . فضلا عن شخصية الهية سوف تبعث لمناضلة طاغية العصر . فكان المناسب لساحتها هو الصبر والاستقامة في حوادث الحياة: حلوها ومرها ، والفصل بين المتخاصمين بكلام لين وقد امر به عند ما بعث الى فرعون فامر به سبحانه ان يقول له قولاً ليناً» . (طه-٤٤) وقد اوضحنا مفاد هذه الكلمة عند البحث عن آدم وحواء اذ «قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» . (الاعراف - ٢٣)

٤ - واما قوله سبحانه : «فعلتها اذا وانا من الضالين» . فالمراد من الضلال هو الغفلة عما يترتب على العمل من العاقبة الوخيمة . ونسيانها ، وليس ذلك امراً غريباً . فقد استعمل في هذين المعنيين في الذكر الحكيم ، قال سبحانه : «ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى» . (البقرة-٢٨٢)



فالمراد نسيان احد الشاهدين وغفلته عما شهد به . وقال سبحانه : «اذا ضللنا في الارض انا لفي خلق جديد» . (السجدة - ١٠) اي اذا غبنا فيها .  
قال في لسان العرب : الضلال : النسيان وفي التنزيل : ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى . اي يغيب عن حفظها ومنه قوله تعالى «فعلتها اذاً وأنا من الضالين» . وضلت الشيء : انسيته . واصل الضلال : الغيوبة يقال : ضل الماء في اللبن اذا غاب ومنه قوله تعالى «اذا ضللنا في الارض انا لفي خلق جديد» . (١)

وعلى الجملة : ان كليم الله يعترف بتلك الجملة عندما عترض عليه فرعون بقوله «وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين» ويعتذر عنها بقوله : «فعلتها اذا وانا من الضالين» والمناسب لمقام الاعتذار هو تفسير الضلال بالغفلة عما يترتب على العمل من النتائج ونسيانها . وحاصله انه قد استولت على الغفلة حين الاقتراف وغاب عنى ما يترتب عليه من رد فعل ومر العاقبة ففعلت ما فعلت ومن اللحن الواضح تفسير الضلالة بضد الهداية . كيف وان الله سبحانه يصفه قبل ان يقترف القتل بقوله : «وآتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين» . (القصص - ١٤) كما ان نفس موسى بعد ما طلب المغفرة واستشعر اجابة دعائه قال : «رب بما انعمت على فلن اكون ظهيراً للمجرمين» (القصص - ١٧) افيصح بعد هذا تفسير الضلالة بالغواية ضد الهداية ؟ كلا . . .

هذا كله حول المستمسك الاول اعنى قتل القبطى ، فهلم معى ندرس المستمسك الثانى للنخضم من اتهام كليم الله الاعظم ، عليه وعلى جميع رسل الله آلاف الثناء والتحية ، بعدم العصمة .

### ب - مناقشته مع اخيه هارون (ع)

ان الله سبحانه واعد موسى - بعد ان اغرق فرعون - بان يأتى جانب الطور

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٣٩٢-٣٩٣ مادة ضل

الايمان فيوفيه التوراة التي فيها بيان الشرائع والاحكام وما يحتاج اليه . وكانت المواعدة على ان يوافق الميعاد مع جماعة من وجوه قومه فتعجل موسى من بينهم شوقاً الى ربه وسبقهم على ان يلحقوا به ولما خاطبه سبحانه بقوله: «وما اعجلك عن قومك يا موسى» اجابه بانهم «على اثرى» وورائى يدر كونى عن قريب وعند ذلك اخبره سبحانه بانه امتحن قومه بعد فراقه «واضلهم السامرى» فرجع موسى من الميقات الى بنى اسرائيل حزيناً مغضباً فرأى ان السامرى «اخرج لهم عجلاً» جسداً له صوت وقال : انه اله بنى اسرائيل عامة وتبعه السفلة والعوام ، واستقبل موسى هارون فالقى اللواح واخذ يعاتب هارون ويناقشه . وهذا ما يحكيه سبحانه في سورتين ويقول: «ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفاً قال بسما خلقتموني من بعدى اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين» (الاعراف - ١٥٠) ويقول سبحانه: «فرجع موسى الى قومه غضبان اسفاً قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعداً حسناً افضال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى . . . قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الاتبعن اف عصيت امرى قال يبنؤم لاناخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى» (طه - ٨٦ و ٩٣ - ٩٥) فهاهنا يطرح سؤالان .

١ - لما ذا القى الالواح ؟

٢ - لما ذا ناقش اخاه وقد قام بوظيفته ؟

واليك تحليل السؤالين بعد بيان مقدمة وهى :

ان موسى قد خلف هارون عندما ذهب الى الميقات وقد حكاه سبحانه بقوله: «وقال موسى لهارون اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين» (الاعراف - ١٤٢) وقام هارون بوظيفته فى قومه فعند ما اضلهم السامرى ناظرهم بقوله : يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى» (طه - ٩٠) واكتفى فى ذلك بالبيان واللوم ولم يقم فى وجههم بالضرب والتأديب وقد بينه لآخيه



بقوله: «انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم تر قب قولى» (طه - ١٩٤)  
 هذا ما يخص هارون واما ما يرجع الى موسى فقد اخبره سبحانه عن اضلال  
 السامري قومه بقوله: فانا قدفتنا قومك من بعدك واصلهم السامري (طه - ٨٥)  
 «ورجع الى قومه غضبان اسفا وخاطبهم بقوله: بسما خلقتموني من بعدى اعجلتم  
 امر ربكم (الاعراف - ١٥٠) وقال ايضا: «الم يعدكم ربكم وعداً حسناً اطفال عليكم  
 العهد» (طه - ٨٦) وفي هذا الظرف العصيب اظهر كلليم الله غضبه بانجاز عمليتين .  
 ١ - القاء الالواح جانباً :

٢ - مناقشته اخاه بقوله: «ما منعك ان رأيتهم ضلوا . الاتبعن أفعصيت  
 امرى» (طه - ٩٢ - ٩٣) فعند ذلك يطرح السؤالان نفسيهما .  
 لما ذا القى الالواح ؟ اولاً ؟ ولماذا ناقش اخاه وناظره وقد قام بوظيفته  
 ثانياً فنقول :

لاشك ان ما اقترفه بنو اسرائيل من عبادة العجل كان من اقبح الاعمال  
 وافظعها كيف وقد اهلك الله عدوهم واورثهم ارضهم فكان المترقب منهم هو الثبات  
 على طريق التوحيد ومكافحة الوان الشرك . - ومع الاسف - فانهم كفر وابعظيم  
 النعمة، وتركوا عبادته سبحانه، وانخرطوا في سلك الثنوية مع الجهل بقبح عملهم  
 وفضاعة فعلهم .

ان امة الكلليم وان كانت غافلة عن مدى قبح عملهم لكن سيدهم ورسولهم  
 كان واقفاً على خطورة الموقف وتعدى الامة ، فاستشعر بانه لو لم يكافحهم  
 بالعنف والشدّة ولم يقم في وجههم بالاستنكار مع ابراز التأسف والغضب ، فرما  
 تمادى القوم في غيهم وضلالهم و حسبوا انهم لم يقترفوا الا ذنباً خفيفاً او مخالفة  
 صغيرة ولم يعلموا انهم حتى ولورجعوا الى الطريق المهيح ، واتبعوا جنادة  
 التوحيد ربما بقيت رواسب الشرك في اغوار اذهانهم ، فلاجل ايقافهم على فضاعة  
 العمل ، قام في مجال الاصلاح مثل المدير الذى يواجه الفساد فجأة في مديريته  
 ولا يعلم من اين تسرب اليها .

فاول ما يبادر اليه هو مواجهة القائم مقامه الذي خلفه في مكانه ، وادلى اليه مفاتيح الامور . فاذا ثبتت برائته ونزاهته وانه قام بوظيفته خير قيام حسب تشخيصه ومدى طاقته، تر كه حتى يقف على جذور الامر والاسباب الواقعية التي ادت الى الفساد والانهيار .

وهكذا قام الكلیم بمعالجة القضية ، وعالج الواقعة المدهشة التي لوبقيت على حالها . لانتهدت الى تسرب الشرك الى عامة بنى اسرائيل وذهب جهده طوال السنين سدى ، فاول رد فعل ابداه ، انه واجه اخاه القائم مقامه في غيبته ، بالشدة والعنف حتى يقف الباكون على خطورة الموقف فاخذ بلحيته ورأسه مهيمنا عليه متسائلا بانه لما ذا تسرب الشرك الى قومه مع كونه فيهم ؟ ولما تبينت براءته وانه ادى وظيفته كما يحكيه عنه سبحانه بقوله : «ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين» . اندفع اليه بعطف وحنان ودعا له فقال : « رب اغفر لى ولاخى وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين » . ( الاعراف - ١٥٠ ) ان طلب المغفرة لنفسه واخيه لا يبدل على صدور اى خلاف منهما فان الانبياء والاولياء لاستشعارهم بخطورة الموقف وعظمة المسؤولية . ما زالوا يطلبون غفران الله ورحمته لعلو درجاتهم كما هو واضح لمن تتبع احوالهم وسيوافيك بيانه عند البحث عن عصمة النبي الاكرم ﷺ .

وبعد ما تبين ان السبب الواقعى لتسرب الشرك الى قومه هو السامرى وتبعه السفلة والعوام . اخذ بتنبيههم بقوارع الخطاب وعواصف الكلام بما هو مذكور فى سورتي الاعراف طه ونكتفى ببعضها حيث خاطب عبدة العجل بقوله : «ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين . (الاعراف - ١٥٢)

ولما واجه السامرى خاطبه بقوله : «فما خطبك يا سامرى . قال بصرت بما



لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى . قال  
فاذهب فان لك فى الحيوه ان تقول لامساس وان لك موعداً لن تخلفه وانظر الى  
الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفاً انما الهكم الله  
الذى لاله الا هو وسع كل شىء علماً . (طه ٩٥ - ٩٨)

وبما ذكرنا يعلم انه لما ذا القى الالواح وتركها جانباً فلم يكن ذاك  
العمل الا كرد فعل على عملهم القبيح وفعالهم الفظيع الى حد استولى الغضب  
على موسى فالقى الالواح التى ظل اربعين يوماً فى الميقات لتلقيها حتى يحاسب  
القوم حسابهم ويقفوا على انهم أتوا باعظم الجرائم واكبر المعاصى .

\* \* \*

## عصمة داود عليه السلام

## وقضائه في النعجة

قد وصف سبحانه داود النبي عليه السلام باسمى ما توصف به الشخصية المثالية  
قال سبحانه : «واذ كر عبدنا داود ذا الابد انه اواب» .

وقد ذكر ملكه وسلطنته على الجبال والطيور على وجه يمثل اقوى طاقة  
نالها البشر طيلة استخلافه على الارض .

قال سبحانه : «انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق . والطيور  
محشورة كل له اواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب» .

(سورة ص - ١٧ - ٢٠)

فقد اخبر في الاية الاخيرة بانه اوتى الحكمة وفصل الخطاب ، الذي يعد  
القضاء الصحيح بين المتخاصمين من فروع وجزئياته .

ثم انه سبحانه ينقل بعده قضاءه في «نبا الخصم» يقول :

«وهل اناك نبا الخصم ان تسوروا المحراب . اندخلو على داود ففزع منهم  
قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا  
الى سواء الصراط . ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكلنا منها  
وعزني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيراً من الخلقاء  
ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود  
انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً واناب . ففقرنا له ذلك وان له عندنا لزلقى وحسن



مآب يادادود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى  
 فيضلك عن سبيل الله» . (سورة ص ٢١ - ٢٦)  
 لقد تمسكت المخطئة لعصمة الانبياء بقوله تعالى: «فاستغفر ربه وخر راكعا  
 وانا ب فغفرنا له ذلك» حيث ان الاستغفار وغفرانه سبحانه له ، آية صدور الذنب  
 والاجابة عن هذا الاستدلال تحتاج الى بيان مفردات الاية وايضاح القصة  
 فنقول :

ان تفسير الاية يتم ببيان عدة امور :

- ١ - توضيح مفرداتها .
  - ٢ - ايضاح القصة .
  - ٣ - هل الخصمان كانا من جنس البشر .
  - ٤ - لماذا استغفر داود وهل كان استغفاره للذنب او لاجل ترك الاولي .
- واليك بيان هذه الامور .

#### الف : توضيح المفردات :

«الخصم» مصدر «الخصومة» اريد به الشخصان ، «التسور» : الارتقاء الى اعلى  
 السور ، وهو ما كان حائطا ، «كالتسّم» بمعنى الارتقاء الى اسنام البعير ، «والتذري»  
 بمعنى الارتقاء الى ذروة الجبال ، والمراد من المحراب في الاية الغرفة ، «والفزع» :  
 انقباض ونفار يعترى الانسان من الشيء المخيف ، وهو من جنس الجزع  
 «والشطط» : الجور ، و«النعجة» . الانثى من الضأن ، والمراد من قوله «اكفأنيها» :  
 اجعلها في كفألتى وتحت سلطتى ، ومن قوله «عزنى في الخطاب» : انه غلبنى فيه .  
 هذا كله راجع الى توضيح مفردات الاية .

#### ب - ايضاح القصة :

كان داود عليه السلام جالسا في غرفته اذ دخل عليه شخصان بغير اذنه .

وكانا اخوين يملك احدهما تسعا وتسعين نعجة ويملك الاخر نعجة واحدة ، وطلب الاول من اخيه ان يعطيه النعجة التي تحت يده ، مدعيا كونه محقا فيما يقترحه على اخيه ، وقد القى صاحب النعجة الواحدة كلامه على وجه هيج رحمة النبي داود وعطفه .

فقضى عليه السلام طبقاً لكلام المدعى من دون الاستماع الى كلام المدعى عليه وقال : «لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه» .  
ولما تنبه ان ما صدر منه كان غير لائق بساحته وان رفع الشكوى اليه كان فتنة وامتحاناً منه سبحانه بالنسبة اليه «فاستغفر ربه وخر راكعاً واناب» .

### ج - هل الخصمان كانا من جنس البشر ؟

ان القرائن الحافة بالاية تشعر بان الخصمين لم يكونا من جنس البشر وهذه القرائن عبارة عن :

١ - تسورهم المحراب ودخولهم عليه دخولا غير عادي مع ان طبع الحال يقتضى ان يكون محرابه محفوظا بالحرس ولا اقل بمن يطلعه عن الامر فلو كان الدخول باذنهم كان داود عليه السلام مطالعا عليه ولم يكن هناك اى فزع .  
٢ - خطاب الخصمين لداود عليه السلام بقولهم «لاتخف» مع ان هذا الخطاب لا يصح ان يخاطب به الرعية ، الراعى وطبيعة الحال تقتضى ان يخاطب به الراعى الرعية .

٣ - ان خطابهما لداود بما جاء فى الاية ، اشبه بخطاب ضيف ابراهيم له عليه السلام يقول سبحانه : «وتبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا امنكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم» (الحجر ١٥١ - ١٥٣) ويقول سبحانه : «فادجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم» .

(الذاريات - ٣٤)

٤ - تنبهه عليه السلام بانه كان فتنة من الله له وامتحاناً منه وهى تشعر بان



الواقعة لم تكن عادية وهذا يناسب كون الدعوى مطروحة من جانبه سبحانه عن طريق الملائكة .

٥ - ان الهدف من طرح تلك الواقعة كان لغاية تسديده في خلافته وحكمه بين الناس حتى يمارس القضاء بالنحو اللائق بساحته ولا يغفل عن التثبت ولاجل ذلك خاطبه سبحانه بعد قضاؤه في ذلك المورد بقوله : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق » كل ذلك يؤيد كون الخصمين من الملائكة تمثلوا له بصورة رجلين من الانس .

نعم كانت القصة وطرح الشكوى عنده امر احقيقيا كقصة ضيف ابراهيم عليه الصلاه والسلام لابصورة الرؤيا وما اشبهها .

#### د - كون الاستغفار لاجل ترك الاولى :

استدلت المخطئ باستغفاره وانا بته الى الله ، على صدور ذنب منه ولكنه لا يبدل على ذلك :

اما اولاً : ان قضاؤه لم يكن قضاء باتا خاتماً للشكوى ، بل كان قضاء على فرض السؤال ، وان من يملك تسعا وتسعين نعجة ولا يقتنع بها ويريد ضم نعجة اخيه اليها ، ظالم لآخيه و كان المجال بعد ذلك بالنسبة الى المعترض مفتوحاً وان كان الاولى والاليق بساحته هو انه اذا سمع الدعوى من احد الخصمين ، أن يسأل الاخر عما عنده فيها ولا يتسرع في القضاء ولو بالنحو التقديري .

وانما يبادر اليه لانه عليه السلام فوجيء بالقضية ودخل عليه المتخاصمان بصورة غير عادية فلم يظهر منه التثبت اللائق به .

ولما تنبه الى ذلك وعرف ان ما وقع ، كان فتنة وامتحاناً من الله بالنسبة اليه ، « استغفر ربه وخر راكعاً واناب » تدار كالمصدر منه مما كان الاولى تركه ، اولاً ، وشكراً وتعظيماً لنعمة التنبه الذي نال به فوراً بعد الزلّة ، ثانياً .

وثانياً : ان من الممكن ان يكون قضاؤه قبل سماع كلام المدعى عليه ، لاجل

انكشاف الواقع له بطريق من الطرق وان الحق مع المدعى ، ففضى بلا استماع لكلام المدعى عليه نعم الاولى له حتى في هذه الصورة ترك التسرع في اصدار الحكم ، والقضاء بعد الاستماع ولما ترك ما هو الاولى بحاله استغفر لذلك وقد تكرر منا ان ترك الاولى من الانبياء ذنب نسبي وان لم يكن ذنبا على وجه الاطلاق :

وثالثا: لما كانت الشكوى مرفوعة اليه من قبل الملائكة وفي ظرف التمثل ولم يكن ذلك الظرف ظرف التكليف ، كانت خطيئة داود في ظرف لا تكليف هناك ، كما ان خطيئة آدم عليه السلام كانت في الجنة ولم تكن الجنة دار تكليف ومع ذلك كله لما كان التسرع في القضاء بهذا الوجه امرا مرغوبا عنه ، استغفر داود واناب الى الله استشعاراً بخطر المسؤولية بحيث يعد ترك الاولى منه ذنبا يحتاج الى الاستغفار .

نعم قدر وردت في التفاسير احاديث في تفسير الاية لا يشك ذومسكة من العقل انها اسرائيليات تسربت الى الامة الاسلامية عن طريق احبار اليهود و رهبان المسيحية فالاولى الضرب عنها صفحا ، وسياق الايات يكشف عن انزلته لم يكن الا في امر القضاء فقط لاما تدعيه جهلة الاحبار من امتلائه بما يخجل القلم عن ذكره ولاجله يقول الامام علي عليه السلام في حق من وضع هذه الترهات او نسبها الى النبي داود: «لا اوتى برجل يزعم ان داود تزوج امرأه «اوريا» الاجلدته حدين : حداً للنبوة وحداً للإسلام» (١) .



## عصمة سليمان عليه السلام

ومسألة عرض الصافنات الجياد وطلب الملك :

ان سليمان النبي (ص) احد الانبياء وقدم ملك من القدرة أروعها ومن السيطرة والسطوة اطولها ، وآتاه الله الحكم والحلکم والعلم قال سبحانه : ولقد آتينا داود وسليمان علما . (النمل- ١٥) . وقال عز من قائل : وكلا آتينا حكما وعلما ، (الانبياء- ٧٩) . وعلمه منطق الطير قال سبحانه : «يا ايها الناس علمنا منطق الطير» (النمل- ١٦) . ووصف الله قدرته بقوله : «وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطيور» . (النمل- ١٧) . الى غير ذلك من الايات الواردة في توصيف قدرته وسعة علمه وعلو درجاته .

روى اصحاب السير : كان سليمان صلى الصلاة الاولى وقعد على كرسيه والخيل تعرض عليه حتى غابت الشمس . فقال : آثرت حب الخيل على ذكر ربي وان هذه الخيل شغلتنى من صلاة العصر « فامر برد الخيل فاخذ يضرب سوقها واعناقها لانه كانت سبب فوت صلاته . (١) وفي بعض التفاسير ان المراد من «ردوها» هو طلب رد الشمس عليه فردت فصلى العصر (٢) .

ويدعى بعض هؤلاء ان ماساقوه من القصة تدل عليه الايات التالية اعني

(١) تفسير الطبرسي ج ٢٣ ص ٩٩-١٠٠ والدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٩

(٢) مجمع البيان ناسبا الى «القبيل» ج ٤ ص ٤٧٥

قوله سبحانه : «وهبنا لداود سليمان نعم العبدانه اواب. اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد . فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب . ردها على فطفق مسحاً بالسوق والاعناق» . (ص ٣١ - ٣٣) .  
 فهل لما ذكره مسحة من الحق اولمسة من الصدق . اوان الايات تهدف الى امر آخر خفى على هؤلاء وانهم اخذوا ما ذكره من علماء اهل الكتاب كما سيوا فيك بيانه ؟

وتقد هذه القصة المزعومة يتوقف على توضيح مفاد الآيات حتى يقف القارىء على انها من قبيل التفسير بالرأى الممنوع . ومن تليفقات علماء اهل الكتاب التي حملت على القرآن وهو برىء منها . اقول:

١ - «الصافنات» جمع «الصافنة» وهي الخيل الواقعة على ثلاث قوائم الواضعة طرف السنبك الرابع على الارض حتى يكون على طرف الحافر .  
 ٢ - «الجياد» جمع «الجواد» وهي السراع من الخيل كانها توجد بالركض ،  
 ٣ - «الخير» ضد «الشر» وقد يطلق على المال كما في قوله سبحانه : «ان ترك خيراً» (البقرة- ١٨٠) . والمراد منه هنا هي «الخيل» والعرب تسمى الخيل خيراً وسمى النبي زيد الخيل بـ «زيد الخير» وقال ﷺ : الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة» وكيف لا يكون خيراً وهو لم يزل يعد وسيلة الحياة في عامة الحضارات .

٤ - «الحب» ضد البغض . قال في اللسان : احببته وحببته بمعنى واحد .  
 ٥ - «حب الخير» بدل عن المفعول المحذوف وتقديره اني احببت الخيل حب الخير ويريد ان حبي للخيل نفس الحب للخير . لان الخيل كما عرفت وسيلة نجاح الانسان في حياته الفردية والاجتماعية ، خصوصاً عند الجهاد مع العدو والهجوم عليه . ويحتمل ان يكون «حب الخير» مفعولاً لا بدلاً عن المفعول  
 ٦ - «عن ذكر ربي» بيان لمنشأ حبه للخير وسببه ، وان حبه له ناش عن ذكر ربه . وتقدير الجملة: احببت الخير حباً ناشئاً عن ذكر الله سبحانه وامره حيث



امر عباده المخلصين بالاعداد للجهاد ومكافحة الشرك وقلع الفساد بالسيف والخيل، ولاجل ذلك قمت بعرض الخيل، كل ذلك امثالاً لامره سبحانه لاجابة لدعوة الغرائز التي لا يخلو منها انسان كما اشار اليه سبحانه بقوله : «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب» (آل عمران - ١٤).  
ويجد نظير تلك الدعوة فى الذكر الحكيم قال سبحانه «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» (الانفال: ٦٠).  
٧ - فاعل الفعل فى قوله «حتى توارت بالحجاب» اى الصافنات الجياد والمقصود: ان الخيل اخذت بالر كض حتى غابت عن بصره .

٨ - ان الضمير فى قوله «ردوها» يرجع الى الخيل التى تدل عليها الصافنات الجياد والمقصود انه امر بردها عليه بعد ما غابت عن بصره .  
٩ - وعند ذلك يطرح السؤال وهو انه لماذا امر بالرد وما كان الهدف منه .  
فبينه بقوله : «فطفق مسحاً بالسوق والاعناق» اى شرح بمسح اعراف خيله وعراقبيها بيده تقديرأ لر كابها و امر بيها الذين قاموا بواجبهم باعداد وسائل الجهاد .  
الى هنا اتضح مفاد مفردات الاية وجملها . وعلى هذا تكون الايات هادقة الى تصوير عرض عسكري قام به احد الانبياء ذوى السلطة والقدرة فى ايام ملكه و قدرته وحاصله : ان سليمان النبي (الذى اشار القران الى ملكه و قدرته و سطوته وسيطرته على جنوده من الانس والجن وتعرفه على منطق الطير الى غير ذلك من صنوف قدرته وعظمته التى خصصها به بين الانبياء) قام - فى عشية يوم بعرض عسكري وقدر كعب جنوده من الخيل السراع فاخذت تر كض من بين يديه الى ان غابت عن بصره فامر اصحابه بردها عليه حتى اذا ماء، وصلت اليه قام تقديرأ لجهودهم بمسح اعناق الخيل وعراقبيهم .

ولم يكن قيامه بهذا العمل صادرا عنه لجهة اظهار القدرة والسطوة اوللبطر والشهوة . بل اطاعة لامره سبحانه وذكره حتى يقف الموحدون

على وظائفهم ويستعدوا للكفاح والنضال ما تمكنوا وبهيئوا الادوات اللازمة في هذا المجال . (١)

وهذا هو الذي تهدف اليه الايات وينطبق عليها انطباقاً واضحاً ، فهلم معي ندرس المعنى الذي فرض على الايات وهي بعيدة عن تحمله وبريئة منه .

### نقد التفسير المفروض على القرآن:

ان في نفس الايات قرائن وشواهد تدل على بطلان القصة التي اتخذت تفسيراً للايات . واليك بيانها .

١ - ان الذكر الحكيم يذكر القصة بالثناء على سليمان ويقول : « ووهبنا لداود وسليمان نعم العبد انه اواب » فاسلوب البلاغة يقتضى ان لا يذكر بعده ما يناقضه ويضاده . فاين وصفه بحسن العبودية والرجوع الى الله في امور دينه ودينياه ، من انشغاله بعرض الخيل وغفلته عن الصلاة المفروضة عليه ؟ ولو فرضت صحة الواقعة فلازم البلاغة ذكرها في محل آخر ، لاذكرها بعد المدح والثناء المذكورين في الاية .

٢ - انما يصح حمل قوله : « احببت حب الخير عن ذكر ربي » على ما جاء في القصة اذا تضمن الفعل ( احببت ) معنى الترجيح والاختيار والتقدير اى احببت حب الخير مقديماً اياه على ذكر ربي ومختاراً اياه عليه ، وهو يحتاج الى الدليل ٣ - ولوقلنا بالتضمين فيجب ان يقال مكان « عن ذكر ربي » على ذكر ربي « اى احببت حب الخير واخترته على ذكر الله كما في قوله سبحانه « فاستجبوا العمى على الهدى » ( فصلت - ١٧ ) وقوله تعالى ان استجبوا الكفر على الايمان . ( التوبة - ٢٣ ) .

٥ - ان ضمير الفعل في قوله تعالى « توارت » يرجع الى الصافنات المذكورة

(١) وقد اختار هذا التفسير السيد المرعشي في تنزيه الانبياء ص ٩٥-٩٧ والرازي في مفاتيح الغيب ج ٧ ص ١٣٦ والمجلسي في البحار ج ١٤ ص ١٠٣-١٠٤ من الطبعة الحديثة



في الآية ، وعلى التفسير المفروض ، يرجع الى الشمس وليست مذكورة في الآية ، ودلالة لفظ «بالعشي» عليها ضعيفة جداً .

٥ - الضمير في قوله «ردوها» على المختار يرجع الى الصافنات وعلى التفسير المفروض يرجع الى الشمس وهي غير مذكورة .  
٦ - ان الخطاب في قوله «ردوها» على المختار متوجه الى رؤساء الجنود وهو واقع موقعه . وعلى التفسير المنقول عن بعضهم (١) يكون متوجهاً الى الملائكة وهو لا يناسب الا كونه منه سبحانه لعلوه واستعلائه ، لامن مثل سليمان بالنسبة اليهم .

٧ - لاشك ان للصفوة من عباده سبحانه ولاية تكوينية ومقدرة موهوبة على التصرف في الكون باذنه سبحانه ، لغايات مقدسة لاثبات نبوتهم وكونهم مبعوثين من الله سبحانه لهداية عباده . وتدل عليها آيات كثيرة قدمنا بعضها في ماسبق من هذه الموسوعة . (٢) ولم يكن المقام هنا مناسباً للتحدي حتى يتوصل الى الاعجاز والتصرف في الكون بالامر ببرد الشمس فان الصلاة الفائتة لو كانت مفروضة فجب رائها بقضائها ولو كانت مسنونة فلا اشكال في فواتها . فلم يكن هناك لزوم للتصرف في الكون وامر ملائكة الله بردها حتى يأتي بالصلاة المسنونة .

٨ - لو كان المراد من «ردوها» طلب رد الشمس من ملائكته سبحانه فاللازم ان يذكر الغاية من ردها بان يقول حتى اتوضأ واصلي وليس لهذا ذكر في الآية . بل المذكور قوله : فطفق مسحاً بالسوق والاعناق . وهذا يعرب عن ان الغاية المترتبة على الرد هي مسح السوق والاعناق . لا التوضؤ والصلاة .

٩ - ان تفسير المسح بالقطع ، تفسير بلا دليل . اذ المتبادر من المسح هو امر ار اليد عليها لاقطعها واجتثائها . ولو كان هذا هو المراد مما ورد في القصة فالانطباق ان يقول : فطفق ضرباً بالسوق ، لامسحاً .

(١) نسبة الطبرسي الى «القبيل» كما مر

(٢) لاحظ الجزء الاول ص ٤٤٤-٤٤٦

١٠ - ان التفسير المذكور ينتهي الى كذاب الاخبار وهو كعب الذي لم ينزل يدس في القصص والاخبار بنزعائه اليهودية ومن اراد ان يقف على دوره في الوضع والكذب وغير ذلك في هذا المجال فعليه ان يرجع الى ابحاثنا في الملل والنحل .

١١ - ان بعض المفسرين قاموا بتفسير قوله : «فطفق مسحاً بالسوق والاعناق» بمسحها بالماء كناية عن الوضوء ، وهو في ضعفه كما ترى ، اذ لو كان المراد ما ذكره ذلك البعض . فلما ذا بدل الغسل بالمسح ، والساقين بالسوق والعنق بالاعناق . مع انه لم يكن لسليمان الاساقان وعنق واحد .

١٢ - ان قتل الخيل التي عبر عنها نفس سليمان «بالخير» بحجة ان الاشتغال بعرضها صار سبباً لفوت الصلاة اشبه بعمل انسان لا يملك من العقل شيئاً وحاشا لسليمان الذي آتاه الله الحكم والعلم وسلطه على الارض من الانس والجن والسماء ، من هذا العمل الذي لا يقترفه السفلة من الناس الا المجانين منهم للعاديون من السوق . فضلا عن انبياء الله واوليائه المنزهين .

وفي الختام نلفت نظر القارى الى ما ذكره «سيد قطب» في تفسير هذه الايات في تفسيره قال : اما قصة الخيل : ان سليمان عليه السلام استعرض خياله بالعشي ففاته صلاة كان يصليها قبل الغروب فقال ردوها علي\* فردوها عليه فجعل يضرب اعناقها وسيقانها جزاء ما شغلته عن ذكر ربه وفي رواية روى انه جعل يمسح سوقها واعناقها اكراماً لها لانها كانت خيلا في سبيل الله . ثم قال : وكلتا الروايتين لادليل عليها ويصعب الجزم بشيء منها . (١)

والعجب من السيد انه اعطى الروايتين مكانة واحدة مع ان الاولى تضاد حكم العقل وسيرة الانبياء والعلماء لذلك يسهل الجزم ببطلانها . واما الثانية فهي تنطبق على ظاهر الايات كمال الانطباق . وهو المروى عن حبر الامة ابن عباس .

(١) في ظلال القرآن

(١) في ظلال القرآن الكريم ج ٢٣ ص ١٠٠



وقد نقل الرواية الاولى عن اناس كانوا لا يتحرزون من الاخذ عن الاحبار المستسلمين فنقلها الطبري في تفسيره عن السدى وقتادة حتى ان الطبري مع نقله اولي الروايتين اختار قول ابن عباس واستوجهه وقال: ان نبي الله لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بغير سبب سوى انه اشتغل عن صلاته بالنظر اليها ولاذنب لها باشتغاله بالنظر اليها . (١)

ولا يقصر عنه ما نقله السيوطي في الدر المنثور من الاساطير حول هذه الخيول فروى عن ابراهيم التميمي انه قال كانت عشرين الف فرس ذات اجنحة فعقرها وفي الوقت نفسه نقل قول ابن عباس في تفسير المسح: ظل سليمان يمسح اعراف الخيل وعراقيبها (٢).

هذا حال التفسير المفروض على الآية . وهناك مستمسك آخر في مورد سليمان للمخطئة ناتي به .

#### الفتنة التي امتحن بها سليمان:

قال سبحانه: «ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسية جسدأ ثم أناب ، قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب» (ص ٣٤ - ٣٥) وتوضيح مفاد الايات يترتب على البحث عن امور:

- ١ - ماهي الفتنة التي امتحن بها سليمان ؟
- ٢ - ما معنى طلب المغفرة مع التمسك بجبل العصمة ؟
- ٣ - لماذا يطلب لنفسه الملك ؟
- ٤ - اماذا يطلب ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده ؟

تبيح اما السؤال الاول: فليس في الايات الواردة في المقام ما يكشف عن حقيقتها . واما الروايات فقد نقل اهل الحديث حول تبين الفتنة روايات يلوح

(١) تفسير الطبرسي ج ٣ ص ١٠٠

(٢) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٩

منها انها اسرائيليات ، بثها احبار اليهود بين المسلمين وقد ابتلى بها المسلمون في كثير من المجالات التفسيرية والتاريخية والعقائدية و . . . فالرجاء من الله سبحانه ان يقيض جماعة من المثقفين والمحققين ويوفقهم لتهديب الكتب الاسلامية منها وتنقيحها عن مروياتهم .

ولكن من بين هذه الروايات ما يمكن ان يعتمد عليه هو ما قيل : كان لسليمان ولد شاب ذكي كان يحبه حباً شديداً فاماته الله على بساطه فجاءه بالمرض، اختياراً من الله تعالى لسليمان وابتلاء لصبره في اماتة ولده والقي جسمه على كرسيه . (١)

ولاشك ان الابتلاء بموت الولد الشاب من اعظم الابتلاءات والصبر في هذا المجال وتفويض الامر الى الله سبحانه آية كمال النفس . فلم يكن الهدف من الابتلاء الا ان يتفتح الكمال المر كوز في ذاته ، حتى يخرج من القوة الى الفعل . وسنوضح فلسفة الابتلاء عند البحث عن ابتلاء ابراهيم بالكلمات فانتظر . والعجب ان سيد قطب قد اعتمد في تفسير الفتنة على رواية يبدو انها من الاسرائيليات التي اخذها ابوهريرة عن كعب الاحبار قال : ولم اجد اثراً صحيحاً اركان اليه في تفسير «الجسد الذي القى على كرسي سليمان» سوى حديث صحيح ، في ذاته . ولكن علاقته باحد هذين الحادتين ليست اكيده . وهذا الحديث هو ما رواه ابوهريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله واخرجه البخاري في صحيحه مرفوعاً ونصه : قال سليمان : لا طوفن الليلة على سبعين امرأة . كل واحد تأتى بفارس يجاهد في سبيل الله . ولم يقل «ان شاء الله» فطاف سليمان عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل ، والذي نفسى بيده : لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون . ثم قال السيد : وجائز ان تكون هذه هي الفتنة التي تشير اليها الايات وان يكون الجسد هو هذا الوليد الشق ولكن هذا مجرد احتمال . (٢)

(١) تنزيه الانبياء ص ٩٩ الطبعة القديمة (٢) في ظلال القرآن الكريم ج ٢٣ ص ٩٩



نحن لانعلق على هذا الحديث شيئاً وانما نترك القضاء فيه الى الفارسي لكي يقضى فيه وكفى في ضعفه انه من مرويات ابي هريرة وقد وصفها سيد قطب بانها مجرد احتمال كما عرفت .

وبذلك يعلم الجواب عن السؤال الثاني ، فالظاهر انه كان له عليه السلام فيه رجاء او امنية ، فاماته والقاء على كرسیه ، حتى يوقفه على ان حق العبودية تفويض الامر الى الله والتسليم اليه ، ولعل هذا المقدار من الرجاء وعقد الامنية على الولد يعد نحو انقطاع من الله الى الولد .

وهو وان لم يكن معصية ولكن الاليق بحال الاولياء غيره ولاجل ذلك لما استشعر بوظيفته التي يوجبها مقامه ، اناب الى الله ورجع اليه وطلب المغفرة كما يقول سبحانه « ثم اناب قال رب اغفر لي . »

وقد تكرر منا ان طلب المغفرة ، ليس دليلاً على العصيان وصدور الذنب ، بل كل فعل او ترك ، صدر من الرجال العارفين بحقيقة الربوبية وعمق العبودية وكان الاولى والاليق خلافه ، استوجب طلب الغفران ، وان لم يكن معصية وخلافاً في منطق الشرع ، ولاجل ذلك ان اولياء الله لم يزالوا مستغفرين كل يوم وليلة لسعة استشعارهم بعظمة الوظيفة في مقابل عظمة الخالق .

واما السؤال الثالث : اعنى طلب الملك من الله سبحانه . فلم يكن الملك مقصوداً لذاته لان مثل هذا الملك ، لا ينفك عن الظلم والتعدي وهضم الحقوق الى غير ذلك مما اشير اليه في قوله تعالى : « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون (النمل- ٣٤) وفي قوله عز اسمه : « اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصباً . » (الكهف- ٧٩)

هكذا كانت طبيعة الملوك في الاعصار الغابرة والحاضرة فهي مع الاستبداد لاواستعباد وغصب الاموال وقتل النفوس المحترمة متلازمة ؟ كما هو واضح لمن لاحظ تاريخ السلطان في الادوار الماضية والحاضرة .

وانما طلب سليمان ماوراء ذلك فقد طلب من الله سبحانه الملك الذي يقوده انسان اوتي العلم والحكم وتشرف بالنبوة والوحى، وما هذا حاله، لا يكون الملك مطلوباً له بالذات وانما يكون فى طريق احقاق الحق وابطال الباطل والخدمة للخلق .

ولاجل ان المبتادر من الملك - فى اذهان العامة هو السلطة الجائرة نجد الذكر الحكيم عندما يصف الله بـ «الملك» يتابعه : بـ «القدوس» مشيراً الى ان ملكه وسلطته تفارق سائر السلطات فهو فى عين كونه ملكاً للعالم ، قدوس منزّه من كل عيب وشين ومن كل تعد وظلم . فهو «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن» . (الحشر - ٢٣)

نقل اهل السير ان النبي ﷺ كان يقول: لست بملك، مع انه كان حاكماً الهياً ورئيس دولة اسلامية اسسها منذ بدء وروده المدينة، ومراده هو ابعاد نفسه عما يتبادر الى اذهان العامة من سماع ذلك اللفظ . وانه ليس من هؤلاء الزمرة ، بل حاكم الهى يسعى لصالح الامة حسب القوانين الالهية .

وبالجملة : فرق بين السلطة التى تستخدمها الغرائز العادية ، والسلطة التى تراقبها النبوة، ويكسبها جماحها الخوف من الله ، والعشق لرضوانه، والذى طلبه سليمان فى الاية انما هو الثانى وهو عمل الهى وخدمة للدين وعمل مقرب ، دون الاول .

ولاجل ان لا تذهب اذهان الصحابة الى المعنى المتبادر من لفظ «الملك» قام رسول الله ﷺ بتوضيح ما طلب سليمان لنفسه من الله سبحانه وقال : ارايتم ما اعطى سليمان من داود من ملكه فان ذلك لم يزد الا تخشعاً، ما كان يرفع بصره الى السماء تخشعاً لربه . (١)

وقد اوضحنا حقيقة السلطة الاسلامية التى دعا الى استقرارها، الكتاب



والسنة ، ملامحها واحداً فيها فلاحظ. (١)

ومن هنا يعلم جواب السؤال الرابع وانه لماذا قال: «لا ينبغي لاحد من بعدى» فانه لم يقل ذلك ضناً وبخلاً على الغير . وانما قال ذلك لانه طلب الملك الذى لا يصلح فى منطق العقل والشرع ان يمارسه غيره ، او من هو نظيره فى العلم و الايمان، وذلك لانه سبحانه يبين ملامح هذا الحكم فى آيات اخر ويقول: «فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب . والشياطين كل بناء وغواص و آخرين مقرنين فى الاصفاد. هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب. وان له عندنا لزلفى وحسن مآب» (ص ٣٦ - ٤٠) فالآيات بحكم «الفاء» فى قوله «فسخرنا له» تدل على انه لم يطلب مطلق الحكم وهو السلطة التى يصح ان يمارسها المتعارف من الناس خصوصاً اذا كانوا من الصالحاء وانما طلب من القدرة ما يصل بها الى تسخير الريح والجو والشياطين . ومثل هذه القدرة لاتصح فى منطق العقل ان يقع فى متناول المتعارف من الناس لان وجود تلك السلطة فى متناول غير المعصوم يؤدى الى الطغيان وهدم الحدود وادعاء الربوبية الى غير ذلك من عظيم الفساد وانما تكون مقرونة بالصالح والفلاح اذا مارسها نبي عارف بعظمة المسؤولية امام الله اولاً، وامام العقل والوجدان ثانياً ، وامام الخلق ثالثاً .

ولاجل ذلك يقول : «لا ينبغي لاحد من بعدى». ويريد منه الانسان المتعارف غير المتمسك بجبل العصمة ، وغير المتحلى بالنبوة ، فان هذا الملك لما عرفت - لا ينبغي لاحد ، وانما ينبغي لسليمان ومن يكون بمنزلته من الصيانة والعصمة . والى ما ذكرنا يشير المرتضى ويقول : انما التمس ان يكون ملكه آية لنبوته ، ليتبين بها عن غيره ممن ليس بنبي وقوله : «لا ينبغي لاحد من بعدى» اراد به لا ينبغي لاحد غيرى ممن انا مبعوث اليه ولم يرد من بعده الى يوم القيامة من النبيين . (٢)

(١) لاحظ الجزء الثانى من هذه الموسوعة : الفصل الاول ص ١١-٢٢

(٢) تنزيه الانبياء ص ١٠٠

### عصمة ايوب (ع) ومس الشيطان له بعذاب

قد وصف سبحانه نبيه العظيم «ايوب» باوصاف كبار وقال: «انا وجدناه صابراً نعم العبد انه اواب» (ص - ٤٤) ومع ذلك كله فقد استدلّت المخطوطة على عدم عصمته بظواهر بعض الايات وهي لا تدل على ما يرتأون واليك تلكم الايات: قال سبحانه: «وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكراً للعابدين» (الانبياء - ٨٣ - ٨٤).

وقال سبحانه: «واذ ذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب. ار كض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب. ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكراً لأولى الالباب. وخذ بيدك ضعفا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابراً نعم العبد انه اواب» (ص - ٤١ - ٤٤).

استدلّت المخطوطة على تجويز صدور الذنب من الانبياء بما ورد في هذه الايات مما يوهم ذلك اعنى قوله .

١ - «مسنى الشيطان» .

٢ - «بنصب وعذاب» .

وقد ظنوا ان مس الشيطان يستلزم صدور الذنب منه غافلين عن أن هذه الجملة عبارة اخرى عما ورد في سورة الانبياء بقوله «مسنى الضر» .



كما ظنوا ان العذاب عبارة عن العقوبة الالهية غافلين عن ان العذاب عبارة عن كل ماشق على الانسان وهو المراد من التعب والنصب والوجع والألم .  
وبالجمله لادلالة للاية على صدور الذنب ابدأ انما الكلام في بيان ما هي  
علة ابتلاء ايوب بهذا الوجع والألم؟ ويتضح هذا باستعراض الايات و تفسير  
مفرداتها فنقول :

قال الراغب : «الضر» : سوء الحال اما في نفسه لقلّة العلم والفضل والعفة ،  
واما في بدنه لعدم جارحة ونقص ، واما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه وقوله  
«فكشفنا ما به من ضر» محتمل لثلاثتها .

غير انه يحتمل ان يكون الضر هنا بمعنى يساق المرض وهو غير المعنى  
الثانى الذى اشار اليه الراغب ولاجل ذلك يقول العلامة الطباطبائى : الضر  
خصوص ما يمس النفس من الضرر كالمريض والهزال ونحوهما وذيل الايات يؤيد  
هذا المعنى .

واما «النصب» فهو التعب وربما يفتح كما قال الله سبحانه «لايمسنا فيها  
نصب» . (فاطر-٣٥) يقال انصبني كذا اى اتعبني وازعجني .  
واما «الر كض» فهو الضرب بالرجل .

هذه هى اللغات الواردة فى الآية واذا عرفنا معانيها فنرجع الى تفسير  
الآية وستعرف انه لا يستشتم منها صدور اى معصية من النبى ايوب مظهر الصبر  
والمقاومة .

#### تفسير قوله «مسنى الضر»

اما ما ورد فى سورة الانبياء فلا يدل على ازيد من انه مسه الضر وشملته  
البلية فابتهل اليه سبحانه قائلاً « انى مسنى الضروانت خير الراحمين » وعندئذ  
شملته العناية الالهية فكشف الله عنه ما به من ضر ومن المحتمل جداً ان المراد  
هو المرض وشافاه الله من ذلك المرض الذى ابتلى به سنين ولم يكتف بذلك بل وآناه اهله

باحيائهم مضافاً الى مثلهم كل ذلك رحمة من عنده ولم يكن ذلك العمل الامتحاناً منه سبحانه لا يوب وغيره من العابدين حتى يتذكروا ويعلموا ان الله تعالى يبتلى اوليائه ثم يؤتيهم اجرهم ولا يضيع اجر المحسنين وليس الامتحان الا لاجل تفتح الكمالات المكنونة في ذات الممتحن، ولا تظهر تلك الكمالات الا اذا وقع الانسان في بوتقة الامتحان فتظهر حينئذ بواطنه من الكمالات والمواهب وقد اوضحنا ذلك في بعض مسطوراتنا . يقول امير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال « ومعنى ذلك انه يختبرهم بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضى بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن لتظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب » (١)

#### تفسير قوله « مسنى الشيطان »

واما الايات الواردة في سورة « ص » فهي التي وقعت ذريعة لبعض المخطئة من انه سبحانه ابتلى ايوب ببعض الامراض، المنفرة مع انه ليست في الاية اشارة ولا تلويح الى ذلك الا في بعض الاحاديث التي تشبه الاسرائيليات . قال سبحانه في سورة « ص » : « واذ كر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » وقد عرفت معنى النصب واما العذاب فلا يتجاوز معناه ما يؤذى الروح من سوء الحال فقوله : « مسنى الشيطان » عبارة عما ذكره في سورة الانبياء بقوله « مسنى الضر » فنسب نزول النصب والعذاب في هذه الاية الى الشيطان ولكنه سكت عن فاعله في سورة الانبياء وعندئذ يجب امعان النظر في معنى هذه الجملة فنقول : انه يحتمل احد معنيين .

١ - ان يكون مامسه من الضر والمرض مستنداً الى الشيطان بنحو من السببية والتأثير مكان استناده الى الاسباب العادية الطبيعية فكما ان الانسان يصيبه التعب بواسطة العلل المادية، يصيبه التعب بنحو من مس الشيطان كل ذلك باذن منه سبحانه وهذا المعنى هو الذى يستفاد من الروايات وهو وان لم يكن له مؤيد



في ظاهر الآية غير انه ليس من الامور المستحيلة فانه اذا كان للعلل الطبيعية سلطان على الانبياء في امراضهم فلا مانع من ان تكون للشيطان سلطة في خصوص هذا المجال لافي اضلالهم والتصرف في قلوبهم وعقيدتهم ، كل ذلك باذن الله سبحانه خصوصاً اذا كان ذلك لاجل الامتحان .

نعم انكر الزمخشري هذا السلطان قائلاً بانه لا يجوز ان يسلم الله الشيطان على انبيائه ليقضى من تعذيبهم واتعابهم وطره، فلو قدر على ذلك لم يدع صالحاً الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القرآن انه لاسلطان له الا الوسوسة فحسب (١) اقول : انما يصح ما ذكره اذا كانت للشيطان مقدره مطلقة وعامة على كل الصالحين والمؤمنين وعند ذلك لم يدع صالحاً الا وقد نكبه واهلكه وهو غير القول بتسلطه على مورد خاص وهو ايوب باذن منه سبحانه ولادليل على امتناع القضية الجزئية كيف وقد حكى الله سبحانه عن فتى موسى وهو يوشع النبي قوله «فاني نسيت الحوت وما اتسانيه الا الشيطان ان اذكره» (الكهف - ٦٣)

٢ - ان يكون المراد « من مس الشيطان بالنصب والعذاب » هو وسوسة الشيطان الى الناس عند ما اشتد مرض ايوب حيث حثهم على ان يجتنبوه ويهجروه فكان التعبير من الناس والتكلم منهم لكن بوسوسة من الشيطان ونفس هذا التعبير كان نصباً وعذاباً على ايوب فالمراد من النصب والعذاب هو التعبير المستند الى وسوسة الشيطان وعلى كل تقدير فلا دلالة لكلمة العذاب بعد كلمة النصب على انه كان عقاباً منه سبحانه له ، يقول الامام جعفر الصادق (ع) : ان الله ابتلى ايوب بلا ذنب فصبر حتى غير وان الانبياء لا يصبرون على التعبير (٢) .

واما الاحاديث الواردة حول قصة ايوب من انه اصابه الجذام حتى تساقطت اعضاؤه فيقول الامام الباقر عليه السلام في حقها : ان ايوب ابتلى من غير ذنب وان الانبياء لا يذنبون لانهم معصومون ، مطهرون ، لا يذنبون ولا يزيغون

(١) الكشاف ج ٣ ص ١٦

(٢) بحار الانوار ج ١٢ ص ٣٤٧ نقلاً عن انوار التنزيل

ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً وقال : ان ايوب مع جميع ما ابتلى به لم تنتن له رائحة ولا قبحت له صورة ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح ولا استقدره احد رآه ولا استوحش منه احد شاهده، ولا تدو دثبيء من جسده، وهكذا يصنع الله عز وجل بجميع من يبتليه من انبيائه واوليائه المكرمين عليه وانما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر امره لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره، من التأييد والفرج وقد قال النبي ﷺ : « اعظم الناس بلاءاً الانبياء ثم الامثل فالامثل » وانما ابتلاه الله عز وجل بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس لئلا يدعوا له الربوبية اذا شاهدوا ما اراد الله ان يوصله اليه من عظام نعمه متى شاهدوه ليستدلوا بذلك على ان الثواب من الله تعالى ذكره على ضربين : استحقاق واختصاص ولئلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه ولا فقيراً لفقره وليعلموا انه يسقم من يشاء ويشفى من يشاء متى شاء كيف شاء، باى سبب شاء، ويجعل ذلك عبرة لمن شاء وشفاء لمن شاء وسعادة لمن شاء وهو عز وجل في جميع ذلك عدل في قضائه وحكيم في افعاله لا يفعل بعباده الا الاصلح لهم ولا قوة لهم الا به (١).

وهذه الرواية الصادرة من بيت الوحي والنبوة تعرب عن عقيدة الائمة في حق الانبياء عامة وفي حق النبي ايوب خاصة وان الانبياء لا يبتلون بالامراض المنفرة لانها لا تجتمع مع هدف البعثة وان ابتلاء ايوب كان لاهداف تربوية اشير اليها في الرواية .

قال السيد المرتضى: افتصحون ماروى من ان الجذام اصابه حتى تساقطت اعضاؤه ؟ قلنا : اما العلل المستقدرة التي تنفر من رآها وتوحشه كالبرص والجذام فلا يجوز شيء منها على الانبياء لما تقدم ذكره (٢).

وقال العلامة المجلسي بعد نقل الخبر المتقدم عن الامام الباقر (ع) : هذا الخبر اوفق باصول متكلمي الامامية من كونهم منزهين عما يوجب تنفر الطباع

(١) الخصال ج ٢ ص ٤٠٠ ط الفارسي

(٢) تنزيه الانبياء ص ٦٤



- عنهم فتكون الاخبار الاخر محمولة على محامل اخر (١).
- الى هنا استطعنا ان نخرج بهذه النتائج في مورد هذه الروايات المرتبطة بقصة ايوب :
- ١ - ان الالفاظ الواردة في الاية من قوله «عسنى الشيطان بنصب وعذاب» لادلالة لها على صدور الذنب .
- ٢ - ان الروايات الواردة في بعض الكتب من اصابته بامراض منقرعة يخالفها العقل وتردها النصوص المرورية عن ائمة اهل البيت عليهم السلام.

\* \* \*

## عصمة يونس عليه السلام

### وذهابه مغضباً

ان المخطئة لعصمة الانبياء استدلووا على مقصودهم بما ورد حول قصة يونس من الايات و نحن نذكر عامة ما ورد في ذلك المجال ، ثم نستوضح مقاصدها فنقول : قدوردت قصته على نحو التفصيل والاجماع في سور اربع : يونس ، الانبياء ، الصافات ، والقلم . واليك الايات :

- ١ - «فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين» . (يونس - ٩٨)
- ٢ - «وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين» . (الانبياء - ٨٧)
- ٣ - «فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين» (الانبياء - ٨٨)
- ٤ - «وان يونس لمن المرسلين . اذ ابق الى الفلك المشحون . فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم . فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون . فنبذناه بالعراء وهو سقيم . وابتنا عليه شجرة من يقطين . وارسلناه الى مائة الف او يزيدون . فآمنوا فمتعناهم الى حين» (الصافات - ١٣٩ - ١٤٨) .
- ٥ - «فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى ربه وهو مكظوم . لو لا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . فاجتبيه ربه فجعله من



الصالحين». (القلم - ٤٨ - ٥٠)

هذه هي الايات الواردة حول قصة يونس وبالاحاطة بها يتمكن المفسر من الاجابة على الاسئلة المطروحة حولها . وان لم تكن لبعضها صلة بالعصمة . اما ماجاء من الروايات حول القصة فكلها روايات آحاد لا يمكن الركون الى الخصوصيات الواردة فيها بل بعض ما فيها لايناسب ساحة الانسان العادى فضلا عن النبى . ولاجله تركنا ذكرها .

والذى تضافرت عليه الروايات هو انه لما دعا قومه الى الاسلام وعرف منهم الامتناع دعا عليهم ووقف على استجابة دعائه فاخبرهم بنزول العذاب، فلما ظهرت اماراته كان من بينهم عالم اشار اليهم ان افزعوا الى الله لعله يرحمكم ويرد العذاب عنكم فقالوا كيف نصنع ؟ قال اجتمعوا واخرجوا الى المفازة وفرقوا بين النساء والاولاد وبين الابل واولادها . . . ثم ابكوا وادعوا . فذهبوا وفعلوا ذلك وضجوا وبكوا فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب (١) .

فنقول : توضيح مفاد الايات يتوقف على البحث عن عدة امور :

#### ١ - لما ذاكشف العذاب عن قوم يونس دون غيرهم .

صريح قوله سبحانه: «فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا وامتعنهم الى حين» (يونس-٩٨) ان امة يونس هي الامة الوحيدة التى نفعها ايمانها قبل نزول العذاب و كشف عنهم . وذلك لان «لولا» التحضيرية اذا دخلت على الفعل الماضى تفيد معنى النفى كما فى قولك: هلا قرأت القرآن، وعلى ذلك يكون معنى قوله سبحانه: «فلولا كانت قرية آمنت» انه لم يكن ذلك ابدأ فاستقام الاستثناء بقوله « الاقوم يونس» والمعنى هلا كانت قرية من هذه القرى التى جاءتهم رسلنا فكذبوهم آمنت

(١) بحار الانوار ج ١٤ ص ٣٨٠ من الطبعة الجديدة رواه جميل بن دراج الثقة

قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها - لكن لم يكن شيء من ذلك الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي .

ولاشك انه قد نفع ايمان قوم يونس ولكن لم ينفع ايمان فرعون وعندئذ تطرح هنا السؤال : ما الفرق بين الايمانين ؟ حيث نفع ايمانهم دون ايمان الثاني واتباعه يقول سبحانه : «وجاوزنا بيني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى اذا ادركه الفرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين. الان وقد عصيت قبل و كنت من المفسدين . فاليوم ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون» (يونس - ٩٠ - ٩٢) .

الجواب : الفرق بين الايمانين، احدث هذا الفرق حيث كان ايمان قوم يونس ايمانا عن اختيار ولاجل ذلك بقوا على ايمانهم بعد رفع العذاب وكان ايمان الفراعنة ايمانا اضطراريا غير ناجم عن ثورة روحية على الكفر والوثنية ، بل كان وليد رؤية العذاب وهجوم الامواج، لا اقول ان ايمان قوم يونس كان حقيقياً جدياً وايمان الاخرين كان صورياً غير حقيقي، بل: الكل كان حقيقياً . وانما الاختلاف في كون احدهما ناشئاً عن اختيار، والاخر ناشئاً عن الاضطرار والخوف وبعبارة اخرى ناشئاً من عامل داخلي وناشئاً من عامل خارجي.

والدليل على ذلك استقرار وثبوت قوم يونس على الايمان بعد كشف العذاب عنهم لقوله سبحانه: «ومتعنهم الى حين» (يونس-٩٨) ويقول سبحانه: «وارسلناه الى مائة الف اوزيريدون فآمنوا فمتعنهم الى حين» (الصافات - ١٤٨) والظاهر من الاية ان يونس بعد ما نجا مما ابتلى به ، ارسل الى نفسه قومه فاستقبلوه بوجوه مشرقة وتمتعوا في ظل الايمان الى الوقت المؤجل في علم الله .

واما الفراعنة فكانت سيرتهم الايمان عند نزول العذاب والرجوع الى الفساد والى ما كانوا عليه من الفساد في مجال العقيدة والعمل ، بعد كشفه ، والذكر الحكيم يصرح بذلك في الايات التالية: «فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل



والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين. ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولترسلن معك بنى اسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجلهم بالغوه اذاهم ينكثون» . (الاعراف - ١٣٢ - ١٣٤)

وثبات قوم يونس على ايمانهم وعدم انحرافهم عنه بعد كشف العذاب، ونكث الفراعنة بعد كشف الرجز عنهم، خير دليل على أن ايمان القوم كان ايماناً اختيارياً ثابتاً ونابعاً عن اليقين . وایمان الفراعنة كان اضطرارياً ناشئاً عن الخوف .

والاول من الايمانين يخرق حجب الجهل ويشاهد الانسان عبوديته بعين القلب وعظمة الرب ونور الايمان فيصير خاضعاً امام الله ، يعبده ولا يعبد غيره . والثاني منهما يدور مدار وجود عامل الاضطرار والالجاء فيؤمن عند وجوده ويكفر بارتفاعه . ولا يعد ذلك الايمان كما للروح ولا قيمة له في سوق المعارف قال سبحانه: «ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعاً . افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» . (يونس - ٩٩)

ولاشك انه تعلقت ارادته التشريعية بايمان الناس كلهم بشهادة بعث الانبياء واعزام الرسل . ولكن لم تتعلق ارادته التكوينية بايمانهم . والالم تتخلف عن مراده واصبح الناس كلهم مؤمنين . ايماناً لاعن اختيار ولكن بما انه لاقيمة للايمان الخارج عن اطار الاختيار والناشيء عن الالجاء والاضطرار ، لم تتعلق ارادته سبحانه بايمانهم واليه يشير قوله «ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعاً» .

## ٢ - هل كان كشف العذاب تكديباً لا يعاد يونس :

قد وعد سبحانه في كتابه العزيز بانه يؤيد رسله وينصرهم ولا يكذبهم وهو القائل عز من قائل: «انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد» . (غافر - ٥٢)

فلو اخبر واحد منهم عن وقوع حادثة او نزول رحمة وعذاب على قوم ، فلا بد ان يكون وضع المخبر به في المستقبل على وجه لا يلزم منه تكذيبهم . وذلك اما بوقوع نفس المخبر به كما هو الحال في اخبار صالح لقومه حيث تنبأ وقال : «تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب» . فلما بلغ الاجل المحدد «واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جائمين . كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعداً لثمود» (هود ٦٥ - ٦٨) واما بظهور علامات وامارات دالة على صدق مقال النبي واخباره وان عدم تحققه لاجل تغيير التقدير بالدعاء والعمل الصالح قال سبحانه : «ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض» . (الاعراف-٩٦)

وقال عز من قائل : ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم» . (الانفال - ٥٣)

هذه سنة الله سبحانه في انزال النعمة والنقمة ورفعهما .

وما اخبر به يونس كان من هذا القبيل فقد تنبأ بنزول العذاب وشاهد القوم طلائع العذاب وعلائمه . . (١) . فقاموا بالتوبة والانابة الى الله حسب ارشاد عالمهم فكشف عنهم العذاب . وليس في هذا تكذيب ليونس . لولم يكن فيه تصديق حيث وقفوا على صدق مقالته غير ان الله سبحانه سنناً في الحياة فاخذ المعتدى باعتدائه سنة ، والعفو عنه لانابته ايضاً سنة . ولكل موضع خاص ، وهذا معنى البداء الذي تقول به الامامية ، الذي لو وقف اخواننا اهل السنة على حقيقته لا عترفوا به من صميم القلب ، ولكن الدعايات الباطلة حالت بينهم وبين الوقوف على ماتبتنا الامامية في هذا المضمار وقد اوضحنا حقيقة الحال في رسالة «البداء من الكتاب والسنة» (٢) ومن اراد الوقوف على واقع الحال فليرجع اليها .

(١) لاحظ تفسير الطبري ج ١١ ص ١١٧-١١٨ والدر المنثور ج ٣ ص ٣١٧-٣١٨

والبهار ج ١٤ ص ٣٩٦ من الطبعة الحديثة

(٢) مطبوعة منتشرة



## ٣ - أسئلة ثلاثة حول عصمته :

الف - ما معنى كونه مغضباً ؟ ومن المغضوب عليه ؟

ب - ماذا يراد من قوله « فظن ان لن نقدر عليه » ؟

ج - كيف تجتمع العصمة مع اعترافه بكونه من الظالمين ؟

هذه هي الاسئلة الحساسة في قصة يونس عليه السلام وقد تمسك بها المخطئة واليك توضيحها واحداً بعد واحد .

اما الاول : فقد زعم المخطئة ان معناه انه خرج مغاضباً لربه من حيث أنه لم ينزل بقومه العذاب ، ولكنه تفسير بالرأى ، بل افتراء على الانبياء وسوء الظن بهم ، ولا يغضب ربه الا من كان معادياً له وجاهلاً بحكمه فسي أفعاله ومثل هذا لا يليق بالمؤمن فضلاً عن الانبياء .

وانما كان غضبه على قومه لمقامهم على تكذيبه واصرارهم على الكفر وبأسه من توبتهم فخرج من بينهم . (١) .

هكذا فسره الامام الرضا عليه السلام عند ما سأله المأمون عن مفاد الآية وقال : « ذلك يونس بن متى ذهب مغاضباً لقومه » . (٢) .

واما الثاني : اعنى « فظن ان لن نقدر عليه » فالفعل اعنى (نقدر) من القدر بمعنى الضيق لامن القدرة . قال سبحانه : « ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله » (الطلاق - ٧) وقال سبحانه : « ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » (الاسراء - ٣٠) فمعنى الآية انه ظن ان لا يضيق عليه الامر لترك الصبر والمصابرة مع قومه ، لا بمعنى انه خطر هذا الظن بباله . بل كان ذهابه وترك قومه يمثل حالة من ظن ان لن نقدر عليه في خروجه من قومه من غير انتظار لامر الله ، فكانت مفارقتهم قومه ممثلة لحال من يظن بمولاه ذلك .

واما تفسيره بانه ظن انه سبحانه لا يقدر عليه فهو تفسير بما لا تصح نسبه الى

(١) تنزيه الانبياء ص ١٠٢ (٢) بحار الانوار ج ١٤ ص ٣٨٧ .

الجهلة من الناس فضلاً عن الاولياء والانبيا .  
 وبما ان مفارقتة قومه بلا اذن منه سبحانه ، كان يمثل حال من يظن ان  
 لا يضيق مولاه عليه ، ابتلاه الله الحوت فالتقمه .  
 فوقف على انه ترك ما هو الاولي فعلا ، فندم على عمله « فنادى في الظلمات  
 ان لا اله الا انت » .

ونقل الزمخشري في كشّافه : عن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال :  
 لقد ضربتني امواج القرآن البارحة ففرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصاً الا بك .  
 قال : وما هي يا معاوية ؟ فقرأ هذه الآية وقال : اويظن نبي الله ان لا يقدر عليه  
 قال : هذا من القدر لامن القدرة . ثم اضاف صاحب الكشاف : يصح ان يفسر  
 «القدرة على معنى «ان لن نعمل فيه قدرتنا» وان يكون من باب التمثيل بمعنى  
 فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار  
 لامر الله . ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده  
 بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بمنزعات الشيطان وما يوسوس اليه في كل  
 وقت . (١) .

ولا يخفى ان ما نقله عن ابن عباس هو المعتمد ، بشهادة استعماله في القرآن  
 بمعنى الضيق . وهو المناسب لمفاد الآية واما الوجهان الاخران فلا يصح الركون  
 اليهما ، خصوصاً الوجه الاخير ، لان الانبياء اجل شأناً من ان تحوم حول قلوبهم  
 الهواجس الشيطانية حتى يعودوا الى معالجتها بالبرهان . فليس له سلطان على  
 المخلصين من عباده وقد اعترف بذلك الشيطان وقال « الاعدادك منهم المخلصين »  
 ( ص - ٨٣ )

### واما السؤال الثالث :

فقد مر ان الظلم في اللغة بمعنى وضع الشيئي في غير موضعه ، ولا شك



ان مفارقتة قومه وتركهم في الظرف القلق العصيب كان امرأ لا يترقب صدوره منه وان لم يكن عصيانياً لامر مولاه ، فالعطف والحنان المترقب من الانبياء غير ما يترقب من غيرهم ، فلاجل ذلك كان فعله واقعاً غير موقعه .

ومن المحتمل ان يكون الفعل الصادر منه في غير موقعه هو طلبه العذاب لقومه وترك المصابرة. ويؤيده قوله سبحانه «فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم» . ( القلم - ٤٨ ) فالظاهر ان متعلق النداء في الآية طلب نزول العذاب على قومه بقرينة قوله «وهو مكظوم» اى كان مملوءاً غيظاً او غمماً والمعنى : «يا ايها النبي لا تكن مثل صاحب الحوت ولا يوجد منك مثل ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه فاصبر لقضاء ربك فانه ما يستدرجهم ويملى لهم ولا تستعجل لهم العذاب لكفرهم» .

ويستفاد من بعض الروايات ان سبب لومه وردعه كان امرأ نالناً وهوانه لما وقف على نجاة امته غضب وترك المنطقه (١).

والوجهان : الاول والثاني هما الصحيحان .

ومما ذكرنا يعلم مفاد قوله سبحانه «اذابق الى الفلك المشحون» فشبه حاله بالعبء الاثقل وذلك لما مر من ان خروجه في هذه الحال كان ممثلاً لابق العبد من خدمة مولاه فاخذ الله بذلك .

وعلى كل تقدير فالآيات تدل على صدور عمل منه كان الاثقل بحال الانبياء تركه ، وهو يدور بين امور ثلاثة: اما ترك قومه من دون اذن . او طلب العذاب وكان الاولى له الصبر ، او غضبه على نجاة قومه .

الى هنا تم توضيح الايات المهمة التي وقعت ظواهرها ذريعة لاناس يستهترون بالقيم والفضائل ويستهيئون بكبر الواجبات تجاه الشخصيات الالهية، وبقي الكلام في عصمة النبي الاكرم ونفي القبول فيها في البحث الاتي .

## عصمة النبي الاكرم ﷺ

وما تمسكت به المخطئة

عصمة النبي الخاتم من العصيان والخطأ ، من فروع عصمة الانبياء كلهم فما دلت على عصمتهم من الايات ، تدل على عصمته ايضا بلا اشكال . ولا تحتاج بعد ذلك الى افراد البحث عنه في هذا المجال ، فقد افاض الله عليه ذاك الكمال كما افاض على سائر الانبياء من غير استثناء فهو معصوم في المراحل الثلاثة التالية :

١ - مرحلة تلقي الوحي وحفظه وادائه الى الامة .

٢ - مرحلة القول والفعل وعلى ذلك فهو من عباده المكرمين الذين لا يعصون الله ما امرهم وهم بامرهم يعملون .

٣ - مرحلة تطبيق الشريعة وغيرها من الامور المربوطة بحياته هو ﷺ لا يسهو ولا يخطأ في حياته الفردية والاجتماعية .

وما دل على عصمة تلك الطبقة في هذه المراحل الثلاثة دل على عصمته فيها ايضاً .

نعم هناك آيات بالخصوص دالة على عصمته من العصيان ومصونيته عن الخطأ كما ان هناك آيات وردت في حقه وقعت ذريعة لمنكري العصمة . - ولاجل ذلك - افردنا بحثاً خاصاً في هذا المقام لنوفيه حقه .

اما ما يدل على عصمته من العصيان والخلاف ، فيكفي في ذلك قوله



سبحانه : «وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذاً لاتخذوك خليلاً. ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً. اذالاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجدلك علينا نصيراً» (الاسراء - ٧٣ - ٧٥) .

وقد ذكر المفسرون اسباباً لنزولها. بما لايناسب ساحة النبي ﷺ اوضحها ما ذكره الطبرسى فى مجمعه : ان المشركين قالوا له : كف عن شتم آلهمنا وتسفيه احلامنا واطرد هؤلاء العبيد والسقاط الذين راثحتهم رائحة الصنان (١) حتى نجالسك ونسمع منك . فطمع فى اسلامهم فنزلت الاية.(٢)

ولتوضيح مفاد الايات نبحت عن امور :

١- ان الايات كما سترى تشير الى عصمته ومع ذلك استدلت المخطئة بها على خلافها وهذا من عجائب الامور اذ لاغرو فى ان تتمسك كل فرقة بقسم من الايات على مايتبناه وانما العجب ان تقع آية واحدة مطرحاً لكلتاالفرقتين . فيفسر كل، حسب مايتوخاه مع ان الاية لاتحمل الامعنى واحداً لامعنيين متخالفين.

٢- ان الضمير فى كلا الفعلين « كادوا ليفتنونك » يرجع الى المشركين ويدل عليه سياق الايات. والمراد من «الذى اوحينا اليك» هو القرآن بمايشتمل عليه من التوحيد ونفى الشريك ، والسيرة الصالحة ، والمراد من الفتنة فى « ليفتنونك » هو الازلال والصرف كما ان الخليل من الخلعة بمعنى الصداقة لامن الخلعة بمعنى الحاجة .

٣- ان قوله : «وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك» يخبر عن دنو المشركين من ازلاله وصرفه عما اوحى اليه ، لاعن دنو النبي وقربه من الزلل والانصراف عما اوحى اليه وبين المعنيين فرق واضح .

٤- ان قوله سبحانه : «ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً» مركب من جملتين : احدهما شرطية والاخرى جزائية اما الاولى فقوله : «ولولا ان ثبتناك» واما الاخرى فقوله : «لقد كدت تركن اليهم» وبما ان لولا فى

الاية امتناعية (١). تدل على امتناع الجزاء لوجود التثبيت مثل قولنا : « لولا على لهلك عمر » فامتنع هلاكه لوجوده .

٥ - وليس الجزاء هو الركون بمعنى الميل . بل الجزاء هو القرب من الميل والانصراف كما يدل عليه قوله : « لقد كدت تركن » فامتنع القرب من الميل فضلاً عن نفس الميل لاجل وجود تثبيته :

٦ - ان تثبيته سبحانه لنبيه لم يكن امراً مختصاً بالواقعة الخاصة بل كان امراً عاماً لجميع الوقائع المشابهة لتلك الواقعة ، لان السبب الذي اوجب افاضة التثبيت عليه فيها ، يوجب افاضته عليه في جميع الوقائع المشابهة ولا معنى لخصوصية المعلول والمسبب مع عمومية العلة . وعلى ذلك تكون الاية من دلائل عصمته في حياته ، وسداده فيها على وجه العموم .

وتوهم اختصاصها بالواقعة التي تأمر المرش كون فيها لازلاله من كلمات رماة القول على عواهنه .

٧ - ان التثبيت في مجال التطبيق فرع التثبيت في مجال التفكير اذ لا يستقيم عمل انسان مالم يتم تفكيره وعلى ذلك يفاض على النبي السداد مبتدئاً من ناحية التفكير منتهياً الى ناحية العمل فهو في ظل هذا السداد المفاض ، لا يفكر بالعصيان والخلاف فضلاً عن الوقوع فيه .

٨ - ان تسديده سبحانه ، لا يخرج عن كونه فاعلام مختاراً في عامة المجالات : الطاعة والمعصية فهو بعد قادر على النقض والابرام والانقياد والخلاف ولاجل ذلك يخاطبه في الايات السابقة بقوله : « اذا لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً » .

وعلى ضوء ما ذكرنا فالاية شاهدة على عصمته ودالة على عنايته سبحانه

(١) يقول ابن مالك

لولا ولو ما يلزمان الابتدا اذا امتناعاً بوجود عقدا

والشرط في الاية مؤول الى الاسم اي لولا تثبتنا ، لقد كدت تركن اليهم .



برسوله الاكرم فيراقبه ويراعيه ولا يتركه بحاله . ولا يكله الى نفسه كل ذلك مع التحفظ على حريته واختياره في كل موقف .

فقوله سبحانه : «ولو لا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم» نظير قوله: «ولو لا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك» (النساء - ١١٣) لكن الاول راجع الى صيانته عن العصيان والثاني ناظر الى سداه عن السهو والخطاء في الحياة . وسيوافيك توضيح الاية الثانية في البحث الاتي .

وفي الختام نذكر ما افاده الرازي في المقام: قال: احتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه الاية بوجوه :

الاول : انها دلت على انه ﷺ قرب من ان يفترى على الله والفريه على الله من اعظم الذنوب .

الثاني : انها تدل على انه لولا ان الله تعالى ثبته وعصمه لقرب ان يركن الى دينهم .

الثالث : انه لو لاسبق جرم وجناية لم يحتج الى ذكر هذا الوعيد الشديد . والجواب عن الاول : ان «كاد» معناها المقاربة . فكان معنى الاية قرب وقوعه في الفتنة ، وهذا لا يدل على الوقوع .

وعن الثاني : ان كلمة لولا تنفيذ انتفاء الشيء ، لثبوت غيره نقول ! لولا على لهلك عمر ، ومعناه ان وجود على عليه السلام منع من حصول الهلاك لعمر فكذلك هاهنا فقوله : «ولو لا ان ثبتناك» معناه لولا حصل تثبيت الله لك يا محمد . فكان تثبيت الله مانعاً من حصول ذلك الركون .

وعن الثالث: ان التهديد على المعصية لا يدل على الاقدام عليها والدليل عليه آيات منها قوله تعالى: «ولو تقول علينا بعض الاقاويل. لاخذنا منه باليمين». الايات وقوله تعالى: «لئن اشركت». وقوله «ولا تطع الكافرين» (١) .

## ادلة المخطئة

لقد اطلعت في صدر البحث عن عصمة النبي الاعظم على ان هناك آيات وردت في حق النبي ﷺ قد صارت ذريعة لبعض المخطئة الذين يحاولون انكار العصمة وهي عدة آيات :

## الاولى : العصمة والخطابات الحادة :

هناك آيات تخاطب النبي بلحن حادوتنهاه عن اتباع اهواء المشركين والشرك بالله والجدال عن الخائنين وغير ذلك مما يوههم وجود ارضية في نفس النبي ﷺ لصدور هذه المعاصي الكبيرة عنه واليك هذه الايات مع تحليلها .

١ - «ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير» . (البقرة - ١٢٠)

وقد جاءت الاية في نفس هذه السورة بتفاوت في الذيل فقال بدل قوله : «مالك من الله من ولي ولا نصير» ، «انك اذا لمن الظالمين» (البقرة - ١٤٥) كما جاءت ايضا في سورة الرعد غير انه جاء بدل قوله «ولا نصير» ، «ولا واق» . وعلى اى حال فقد تمسكت المخطئة بالقضية الشرطية على ارضية متوقعة في نفس النبي لاتباع اهواءهم والافلاوجه للوعيد . ولكن الاستدلال على درجة من الوهن اذ لا تدل القضية الشرطية الا على الملازمة بين الشرط والجزاء . لا على تحقق الطرفين ولا على امكان تحققهما . وهذا من الواضح بمكان . قال سبحانه ، «لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا» (الانبياء - ٢٢) وليس فيها اى دلالة على تحقق المقدم او التالي . وبما ذكرنا يتضح حال الايتين التاليتين :

٢ - انه سبحانه يخاطب النبي ﷺ بقضايا شرطية كثيرة قال سبحانه «ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ثم لاتجد لك به علينا وكيلا الارحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا» . (الاسراء - ٨٦ - ٨٧)

ومن المعلوم المقطوع به انه سبحانه لا يستلب منه ما اوحى اليه .



٣- قال سبحانه: «ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليعبطن عملك ولتكونن من الخاسرين» (الزمر - ٦٥) وقال ايضا «ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين» (الحاقة ٤٤ - ٤٦) فهذه الايات ونظائرها التى تحكى عن القضية الشرطية لاندل على ما يرتأيه الخصم بوجه من الوجوه اى وجود ارضية متوقعة لصدور هذه القضايا. وذلك لوجهين :

الف : ان هذه الايات تخاطب النبى ﷺ بما انه بشرذ وغرائز جامحة بصاحبها ففى هذا المجال يصح ان يخاطب النبى بانه لو فعل كذا لقبول بكذا . وهذا لا يكون دليلا على امكان وقوع العصيان منه بعد ما تشرف بالنبوة وجهز بالعصمة وتلفح بالرعاية الربانية، فالايات التى تخاطب النبى ﷺ بما هو بشر لاتعم ذلك المجال .

ب : ان هذه الايات تركز على الجانب التربوى والهدف تعريف الناس بوظائفهم وتكليفهم امام الله سبحانه . فاذا كان النبى ﷺ - نبى العظمة - محكوماً بهذه الاحكام ومخاطباً بها فغيره اولى ان يكون محكوماً بها .

وعلى ذلك فتكون الايات واردة مجرى «اياك اعنى واسمعى يا جارة» فهؤلاء الذين يتخذون تلك الايات وسيلة لانكار العصمة، غير مطلعين «على الفباء» القرآن وبذلك يظهر مفاد كثير من الايات النازلة فى هذا المجال ، يقول سبحانه عند ما يأمره بالصلاة الى المسجد الحرام .

٤- «الحق من ربك فلا تكونن من الممترين» (البقرة - ١٤٧) ويريد بذلك تعليم الناس ان لا يقيموا وزناً لارجاف المرجفين فى العدول بالصلاة من بيت المقدس الى المسجد الحرام ، كما يحكى سبحانه وتعالى عنهم بقوله: «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها» . . . (البقرة - ١٤٢) .

٥- انه سبحانه يبطل ألوهية المسيح عليه السلام بحجة انه وليد مريم عليها السلام بان تولده بلا اب، يشبه تكون آدم من غير اب ولا ام ، قال سبحانه : « ان مثل

عيسى عند الله كممثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» فعند ذلك يخاطب النبي ﷺ بقوله : «الحق من ربك فلا تكن من الممترين». (آل عمران ٥٩-٦٠) ولا شك ان الخطاب جرى مجرى ما ذكرنا : «اياك اعنى واسمعى يا جاره» فان النبي الاعظم بعد ما اتصل بعالم الغيب وشاهد ورأى الملائكة وسمع كلامهم هل يمكن ان يتسرب اليه الشك حتى يصح ان يخاطب بقوله: «فلا تكن من الممترين» على الجد والحقيقة ؟

٦- انه سبحانه يخاطب النبي الاكرم ﷺ عندما جلس على كرسي القضاء بقوله: «ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خواناً أثيماً» (النساء - ١٠٧) فالاية تكلف النبي ان لا يدافع عن الخائن ومن الواضح ان النبي ﷺ لم يكن في زمن حياته مدافعاً عن الخائن وانما هو خطاب عام اريد منه تربية المجتمع وتوجيهه الى هذه الوظيفة الخطيرة ، وبما ان اكثر الناس لا يتحملون الخطاب الحاد ، بل يكون مرأً فسي اذواق اكثرهم ، اقتضت الحكمة ان يكون المخاطب ، غير من قصد له الخطاب .

٧ - وعلى ذلك يحمل قوله سبحانه : «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله ولا تكن للخائنين خصيماً» . (النساء - ١٠٥) واخيراً نقول : ان سورة الاسراء تحتوى على دساتير رفيعة المستوى، ترجع الى وظائف الامة : الفردية والاجتماعية وهو سبحانه يبتدىء الدساتير بقوله : «لا تجعل مع الله الهاً آخر فتتعد مذموماً مخذولاً» (الاسراء - ٢٢) وفي الوقت نفسه يختمها بنفس تلك الاية باختلاف يسير فيقول : «ولا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً» . (الاسراء ٣٩)

فهذه الخطابات واشباهها وان كانت موجهة الى النبي ﷺ لكن قصدتها عامة الناس لنكتة سبق ذكرها ، والا فالنبي الاعظم ﷺ اعظم من ان يشرك بالله تعالى بعد تشرفه بالنبوة كيف وهو الذي كافح الوثنية منذ نعومة اظفاره الى ان بعث نبياً من الله سبحانه لهدم الشرك وعبادة غير الله تبارك وتعالى .



وقس على ذلك كلما يمر عليك من الايات التي تخاطب النبي ﷺ بلحن شديد . فتفسير الجميع بالوجهين اللذين قدمنا ذكرهما .

### الاية الثانية : العصمة والعتو والاعتراض :

كان النبي الاعظم ﷺ بصدد خلق مجتمع مجاهد يقف في وجه الروم الشرقية ، فاذن بالجهاد الى ثغرها (تبوك) . فلبت دعوته زرافات من الناس بلغت ثلاثين الف مقاتل . الا ان المنافقين ابوا الاشتراك في صفوف المجاهدين ، فتعلقوا باعذار واستأذنوا في الإقامة في المدينة ، واذن لهم النبي الاكرم وفي هذا الشأن نزلت الآية التالية .

«عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين» .

(التوبة - ٤٣) .

والاية تصرح بعفوه سبحانه عنه كما يقول : «عفا الله عنك» كما تتضمن نوع اعتراض على النبي حيث اذن لهم في عدم الاشتراك . كما يقول : «لم اذنت لهم» وعندئذ يقرض هذا السؤال نفسه :

الف : كيف يجتمع العفو مع العصمة ؟

ب : ما معنى الاعتراض على اذن النبي ؟

ج : اما الجملة الاولى : فتوضيحا بوجهين .

الاول : انها انما تدل على صدور الذنب - علني فرض التسليم - اذا كانت

جملة خبرية حاكية عن شمول عفو سبحانه للنبي في الزمان الماضي . واما اذا

كانت خبرية ولكن اريد منها الانشاء وطلب العفو كما في قوله «ايدك الله»

«غفر الله لك» فالدلالة ساقطة ، ان طلب العفو والمغفرة للمخاطب نوع دعاء

وتقدير وتكريم له .

وثانيا : ليس على اديم الارض انسان يستغنى عن عفو ومغفرته سبحانه حتى

الاولياء والانباء . لان الناس بين كونهم خاطئين في الحياة الدنيا ، وكونهم

معصومين ووظيفة الكل هي الاستغفار .  
 اما الطائفة الاولى فواضحة . واما الثانية فلو قوفهم على عظمة الرب وكبر  
 المسؤولية وان هنا امور اكان الاليق تركها او الايمان بها وان لم يأمر بها الرب امر  
 فرض ، اولم ينه عنها نهى تحذير . والمتروك منهم غير المترقب من غيرهم .  
 ولاجل ذلك كان الانبياء يستغفرون كل يوم وليلة قائلين : « ما عرفناك  
 حق معرفتك وما عبادناك حق عبادتك » .  
 وحاصل الوجهين : ان طلب العفو نوع تكريم واحترام للمخاطب بصورة  
 الدعاء وليس اخباراً عن واقعية محققة حتى يستلزم صدور ذنب من المخاطب ،  
 ومن جانب آخر ان كل انسان مهما كان في الدرجة العالية من التقوى . يرى  
 في اعماله حسب عرفانه واستشعاره عظمة الرب وكبر المسؤولية ، انما هو الاليق  
 خلاف ما وقع منه ، فتوحى اليه نفسه الزكية ، طلب العفو والمغفرة لانه آتار  
 هذا التقصير في الاجل والعاجل .

#### واما الجملة الثانية :

فلا شك انها تتضمن نوع اعتراض على النبي ﷺ لكن لاعلى صدور ذنب  
 او خلاف منه ، بل لان اذنه كان مفوتا لمصلحة له وهو معرفة الصادق في ايمانه ،  
 من الكاذب في ادعائه . كما يعرب عنه قوله : « حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم  
 الكاذبين » .

توضيحه : ان المنافقين كانوا مصممين على عدم الخروج مع المؤمنين الى  
 غزو الروم وكان لهم تخطيط في غياب النبي ﷺ ابطله النبي ﷺ بتخليفه علياً  
 مكانه . قال سبحانه : « ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم  
 فثبطهم وقيل اعدوا مع الفاعدين » ( التوبة - ٤٦ ) والاية تدل على انهم كانوا  
 عازمين على الإقامة في المدينة وكان الاستئذان نوع تغطية لقبح عملهم حتى  
 يتظاهروا بان عدم ظعنهم مع المؤمنين كان باذن من النبي .



ومن جانب آخر انهم لو خرجوا مع المسلمين ما زادوهم الافتنة وخبالا واضعافاً لعزائم المؤمنين ، وفيهم سماعون لهم يتأثرون بدعاياتهم واغوائهم كما يقول سبحانه : «لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم ببغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليهم بالظالمين» . (التوبة - ٤٧)

وبما انهم كانوا عازمين على القعود اولا ، وعلى الاضرار والفتنة في جهات الحرب ثانياً - لذلك - لم تكن في الاذنية تبعه سوى فوت تمييز الخبيث من الطيب ، ومعرفة المنافق من المؤمن اذ لو لم يأذن لهم لظهر فسقهم وتمردهم على كلام النبي ﷺ ، ومثل هذا لا يعد عمل خلاف حتى يكون الاعتراض عليه دليلاً على صدور الذنب .

ولو كانت المخطئة عارفة باساليب البلاغة وفنون الكلام لعرفت ان اسلوب الكلام في الاية ، اسلوب عطف وحنان ، واشبه باعتراض الولي الحميم ، على الصديق الوفي ، اذا عامل عدوه الغاشم بمرونة ولينة فيقول بلسان الاعتراض: لما ذا اذنت له ولم تقابله بخشونة حتى تعرف عدوك من صديقك ، ومن وفسى لك ممن خانك . على انه وان فات النبي معرفة المنافق عن هذا الطريق لكنه لم يفقه معرفته من طريق آخر ، صرح به القرآن في غير هذا المورد ، فان النبي الاكرم كان يعرف المنافق وغيره عن المؤمن من طريقين آخرين :

١ - كيفية الكلام ويعبر عنه القرآن بلحن القول وذلك ان الخائن مهما اصر على كتمان خيافته ، تظهر بوادرها في ثنايا كلامه ، قال امير المؤمنين (ع) : ما اضمر احد شيئاً الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه (١) وفي ذلك يقول سبحانه : «ولو نشاء لارينا كههم فلعر فتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم» . (محمد - ٣٠)

٢ - التعرف عليهم بتعليم منه سبحانه قال : «ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث وما كان الله ليطلعكم

على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء» (آل عمران - ١٧٩) والدقة في الآية تفيد بان الله سبحانه يجتبي من رسله من يشاء وبطلعه على الغيب ويعرف من هذا الطريق الخبيث ويميزه عن الطيب .  
وعلى ذلك فلم يفت على النبي الاكرم شيء وان فاتته معرفة المنافق من هذا الطريق ولكنه وقف عليها من الطريق الاخر او الطريقين الاخرين .

### الآية الثالثة : العصمة والامر بطلب المغفرة

انه سبحانه يا مرنبه الاعظم ، بطلب الغفران منه ويقول مخاطباً رسوله : «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله ولا تكن للخائنين خصيماً . واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيماً» (النساء - ١٠٥ - ١٠٦) ويقول سبحانه : «فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثويكم» (محمد - ١٩) وعندئذ يخطر في ذهن الانسان : كيف تجتمع العصمة مع الامر بطلب الغفران ؟

اقول : التعرف على ما رمى الايتين ونظائرها . رهن الوقوف على الاصل المسلم بين العقلاء ، وهوان عظمة الشخصية وخطر المسؤولية متحالفان . ورب عمل يعد صدوره من شخص جرمياً وخلاقاً ، وفي الوقت نفسه لا يعد صدوره من انسان آخر كذلك .

توضيح ذلك : ان الاحكام الشرعية تنقسم الى واجب و حرام و مستحب ومكروه ومباح . ولا محيص عن الاتيان بالواجب وترك الحرام . نعم هناك رخصة في ترك المستحب والاتيان بالمكروه ولكن المترقب من العارف بمصالح الاحكام ومفاسدها ، تحلية الواجبات بالمستحبات ، وترك المحرمات مع ترك المكروهات ولا يقصر عنه المباح فهو وان اباحه الله سبحانه ولكن ربما يترجح فعله على تركه او العكس لعنوان ثانوي .

فالعارف بعظمة الرب يتحمل من المسؤولية ما لا يتحمله غيره ، فيكون



المتقرب منه غير ما يتقرب من الآخر ، ولو صدر منه ما لا يليق ، وتساهل في هذا الطريق ، يتأكد منه الاستغفار وطلب المغفرة . لالصدور الذنب منه ، بل من باب قياس عمله الى علو معرفته وعظمة مسؤوليته . وان شئت فاستوضح ذلك من ملاحظة حال المتحضر والبدوي . فالمرجو من الاول القيام بالاداب والرسوم الرائجة في الحضارات الانسانية ، ولكن المرجو من الثاني ايسر الرسوم والاداب . فمما ذلك الاختلافهما من ناحية التربية والمعرفة . كما ان الترقب من نفس المتحضرين مختلف جداً . فالمأمول من المثقف اشد واكثر من غيره كما ان الانضباط المرجو من الجندي يغاير المتقرب من غيره . والغفلة القصيرة من العاشق يعد جرماً وخلافاً في منطق العشق ، وليست كذلك اذا صدرت من غيره .

وهذه الامثلة ونظائرها الوافرة تثبت الاصل الذي اوعزنا اليه في صدر البحث من ان عظمة الشخصية وكبر المسؤولية متحالفان وأن الوظائف لا تنحصر في الاتيان بالواجبات ، والتحرز عن المحظورات بل هناك وظائف اخرى ، وكلما زاد العلم والعرفان توفرت الوظائف وتكثرت المسؤوليات ولاجل ذلك تعد بعض الغفلات واقتراف المكروهات من الادبياء ذنباً وهو في الواقع ليس بالنسبة الى الانبياء ذنباً مطلقاً بل ذنب اذا قيس الى ما اعطوا من الايمان والمعرفة ولو قاموا بطلب المغفرة والعفو ، فانما هو لاجل هذه الجهات .

نرى ان شيخ الانبياء ، نوحاً يقول : «رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين مؤمناً» (نوح - ٢٨) ويقتفيه ابراهيم ويقول : «ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب» (ابراهيم - ٤١) . ويقول النبي الاعظم «سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير» . (البقرة - ٢٨٥)

والمنشأ الوحيد لهذا الطلب مرة بعد اخرى هو وقوفهم على ان ما قاموا به من الاعمال والطاعات وان كانت في حد نفسها بالغة حد الكمال لكن المطلوب والمتقرب منهم اكمل وافضل منه .

وعلى ذلك يحمل ما رواه مسلم في صحيحه عن المزني عن النبي ﷺ قال:  
ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة. (١)  
وقد ذكر المحدثون حول الحديث نكات عرفانية من اراد التعرف عليها  
فليرجع الى كتاب شفاء القاضى .

يقول العلامة المحقق على بن عيسى الاربلى: الانبياء والائمة عليهم السلام  
تكون اوقاتهم مشغولة بالله تعالى، وقلوبهم مملوءة به وخواطرهم متعلقة بالمبدء .  
وهم ابدأ فى المراقبة كما قال (ع) اعبدا الله كأنك تراه . فان لم تراه ، فانه يراك  
فهم ابدأ متوجهون اليه و مقبلون بكلهم عليه ، فمتى انحطوا عن تلك المرتبة  
العالية ، والمنزلة الرفيعة السى الاشتغال بالاكل و الشرب والتفرغ الى النكاح  
وغيره من المباحات، عدوه ذنبا واعتقدوه خطيئة واستغفروا منه.

والى هذا اشار ﷺ «انه ليران على قلبي واني لاستغفر الله بالنهار سبعين  
مرة» ولفظة سبعين ترجع الى الاستغفار لالى الرين. وقوله حسنات الابرار سيئات  
الاقربين . . . فقد بان بهذا انه كان يعد اشتغاله فى وقت ما، بما هو ضرورة للابدان  
معصية يستغفر الله منها . وعلى هذا فقس البواقى و كلما يرد عليها من امثالها ...  
ثم قال : ان هذا معنى شريف يكشف بمدلوله حجاب الشبهة ويهدى به الله من  
حسر عن بصره و بصيرته رين العمى والعمه ( ٢ ) . وما ذكره من الجواب فانما  
يتمشى مع الايات التى تمسك بها المخالف . واما الادعية التى اعترف فيها  
الائمة بالذنب من قوله فى الدعاء الذى علمه لكميل بن زياد : «اللهم اغفر لى  
الذنوب التى تجبس الدعاء ، اللهم اغفر لى الذنوب التى تنزل النقم» فهذا من باب  
التعليم للناس . واما ما كانوا يناجون ربهم فى ظلمات الليل وفى سجدياتهم فيحمل  
على ما حققه العلامة الاربلى و اوضحنا حاله .

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ٧٢ باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه . وقوله «ليغان»

من الغين بمعنى السترو والحجاب والمزن

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٤٣-٤٥



### الاية الرابعة : العصمة وغفران الذنب :

اذا كان النبي الاعظم ﷺ معصوماً من العصيان ومصوناً من الذنب فكيف اخبر سبحانه عن غفران ذنبه : ما تقدم منه وما تاخر . قال سبحانه : « انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً » . (الفتح ١-٣)

الجواب : ان الاية تعدا كبر مستمسك لمخطئة عصمة الانبياء مع ان امعان النظر في فقرات الايات خصوصاً في جعل غفران الذنب غاية للفتح المبين . يوضح المقصود من الذنب وان المراد منه الاتهامات والنسب التي كانت الاعداء تصفه بها وان ذلك الفتح المبين دل على افتعالها وعدم صحتها من اساسها وظهر صحيفه حياته عن تلك النسب، واليك توضيح ذلك ببيان امور :

#### ١ - ما هو المراد من الفتح في الاية ؟

لقد ذكر المفسرون هنا وجوها فترددوا بين كون المقصود فتح مكة ، او فتح خيبر ، او فتح الحديبية .

لكن سياق آيات السورة لا يساعد الاحتمالين الاولين لانها ناظرة الى قصة الحديبية والصلح المنعقد فيها في العام السادس من الهجرة ، والفتح الذي يخبر عن تحققه ووقوعه ، يجب ان يكون متحققاً في ذاك الوقت ، و اين هو من فتح مكة الذي لم يتحقق الا بعد عامين من ذاك الصلح حيث ان النبي ﷺ فتحها في العام الثامن من هجرته .

ولاجل ذلك حاول من قال ان المراد منه فتح مكة، ان يفسره: بان اخباره عن الفتح، بمعنى قضاؤه وتقديره ذاك الفتح ، والمعنى قضى ربك وقد رذاك الفتح المبين ، فالقضاء كان متحققاً في ظرف النزول وان لم يكن نفس الفتح متحققاً . ولكنه تكلف غير محتاج اليه . وقصة الحديبية وان كانت صلحا في الظاهر

على ترك الحرب والهدنة الى مدة معينة لكن ذاك الصلح فتح ابواب الظفر للنبي ﷺ في الجزيرة العربية وفسح للنبي ان يتوجه الى شمالها ويفتح قلاع خيبر، ويسيطر على مكامن الشر والمؤامرة، ويبعث الدعاة والسفراء الى ارجاء العالم ويسمع دعوته اذن الدنيا . كل ذلك الذي شرحناه في ابحاثنا التاريخية كان ببركة تلك الهدنة . وان كان بعض اصحابه يحقرها ويندد بها في اوائل الامر . لكن مرور الزمان ، كشف النقاب عن عظمتها و ثمارها الحلوة . فصح ان يصفها القرآن بـ «الفتح المبين» .

وعلى كل حال : فسياق الايات يدل بوضوح على ان المراد من الفتح هو وقعة الحديبية قال سبحانه : «ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يدالله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه و من اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتية اجرا عظيماً» (الفتح - ١٠) . وايضاً يقول : «لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحاً قريباً» (الفتح- ١٠٨) وقال ايضاً : «وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً» . (الفتح - ٢٤) ولاشك ان المراد من البيعة هويبة الرضوان التي بايع المؤمنون فيها النبي الاكرم تحت الشجرة واعرب سبحانه عن رضاه عنهم .

روى الواحدى عن انس : ان ثمانين رجلاً من اهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي ﷺ واصحابه فاخذهم اسراء فاستحياهم . فانزل الله «وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم» . (١)

اضف الى ذلك انه سبحانه يخبر في نفس السورة عن فتح قريب ، وهذا يعرب عن ان الفتح المبين غير الفتح القريب . قال سبحانه : «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون



فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً (الفتح - ٢٧). وهذا الفتح القريب اما فتح خيبر او فتح مكة، والظاهر هو الثاني. واما رؤيا النبي فقد تحققت في العام القابل، عام عمرة القضاء، فدخل النبي ﷺ والمؤمنون مكة المكرمة آمنين محلقين رؤسهم و مقصرين و أقاموا بها ثلاثة ايام ثم خرجوا متوجهين الى المدينة، وذلك في العام السابع من الهجرة، وفي العام الثامن توفق النبي لفتح مكة وتحقق قوله سبحانه: «فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً».

هذا كله حسب سياق الايات واما الروايات فهي مختلفة بين تفسيرها بالحديبية، وتفسيرها بفتح مكة، والقضاء فيها مو كقول الى وقت آخر. ولا يؤثر هذا الاختلاف فيما نحن بصدده في المقام.

#### ٢ - ماهو المراد من الذنب؟

قال ابن فارس في المقاييس ذنب: له اصول ثلاثة: احدها الجرم، والاخر: مؤخر الشيء. والثالث: كاللحظ والنصيب (١).

وقال ابن منظور: الذنب: الاثم والجرم والمعصية والجمع ذنوب، وذنوبات جمع الجمع. وقد اذنب الرجل. وقوله عز وجل في مناجاة موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام «ولهم على ذنب» (الشعراء - ١٤) عنى بالذنب قتل الرجل الذي و كرهه موسى ففضى عليه وكان الرجل من آل فرعون (٢).

وقد وردت تلك اللفظة في الذكر الحكيم سبع مرات واريدها في الجميع الجرم قال سبحانه: «غافر الذنب وقابل التوب» (غافر-٣) وقال عز وجل «واذا المؤودة سئلت باي ذنب قتلت».

وعلى ذلك فكون الذنب بمعنى الجرم مما لا ريب فيه. غير ان الذي يجب التنبيه عليه، هو ان اللفظ لا يدل على ازيد من كون صاحبه عاصياً وطاغياً وناقضاً

(١) معجم مقاييس اللغة ج ٢ ص ٢٦١

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩

للقانون. واما الذي عصى وطغى عليه ونقض قانونه فهو يختلف حسب اختلاف البيئات والظروف ، وليست خصوصية العصيان لله سبحانه ماخوذة في صميم اللفظ بحيث لو اطلق ذلك اللفظ يتبادر منه كونه سبحانه هو المعصى امره ، وانما تستفاد الخصوصية من القرائن الخارجية ، وهذا هو الاساس لتحليل الاية وفهم المقصود منها .

### ٣ - الغفران في اللغة .

الغفران في اللغة ، هو : الستر ، قال ابن فارس في المقاييس : عظم بابه الستر ، ثم يشذ عنه ما يذكر . فالغفر الستر . والغفران والغفر بمعنى . يقال : غفر الله ذنبه غفراً ومغفرة وغفراناً (١) وقال في اللسان بمثله (٢) .

### ٤ - الفتح لغاية مغفرة الذنب .

الاية تدل على ان الغاية المتوخاة من الفتح هي مغفرة ذنب النبي ﷺ ما تقدم منه وما تأخر ، غير ان في ترتب تلك الغاية على ذنبها غموضاً في بادىء النظر والانسان يستفسر في نفسه كيف صار تمكينه سبحانه نبيه من فتح القلاع والبلدان او المهادنة والمصالحة في ارض الحديدية مع قريش ، سبباً لمغفرة ذنوبه ، مع انه يجب ان تكون بين الجملة الشرطية والجزائية رابطة عقلية او عادية بحيث تعد احدهما علة لتحقيق الاخرى او ملازمة لها . وهذه الرابطة خفية في المقام جداً ، فان تمكين النبي من الاعداء والسيطرة عليهم يكون سبباً لانتشار كلمة الحق ورفض الباطل واستطاعته التبليغ في المنطقة المفتوحة ، فلو قال : انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، لتتمكن من الاصحار بالحق ونشر التوحيد ، ودحض الباطل ، كان الترتب امرأً طبيعياً ، وكانت الرابطة محفوظة بين الجملتين .

(١) معجم مقاييس اللغة ج ٤ ص ٣٨٥

(٢) لسان العرب ج ٥ ص ٢٥



واما جعل مغفرة ذنوبه جزاء لفتح صقعا من الاصقاع، فالرابطة غير واضحة وهذه هي النقطة الحساسة في فهم مفاد الآية وبالتالي دحض زعم المخطئة في جعلها ذريعة لعقيدتهم . ولوتبينت صلة الجملتين لاتضح عدم دلالتها على ماتبيناه تلك الطائفة .

فنقول : كانت الوثنية هي الدين السائد في الجزيرة العربية، وكانت العرب تقدس اوثانهم وتعبد اصنامهم ، وتطلب منهم الحوائج ، وتتقرب بعبادتها الى الله سبحانه هذا من جانب .

ومن جانب آخر : جاء النبي الاكرم ﷺ داعياً الى التوحيد في مجالى الخلق والامر، والى حصر التقديس والعبادة في الله ، وانه لامعبود سواه ولاشفيع الا باذنه ، فاخذ بتحطيم الوثنية ورفض عبادة الاصنام وانها اجسام بلا ارواح لا يملكون شيئاً من الشفاعة والمغفرة ، ولا يقدرون على الدفاع عن انفسهم فضلا عن عبدتهم فصارت دعوته ثقيلة على قريش واذنابهم ، حتى ثارت ثائرتهم على النبي الاكرم . فقابلوا برهنة النبي بالبذاءة والشغب والسب والنسب المفتعلة فوصفوه بانه كاهن وساحر ومفتر وكذاب . وقد اعربوا عن نواياهم السيئة عند مارفعوا الشكوى الى سيد الاباطح وقالوا : ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلى بيننا وبينه (١).

ولما وقف النبي ﷺ على كلام قومه عن طريق عمه اظهر صموده وثباته في طريق رسالته بقوله: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ، ماتر كته قال : ثم استعبر فبكى ثم قام . فلما ولي ناداه ابوطالب فقال : اقبل يا بن اخي . قال : فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: اذهب يا بن اخي فقل ما احببت فوالله ما اسلمك لشيء ابداً». (٢)

(١) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٥

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٨٥ من الطبعة الحديثة

فلما وقفت قريش على صمود ابن اخي ابي طالب شرعوا بالمؤامرة والتخطيط عليه حتى قصدوا اغتياله في عقر داره فنجاه الله من ايديهم .  
ولما استقر النبي ﷺ في يثرب واعتز بنصرة الانصار ومن حولها من القبائل جرت بينه وبين قومه حروب طاحنة ادت الى قتل سنايد قريش واراقة دمائهم على وجه الارض في بدر و«احد» ووقعة الاحزاب.

فهذه الحوادث الدامية عند قريش، المرة في اذواقهم بما انها جرت الى ذهاب كيانهم ، وحدثت التفرقة في صفوفهم ، والفتك بسنايدهم على يد النبي الاكرم ، صورته في مخيلتهم وخزائنه اذهانهم صورة انسان مجرم مذنب قام في وجد سادات قومه ، فسب آلهتهم وعاب طريقتهم بالكهانة والسحر والكذب والافتراء ، ولم يكتف بذلك حتى شن عليهم الغارة والعدوان فصارت ارض يثرب وما حولها ، مجازر لقريش ومذابح لاسيادهم ، فاي جرم اعظم من هذا واي ذنب اكبر منه عندهؤلاء الجهلة الغفلة، الذين لا يعرفون الخير من الشرير، والصديق من العدو ، والمنجي من المهلك ؟

فاذن ماهو الامر الذي يمكن ان يبرئه من هذه الذنوب ويرسم له صورة ملكوتية فيها ملامح الصدق والصفاء ، وعلائم العطف والحنان حتى تقف قريش على خطئها وجهلها .

ان الامر الذي يمكن ان ينزه ساحته من هذه الاوهام والاباطيل ، ليست الا الواقعة التي تجلت فيها عواطفه الكريمة ، ونواياه الصالحة ، حيث تصالح مع قومه الذين قصدوا الفتك به وقتله في داره، واخرجوه من موطنه ومهاده ، بعطف ومرونة خاصة ، حتى اثارت تعجب الحضار من اصحابه ومخالفيه ، حيث تصالح معهم على انه «من اتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريش ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وانه من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (١) .



وهذا العطف الذى ابداه النبي ﷺ فى هذه الواقعة مع كونه من القدرة  
بمكان، وقريش فى حالة الانحلال والضعف، صور من النبي ﷺ عند قومه واتباعه  
صورة انسان مصلح يحب قومه ويطلب صلاحهم ولا يتروقه الحرب والدمار والجدال  
فوقفوا على حقيقة الحال، وعضوا الانامل على ما فعلوا عليه من النسب وندموا  
على ما فعلوا، فصاروا يميلون الى الاسلام زرافات ووحداناً. فاسلم خالد بن  
الوليد، وعمر بن العاص، والتحقا بالنبي قبل ان يسيطر النبي ﷺ على مكة  
وحواليها.

ان هذه الواقعة التى لمس الكفار منها خلقه العظيم، رفع الستار الحديدى  
الذى وضعه بعض اعدائه الالقاء بينه وبين قومه فعرفوا. ان ما يرمى به نبي العظمة  
ويوصف به بين اعدائه، كانت دعايات كاذبة وكان هو منزهاً عنها، بل عن الاقل منها  
ولا تقصر عن هذه الواقعة، فتح مكة، فقد واجه قومه مرة اخرى وهم فى  
هزيمة نكراء. ملتفون حوله فى المسجد الحرام فخطبهم بقوله: ماذا تقولون  
وماذا تظنون؟! فاجابوا: نقول خيراً ونظن خيراً اخ كريم وابن اخ كريم  
وقدرت. فقال رسول الله ﷺ: لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم  
الراحمين (١).

وهذا الفتح العظيم وقبله وقعة الحديدية اثبتا بوضوح ان النبي الاعظم  
صلى الله عليه وآله وسلم اكرم واجل واعظم من ان يكون كاهناً او ساحراً، اذ  
الكاهن والساحر ادون من ان يقوم بهذه الامور الجليلة كما ان لطفه العميم  
وخلقه العظيم آية واضحة على انه رجل مثالى صدوق، لا يفترى ولا يكذب،  
وان ماجرى بينه وبين قومه من الحروب الدامية. كانت نتيجة شفاقهم وجدالهم  
ومؤامراتهم عليه، مرة بعد اخرى فى موطنه ومهجره، فجعلوه فى قفص الاتهام اولاً،  
وواجهوا انتصاره واعوانه بالوان التعذيب ثانياً، فقتل من قتل واودى من اودى،

(١) المغازى للواقدي ج ٢ ص ٨٣٥ وبحار الانوار ج ٢١ ص ١٠٧ - ١٣٢ من

وضربوا عليه والمؤمنين به ، حصاراً اقتصادياً فمنعواهم من ضروريات الحياة ثالثاً . وعمدوا الى قتله في عقر داره رابعاً . ولولا جرائمهم الفظيعة لما اخضرت الارض بدمائهم ولالقي منهم بشيء يكرهه فاصبحت هذه الذنوب التي كانت تدعيها قريش على النبي بعد وقعة الحديبية، او فتح مكة، اسطورة خيالية قضت عليها سيرته في كل من الواقعتين من غير فرق بين ما الصقوا به قبل الهجرة او بعدها . وعند ذلك يتضح مفاد الايات كما يتضح ارتباط الجملتين: الجزائية والشرطية ، ولولا هذا الفتح كان النبي محبوساً في قفص الاتهام ، وقد كسرت هذه الواقعة وعرفته نزيها عن كل هذه التهم .

وعلى ذلك فالمقصود من الذنب هو ما كانت قريش تصفه به ، كما ان المراد من المغفرة ، اذهاب آثار تلك النسب في المجتمع .

والى ما ذكرنا يشير مولانا الامام الرضا عليه السلام عندما سأله المأمون عن مفاد الآية فقال : « لم يكن احد عند مشركي اهل مكة اعظم ذنباً من رسول الله ﷺ لانهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً ، فلما جاءهم بالدعوة الى كلمة الاخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا : اجعل الالهة الها واحداً ان هذا لشيء عجاب . وانطلق المأ منكم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الاختلاق » (سوره ص - ٥ - ٧) فلما فتح الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ مكة . قال له يا محمد : « انا فتحنا لك (مكة) فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » عند مشركي اهل مكة بدعائك الى توحيد الله عز وجل فيما تقدم وما تأخر ، لان مشركي مكة، اسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ، ومن بقي منهم لم يقدر على انكار التوحيد عليه اذا دعا الناس اليه . فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم .

فقال المأمون : لله درك يا ابا الحسن (١) .

وقد اشرنا في صدر البحث الى اختلاف الروايات في المراد من الفتح الوارد

(١) بحار الانوار ج ١٧ ص ٩٠ من الطبعة الحديثة .



في الآية وقلنا بان هذا الاختلاف لا يؤثر فيما ترتبه . فلا حظ .

### الاية الخامسة : العصمة والتولى عن الاعمى .

استدل المخالف لعصمة النبي الاعظم بالعتاب الوارد في الايات التالية «عيس وتولى . ان جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . او يذكر فتنفعه الذكرى . امامن استغنى . فانت له تصدى . وما عليك الايزكى . وامامن جائك يسعى . وهو يخشى فانت عنه تلهي» . (عيس - ١ - ١٠)

روى المفسرون ان عبدالله بن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله وهو يناجى عتبة بن ربيعة واباجهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب واييآ وامية ابني خلف يدعوهم الى الله ويرجو اسلامهم ، فقال عبدالله اقرئني وعلمني مما علمك الله . فجعل ينادى ويكرر النداء ولا يدري انه مشغول مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله لقطعته كلامه ، وقال في نفسه : يقول هؤلاء الصناديد انما اتباعه العميان والسفلة والعييد ، فعبس عليه السلام واعرض عنه واقبل على القوم الذين يكلمهم . فنزلت الايات و كان رسول الله بعد ذلك يكرمه واذا رآه يقول : مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ( ١ ) ويقول : هل لك من حاجة ، واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين . ( ٢ )

وهناك وجه آخر لسبب النزول روى عن ائمة اهل البيت ، وحاصله ان الاية نزلت في رجل من بنى امية كان عند النبي عليه السلام فجاء ابن ام مكتوم فلما رآه تقدر منه وجمع نفسه وعبس واعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك وانكره عليه ( ٣ ) .

والاعتماد على الرواية الاولى مشكل ، لان ظاهر الايات عتاب لمن يقدم

(١) اسباب النزول للواحدى ص ٢٥٢ .

(٢) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧ وغيره من التفاسير .

(٣) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧ وتفسير القمى ج ٢ ص ٤٠٥

الاعنياء والمترفين، على الضعفاء والمساكين من المؤمنين، ويرجع اهل الدنيا ويضع اهل الآخرة، وهذا لا ينطبق على النبي الاعظم من جهات :

الاولى: انه سبحانه حسب هذه الرواية وصفه بأنه يتصدى للاغنياء ويتلهى عن الفقراء، وليس هذا ينطبق على اخلاق النبي الواسعة وتحننه على قومه وتعطفه عليهم، كيف وقد قال سبحانه «لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» (التوبة - ١٢٨)

الثانية: انه سبحانه وصف نبيه في سورة القلم، وهي ثانية السور التي نزلت في مكة (واولها سورة العلق) بقوله: «وانك لعلى خلق عظيم» (القلم - ٤) ومع ذلك كيف يصفه بعد زمن قليل بخلافه، فاين هذا الخلق العظيم مما ورد في هذه السورة من العبوسة والتولي؟ وهذه السورة حسب ترتيب النزول وان كانت متأخرة عن سورة القلم، لكنها متقاربة معها حسب النزول ولم تكن هناك فاصلة زمنية طويلة الامد (١)

الثالثة: انه سبحانه يأمر نبيه بقوله: «وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» (الشعراء - ٢١٤ - ٢١٥) كما يأمره ايضا بقوله «اخفض جناحك للمؤمنين» (الحجر - ٨٨) فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين» (الحجر - ٩٤)

ان سورتي الشعراء والحجر. وان نزلتا بعد سورة «عبس» لكن تضافرت الروايات على ان الايات المذكورة في السورتين نزلت في بدء الدعوة، اى العام الثالث من البعثة عندما امره سبحانه بالجهر بالدعوة والاصحار بالحقيقة وعلى ذلك فهي متقدمة حسب النزول على سورة «عبس» او يصح بعد هذه الخطابات، ان يخالف النبي هذه الخطابات بالتولي عن المؤمن؟ كلا ثم كلا.

الرابعة: ان الرواية تشتمل على ما خطر في نفس النبي عند ورود ابن ام

(١) تاريخ القرآن للعلامة الزنجاني ص ٣٦ - ٣٧ وقد نقل ترتيب نزول القرآن في مكة والمدينة معتمداً على رواية محمد بن نعمان بن بشير التي نقلها ابن النديم في فهرسه ص ٧ طبع مصر.



مكتوم من انه عليه السلام قال في نفسه : « يقول هؤلاء الصناديد : انما اتباعه العميان والسفلة والعييد فاعرض عنه واقبل على القوم ، وعندئذ يسأل عن كيفية وقوف الرازي على ماخطر في نفس النبي عليه السلام ، فهل اخبر به النبي ؟ او انه وقف عليه من طريق آخر ؟ !

والاول بعيد جداً . والثاني مجهول .

الخامسة : ان الرواية تدل على ان النبي كان يناجي جماعة من المشركين وعند ذلك اتى عبدالله ابن ام مكتوم وقال : يا رسول الله اقرئني فهل كان اسكات ابن ام مكتوم متوقفاً على العبوسة والتولي عنه او كان امره بالسكوت والاستمهال منه حتى يتم كلامه مع القوم ، امراً غير شاق على النبي ، فلماذا ترك هذا الطريق السهل ؟ .

وهذه الوجوه الخمسة وان امكن الاعتذار عن بعضها بان العبوسة والتولي مرة واحدة لاينا في ماوصف به النبي في القرآن من الخلق العظيم وغيره لكن محصل هذه الوجوه يورث الشك في صحة الرواية ويسلب الاعتماد عليها . هذا كله حول الرواية الاولى .

#### واما الرواية الثانية :

فهي لا تنطبق على ظاهر الايات ، لان محصلها ان رجلا من بنى امية كان عند النبي فجاء ابن ام مكتوم فلما رآه ذلك الرجل تقذّر منه وجمع نفسه ، وعبس واعرّض بوجهه عنه . فحكى الله سبحانه ذلك وانكره عليه .

ولكن هذا المقدار المنقول في سبب النزول لا يكفي في توضيح الايات ، ولا يرفع ابهامها ، لان الظاهر ان العابس والمتولي ، هو المخاطب بقوله سبحانه : « وما يدريك لعله يزكى الى قوله فانت عنه تلهي » فلو كان المتعبس والمتولي هو الفرد الاموي فيجب ان يكون هو المخاطب بالحظابات الست لاغيره مع ان الرواية لا تدل على ذلك بل غاية ما تدل عليه ان فرداً من الامويين عبس وتولى عندما جاءه الاعمى فقط .

ولا تلقى ضوء بالنسبة الى الخطابات الالية بعد الايتين الاوليين وانها الى من تهدف فهل  
نقص ذلك الرجل الاموى وهو بعيدا عن النبي الاكرم .  
هذا هو القضاء بين السبيين المرابين للنزول وقد عرفت الاسئلة الموجهة  
اليهما .

وعلى فرض صحة الرواية الاولى لا بد ان يقال :  
ان الرواية ان دلت على شىء فانما تدل على ان النبي ﷺ كان موضع عنايته  
سبحانه ورعايته فلم يكن مسؤولا عن افعاله وحر كاته وسكنته فقط ، بل كان مسئولولا  
حتى عن نظراته وانقباض ملامح وجهه ، وانبساطها فكانت المسؤولية الملقاة على  
عاتقه من اشد المسؤوليات وانقلها صدق الله العلي العظيم حيث يقول : «انا سنلقى عليك  
قولا ثقيلا» (المزمل - ٥)

كان النبي صلى الله عليه وآله يناجى صناده بقومه ورؤساءهم لينجيهم من  
الوثنية ويهديهم الى عبادة التوحيد وكان لاسلامهم يوم ذاك ، تاثير عميق فى  
ايمان غيرهم .

اذ الناس على دين رؤسائهم واوليائهم . وكان النبي ﷺ فى هذه الظروف  
يناجى رؤساء قومه اذ جاءه ابن ام مكتوم غافلا عما عليه النبي صلى الله عليه وآله  
من الامر المهم فلم يلتفت اليه النبي ، وجرى على ما كان عليه من المذاكرة مع  
اكابر قومه .

وما سلكه النبي ﷺ لم يكن امرا مذموماً عند القلاء ، ولا خروجا على طاعة  
الله ، ولكن الاسلام دعاه وارشده الى خلق مثالى اعلى مما سلكه وهو ان التصدى  
لهداية قوم يتصورون انفسهم اغنياء عن الهداية ، يجب ان لا يكون سبباً للتولى عن  
يسعى ويخشى ، فهداية الرجل الساعى فى طريق الحق ، الخائف من عذاب الله ،  
اولى من التصدى لقوم يتظاهرون بالاستغناء عن الهداية وعما انزل اليك من  
الوحي ، وما عليك بشىء اذا لم يذكروا انفسهم ، لان القرآن تذكره فمن شاء ذكره



«فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر» (الغاشية - ٢١ - ٢٢)

فعظم المسؤولية اقتضى ان يعاتب الله سبحانه نبيه لترك ما هو الاولي بحاله حتى يرشده الى ما يعد من افاضل ومحاسن الاخلاق وينبئه على عظم حال المؤمن المسترشد وان تأليف المؤمن ليقوم على ايمانه ، اولى من تأليف المشرك طمعاً في ايمانه ومن هذا حاله لا يعد عاصياً لامر الله ومخالفاً لطاعته .

واما الرواية الثانية : فالظاهر ان الرواية نقلت غير كاملة و كان لها ذيل يصح انطباق الخطابات الواردة في الايات حقيقة على الشخص الذي عبس وتولى وعلى فرض كونها تامة فالضمير الغائب في «عبس» و«تولى» و«جاءه» يرجع الى ذلك الفرد ، وأما الخطابات فهي متوجهة الى النبي ﷺ لكن من وجه اليه الخطاب غير من قصد منه . فهو من مقولة «اياك اعنى واسمعى يا جارة» ومثل هذا يعد من اساليب البلاغة ، وفنون الكلام .

\* \* \*

## دين النبي الاكرم قبل البعثة :

دلت الادلة العقلية والنقلية على عصمة الانبياء عامة والنبي الاكرم خاصة الا ان الحكم بعصمته قبل التشرف بالنبوة ، يتوقف على احراز تدينه بدين قبل ان يبعث وهذا ما نلوه عليك في هذا البحث تكميلاً لعصمته ﷺ .

من الموضوعات المهمة التي شغلت بال المحققين من اهل السير والتاريخ موضوع دين النبي الاعظم ﷺ وقد اتفق جمهور المسلمين على انه ﷺ كان على خط التوحيد منذ نعومة اظفاره الى ان بعث لهداية امته ، فلم يسجد لصنم ولا وثن ، وكان بعيداً عن الاخلاق والعادات الجاهلية التي تستقى جذورها من الوثنية وان اختلفوا في انه هل كان متعبداً بشريعة احد من الانبياء او بشريعة نفسه او بما يلهم من الوظائف والتكاليف وعلى ذلك فمر كثر البحث على نقطتين :

١ - ايمانه وتوحيده قبل البعثة :

٢ - الشريعة التي كان يعمل بها في حياته الفردية والاجتماعية .

اما بالنسبة الى النقطة الاولى : فقد كان النبي الاعظم ﷺ على الدين الحنيف لم يعدل عنه الى غيره طرفه عين ، وتظهر هذه الحقيقة بالتعرف على ملامح البيت الذي ولد فيه ، وتربى في احضان رجاله فنقول :

كان النبي كريم المولد ، شريف المحتد ، ولد من ابوين كريمين مؤمنين بالله سبحانه وموحدين وتربى في حضن جده عبدالمطلب ، وبعده في حجر عمه ابي طالب عليه السلام وقد كان الدين السائد في ذلك البيت الرفيع ، دين التوحيد ، ورفض عبادة غير الله



تعالى والعمل بالمناسك والرسوم الواصلة اليه عن ابراهيم عليه السلام .  
 لا اقول ان جميع من كان ينتمى الى البيت الهاشمى كان على خط التوحيد  
 وعلى الشريعة الابراهيمية ، اذ لا شك ان بعضهم كان يعبد الاصنام ، ويدافع عنها  
 كابى لهب وابى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب .  
 بل اقول: الديانة السائدة في ذلك البيت هي عبادة الرحمان ورفض الاصنام  
 والاثوان .

ويتضح وضع هذا البيت ببيان ديانة اسياخه واسياده واخص بالذكر منهم  
 سيده الكبير «عبدالمطلب» وشيخ الاباطح اباطالب واليك الكلام في دياتهما .

#### ١ - عبدالمطلب وايمانه .

عبدالمطلب هو الرجل الاول في هذا البيت و كفى في صفائه وايمانه ما ذكره  
 المؤرخون في حقه واليك بعضه .

١ - يقول اليعقوبى في الحديث عنه ... ورفض عبدالمطلب عبادة الاوثان  
 والاصنام ، ووحده الله عز وجل « ووفى بالنذر ، وسن سنناً نزل القرآن باكثرها ،  
 وجاءت السنة الشريفة من رسول الله ﷺ بها ، وهي الوفاء بالنذر ، ومائة من الابل  
 في الدية ، وان لا تنكح ذات محرم ، ولا تؤتى البيوت من ظهورها ، وقطع يد السارق  
 والنهي عن قتل المؤددة ، وتحريم الخمر ، وتحريم الزنا ، والحد عليه والقرعة ،  
 وان لا يطوف احد بالبيت عريانا ، وازافة الضيف ، وان لا ينفقوا اذا حجوا الامن  
 طيب اموالهم ، وتعظيم الاشهر الحرم ، ونفى ذوات الرايات (١) .

٢ - اذا اطلعنا على موقف عبدالمطلب من جيش ابرهة ، وتوكله على الله  
 تعالى واخذه بحلقة باب الكعبة ، نعلم بانه كان الرجل الموحد لا يلتجىء في

(١) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٩ طبعة النجف . اقول : فى عد بعض ما ذكر ذلك  
 المورخ من سنن عبدالمطلب نظر : فان لبعضها كالوفاء بالنذر والنهي عن قتل المؤددة  
 والقرعة سابقة تاريخية ترجع الى فترات قبله .

المصائب والمكآره الى غير كهف الله ، ولا يعرف الاباب الله ، على عكس ما كانت الوثنية عليه فانهم كانوا يستغيثون بالاصنام المنصوبة حول الكعبة واليك اجمال القضية :

قدم عبدالمطلب الى معسكر ابرهة فلما رآه ابرهة اجله واكرمه وبعد ماوقف الملك على انه جاء ليرد عليه ابله التي استولى عليها عسكره ، قال له ابرهة اتكلمنى فى اهلك وتترك بيتاً هو دينك ودين آباءك قد جئت لهدمه . قال له عبدالمطلب: انارب الابل وللبيت رب يمنع . قال ابرهة : ما كان يمنع منى وامر برد ابله . فلما اخذها قلدها وجعلها هدياً وبثها فى الحرم كى يصاب منها شيء فيغضب الله عز وجل ، وانصرف عبدالمطلب الى قريش واخبرهم الخبر ، ثم قام فاخذ بحلقه باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده ، فقال عبدالمطلب:

يا رب لا ارجو لهم سواكا      يا رب فامنع منهم حماكا  
ان عدو البيت من عاداكا      امنهم ان يخربوا فناكا

وقال ايضا :

لاهم ان العبد يمنع      رحله فامنع حالكا  
لا يغلبن صليبهم      ومحالهم عدوا محالك (١)

وليست هذه الواقعة وحيدة من نوعها بل لسيد قريش مواقف اخرى . تشبه هذه الواقعة

٣ - توسل لكشف غمته فيها بالله سبحانه وتعالى واليك مثالين :

الف - تتعابعت على قريش سنون جذب ، ذهب بالاموال واشرفت على الانفس ، واجتمعت قريش لعبدالمطلب وعلوا جبل أبى قبيس ومعهم النبي ﷺ محمد ﷺ وهو غلام فتقدم عبدالمطلب وقال :

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٥٠ والكامل لابن الاثير ج ١ ص ١٢ وغيرهما



«لاهم» (١) هؤلاء عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى، وتتابعت علينا هذه السنون، فذهبت بالظلف والنخف والحافر، فاشرفت على الانفس فاذهب عنا الجذب واثتنا بالحياء والخصب، فما برحوا حتى سالت الاودية، وفي هذه الحالة تقول رقيقة :

بشبية الحمد اسقى الله بلدتنا      وقد عدمنا الحيا واجلّوذا المطر  
الى ان تقول :

مبارك الامم يستسقى الغمام به      ما فى الانام له عدل ولا خطر  
والى هذه الواقعة يشير ابوطالب فى قصيدة اولها :

ابونا شفيح الناس حين سقوا به      من الغيث رجاس العشير بكور  
ونحن - سنين المحل - قام شفيحاً      بمكة يدعوا والمياه تغور (١)  
وقد نقل هذه الواقعة الشهرستاني فى الملل والنحل قال : ومما يدل على معرفته (عبدالمطلب) بحال الرسالة وشرف النبوة ان اهل مكة لما اصابهم ذلك الجذب العظيم وامسك السحاب عنهم سنتين، امرأ باطالب ابنه ان يحضر المصطفى محمداً ﷺ فاحضره وهو رضيع فى قماط، فوضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه الى السماء وقال يارب بحق هذا الغلام ورماه ثانياً وثالثاً . وكان يقول : بحق هذا الغلام اسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هطلا . فلم يلبث ساعة ان طبق السحاب وجه السماء وامطر. حتى خافوا على المسجد . وقال ايضا : وببركة ذلك النور كان عبدالمطلب يأمر اولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيايات الامور . وكان يقول فى وصاياه : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة . الى ان هلك رجل ظلوم حتف انفه لم تصبه عقوبة . فقيل لعبدالمطلب فى ذلك ، ففكر وقال : والله ان وراء هذه

(١) مخفف «اللهم»

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣١-١٣٣

الدار دار يجزى فيها المحسن باحسانه ، ويعاقب المسيء باساءته» (١) .  
ان توسله بالله سبحانه وتوليه عن الاصنام والاوثان والتجاء الى رب  
الارباب آية توحيده الخالص ، وايمانه بالله وعرفانه بالرسالة الخاتمة . وقداسة  
صاحبها فلو لم يكن له الا هذه الوقائع لكفت فسي البرهنة على ايمانه بالله  
وتوحيده له .

ب- روى اصحاب السير انه وقع النقاش بين عبدالمطلب وقريش في حفر  
بئر زمزم بعد ما حفره عبدالمطلب فاتفقوا على الرجوع الى كاهنة . فقصدا طريق  
الشام فعطشوا في الطريق واشرفوا على الموت فاقترح ان يحفر كل حفرة لنفسه  
بما بكم الان من القوة فكلما مات رجل دفنه اصحابه في حفرة ثم واروه حتى  
يكون آخر كم رجلا واحداً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً ،  
قالوا نعم ما امرت به فقام كل واحد، منهم فحفر حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت  
عطشاً ، ثم ان عبدالمطلب قال لاصحابه : والله ان القاءنا بايدينا هكذا للموت ،  
لانضرب في الارض ولا نبتغي لانفسنا ، لعجز ، فعسى الله ان يرزقنا ماء ببعض  
البلاد ، ارتحلوا ، فارتحلوا حتى اذا فرغوا ، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون  
اليهم ماهم فاعلون ، تقدم عبدالمطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به ، انفجرت  
من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبدالمطلب وكبر اصحابه ، ثم نزل فشرب  
وشرب اصحابه واستقوا حتى ملؤوا اسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش فقال :  
هلم الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا ، فجاؤوا فشربوا واستقوا . ثم  
قالوا والله قضى لك علينا يا عبدالمطلب ، والله لانخاصمك في زمزم ابداً ، ان الذى  
سقاك هذا الماء بهذه الفلاة ، لهو الذى سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشداً ،  
فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة ، وخلصوا بينه وبينها (٢) .

(١) الملل والنحل المشهور سناني القسم الثاني ص ٢٤٨ و ٢٤٩ من الطبعة الثانية تخريج

محمد بن فتح الله بدران القاهرة .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ من طبعة مصر .



٤- عن ام ايمن (رضى الله عنها) قالت كنت احضن النبي ﷺ اى اقوم بترييته وحفظه فغفلت عنه يوماً فلم ادر الا بعد المطلب قائماً على رأسى يقول: يا «بركة» قلت: لبيك قال اتدرين اين وجدت ابني؟ قلت: لا ادرى. قال: وجدت مع غلمان قريباً من السدرة، لا تغفلنى عن ابني، فان اهل الكتاب يزعمون انه نبى هذه الامة وانا لا آمن عليه منهم، وكان عبدالمطلب لا ياكل طعاماً الا يقول على بابنى اى احضروه ويجلسه بجانبه وربما اقعدته على فخذه ويوتره باطيب طعامه. (١)

هذا هو عبدالمطلب وتعوده ببيت الله الحرام ومواقفه بين قومه وكلماته فى المبدأ والمعاد وعطفه على رسالة خاتم النبيين، أبعد هذا يبقى لاحد شك فى توحيده وايمانه، بل واعترافه برسالة الرسول الاكرم

قضى النبي ﷺ لفيماً من عمره فى رعايته فلما بلغ اجله اوصى الى ابنه الزبير بالحكومة وامر الكعبة. والى ابي طالب برسول الله وسقاية زمزم وقال له؟ قد خلفت فى ايديكم الشرف العظيم الذى تطؤون به رقاب الناس وقال لابي طالب.

ارصيك يا عبدمناف بعدى	بمفرد بعد ابيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهدي	فكنت كالام له فى الوجد
تدنيه من احشائها والكبد	فانت من ارجى بنى عندي

لدفع ضيم اولشد عقد. (٢)

#### ٢- شيخ الاباض ابو طالب وايمانه :

قد تعرفت على ايمان «عبدالمطلب» الكفيل الاول لصاحب الرسالة، فهلم معى ندرس حياة كفيله الاخر بعده وهو ابو طالب شيخ البطحاء، فقد اتفقت كلمة اهل السير والتاريخ على كفالته لصاحب الرسالة بعد جده ودرئه عنه كل سوء وعادية، طيلة حياته، وان اختلفت آراؤهم فى ايمانه بالرسول الاكرم بعد

(١) سيرة زينى دحلان بهامش السيرة الحلبية ج ١ ص ٦٤

(٢) تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١٠ من طبعة النجف.

البعثة ولاجل تحقيق الحال نركز على البحث عن نقطتين : ايمانه قبل البعثة ،  
وايمانه بعد البعثة :

### ايمانه بالله قبل البعثة :

تكفى في ايمانه بالله وخلوص توحيدده عدة امور نشير اليها :

١- ما اخرج به ابن عساكر في تاريخه عن جلهمة ابن عرفطة : قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجذب العيال فهلم واستسق ، فخرج ابوطالب ومعه غلام كأنه شمس دجى تجلت عنه سحابة قماء وحوله اغيلمة فاخذه ابوطالب فالصق ظهره بالكعبة، ولان باصبعه الغلام وما في السماء ، فزعة . (١)

فاقبل السحاب من ها هنا وها هنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي  
واخصب البادي والنادى ففي ذلك يقول ابوطالب ويمدح به النبي اكثر من  
ثمانين بيتاً .

وابيض يستسقى الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آلهاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان عدل لا يخيس شعيرة	ووزان صدق وزنه غير هائل (٢)

وما نسه اليه من الاشعار جزء من قصيدته المعروفة التي نظمها ايام الحصار  
في الشعب ويشير بها الى الواقعة التي استسقى فيها بالنبي وقد كان غلاماً في  
كفالته ولو كان آنذاك عابداً للوثن لتوسل باللات والعزى وسائر الالهة المنصوبة  
حول الكعبة .

٢- روى الحافظ الكنجي الشافعي ان احد الزهاد والعباد قال لابي طالب

(١) الفزعة : قطعة من السحاب .

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ١١٦ ، لاحظ فتح الباري ج ٢ ص ٤٩٤ ، والقصيدة المذكورة

في السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٧٢-٢٨٠ .



يا هذا ان العلى الاعلى الهمنى الهاماً ، قال ابوطالب : وما هو؟ قال ولد يولد من  
ظهورك وهو ولي الله عز وجل فلما كانت الليلة التي ولد فيها على\* (ع) اشرقت الارض  
فخرج ابوطالب وهو يقول: ايها الناس ولد في الكعبة ولي الله فلما أصبح دخل الكعبة  
وهو يقول :

يا رب هذا الغسق الدجى	والقمر المنبلج المضى
بين لنا من امرك الخفى	ما ذاترى فى اسم ذا الصبى
قال: فسمع صوت هانف يقول :	
يا اهل بيت المصطفى النبى	خصصتم بالولد الزكى
ان اسمه من شامخ العلى	على* اشتق من العلى (١)

٣- ان اباطالب كان ممن يعرف على مكانة النبى الاعظم عن طريق الراهب  
«بحيرا» وذلك حينما خرج فى ركب الى الشام تاجراً فلما تهيأ للرحيل واجمع  
السيرهب\* له رسول الله ﷺ فاخذ بزمام ناقته وقال يا عم الى من تكلمنى لآب لى ولا  
ام لى؟ فرق له ابوطالب وقال : والله لا اخرجن به معى ولا يفارقنى ولا يفارقه ابداً  
قال: فخرج به معه فلما نزل الركب «بصرى» من ارض الشام نزلوا قريباً من صومعة  
راهب يقال له «بحيرا» فلما رأى النبى جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر اشياء من  
جسده فجعل يسأله عن نومه وهيئته و رسول الله يخبره ثم نظر الى ظهره فرأى  
خاتم النبوة بين كتفيه ثم قال لآبى طالب : ارجع با بن اخيك الى بلده واحذر  
عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت، ليبلغنه شراً فانه كائن لابن اخيك  
هذا شأن عظيم فاسرع به الى بلاده. فخرج به عمه ابوطالب سريعاً حتى اقدمه  
مكة حين فرغ من تجارته بالشام وفى ذلك يقول ابوطالب :

ان ابن آمنة النبى محمداً	عندى يفوق منازل الاولاد
لما تعلق بالزمام رحمته	والعيس قد قلصن بالازواد
فارفض* من عينى دمع ذارف	مثل الجمان مفرق الافراد

(١) الغدير ج ٧ ص ٣٤٧ نقل عن كفاية الطالب للحافظ الكنجى الشافى ص ٢٦٠

الى ان قال :

حتى اذا ما القوم بصرى عاينوا  
حبراً فاخبرهم حديثاً صادقاً  
فما رجعوا حتى رأوا من محمد  
وحتى رأوا احبار كل مدينة  
لاقوا على شرك من المرصاد  
عنه و ردّ معاشر الحساد  
احاديث تجلوغهم كل فؤاد  
سجوداً له من عصابة وفراد (١)

ومارأى ابوطالب من ابن اخيه في هذا السفر من الكرامات وخوارق العادات التي ضبطها التاريخ وما سمعه من بحيرا من مستقبل امره وان اليهود بالمرصاد له ، كاف لارشاد كل انسان صافي الذهن مستقيم الطريقة ، فكيف بابي طالب الذي كان بالاضافة الى هذين الصفتين ، يحبه حباً جماً . اشد من حبه لاولاده واخوته فكانت هذه الكرامات كافية في هدايته لخط التوحيد ورسالة ابن اخيه وان كان لا يصرح بها لفظاً قبل البعثة . لكنه جهر بها بعده كما سيوافيك ان شاء الله .

مضافاً الى انه كان موضع الثقة من عبدالمطلب وقد اوصاه برعاية ابن اخيه بعده فلا يصح لعبدالمطلب المؤمن الموحد ان يدلي بوصيته وكفالة محمد ﷺ الى من لم يكن على غير خط التوحيد . ولم تكن بينهما وحدة فكرية والى ذلك يشير ابوطالب في هذه القصيدة الدالية :

راعيت فيه قرابة موصولة وحفظت فيه وصية الاجداد

ايمانه بعد البعثة :

اما دلائل ايمانه بالله اولا وبرسالة ابن اخيه ثانياً بعد بعثة النبي الاكرم فحدث عنه ولا حرج وان كان بعضهم قد هضم حق ابي طالب قررة عين الرسول

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٨٢ والطبقات الكبرى ج ١ ص ١٢٠ تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٦٩-٢٧٢ وديوان ابي طالب ص ٣٣-٣٥ الى غير ذلك من المصادر التي اهتمت بنقل هذه الواقعة .



ﷺ وقالوا بما لا ينسجم مع الحقائق التاريخية ولو نقل معشار ما ورد عن إيمانه من فعل أو قول ، في حق غيره لاتفق الكل على إيمانه وتوحيده . ولكن - وباللأسف - ان بعض الجائرين على الحق لا يريدون ان يعتبروا تلك الدلائل وافية لاثبات إيمانه .

لم يزل سيدنا ابوطالب يكلاً ابن اخيه ويذب عنه ويدعو الى دينه الخفيف منذ بزوغ شمس الرسالة الى ان لقي ربه و كفانا عن افاضة القول في ذلك ، الكتب المؤلفة حول تضحيتته لاجل الحق ودفاعه عنه شعراً ونثراً ونكتفى بالمرزالي سير من الجرم الغفير .

١- كتب ابوطالب الى النجاشي عندما نزل المهاجرون من المسلمين بقيادة جعفر الطيار ارض الحبشة وهو يحضه على حسن الجوار :

ليعلم خيار الناس ان محمداً نبى كموسى والمسيح بن مريم  
وانكم تملونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث المبرجم (١)

٢ - نحن نفترض الكلام في غير ابي طالب فاذا اردنا الوقوف على نفسية فرد من الافراد والعلم بما يمكنه من الايمان او الكفر ، فما هو الطريق الى كشفها؟ فهل الطريق اليه الا كلامه وقوله ، او ما يقوم به من عمل ، او ما يروى عنه مصاحبوه ومعاشره ، فلو كانت هذه هي المقاييس الصحيحة للتعرف على النفسية ، فكلها تشهد بايمانه القويم وتوحيده الخالص ، فان فيما أثر عنه من نظم ونثر ، او نقل من عمل بار ، وسعى مشكور في نصرة النبي ﷺ وحفظه ، والدعوة لرسالته وما روى عنه مصاحبوه ومعاشره - فان في هذه - لدلالة واضحة على ايمانه بالله ورسالة ابن اخيه وتفانيه في سبيل استقرارها .

كيف وهو يقول في امر الصحيفة التي كتبها صناديد قريش في سبيل ضرب الحصار الاقتصادي على النبي ﷺ وبنى هاشم وبنى المطلب :

الم تعلموا انا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خط في اول الكتب

وان الذي رقتم في كتابكم يكون لكم يوماً كراغية السقب (١)  
ففي هذه الايات التي تزهو بنور التوحيد، وتتلألأ بالايمان بالدين الحنيف  
دلالة واضحة على ايمانه بالرسالات الالهية عامة، ورسالة ابن اخيه ﷺ خاصة  
وكم وكم له من قصائد رائعة يطفح من ثناياها الايمان الخالص، والاسلام الصحيح  
نحن نكتفى في اثبات ايمان كفيل رسول الله ﷺ بهذا المقدار ونحيل التفصيل  
الى الكتب المعدة لذلك .

فان نقل ما اثر عنه من شعر ونثر، اوروى من عمل مشكور، يحتاج الى تأليف  
كتاب مفرد وقد قام لفيف من محققى الشيعة بتأليف كتب حول ايمانه، بين مسهب  
في الافاضة وموجز في المقالة وفيما حققه وجمعه شيخنا العلامة الاميني في غديره  
كفاية لطالب الحق (٢) .

هذا ايمان عبدالمطلب وذلك توحيد ابنه البار ابي طالب وقد تربى النبي  
صلى الله عليه وآله وترعرع وشب واكتهل في احضانها، وفي قانون الوراثة  
ان يرث الابناء ما في الحجور والاحضان من الخصال والاخلاق وقد قضى النبي  
الاكرم قسماً وافراً من عمره الشريف في تلك الربوع واستظل بفيئها .

### ايمان والدى النبي الاكرم .

لقد تعرفت على ايمان كفيل النبي ﷺ فهلسم معي ندرس حباة والديه  
وايمانها . فقد ذهبت الامامية والزيدية وجملة من محققى اهل السنة الى  
ايمانها وكونها على خط التوحيد . وشذ من قال : ان النبي ﷺ من كثرة

(١) السيرة النبوية لامن هشام ج ١ ص ٣٥٢ وذكر من القصيدة ١٥ بيتاً .

(٢) راجع تفصيل ذلك في الغدير ج ٧ ص ٣٣٠-٤٠٩ و ج ٨ ص ١-٢٩ - اضع اليه

ما طبع اخيراً ( في السنوات الاخيرة ) وهو كتاب بعنوان ( سيد البطحاء ) بقلم محمود  
البغدادي وهو يعالج قصة ايمان ابي طالب بتحليل رائع يناسب روح العصر ونفسية الجيل  
الحاضر .



ما انعم الله عليه ووفور احسانه اليه لم يرزقه اسلام والديه، فان هذه الكلمة صدرت من غير تحقيق فان التاريخ لم يضبط من حياتهما الا شيئاً يسيراً وفيما ضبط ايعاز لولم نقل دلالة على ايمانها و كونهما على الصراط المستقيم .

اما الوالد : فقد نقلت عنه كلمات وايات تدل على ايمانه ، فاليك ما نقله عنه اهل السير : عند ما عرضت فاطمة الخنعمية نفسها عليه فقال رداً عليها :

اما الحرام فالممات دونه      والحل لاحل فاستبينه  
يحمى الكريم عرضه ودينه      فكيف بالامر الذي تبغينه (١)

وقد روى عن النبي الاكرم انه قال : لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات. ولعل فيه ايعازاً الى طهارة آباءه وامهاته من كل دنس وشرك (٢) واما الوالدة : فكفى في ذلك ما رواه الحفاظ عنها عند وفاتها فانها (رضي الله عنها) خرجت مع النبي ﷺ وهو ابن خمس اوست سنين ونزلت بالمدينة تزور احوال جده ﷺ وهم بنو عدي بن النجار ومعها ام ايمن «بركة» الحبشية ، فاقامت عندهم ، وكان الرسول بعد الهجرة يذكر اموراً حدثت في مقامه ويقول : ان امي نزلت في تلك الدار وكان قوم من اليهود يختلفون وينظرون اليّ فنظر اليّ رجل من اليهود فقال : يا غلام ما اسمك ؟ فقلت : احمد . فنظر اليّ نظري وسمعتة يقول : هذا نبي هذه الامة . ثم راح الي اخوانه فاخبرهم فخافت امي عليّ فخرجنا من المدينة فلما كانت بالابواء توفيت ودفنت فيها .

روى ابو نعيم في دلائل النبوة عن اسماء بنت «رهم» قالت : شهدت آمنة ام النبي ﷺ في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام «يفع» (٣) له خمس سنين عند راسها فنظرت الي وجهه وخاطبته بقولها :

ان صح ما ابصرت في المنام      فانت مبعوث الى الانام

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٦ وغيرها

(٢) سيرة زيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ج ١ ص ٥٨

(٣) يفع الغلام : ترعرع

فالله انهاك عن الاصنام ان لاتواليها مع الاقوام  
ثم قالت : كل حي ميت ، وكل جديد بال ، وكل كبير يفنى ، وانا ميتة  
وذكري باق وولدت طهراً . وقال الزرقاني في شرح المواهب نقلا عن جلال  
الدين السيوطي تعليقا على قولها : وهذا القول منها صريح في انها كانت  
موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم عليه السلام وبشرت ابنها بالاسلام من عندالله .  
وهل التوحيد شيء غير هذا . فان التوحيد هو الاعتراف بالله وانه لا شريك له  
والبراءة من عبادة الاصنام . (١)

هذا بعض ما ذكره المؤرخون في احوال والدي النبي الاكرم ﷺ .  
والكل يدل على اخلاصهما ونزاهتهما عما كان هو السائد في البيئة التي كانا  
يعيشان فيها .

واخيراً توجه نظر القارى الى الرأى العام بين المسلمين حول ايمانهما قال  
الشيخ المفيد في «اوائل المقالات» .

وانفقت الامامية على ان آباء رسول الله ﷺ من لدن آدم الى عبدالله بن  
عبدالمطلب مؤمنون بالله عزوجل موحدون له . واحتجوا في ذلك بالقرآن والاخبار  
قال الله عزوجل «الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين (٢)» .

وقال رسول الله ﷺ : لم يزل ينقلنى من اصلاب الطاهرين الى ارحام  
المطهرات حتى اخرجنى فى عالمكم هذا . واجمعوا على ان عمه اباطالب (رحمه الله)  
مات مؤمناً . و ان آمنة بنت وهب كانت على التوحيد و انها تحشر فى جملة  
المؤمنين . (٣)

اقول : الاستدلال بالاية يتوقف على كون المراد منها نقل روحه من

(١) الاتحاف للشراوى ص ١٤٤ - سيرة زبني دحلان بهامش السيرة العلية ج ١ ص ٥٧

(٢) سورة الشعراء ص ٢١٨ - ٢١٩

(٣) اوائل المقالات للمفيد ص ١٢ - ١٣



ساجد الى ساجد وهو المروى عن ابن عباس : قال من نبي الى نبي حتى اخرجت نبياً . (١)

وقد ذكره المفسرون بصورة احدا لاحتمالات . ولكنه غير متعين ، لاحتمال ان يكون المراد: انه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة، وتقلبه في الساجدين عبارة عن تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده اذا كان امامهم .  
واما الاستدلال بالحديث فهو مبني على أن من كان كافراً فليس بطاهر، وقد قال سبحانه : «انما المشركون نجس» (٢) .

لكن الحجة هي الاتفاق والاجماع . مضافاً الى ما تضافر من الروايات حول طهارة والدي النبي ﷺ التي جمعها الحافظ ابو الفداء ابن كثير في تاريخه قال : وخطب النبي ﷺ وقال : انا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب . . . وما افترق الناس فرقتين الاجعلني الله في خيرها فاخرجت من بين ابوي فلم يصنني شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى ابي وامى فانما خيركم نفسا، وخيركم ابا (٣) .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : قال لي جبريل : قلبت الارض من مشارقها ومغاربها فلم اجد رجلاً افضل من محمد ، وقلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم اجد نبياً اب افضل من بنى هاشم . قال الحافظ البيهقي : وهذه الاحاديث وان كان في روايتها من لا يثبت به فبعضها يؤكد بعضاً ومعنى جميعها يرجع الى حديث واثلة بن الاسقع . والله اعلم .

قلت وفي هذا المعنى يقول ابوطالب ويمتدح النبي ﷺ .

فبعد مناف سرها وصميمها	اذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر
ففي هاشم اشرافها وقديمها	فان حصلت اشراف عبدمنافها

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٢٥٦

(٢) مفاتيح الغيب ج ٦ ص ٤٣١

(٣) البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٥٥

و ان فخرت يوماً فان محمداً  
تداعت قريش غنثها و سمينها  
و كنا قديماً لانقر ظلامه  
وتهمي حماها كل يوم كريمة  
بنا انتعش العود الذواء وانما  
هو المصطفى من سرها و كريمها  
علينا فلم تظفر وطاشت حلومها  
اذا ما تنوا صعر الخدود نقيمها  
ونضرب عن احجارها من يرومها  
باكتافنا تندي وتنمي ارومها (١)

ويعجبني ان انقل ما ذكره الشبراوي في المقام : قال : ومبدأ الكلام في ذلك ان الله سبحانه قد اخرج هذا النوع الانساني لاجله صلى الله عليه (وآله) وسلم وان آدم عليه الصلاة والسلام كان اول فرد من افراد هذا النوع ، و كان سائر افراده مندرجة في صلبه بصور الذرات ، فلما نفخ الروح في آدم كان نور نسمة محمد ﷺ يلمع في جبهته كالشمس المشرقة ، ثم انتقل ذلك النور من صلب آدم الى رحم حواء ، و منها الى صلب شيث ثم استمر هذا ينتقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وهو معنى قوله «وتقلبك في الساجدين» و اشار اليه العلامة البوصيري بقوله :

لم تنزل في ضمائر الكون نختا رك الامهات و الالباء

وكان كل جد من اجداده من لدن آدم ياخذ العهد والميثاق ان لا يوضع ذلك النور المحمدي الا في الطاهرات . فاول من اخذ العهد آدم ، اخذه من شيث وشيث من انوش وهو من «قنين» و هكذا الى ان وصلت التوبة الى عبدالله بن عبدالمطلب فلما اودع ذلك الجزء ، في صلبه لمع ذلك النور من جبهته فظهر له جمال وبهجة فكانت نساء قريش يرغبن في نكاحه ، وقد اسعد الله بتلك السعادة وشرف بذلك الشرف «آمنة» بنت وهب فتزوجها عبدالله .

و قد روى الترمذي عن العباس قال : قال رسول الله ﷺ : ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة ، ثم تخير البيوت ، فجعلني في خير بيوتهم ، فانا خيرهم نفساً و خيرهم بيتاً ، اي ذاتاً واصلاً



وقد دلت الايات والاحاديث على انه ﷺ كما طابت ذاته الشريفة ، بما اوتى من الكمال الاعلى ، كذلك طاب نسبه الشريف ، فلم يكن في آبائه ولا امهاته من لدن آدم و حواء الى عبدالله و آمنة ، الا من هو مصطفى مختار قد طابت اعرافه ، وحسنت اخلاقه واخرج ابن جرير عن مجاهد قال استجاب الله تعالى دعوة ابراهيم في ولده ولم يعبد احد منهم صنماً بعد دعوته واستجاب له وجعل هذا البلد آمناً ورزق اهله من الثمرات وجعله اماماً وجعل من ذريته من يقيم الصلاة قال السيوطي : وهذه الاوصاف كانت لاجداده ﷺ خاصة دون سائر ذرية ابراهيم وكل ما ذكر عن ذرية ابراهيم من المحاسن فان اولى الناس به سلسلة الاجداد الشريفة، الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل اليهم نور النبوة واحداً بعد واحد ولم يدخل ولد اسحاق وبقية ذريته لانه دعا لاهل هذا البلد الاتراء قال: «اجعل هذا البلد آمناً» وعقبه بقوله : «واجنبني وبني ان نعبد الاصنام» فلم تزل ناس من ذرية ابراهيم عليه السلام على الفطرة يعبدون الله تبارك وتعالى ويدل عليه قوله «وجعلها كلمة باقية في عقبه» ، فان الكلمة الباقية هي كلمة التوحيد وعقب ابراهيم (ع) هم محمد ﷺ وآله الكرام. قال بعض الافاضل: اللهم حل بيننا وبين اهل الخسران والخذلان الذين يؤذون رسول الله ﷺ بنسبة ما لا يليق بابويه الكريمين الشريفين الطاهرين . الى ان قال : فهما ناجيان منعمان في اعلى درجات الجنان ، وماعدا ذلك تهافت وهذيان ، لا ينبغي ان تصفى له الاذان ولان يعتنى بابطاله اولوا الشأن. (١)

اذا وقفت على ما ذكرنا تعرف قيمة كلمة ابن حزم الاندلسي في احكامه (٢) حيث نسب الى والدى النبي الاكرم ما لا يليق بساكتهما . ويكفى في سقوط هذه الكلمة ان داويها و كاتبها ابن حزم الذي اجمع فقهاء عصره على تضليله والتشنيع

(١) الاتحاف بحب الاشراف ص ١١٣-١١٨

(٢) الاحكام ج ٥ ص ١٧١

عليه ونهى العوام عن الاقتراب منه وحكموا باحراق كتبه (١).  
وقال ابن خلكان في وفياته : وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين ،  
لا يكاد يسلم احد من لسانه ، فنفرت عنه القلوب واستهدف لفقهاء وقته فتمالآوا  
على بغضه وردوا قوله واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من  
فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنوا اليه والاخذ عنه ، فاقصته الملوك وشردته عن  
بلادها حتى انتهى الى بادية « لبله » فتوفي بها آخر نهار الاحد لليلتين بقيتا من  
شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة وقيل انه توفي في منى ليشم ، وهي قرية  
ابن حزم المذكور. وفيه قال ابو العباس ابن العريف : كان لسان ابن حزم وسيف  
الحجاج بن يوسف شقيقين ، وانما قال ذلك لكثرة وقوعه في الائمة . (٢)

#### ايمان النبي الاكرم قبل البعثة :

كان البحث عن ايمان عبدالمطلب وسيد البطحاء ووالدي النبي ، كمقدمة  
للبحث عن ايمان النبي الاكرم قبل البعثة ، فان ايمانه برسالته ؟ وان كان امراً  
مسلياً وواضحاً كوضوح الشمس غير محتاج الى الاسهاب غير ان اكمال البحث  
يجرنا الى ان نأتى ببعض ما ذكره التاريخ من ملامح حياته منذ صباه الى ان  
بعث نبياً . حتى يقترن ذلك الاتفاق باصح الدلائل التاريخية . واليك المقول :

١ - روى صاحب المنتقى في حديث طويل: ان النبي ﷺ لما تم له ثلاث  
سنين قال يوماً لوالدته (لمرضعته) «حليمة السعدية» : مالي لا ارى اخوى بالنهار  
قالت له : يا بني انهما يرعيان غنيمات . قال : فمالي لا اخرج معهما . قالت له :  
اتحب ذلك ؟ قال : نعم . فلما اصبح محمد دهنته وكحلته وعلقت في عنقه خيطاً

(١) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٠٠ وقد عرفه الالوسى في تفسيره ج ٢١ ص ٧٦

بالضال المضل .

(٢) وفيات الاعيان ج ٣ ص ٣٢٧-٣٢٨



فيه جزع يمانى . فزرعه ثم قال لأمه : مهلا يا أمه فان معى من يحفظنى . (١)  
وهذه العبارة من الطفل الذى لم يتجاوز سنه ثلاث سنين آية على انه كان  
يعيش فى رعاية الله و كان له معلم غيبى « يسلك به طريق المكارم » ويلهمه ما يعجز  
عن ادراكه كبار الرجال آنذاك . حيث كانت امه تزعم بان فى الجزع اليمانى  
مقدرة الحفظ لمن علقه على جيده . فعلى الرغم من ذلك فقد خالفها الطفل وزرعه  
وطرحه ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على انه كان بعيداً عن تلك الرسوم  
والافكار . . . السائدة فى الجزيرة العربية .

٢ - روى ابن سعد فى طبقاته : ان بحيرا الراهب قال للنبي ﷺ : يا غلام  
اسألك بحق اللات والعزى الا اخبرتنى عما اسألك . فقال رسول الله ﷺ لا تسألنى  
باللات والعزى فوالله ما ابغضت شيئاً بغضهما قال : بالله الا اخبرتنى عما اسألك  
عنه . قال : سلنى عما بدالك . . . (٢)

٣ - روى ابن سعد فى طبقاته : عند ذكروا خروج النبي الى الشام للتجارة  
باموال خديجة مع غلامها « ميسرة » : ان محمداً باع سلعته فوقع بينه ورجل  
تلاح ، فقال له الرجل : احلف باللات والعزى فقال رسول الله ﷺ ما حلفت بهما  
قط واني لامر فاعرض عنهما . فقال الرجل : القول قولك ثم قال لميسرة : يا ميسرة  
هذا والله نبي . (٣)

ومما يشهد على توحيدة انه لم يرقط ما تلاعن الحق ، ساجداً لوثن او متوسلاً به ،  
بل كان يتحنث فى كل سنة فى غار حراء فى بعض الشهور . فوافاه جبرئيل (عليه الصلاة  
والسلام) فى بعض تلك المواقف وبشره بالرسالة وخلع عليه كساء النبوة .  
وهذه الوقائع التاريخية اصدق دليل على ايمانه ، ولجل اتفاق المسلمين

(١) المنتقى الباب الثانى من القسم الثانى للكازرونى وقد نقله العلامة المجلسى  
فى البحار ج ١٥ ص ٣٩٢ من الطبعة الحديثة

(٢) الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٨٢

(٣) الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٥٦

على ذلك نطوى بساط البحث ونر كثره على بيان الشريعة التي كان عليها قبل بعثته، وهذا هو الذي بحث عنه المتكلمون والاصوليون باسهاب.

الشريعة التي كان يعمل بها النبي :

اختلف الباحثون في ان النبي الاعظم ﷺ هل كان متعبداً بشرع قبل بعثته او لا؟ على اقوال نلفت نظر القارئ اليها :

١ - لم يكن متعبداً بشرع اصلاً نسب ذلك الي ابي الحسن البصرى

٢ - التوقف وعدم الجنوح الي واحد من الاقوال ذهب اليه القاضي

عبد الجبار والغزالي وهو خيرة السيد المرتضى في ذريعتيه .

٣ - انه كان يتعبد بشريعة من قبله مرددة بين كونها شريعة نوح او

ابراهيم او موسى او المسيح بن مريم عليهم السلام .

٤ - كان يتعبد بما ثبت انه شرع .

٥ - كان يعمل في عباداته وطاعته بما يوحى اليه سواء اكان مطابقاً

لشرع من قبله ام لا .

٦ - انه كان يعمل بشرع نفسه .

والاخير هو الظاهر من الشيخ الطوسي في عدته قال : عندنا ان النبي ﷺ

لم يكن متعبداً بشريعة من تقدمه من الانبياء لاقبل النبوة ولا بعدها ، وان جميع

ما تعبد به كان شرعاً له ، ويقول اصحابنا: انه كان قبل البعثة يوحى اليه باشيء

تخصه و كان يعمل بالوحي لاتباعاً بشريعة . (١)

(١) راجع للوقوف على الاقوال : الذريعة ج ٢ ص ٥٩٥ وذكر اقوالاً ثلاثة .

وعدة الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٦٠ وذكر الاقوال مسهبة ، والحارج ٨ ص ٢٧١ ونقل

الاقوال عن شرح العلامة لمختصر الحاجبي ، والمعارج للمحقق الحلبي ص ٦٠ والمبادئ

للعلامة الحلبي ص ٣٠ وانقوانين للمحقق الفهمي ج ١ ص ٤٩٤



وما ذكره أخيراً ينطبق على القول السادس ، والاقوال الثلاثة ، الأخيرة ، متقاربة واليك دراستها واحداً بعد آخر ببيان مقدمة .

### نظرة اجمالية على حياته:

ان من اطل النظر على حياته ﷺ يقف على انه كان يعبد الله سبحانه ويعتكف بـ «حراء» بكل سنة شهراً ولم يكن اعتكافه مجرد تفكير في جلاله وجماله وآياته وآثاره ، بل كان مع ذلك متعبداً لله فانتاله ، وقد نزل الوحي عليه وخلع عليه ثوب الرسالة وهو متحنث (١) بـ «حراء» وذلك مما اتفق عليه اهل السير والتاريخ . قال ابن هشام : كان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين ، فاذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك ، كان اول ما يبدأ به اذا انصرف من جواره ، الكعبة قبل ان يدخل بيته فيطوف به سبعا او ما شاء الله من ذلك . ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي اراد الله تعالى به فيه ما اراد من كرامته من السنة التي بعثه الله تعالى فيها وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعاه اهله ، حتى اذا كانت الليلة التي اكرمها الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل عليه السلام بامر الله تعالى . (٢)

ولم تكن عبادته منحصرة بالاعتكاف او الطواف حول البيت بعد الفراغ منه بل دلت الروايات المتضاربة عن ائمة اهل البيت على انه ﷺ حج عشرين حجة مستسراً . (٣)

(١) التحنث : هو التحنث بدلت الفاء (ثاء) كما يقال «جذف» مكان جدث . بمعنى القبرور بما يقال بانه بمعنى الخروج عن الحنث بمعنى الاثم كما ان التأثم هو الخروج عن الاثم . والاول هو الاولي .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٣٦

(٣) الوسائل ج ٨ باب ٤٥ - استحباب تكرار الحج والعمرة ص ٨٧ والبحار

روى غياث بن ابراهيم عن الامام الصادق عليه السلام : لم يحج النبي بعد قدوم المدينة الا واحدة وقد حج بمكة مع قومه حججات . (١)  
ولم تكن اعماله الفردية او الاجتماعية منحصرة في المستقلات العقلية كالاجتنباب عن البغى والظلم وكالتحنن على اليتيم والعطف على المسكين ، بل كان في فترة من حياته راعياً للغنم وفي فترات اخرى ضارباً في الارض للتجارة ولم يكن في القيام بهذه الاعمال في غنى عن شرع يطبق اعماله عليه . اذ لم يكن البيع و الربا والخل والخمر ولا المذكي وغيره عنده سواسية و ليست هذه الامور و نظائرها مما يستقل العقل باحكامها .

فطبيعة الحال تقتضي ان يكون ﷺ عارفاً باحكام عباداته و طاعاته ، واقفاً على حرام افعاله و حلالها ، في زواجه و نكاحه . وبالجملة : في حله و ترحاله و لولاه اشرف على اقتراف ما حرمه الله سبحانه في عامة شرائعه ، و الاقتراف او الدنو منه يناقض اهداف البعثة فانها لا تتحقق الا بعمله قبل بعثته بما سوف يدعو اليه بعد بعثته .

وعلى ضوء هذه المقدمة يبطل القول الاول من انه لم يكن متعبداً بشرع اصلا ، لما عرفت من ان العبادة والطاعة لا تصح الا بعد معرفة حدودها و خصوصياتها عن طريق الشرع ، كما ان الاجتناب عن محارم الله في العقود والايقاعات و سائر ما يرجع الى اعماله و افعاله الفردية والاجتماعية ، يتوقف على معرفة الحلال والحرام ، حتى يتخذ مقياساً في مقام العمل ، وعند ذلك كيف يصح القول بانه لم يكن متعبداً بشرع اصلا ؟ والا يلزم ان ننكر عباداته و طاعاته قبل البعثة او نرميه باقتراف الكبائر في تلك الفترة ، وهو يضاد عصمته قبل البعثة كما يضاد اهدافها .

قال العلامة المجلسي : قد ورد في اخبار كثيرة انه ﷺ كان يطوف ، وانه كان يعبد الله في حراء ، وانه كان يراعى الاداب المنقولة من التسمية والتحميد

(١) الوسائل ج ٨ باب ٤٥ - استحباب تكرار الحج والعمرة ص ٨٨ الحديث ٤



عند الاكل وغيره ، وكيف يجوز ذومسكة من العقل، على الله تعالى ان يهمل افضل انبيائه اربعين سنة بغير عبادة ؟ و المكابرة في ذلك سفـطة ، فلا يخلو امّا ان يكون عاملاً بشريعة مختصة به اوحى الله اليه بها ، وهو المطلوب او عاملاً بشريعة غيره (١) .

نعم روى احمد في مسنده عن سعيد بن زيد قال : كان رسول الله ﷺ بمكة هو وزيد بن حارثة فمر بهما زيد بن عمرو بن نفيل فدعوه الى سفرة لهما فقال يا بن اخي انى لا آكل مما ذبح على النصب قال : فما روى النبي ﷺ بعد ذلك اكل شيئاً مما ذبح على النصب قال : قلت لرسول الله ﷺ ان ابى كان كما قد رأيت وبلغك ولو ادر كك لامن بك واتبعك فاستغفر له قال نعم فاستغفر له فانه يبعث يوم القيامة امة واحدة . (١) .

نحن لانعلق على هذا الحديث شيئاً سوى انه يستلزم ان يكون زيد اعرف باحكام الله تعالى من النبي الاكرم . الذى كان بمقربة من البعث الى هداية الامة . اضعف اليه ان الحديث مروي عن طريق سعيد بن زيد الذى يدعى فيه شرفاً لابييه وفي الوقت نفسه نقصاً للنبي ﷺ « كبرت كلمة تخرج من افواههم » . هذا كله حول القول الاول .

#### نظرية التوقف في تعبده :

اما الثانى : اعنى التوقف ، فقد ذهب اليه المرتضى و استدل على مختاره بقوله : والذى يدل عليه ان العبادة بالشرائع تابعة لما يعلمه الله تعالى من المصلحة بها فى التكليف العقلي ، ولا يمتنع ان يعلم الله تعالى انه لامصلحة للنبي ﷺ قبل نبوته فى العبادة بشيء من الشرائع ، كما انه غير ممتنع ان يعلم ان له ﷺ فى ذلك مصلحة ، واذا كان كل واحد من الامرين جائزاً ولادلالة توجب القطع

(١) البحار للعلامة المجلسي ج ١٨ ص ٢٨٠ من الطبعة الحديثة.

(٢) مسند احمد ج ١ ص ١٨٩-١٩٠ .

على احدهما وجب التوقف . (١)

وما ذكره محتمل في حد نفسه ولكنه مدفوع بما في الاخبار والاثار من عبادته واعتكافه ، وقد عرفت انه كان يتبع الله وكانت له اعمال فردية واجتماعية تحتاج الى ان تكون وفق شريعة ما .

نظرية عمله بالشرائع السابقة :

وهذا هو القول الثالث بشقوقه الاربعة : فيتصور على وجهين :

الاول : ان يعمل على طبق احد الشرائع الاربعة تابعاً لصاحبها ومقتدياً به بوجه يعد انه من امته وهذا الشق مردود من جهات :

أ : ان هذا يتوقف على ثبوت عموم رسالات اصحاب هذه الشرائع وهو غير ثابت ، وقد اوضحنا حالها في الجزء الثالث من هذه الموسوعة . (٢)

ب - ان العمل بهذه الشرائع فرع الاطلاع عليها وهو اما ان يكون حاصلًا من طريق الوحي فعندئذ يكون عاملاً لشريعة من تقدم ولا يكون تابعاً لصاحبها ومقتدياً به ، وان كان عاملاً بالشريعة التي نزلت قبله ، وهذا نظير انبياء بنى - اسرائيل فقد كانوا مأمورين بالحكم على طبق التوراة مع انهم لم يكونوا من امة موسى قال سبحانه : «انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا» ( المائدة - ٤٤ ) . و الى هذا الشق يشير المرتضى بقوله : انه غير ممتنع ان يوجب الله تعالى عليه بعض ما قامت الحاجة من بعض الشرائع المتقدمة لاعلى وجه الاقتداء بغيره فيها ولا الاتباع .

واما ان يكون حاصلًا من طريق مخالطة اهل الكتاب وعلمائهم وهذا مما لا تصدق حياته اذ لم يكن مخالطاً لهم ولم يتعلم منهم شيئاً ولم يسألهم . يقول العلامة المجلسي لو كان متعبداً بشرع لكان طريقه الى ذلك اما

(١) الذريعة للسيد المرتضى ج ٢ ص ٥٩٦ .

(٢) لاحظ الجزء الثالث ص ٧٧-١١٦ .



الوحي او النقل ، ويلزم من الاول ان يكون شرعاً له لاشراً لغيره ، ومن الثانى التعويل على اليهود وهو باطل . (١)

ج - ان العمل بشريعة من قبله ماسوى المسيح بن مريم يستلزم ان يكون عاملاً بالشرائع المنسوخة فهو اشد فساداً فكيف يجوز العمل بشريعة نسخت ؟ قال الشيخ الطوسى : فان قالوا ، كان متعبداً بشريعة موسى فان ذلك فاسد حيث أن شريعته كانت منسوخة بشريعة عيسى ، وان قالوا : كان متعبداً بشريعة عيسى فهو ايضا فاسد لان شريعته قد انقطعت واندرس نقلها ولم تتصل كاتصال نقل المعجزة ، واذا لم تتصل لم يصح ان يعلم . (٢)

اضف الى ذلك انه لم يثبت ان عيسى جاء باحكام كثيرة ، بل الظاهر انه جاء لتحليل بعض ما حرم فى شريعة موسى عليه السلام قال سبحانه : «ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولا حل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون» (آل عمران - ٥٠) . فلو كان النبى عامل بشريعة عيسى ففى الحقيقة يكون عاملاً بشريعة موسى المعدلة بما جاء به عيسى .

د - اتفقت الآثار على كونه افضل الخلق و اقتداء الفاضل بالمفضول غير صحيح عقلاً : قال الشيخ الطوسى : انه <sup>عليه السلام</sup> افضل من جميع الانبياء ولا يجوز ان يؤمر الفاضل باتباع المفضول ولم يخص احد تفضيله على سائر الانبياء ، بوقت دون وقت فيجب ان يكون افضل فى جميع الاوقات .

وهذه الوجوه وان كان بعضها غير خال من الاشكال لكن الجميع يزيف القول بانه كان يعمل بشريعة من قبله .

واما دليل من قال بهذا القول فضعيف جداً حيث قال : كيف يصح ان يقال : انه لم يكن متعبداً بشريعة من تقدم مع انه كان يطوف بالبيت ويحج ويعتمر

(١) البحار ج ١٨ ص ٢٧٦ من الطبعة الحديثة

(٢) عدة الاصول ج ٢ ص ٦١ .

ويذكي ويأكل المذكي ويركب البهائم . (١)

وفيه اولاً : ان بعض ما ذكره يعد من المستقلات العقلية فتكفي فيه هداية العقل ودلالته .

وثانياً : ان الدليل اعم من المدعى لان عمله كما يمكن ان يكون مستنداً الى شريعة من قبله ، يمكن ان يكون مستنداً الى الوحي اليه ، لا اتباعاً لشريعة وسوف يوافيك انه كان يوحى اليه قبل ان يتشرف بمقام الرسالة وان نبوته كانت متقدمة على رسالته و ان جبريل نزل اليه بالرسالة عند ما بلغ الى الاربعين والاستدلال مبنى على ان نبوته ورسالته كانتا في زمان واحد ، وهو غير صحيح كما سيأتي .

وعلى هذا الوجه الصحيح لا تحتاج الى الاجابة عن الاستدلال بما تكلف به المرتضى في ذريعته والطوسي في عدته . قال الاول: لم يثبت عنه عليه السلام انه قبل النبوة حج او اعتمر ، وبالتظني لا يثبت مثل ذلك ، ولم يثبت ايضاً انه عليه السلام تولى التذكية بيده وقد قيل ايضاً : انه لو ثبت انه ذكي بيده ، لجاز ان يكون من شرع غيره في ذلك الوقت ، «أن يستعان بالغير في الذكاة» (٢) فذكي على سبيل المعوثة لغيره ، واكل اللحم المذكي لاشبهه في انه غير موقوف على الشرع لانه بعد الذكاة قد صار مثل كل مباح من المأكل ، وركوب البهائم والحمل عليها يحسن عقلاً اذا وقع التكفل بما يحتاج اليه من علف وغيره ولم يثبت انه عليه السلام فعل من ذلك ما لا يستباح بالعقل فعله . (٣)

وقريب منه ما في عدة الشيخ الطوسي . (٤)

- (١) الذريعة للسيد المرتضى ج ٢ ص ٥٩٦ والعدة ج ٢ ص ٦٠-٦١ .  
 (٢) يريد ان من احكام الشريعة السابقة ان يستعين الرجل في تذكية الحيوان بالغير ، - وعلى ذلك - فالنبي ذكي نيابة عن الغير ولاجله ولم يذك لنفسه .  
 (٣) الذريعة للسيد المرتضى ج ٢ ص ٥٩٧-٥٩٨ .  
 (٤) عدة الاصول للشيخ الطوسي ج ٢ ص ٦٣ .



ولا يخفى ان بعض ما ذكره وان كان صحيحاً لكن انكار حجه واعتماده وعبادته في حراء واتجاره الذي يتوقف الصحيح منه على معرفة الحلال والحرام ، مما لا يمكن انكاره فلامحيص عن معرفته بالمقاييس الصحيحة في هذه الموارد ، امامن عند نفسه او من ناحية الاتباع لشريعة غيره .

#### الوجوه الاخيرة الثلاثة المتقاربة :

إذا تبين عدم صحة هذه الاقوال الثلاثة تثبت الوجوه الاخيرة التي يقرب بعضها من بعض ، ويجمع الكل انه كان يعمل حسب ما يلهم ويوحى اليه ، سواء أكان مطابقاً لشرع من قبله ام مخالفاً . وان هاديه وقائده منذ صباه الى ان بعث هو نفس هاديه بعد البعثة ويدل على ذلك وجوه .

١- ما اثر عن الامام امير المؤمنين عليه السلام من انه من لدن كان فطيماً كان مؤيداً باعظم ملك يعلمه مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب وهذه مرتبة من مراتب النبوة وان لم تكن معها رسالة قال عليه السلام «ولقد قرن الله من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليل نهار» . (١)

انا مهما جهلنا بشيء فلا يصح لنا ان نجعل بان النبوة منصب الهى لا يتحملها الا الامثل فالامثل من الناس ولا يقوم باعبائها الا من عمر قلبه بالايمان ، وزود بالخلوص والصفاء ، وغمره الطهر والقداسة واعطى مقدرة روحية عظيمة ، لا يتهيب حين ما يتمثل له رسول ربه وامين وحيه ، ولا تأخذه الضراعة والخوف عند سماع كلامه ووحيه وتلك المقدرة لاتفاض من الله على عبد الا ان يكون في رعاية ملك كريم من ملائكته سبحانه ، يرشده الى معالم الهداية ومدارج الكمال ، ويصونه من صباه الى شبابه ، والى كهولته عن كل سوء وزلة . وهذا هو السر في وقوعه تحت كفالة

(١) نهج البلاغة محمد عبده ج ٢ ص ١٨٢ من خطبة تسمى القاصعة ١٨٧

اكبر ملك من ملائكته حتى تستعد نفسه لقبول الوحي وتتحمل القول الثقيل الذي سيلقى عليه .

٢- مارواه عروة بن الزبير عن عائشة ام المؤمنين انها قالت : اول ما بدى به رسول الله من الوحي ، الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤياً الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه ، وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد ، قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ . (١)

٣- روى الكليني بسند صحيح عن الاحول قال : سألت ابا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث قال : الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً . . . واما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله من اسباب النبوة قبل الوحي حتى اتاه جبرئيل من عند الله بالرسالة (٢) وهذه المأثورات تثبت بوضوح انه ﷺ قبل ان يبعث ، كان تحت كفالة اكبر ملك من ملائكة الله . يرى في المنام ويسمع الصوت ، قبل ان يبلغ الاربعين سنة فلما بلغها بشر بالرسالة ، وكلمه الملك معاينة ونزل عليه القرآن وكان يعبد الله قبل ذلك بصنوف العبادات ، اماموافقا لما سيأمر به بعد تبليغه او مطابقاً لشريعة ابراهيم او غيره ، ممن تقدمه من الانبياء . لاعلى وجه كونه تابعاً لهم وعاملاً بشريعتهم ، بل بموافقة ما وحي اليه مع شريعة من تقدم عليه .

ثم ان العلامة المجلسي استدلل على هذا القول بوجه آخر . وهو ان يحيى وعيسى كانا نبيين وهما صغيران وقد ورد في اخبار كثيرة ان الله لم يعط نبياً فضلية ولا كرامة ولا معجزة الا وقد اعطاها نبينا ﷺ فكيف جاز ان يكون عيسى

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٣ باب بدء الوحي الى رسول الله (ص) والسيرة

النبوية ج ١ ص ٢٣٤-٢٣٦

(٢) الكافي ج ١ ص ١٧٦ .



عليه السلام في المهدي نبياً ولم يكن نبينا ﷺ الى اربعين سنة نبياً . (١)  
 قال سبحانه : حاكياً عن المسيح : « قال اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ، وجعلني مباركاً أين ما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حياً » .  
 (مريم - ٢٠ و ٢١) وقال سبحانه مخاطباً ليحيى : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً » . (مريم - ١٢)

ولازم ذلك أن النبي قبل بعثته في صباه اوبعد ما اكمل الله عقله كان نبياً مؤيداً بروح القدس يكلمه الملك ، ويسمع الصوت ويرى في المنام .  
 وانما بعث الى الناس بعد ما بلغ اربعين سنة وعند ذاك كلمه الملك معاينة ونزل عليه القرآن وامر بالتبليغ .

ويؤيد ذلك ما رواه الجمهور عنه ﷺ من انه كان نبياً وآدم بين الروح والجسد . (٢)

وهذا كله راجع الى حاله قبل بعثته واما بعدها فنأتي بمجمل القول فيه

#### حاله بعد البعثة .

قد عرفت حال النبي الاكرم قبل بعثته فهلم معي ندرس حاله بعدها . وقد اختلفوا فيه ايضاً على قولين : فمن قائل انه كان يتعبد بشرع من قبله . ومن قائل اخر ينفيه بتاتاً . وقد بسط الكلام في هذا المقام السيد المرتضى في ذريعته وتلميذه الجليل في عدته ، فاختارا القول الثاني وادضا برهانه . (٣)

غير اني ارى البحث في ذلك عديم الفائدة لان المسلمين اتفقوا على انه ، بعد البعثة ، ما كان يقول الا ما يوحى اليه ، ولا يصدر عنه شيء الا عن هذا

(١) البحار ج ١٨ ص ٢٧٩ من الطبعة الحديثة .

(٢) نقل العلامة الاميني مصادره عن عدة من الكتب وذكر ان للحديث عدة الفاظ

من طرق شتى لاحظ الجزء ٩ ص ٢٨٧ .

(٣) الذريعة ج ٢ ص ٥٩٨ والعدة ج ٢ ص ٦١ .

الطريق . فاذا كان الواجب علينا اقتفاء امره ونهيه ، والعمل بالوحي الذي نزل عليه ، فاي فائدة في البحث عن انه هل كان ما يأمر به وينهى عنه ، صدر عن التعبد بشريعة من قبله ، او صدر عن شريعته ؟ . اذ الواجب علينا الاخذ بما اتى به . باى لون وشكل كان . وفي ذلك يقول المحقق الحلبي : ان هذا الخلاف عديم الفائدة لانا لانك ان جميع ما اتى به لم يكن نقلاً عن الانبياء بل عن الله تعالى باحدى الطرق الثلاث التي اشيرت اليها في قوله سبحانه : «وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه على حكيم» . (الشورى - ٥١)

فاذا كان ~~الوحي~~ لا يصدر عنه شيء الا عن طريق الوحي فلا ترتب على البحث اية فائدة . فسواء اكان متعبداً بشرع من قبله ام لم يكن . فهو ~~الوحي~~ لا يأمر ولا ينهى الا باذنه سبحانه . (١)

قال سبحانه : «وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى» . (النجم ٣-٤) وقال عز من قائل : «كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم» (الشورى - ٣) . وقال تعالى «ان اتبع الا ما يوحى الى وما انا الا نذير مبين» (الاحقاف - ٩) . الى غير ذلك من الايات التي تدل بوضوح على ان كل ما يأمر وينهى ، مستند الى الوحي منه سبحانه اليه ، سواء أمره بالاخذ من الشرع السابق ام أمره بما يماثله او يخالفه .

اضف الى ذلك انه اذا لم يجزله التعبد بالشرع السابق قبل البعثة بالدلائل السابقة لم يجزله ايضا بعدها .

نعم هناك بحث آخر وهو حجية شرع من قبلنا للمستنبط اذا لم يجد في الشريعة المحمدية دليلاً على حكم موضوع خاص فهل يجوز ان يعمل بالحكم الثابت في الشرايع السماوية السالفة ما لم يثبت خلافه في شرعنا ام لا ؟ .

فهذه مسألة اصولية طرحها الاصوليون في كتبهم قديماً وجديداً . فاستدل



القائلون بالجواز بالآيات التالية :

- ١ - «فبهداهم اقتده» . (الانعام - ٩٠)
  - ٢ - «ثم اوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً» . (النحل - ١٢٣)
  - ٣ - «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً» . (الشورى - ١٣)
  - ٤ - «انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون» . (المائدة - ٤٤)
- ولكن الكلام في دلالة هذه الآيات على ما يتبناه هؤلاء وهي غير واضحة وقد بسط المحقق الكلام في دلالة الآيات في اصوله . (١) ونقله العلامة المجلسي في بحاره . (٢) ونحن نحيل القارئ الكريم الى مظانه .

#### الآيات التي وقعت ذريعة لبعض المخطئة :

- هذا حال النبي الاكرم ﷺ قبل البعثة وحال اجداده وآبائه وبعض اعمامه وقد خرجنا من هذا البحث الضافي بهذه النتائج .
- ١ - ان النبي ﷺ قد ولد في بيت كان يسوده التوحيد وقد ترعرع وشب واكتهل في احضان رجال لم يتخلفوا عن الدين الحنيف قيد شعرة .
  - ٢ - ان النبي ﷺ منذ نعومة اظفاره كان تحت رعاية اكبر ملك من ملائكته سبحانه فيلهم ويوحى اليه قبل ان يبلغ الاربعين ، ويخلع عليه ثوب الرسالة .
  - ٣ - ان النبي ﷺ كان مؤمناً بالله ، وموحداً له يعبد ، ولا يعبد غيره ، ويتقرب اليه بالطاعات والقربات ، ويتجنب المعاصي والمآثم .
- هذه هي الحقيقة الملموسة من حياته يقف عليها من سبر تاريخ حياته بامعان وقد مر ، ان هناك آيات وقعت ذريعة لبعض المخطئة لعصمته فدخلت لاجلها في اذهانهم شبهات في ايمانه وهدايته قبل البعثة .  
وهؤلاء بدل ان يفسروا الآيات على غرار التاريخ المسلم من حياته ، او

(١) المعارج للمحقق الحلبي ص ١٥٧ .

(٢) البحار للعلامة المجلسي ج ١٨ ص ٢٧٦-٢٧٧ .

يسلطوا الضوء عليها بما تضافرت الاخبار والروايات عليه ، عكسوا الامر فرفضوا التاريخ المسلم الصحيح والروايات المتضاربة اغتراراً ببعض الظواهر مع انها تهدف الى مقاصد اخر تتضح من البحث الاتي واليك هذه الايات :

- ١ - «الم يجدك يتيماً فاوى ووجدك ضالاً فهدى» . (الضحى ٦ - ٧)
  - ٢ - «وثيابك فطهر والرجز فاهجر» . (المدثر ٤ - ٥)
  - ٣ - «وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً تهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم» . (الشورى - ٥٢)
  - ٤ - «قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله افلا تعقلون» . (يونس - ١٦)
  - ٥ - «وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك» (القصص - ٨٦)
- وقد استدلت المخطئة بهذه الايات على مدعاها بل على زعم سلب الايمان عنه قبل ان يبعث ، لكنها لاتدل على ما يريدون ولاجل تسليط الضوء على مقاصدها نبحت عنها واحدة بعد واحد .

#### الاية الاولى : الهداية بعد الضلالة :

ان قوله سبحانه : «ووجدك ضالاً فهدى» يتضمن هدايته بعد الضلالة ؟ . وقد ذكر المفسرون للاية عدة احتمالات وانهاها الرازى في تفسيره الى ثمانية . لكن اكثرها من مخترعات الذهن ، لاجل الاجابة عن استدلال الخصم على كونه ﷺ كان ضالاً قبل البعثة ، غير مؤمن ولا موحد ، فهداه الله سبحانه . ولكن الحق في الجواب ان يقال :

ان الضال يستعمل في عرف اللغة في موارد :

- ١ - الضال : من الضلالة : ضد الهداية والرشاد .
- ٢ - الضال : من ضل البعير : اذا لم يعرف مكانه .



٣ - الضال : من ضل الشيء : اذا صوّل وخفى ذكره .  
وتفسير الضال باى واحد من هذه المعاني لا يثبت ما تدعيه المخطئة سواء  
أجعلناها معاني مختلفة جوهرأ وشكلا ، ام جعلناها معنى واحداً جوهرأ ومختلفا  
شكلا وصورة ، فان ذلك لا يؤثر فيما ترتئيه واليك توضيحه :  
اما المعنى الاول : فهو المقصود من تلك اللفظة فى كثير من الايات قال  
سبحانه : «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» (الحمد - ٧) لكن الضلالة بمعنى  
ضد الهداية والرشاد يتصور على قسمين :  
قسم : تكون الضلالة فيه وصفا وجودياً ، وحالة واقعية كامنة فى النفس ،  
توجب منقصتها وظلمتها ، كالكافر والمشرك والفاسق . والضلالة فى هاتيك  
الافراد صفة وجودية تكمن فى نفوسهم ، وتترايد حسب استمرار الانسان فى الكفر  
والشرك والعصيان والتجربى على المولى سبحانه ، قال الله سبحانه : «ولا يحسبن  
الذين كفروا انما تملى لهم خير لانفسهم انما تملى لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب  
مهيّن» . (آل عمران - ١٧٨)  
فان لازدياد الاثم بالجوارح تائيراً فى زيادة الكفر . وقد وصف سبحانه بعض  
الاعمال بانها زيادة فى الكفر قال سبحانه : «انما النسيء زيادة فى الكفر يضل  
به الذين كفروا» . (التوبة - ٣٧)  
وقسم منه تكون الضلالة فيه امرأ عديمأ بمعنى كون النفس فاقدة للرشاد  
غير مالكة له ، وعندئذ يكون الانسان ضالاً بمعنى انه غير واجد للهداية من عند  
نفسه . وفى الوقت نفسه لا تكمن فيه صفة وجودية مثل ما تكمن فى نفس المشرك  
والعاصى ، وهذا كالطفل الذى اشرف على التميز و كاد ان يعرف الخير من الشر ،  
والصلاح من الفساد ، والسعادة عن الشقاء ، فهو آنذاك ضال . لكن بالمعنى الثانى  
اى غير واجد للنور الذى يهتدى به فى سبيل الحياة لاضال بالمعنى الاول بمعنى  
كينونة ظلمة الكفر والفسق فى روحه .  
اذ عرفت ذلك . فاعلم : أنه لو كان المراد من الضال فى الآية ، ما يخالف

الهداية والرشاد فهو تهدف الى القسم الثاني منه لا الاول : بشهادة ان الاية بصدد توصيف النعم التي افاضها الله سبحانه على نبيه يوم افتقد اباه ثم امه فصار يتيماً لاملجأ له ولا مأوى ، فأواه واكرمه ، بجده عبدالمطلب ثم بعمه ابي طالب وكان ضالا في هذه الفقرة من عمره . فهداه الى اسباب السعادة وعرفه وسائل الشقاء . والالتزام بالضلالة بهذا المعنى لازم القول بالتوحيد الالهي . فان كل ممكن كما لا يملك وجوده وحياته ، لا يملك فعله واهدائه وارشده الا عن طريق ربه سبحانه . و انما يفاض عليه كل شيء منه قال تعالى : «يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد» . (فاطر - ١٥) فكما ان وجوده مفاض من الله سبحانه فهكذا كل ما يوصف به من جمال وكمال فهو من فيوض رحمته الواسعة . والاعتقاد بالهداية الذاتية ، وغناء الممكن بعد وجوده عن هدايته سبحانه يناقض التوحيد الالهي الذي شرحناه في هذه الموسوعة . (١)

وقد تضافرت الايات على هذا الاصل وان هداية كل ممكن مكتسبة من الله سبحانه من غير فرق بين الانسان وغيره ، و في الاول بين النبي وغيره . قال سبحانه : «قال ربنا الذي اعطى كل شيئ خلقه ثم هدي» . (طه - ٥٠) . وقال سبحانه «الذي خلق فسوي والذي قدر فهدى» . (الاعلى - ٣،٢) و قال سبحانه : «و قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله» . (الاعراف - ٤٣) . وقال سبحانه : «الذي خلقني فهو يهدين» . (الشعراء - ٧٨) وقال تعالى : «الا الذي فطرني فانه سيهدين» (الزخرف - ٢٧) وقال تبارك وتعالى : «وان اهتديت فبما يوحي الي ربي» (سبا - ٥٠) . الى غير ذلك من الايات .

وعلى هذا الاساس فالاية تهدف الى بيان النعم التي انعمها سبحانه على حبيبه منذ ان استعد لها فأواه بعدما صار يتيماً لا مأوى له ولا ملجأ ، وفاض عليه الهداية بعدما كان فاقداً لها حسب ذاتها . واما تحديد زمن هذه الافاضة فيعود الى اوليات حياته وايام صباه بقرينة ذكره بعد الايواء الذي تحقق بعدا ليتم ، وتم بجده



عبدالمطلب فوقع في كفالاته الى ثمانية سنين ويؤيد ذلك قول الامام امير المؤمنين  
«ولقد قرن الله به ﷺ من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته يسلك به  
طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره». (١)

والحاصل : ان الهداية في الاية نفس الهداية الواردة في قوله : «اعطى  
كل شيء خلقه ثم هدى» وفي قوله : «الذي خلقني فهو يهدين» . الى غير ذلك  
من الايات التي او عزنا اليها والاعتقاد بكونه ضالا اي فاقداً لها في مقام الذات  
ثم افيضت عليه الهداية ، هو مقتضى التوحيد الالهي ولازم كون النبي الاكرم  
ﷺ ممكناً بالذات ، فاقداً في ذاته كل كمال وجمال ، مفاضاً عليه كل جميل  
من جانبه سبحانه . واين هو من الضلالة المساوقة للكفر والشرك والفسق والعصيان  
وان شئت قلت : ان الضلالة في الاية يرادف الخسران الوارد في قوله سبحانه  
«ان الانسان لفي خسر» والهداية فيها يترادف الايمان والعمل الصالح الواردين  
بعده «الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات». (العصر-٣٥٢). فالانسان بما انه يصرف  
رأس ماله اعنى عمره الغالي كل يوم ، خاسر بالذات الا اذا اكتسب به ما يبقى  
ولا ينفد اثره وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح ، والنبي وغيره في هذه الاحكام  
سواسية بل في كل التوصيفات الواردة في مجال الانسان التي يثبتها القرآن له  
ولاوجه لارجاعها الى صنف دون صنف ، بعد كونها من خواص الطبيعة الانسانية  
مالم تقع تحت رعاية الله وهدايته .

وبذلك يتبين ان الضلالة في الاية لو فسرت -بضد الهدى والرشاد - لاتدل  
على ماتدعيه المخطئة بل هي بصدد بيان قانون كلي سائد على عالم الامكان من  
غير فرق بين الانسان وغيره وفي الاول بين النبي وغيره .

\* \* \*

## حول الاحتمالين الاخرين .

ولكن هذا المعنى غير متعين في الاية ان من المحتمل ان تكون الضلالة فيها مأخوذة من «ضل الشيء» : اذا لم يعرف مكانه» و«ضلت الدراهم» : اذا ضاعت و«افتقدت» و«ضل البعير» : اذا ضاع في الصحارى والمفاوز» وفي الحديث : «الحكمة ضالة المؤمن اخذها ابن وجدها» اى مفقودته ولا يزال يتطلبها وقد اشتهر قول الفقهاء فى باب «الجمالة» «من رد ضالتي فله كذا» .

فالضال بهذا المعنى ينطبق على ما نقله اهل السير والتاريخ عن اوليات حياته من انه ضل فى شعاب مكة وهو صغير فمن الله عليه ان رده الى جده. وقصته معروفة فى كتب السير . (١) .

ولولا رحمته سبحانه لادر كه الهلاك ومات عطشاً او جوعاً فشملته العناية الالهية فرده الى مأواه وملجأه

وهناك احتمال ثالث لا يقصر عما تقدمه من احتمالين . وهو ان تكون الضلالة فى الاية مأخوذة من «ضل الشيء اذا خفى وغاب عن الاعين» قال سبحانه : «أءذا ضللنا فى الارض أءنا لفى خلق جديد» . (السجدة - ١٠) . فالانسان الضال هو الانسان المخفى ذكره ، المنسى اسمه . لا يعرفه الا القليل من الناس ، ولا يهتدى كثير منهم اليه ، ولو كان هذا هو المقصود ، يكون معناه انه سبحانه رفع ذكره وعرفه بين الناس عند ما كان خاملاً ذكره منسياً اسمه ، ويؤيد ذلك الاحتمال قوله سبحانه فى سورة الانشراح التى نزلت لتحليل ما ورد فى سورة الضحى قائلاً : «الم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك. الذى انقض ظهرك. ورفعنا لك ذكرك» (الانشراح - ١ - ٤) . فرفع ذكره فى العالم ، عبارة عن هداية الناس اليه ورفع

(١) لاحظ السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣١ ويقول : عن حيدة بن معاوية العامرى :

سمعت شيخا يظوف بالبيت وهو يقول :

يارب رد راكبي محمداً  
ارده ربي واصطنع عندي يداً



الحواجز بينه وبين الناس ، وعلى هذا فالمقصود من « الهداية » هو هداية الناس اليه لاهدائه فكأنه قال : فوجدك ضالاً، خاملاً ذكرك ، باهتا اسمك، فهدى الناس اليك وسير ذكرك في البلاد .

والى ذلك يشير الامام الرضا عليه السلام على ما فى خبر ابن الجهم بقوله : قال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ « الم يجدك يتيماً فأوى » يقول : « الم يجدك » وحيداً فأوى اليك الناس « ووجدك ضالاً » يعنى عند قومك « فهدى » اى هداهم الى معرفتك (١) .

وهذه هى المحتملات المعقولة فى الآية ولا يدل واحد منها على ما تتبناه المنخطة وان كان الاظهر هو الاول .

ويعجبني فى المقام ما ذكره الشيخ محمد عبده فى « رسالة التوحيد » فقال :

وفى السنة السادسة من عمره فقد والدته ايضاً فاحتضنه جده عبدالمطلب . وبعد سنتين من كفالته ، توفى جده فكفله من بعده عمه ابوطالب و كان شهماً كريماً غير انه كان من الفقر بحيث لا يملك كفاف اهله . و كان (صلى الله عليه وسلم) من بنى عمه وصبية قومه ، كاحدهم على ما به من يتم ، فقد فيه الابوين معاً . وفقر لم يسلم منه الكافل والمكفول . ولم يقم على تربيته مهذب .

ولم يعن بتثقيفه مؤدب بين اتراب من نبت الجاهلية . وعشراء من خلفاء الوثنية واولياء من عبدة الالهة وأقرباء من حفدة الاصنام غير انه مع ذلك كان ينمو ويتكامل بدنا وعقلا، وفضيلة وادباً . حتى عرف بين اهل مكة وهوفى ريعان شبابه بالامين ، ادب الهى لم تجر العادة بان تزين به نفوس الايتام من الفقراء خصوصاً مع فقر القوام فاكتهل (صلى الله عليه وسلم) كاملاً ، والقوم ناقصون ، ربيعاً، والقوم منحطون، موحداً، وهم وثنيون، سلماً، وهم شاغبون، صحيح الاعتقاد

وهم واهمون ، مطبوعاً على الخير وهم به جاهلون ، وعن سبيله عادلون .  
من السنن المعروفة ان يتيماً فقيراً امياً مثله تنطبع نفسه بما تراه من اول  
نشأته الى زمن كهولته ، ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخالطه ، ولا سيما ان كان  
من ذوى قرابته ، واهل عصبته ، ولا كتاب يرشده ولا استاذ ينبهه ، ولا عضد اذا  
عزم يؤيده ، فلو جرى الامر فيه على مجارى السنن لنشأ على عقائدهم ، واخذ  
بمذاهبهم ، الى ان يبلغ مبلغ الرجال ، ويكون للفكر والنظر مجال ، فيرجع الى  
مخالفتهم ، اذا قام له الدليل على خلاف ضلالتهم كما فعل القليل ممن كانوا على  
عهده . ولكن الامر لم يجر على سنته ، بل بغضت اليه الوثنية من مبدء عمره ،  
فعاجلته طهارة العقيدة ، كما بادره حسن الخليفة ، وما جاء في الكتاب من قوله :  
« ووجدك ضالافهدى » . لا يفهم منه انه كان على وثنية قبل الاهتداء الى التوحيد ،  
او على غير السبيل القويم ، قبل الخلق العظيم حاش لله ان ذلك لهو الافك المبين  
وانما هى الحيرة تلم بقلوب اهل الاخلاص ، فيما يرجون للناس من الخلاص .  
وطلب السبيل الى ما هدوا اليه من انقاذ الهالكين وارشاد الضالين (١) .

#### الاية الثانية الامر بهجر الرجز .

يقول سبحانه : « يا ايها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر .  
والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر » . (المدثر - ١ - ٧)  
استدلّت المخطئة بان الرجز بمعنى الصنم والوثن ففي الامر بهجر ما يعاز  
لوجود ارضية سالحة لعبادتهما في شخصية النبي الاكرم ﷺ .  
اقول : ان الرجز في القرآن الكريم استعمل في المعاني الثلاثة التالية .  
١ - « العذاب - ٢ - القذارة - ٣ - الصنم » ولك ان تقول : ان المفاهيم الثلاثة  
اشكال لمعنى واحد جوهرأ ، وليست بمعان متعددة . ولكن تعيين احد الامرين  
لا يؤثر فيما ترتبه . توضيح ذلك :



ان «الرجز» بكسر الراء قد استعمل في القرآن تسع مرات. وقد اريد منه في جميعها العذاب الا في مورد واحد واليك مظانها: (البقرة-٥٩) الاعراف - (١٣٤). «وجاءت اللفظة فيها مرتين». (والاية - ١٤٥ و ١٦٢) (الانفال - ١١) (وسبأ - ٥) (الجاثية - ١١) (العنكبوت - ٢٩).

واما «الرجز»: بضم الراء فقد جاء في القرآن الكريم مرة واحدة. وهي الآية التي نحن بصدد تفسيرها. فسواء أريد منها العذاب ام غيره من المعنيين. فلا يدل على ما ذهبت اليه المخطئة واليك بيان ذلك.

أ - «الرجز»: العذاب فلو كان المقصود منه العذاب فيدل على الامر بهجر ما يستلزم العذاب وبما ان الآيات القرآنية نزلت بعنوان التعليم فلا تدل على ان النبي ﷺ كان مشرفاً على ما يجر العذاب لأن هذه الخطابات من باب «ياك اعني واسمعي يا جارة». وهذا النوع من الخطاب بمكان من البلاغة. لانه سبحانه: اذا خاطب اعز الناس اليه بهذا الخطاب فغيره اولى به. ومن هنا يقدر القارى الكريم على حل كثير من الآيات التي تخاطب النبي الاكرم ﷺ بلحن حاد وشديد. فيقول: «لئن اشركت ليحبطن عملك» (الزمر- ٦٥). وليست الآية دليلاً على وجود ارضية الشرك في شخصية النبي ﷺ فنهاه عنه سبحانه بل الآيات آيات عامة نزلت للتعليم والخطاب موجه اليه. والمقصود منه عامة الناس. ترى انه سبحانه يخاطب نبيه الاكرم في سورة القصص بالخطابات الناهية الاربعة المتوالية، الخطاب للنبي ﷺ والمقصود منه هو الامة ويقول: «وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الارحمة من ربك فلاتكونن ظهيراً للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد ان انزلت اليك وادع الى ربك ولاتكونن من المشركين ولا تدع مع الله الهاً آخر لاله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون». (القصص - ٨٦، ٨٨).

وهذا هو المقياس في اكثر الخطابات الناهية الواردة في القرآن الكريم.  
ب - الرجز بمعنى القذارة: ثم ان القذارة على قسمين: القذارة المادية،

والقدارة المعنوية فيحتمل ان يكون المراد هو الاول وقد ورد في الروايات ان ابا جهل جاء بشيء فذروناذى اصحابه وقال : هل فيكم رجل يأخذه منى ويلقيه على محمد . فاخذه بعض اصحابه فالقاه عليه فحينئذ تكون الاية ناظرة الى تطهير الثوب عن الدنس وان اريد القدارة المعنوية فالمراد هو الاجتناب عن الافعال والصفات الذميمة فان الاية نزلت للتعليم فلا تدل على اتصاف النبي الاكرم بها .

ج - الرجز بمعنى الضم : نفترض ان المقصود منه في الاية هو الضم لكن لا بمعنى انه وضع لذلك المعنى ، وانما وضع اللفظ لمعنى جامع يعم الضم والخمر والازلام ، لاشتراك الجميع في كونها رجزاً ولاجل ذلك وصف الجميع في مورد آخر بالرجس فقال : «انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه» (المائدة - ٩٠)

ولكن الجواب عن هذه الصورة هو الجواب عن الصورتين الاوليين والشاهد على ذلك ان النبي ﷺ يوم نزلت الاية لم يكن عابداً للوثن بل كان مشمراً لتحطيم الاصنام ومكافحة عبدها . فلا يصح ان يخاطب من هذا شأنه ، بهجر الاصنام الا على الوجه الذي اوعزنا اليه .

#### الاية الثالثة : عدم علمه بالكتاب والايان :

قوله سبحانه : «وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم» . (الشورى - ٥٢)

استدل المخطئة لعصمة النبي الاكرم بهذه الاية وزعمت - والعياذ بالله - دلالة الاية على انه كان فاقداً للايمان قبل الايحاء اليه وقد انقلب وصار مؤمناً موحداً بالوحي وبعد نزوله اليه .

لكن حياته المشرقة - بالايمان والتوحيد - تفند تلك المزعة ، بشهادة التاريخ على انه من بداية عمره الى ان لاقى ربه ، كان مؤمناً موحداً ، وليس



ذلك امرأ قابلاً للشك والترديد وقد اصفق على ذلك اهل السير والتاريخ وحتى كان الاحبار والرهبان معترفين بانه نبي هذه الامة وخاتم الرسالات الالهية وكان صلى الله عليه وسلم يسمع تلك الشهادات منهم في فترات خاصة في «مكة» و«يثرب» و«بصرى»، و«الشام»، وغيرها وعلى ذلك فكيف يمكن ان يكون غافلاً عن الكتاب الذي ينزل اليه، او يكون مجانبا عن الايمان بوجوده سبحانه وتوحيده، والتاريخ المسلم الصحيح يؤكده على عدم صدق ذلك الاستظهار. وعلى ضوء هذا، لابد من امعان النظر في مفاد الآية كما لا بد في تفسيرها من الاستعانة بالآيات الواردة في ذلك المساق فنقول:

بعث النبي الاكرم صلى الله عليه وسلم لهداية قومه اولاً، وهداية جميع الناس ثانياً، بالآيات والبينات واخص بالذكر منها: كتابه وقرآنه (معجزته الكبرى الخالدة) الذي بفصاحته اخرج فرسان الفصاحة، وقادة الخطابة، وبيلاغته قهرا رباب البلاغة وملوك البيان، وخلق عقولهم وقد دعاهم الى التحدى والمقابلة، فلم يكن الجواب منهم الا اثاره التهم حوله فتارة قالوا: بانه يعلمه بشر، واخرى بانه افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون، وثالثة: بانه اساطير الاولين التي اكتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلاً قال سبحانه: رداً على هذه التهم التي اوعزنا اليها: «قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين. ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين» (النحل-١٠٢، ١٠٣) وقال سبحانه: «وقال الذين كفروا ان هذا الا fark افتريه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزوراً وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلاً قل انزله الذي يعلم السرفى السموات والارض انه كان غفوراً رحيماً».

(الفرقان - ٤، ٦) والاية التي تمسكت بها المخطئة بصدديان هذا الامر وانه وحى سماوى لا fark افتراه ولاجل ذلك بدء كلامه بلفظة «وكذلك اوحينا اليك» اى كما انه سبحانه اوحى الى سائر الانبياء باحدى الطرق الثلاثة التي بينها في الآية المتقدمة، اوحى

اليك ايضاً روحاً من امرنا . وليس هذا كلامك وصنيعك . بل كلام ربك وصنيعه .  
هذا مجمل الكلام فى الاية وللاجل رفع النقاب عن مرماها تقدم اموراً  
تسلط ضوءاً عليه .

الاول : المراد من الروح فى الاية هو القرآن وسمى روحاً لانه قوام الحياة  
الاخرية كما ان الروح فى الانسان قوام الحياة الدنيوية ويؤيد ذلك امور:  
أ - ان محور البحث الاصلى فى سورة الشورى : هو الوحي والايات الواردة  
فيها البالغ عددها ٥٣ آية ، تبحث عن ذلك المعنى بالمباشرة او بغيرها .

ب - الاية التى تقدمت على تلك ، تبحث عن الطرق التى يكلم بها سبحانه  
انبيائه ويقول : «وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب او يرسل  
رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم» . (الشورى - ٥١)

ج - انه سبحانه بدأ كلامه فى هذه الاية بلفظة : «وكذلك» اى كما اوحينا  
الى من تقدم من الانبياء كذلك اوحينا اليك باحدى هذه الطرق «روحاً من امرنا»  
ووجه الاشتراك بينه وبين النبيين ، هو الوحي المتجلى فى نبينا بالقرآن وفى غيره  
بوجه آخر .

كل ذلك يؤيد ان المراد منه هو القرآن الملقى اليه . نعم وردت فى  
بعض الروايات ان المراد منه هو «روح القدس» . ولكنه لا ينطبق على ظاهر الاية  
لان «الروح» بحكم كونه مفعولاً «لاوحينا» يجب ان يكون شيئاً قابلاً للوحي  
حتى يكون «موحاً» وروح القدس ليس موحاً بل هو الموحى . (بالكسر فكيف  
يمكن ان يكون مفعولاً «لاوحينا» ولجله يجب تأويل الروايات ان صحت  
اسنادها .

الثانى : ان هيئة «ما كنت» او «ما كان» تستعمل فى نفى الامكان والشأن  
قال سبحانه : «وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله» (آل عمران - ١٤٥) وقال  
عز اسمه : «وما كان المؤمنون لينفروا كافة» . (التوبة - ١٢٢)  
وقال تعالى : «ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون» . (النمل - ٣٢)



وعلى ضوء هذا الاصل يكون مفاد قوله « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » انه لولا الوحي ما كان من شأنك ان تدري الكتاب ولا الايمان . فان وقفت عليهما فانما هو بفضل الوحي وكرامته .

الثالث : ان ظاهر الآية ان النبي الاكرم ﷺ كان فاقداً للعلم بالكتاب والدراية للايمان . وانما حصل الدراية بهما في ظل الوحي وفضله فيجب امعان النظر في الدراية التي كان النبي فاقداً لها قبل الوحي وصار واجداً لها بعده ، فما تلك الدراية وذاك العلم .

فهل المراد هو العلم بنزول الكتاب اليه اجمالاً والايمان بوجوده وتوحيده سبحانه او المراد العلم بتفاصيل ما في الكتاب واذعان بها كذلك .

لاسبيل الى الاول ، لان علمه اجمالاً بانه ينزل اليه الكتاب ، او ايمانه بوجوده ، سبحانه كانا حاصلين قبل نزول الوحي اليه ولم يكن العلم بهما مما يتوقف على الوحي ، فان الاحبار والرهبان كانوا واقفين على نبوته ورسالته ونزول الكتاب اليه في المستقبل اجمالاً ، وقد سمع منهم النبي ﷺ - في فترات مختلفة - : انه النبي الموعود في الكتب السماوية ، وانه خاتم الرسالات والشرائع ، فهل يصح ان يقال : ان علمه ﷺ بنزول كتاب عليه اجمالاً كان بعد بعثته وبعد نزول الوحي ، او انه كان متقدماً عليه وعلى بعثته ومثله الايمان بالله سبحانه وتوحيده اذ لم يكن الايمان بالله امراً مشكلاً متوقفاً على الوحي ، وقد كان الاحناف في الجزيرة العربية ومن جملتهم رجال البيت الهاشمي ، موحدين مؤمنين مع عدم نزول الوحي اليهم .

وبالجملة : العلم الاجمالي بنزول كتاب اليه والايمان بوجوده وتوحيده ، لم يكن امراً متوقفاً على نزول الوحي حتى يحمل عليه قوله « وكذلك او حينئذ اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » وعندئذ يتعين الاحتمال الثاني وهو ان العلم التفصيلي بمضامين الكتاب وما فيه من الاصول والتعاليم والقصاص - ثم الايمان والاذعان بتلك التفاصيل - كانا متوقفين على نزول الوحي ، ولولاه

لما كان هناك علم بها ولايمان .

وان شئت قلت : العلم والايمان بامور السمعية التي لا سبيل للعقل عليها - كالمعارف والاحكام والقصاص ومحااجة الانبياء مع المشركين والكفار وما نزل بساحة اعداءهم من اهلاك وتدمير - لا يحصلان الا من طريق الوحي ، حتى قصص الامم السالفة وحكاياتهم لتسرب الوضع والدرس الى كتب القصاصين ، والصحف السماوية النازلة قبل القران .

### تفسير الاية باية اخرى

ان الرجوع الى ماورد في هذا المضمار من الايات ، يوضح المراد من عدم درايته بالكتاب اولاً ، والايمان ثانياً .

اما الاول: فيقول سبحانه: «تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين». (هود-٤٩) فالاية صريحة في ان النبي ﷺ لم يكن عالماً بتفاصيل الانباء، وقد وقف عليها من جانب الوحي فعبّر عن عدم وقوفه عليها في هذه الاية بقوله: «ما كنت تعلمها انت ولا قومك» وفي تلك الاية: بقوله: «ما كنت تدري ما الكتاب» والفرق هو ان «الكتاب» اعم من «انباء الغيب» والاوّل يشتمل على الانباء وغيرها «واما الانباء» فانها مختصة بالقصاص والكلمة مشتركة كان في عدم العلم بهما قبل الوحي والعلم بهما بعده .

واما الثاني فقول سبحانه: «آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير». (البقرة - ٢٨٥) فقول: «آمن الرسول بما انزل اليه» صريح في ان متعلق الايمان الحاصل بعد الوحي ، هو الايمان «بما انزل اليه» اعنى تفاصيل الكتاب في المجالات المختلفة ، لا الايمان بالله وتوحيده و عندئذ يرتفع الابهام في الاية التي تمسكت بها المخطئة ويتبين ان متعلق الايمان المنفي في قوله «ولا الايمان» هو «ما انزل اليه» لا الايمان بالمبدء وتوحيده .



والحاصل : ان هنا شيئاً واحداً اعنى « الايمان بما انزل من المعارف والاحكام والانباء » فقد نفى عنه في الاية المبحوث عنها لكونها ناظرة الى ما قبل البعثة ، واثبت له في الاية الاخرى لكونها ناظرة الى بعد البعثة .  
ومن هنا تتضح اهمية عرض الايات بعضها على بعض وتفسير الاية باختها فهاتان الايتان كما عرفت كافتتان لرفع ابهام الاية واجمالها .  
وقد تفتن المفسرون لما ذكرناه على وجه الاجمال فقال الزمخشري في الكشاف: الايمان اسم يتناول اشياء: بعضها ، الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع ، فعنى به ما ، الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي (١)

وقال الطبرسي : « ما كنت تدري ما الكتاب » ما القرآن ولا الشرائع ومعالم الايمان . (٢)

وقال الرازي : المراد من الايمان هو الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به ، وانه قبل النبوة ما كان عارفاً بجميع تكاليف الله تعالى بل انه كان عارفاً بالله... ثم قال: صفات الله تعالى على قسمين: منها ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقل ومنها ما لا يمكن معرفته الا بالدلائل السمعية فهذا القسم الثاني لم تكن معرفته حاصلة قبل النبوة (٣)  
وقال العلامة الطباطبائي في الميزان : ان الاية مسوقة لبيان ان ما عنده ﷺ الذي يدعو اليه انما هو من عند الله سبحانه لا من قبل نفسه وانما اوتى ما اوتى من ذلك ، بالوحي بعد النبوة فالمراد بعدم درايته بالكتاب عدم علمه بما فيه من تفاصيل المعارف الاعتقادية والشرائع العملية ، فان ذلك هو الذي اوتى العلم به بعد النبوة والوحي . والمراد من عدم درايته الايمان ، عدم تلبسه

(١) الكشاف ج ٣ ص ٨٨-٨٩

(٢) مجمع البيان ج ٥ ص ٣٧

(٣) مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٤١٠ ولاحظ روح البيان ج ٨ ص ٣٤٧ وروح المعاني

بالالتزام التفصيلي بالعقائد الحققة والاعمال الصالحة، وقد سمي العمل ايماناً في قوله تعالى : «وما كان الله ليضيع ايمانكم» (البقرة- ١٤٣) (والمراد الصلوات التي اتى بها المؤمنون الى بيت المقدس قبل النسخ) والمعنى ما كان عندك قبل وحي الروح، علم الكتاب بما فيه من المعارف والشرائع ولا كنت متلبساً به بما انت متلبس به بعد الوحي من الالتزام التفصيلي والاعتقادي وهذا لا ينافي كونه مؤمناً بالله موحداً قبل البعثة صالحاً في عمله، فان الذي تنفيه الاية هو العلم بتفاصيل ما في الكتاب والالتزام بها اعتقاداً وعملاً، لانفي العلم والالتزام الاجماليين بالايمان بالله والخضوع للحق. (١)

#### الاية الرابعة : عدم رجائه لقاء الكتاب اليه :

قال تعالى : «وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الارحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين» (القصص - ٨٦) استدل الخصم بان ظاهر الاية نفى علمه بالقاء الكتاب اليه، فلم يكن النبي راجياً لذلك واقفاً عليه .  
اقول : توضيح مفاد الاية يتوقف على امعان النظر في الجملة الاستثنائية اعنى قوله «الارحمة من ربك» حتى يتضح المقصود . وقد ذكر المفسرون في توضيحها وجوها ثلاثة نأتى بها .  
١- ان «الا» استدراكية وليست استثنائية فهي بمعنى «لكن» لاستدراك ما بقى من المقصود وحاصل معنى الاية: «ما كنت يا محمد ترجو فيما مضى ان يوحى الله اليك ويشرفك بانزال القرآن عليك، الا ان ربك رحمتك وانعم به عليك واراد بك الخير» نظير قوله سبحانه : «وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك» (القصص- ٤٦) اي ولكن رحمة من ربك خصصك به وهذا هو المنقول عن الفراء (٢) . وعلى هذا لم يكن للنبي ﷺ اي رجاء للقاء الكتاب اليه وانما

(١) الميزان ج ١٨ ص ٨٠

(٢) مجمع البيان ج ٤ ص ٢٦٩ ومفاتيح الغيب ج ٦ ص ٨٤



فاجأه الالقاء لاجل رحمة ربه . ولكن لا يصر الى هذا الوجه الا اذا امتنع كون الاستثناء متصلاً لكون الانقطاع على خلاف الظاهر .

٢- ان يكون «الا» للاستثناء للاستدراك ، وهو متصل لامنقطع ، ولكن المستثنى منه جملة محذوفة معلومة من سياق الكلام . وهو كما في الكشاف: «وما القى اليك الكتاب الا رحمة من ربك» (١) اي لم يكن لالقائه عليك وجه الا رحمة ربك وعلى هذا الوجه ايضاً لا يعلم انه كان للنبي ﷺ رجاء لالقاء الكتاب عليه وان كان الاستثناء متصلاً، وهذا الوجه بعيد ايضاً لكون المستثنى منه محذوفاً مفهوماً من الجملة على خلاف الظاهر وانما يصر اليه اذا لم يصح ارجاعه الى نفس الجملة الواردة في نفس الآية كما سيبين في الوجه الثالث .

٣- ان يكون «الا» استثناء من الجملة السابقة عليه اعنى قوله : «وما كنت ترجوا» ويكون معناه : «ما كنت ترجوا لقاء الكتاب عليك الا ان يرحمك الله برحمة فينعم عليك بذلك» فتكون النتيجة : ما كنت ترجوا الا على هذا (٢) . فيكون هذا رجاءاً منفيًا ورجاءاً مثبتاً اما الاول : فهو رجاءه بحادثة نزول الكتاب على نسيج رجائه بالحوادث العادية ، فلم يكن ذاك الرجاء موجوداً واما رجاءه به عن طريق الرحمة الالهية فكان موجوداً فنفي احد الرجائين لا يستلزم نفى الاخر بل المنفي هو الاول والثابت هو الثاني وهذا الوجه هو الظاهر المتبادر من الآية وقد سبق منا ان جملة «ما كنت» وما اشبهه تستعمل في نفى الامكان والشان وعلى ذلك يكون معنى الجملة : لم تكن راجياً لان يلقى اليك الكتاب وتكون طرفاً للوحي والخطاب الا من جهة خاصة ، وهى ان تقع في مظلة رحمته وموضع عنايته فيختارك طرفاً لوحيه ، ومخاطباً لكلامه وخطابه ، فالنبي بما هو انسان عادى لم يكن راجياً لان ينزل اليه الوحي ويلقى اليه الكتاب وبما انه صار مشمولاً لرحمته وعنايته وصار انساناً مثالياً قابلاً لتحمل المسؤولية وتربية الامة، كان راجياً

(١) الكشاف ج ٢ ص ٤٨٧-٤٨٨

(٢) مفاتيح الغيب ج ٦ ص ٤٩٨

به وعلى ذلك فالنفي والاثبات غير واردين على موضع واحد .  
فقد خرجنا بفضل هذا البحث الضافي انه ﷺ كان انسانا مؤمنا موحداً  
عابداً لله ساجداً له قائماً بالفرائض العقلية والشرعية مجتنباً عن المحرمات عالماً  
بالكتاب ومؤمناً به اجمالاً ، وراجياً لنزوله اليه الى ان بعث لانقاذ البشرية عن  
الجهل ، وسوقها الى الكمال . فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث  
حياً . وبقيت هنا آية اخرى تأتي بتفسيرها اكمالاً للبحث وان لم تكن لها صلة  
تامة لما تبناه المخططة .

#### الاية الخامسة : لو لم يشأ ما تلوته :

قال سبحانه : «قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم به فقد لبثت فيكم  
عمرأ من قبله افلا تعقلون» (يونس-١٦) والاية توكد ان النبي ﷺ كان لابشاً  
في قومه ، ولم يكن تالياً بسورة من سور القرآن او آياً من آياته . وليس هذا شيء  
ينكره القائلون بالعصمة . فقد اتفقت كلمتهم على ان النبي ﷺ وقف على ما وقف  
من آى الذكر الحكيم من جانب الوحي ولم يكن قبله عالماً به ، واين هو من  
قول المخططة من نفي الايمان منه قبلها .

وان اردت الاسهاب في تفسيرها فلاحظ الاية المتقدمة عليها فترى فيها  
اقتراحين للمشركين وقد اجاب القرآن عن احدهما في الاية المتقدمة وعن الاخر  
في نفس هذه الاية واليك نصها: قال «الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا  
او بدله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى \* انى  
اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم» (يونس - ١٥) اقترح المشركون على  
النبي احد الامرين .

١ - الاتيان بقرآن غير هذا مع التحفظ على فصاحته وبلاغته .

٢- تبديل بعض آياته مما فيه سب لالهتهم وتنديد بعبادتهم الاوثان والاصنام  
فاجاب عن الثانى في نفس الاية بان التبديل عصيان لله وانه يخاف من مخالفة



ربه ولا محيص له الا اتباع الوحي من دون ان يزيد فيه او ينقص عنه .  
 واجاب عن الاول فى الاية المبحوث عنها بانه امر غير ممكن لان القرآن  
 ليس من صنعى و كلامى حتى اذهب به و آتى باخر . بل هو كلامه سبحانه وقد  
 تعلقت مشيئته على تلاوتى ولو لم يشأ لما تلوته عليكم ولا ادريكم به . والدليل  
 على ذلك انى كنت لابناً فيكم عمراً من قبل فما تكلمت بسورة او بآية من آياته  
 ولو كان القرآن كلامى لبادرت الى التكلم به طيلة معاشرتى معكم فى المدة  
 الطويلة .

قال العلامة الطباطبائى فى تفسير الاية : ان الامر فيه الى مشيئة الله لا الى  
 مشيئتى فانما انا رسول ولو شاء الله ان ينزل قرآنا غير هذا لانزل ، او لم يشأ تلاوة  
 هذا القرآن ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فانى مكثت فيكم عمراً من قبل نزوله  
 ولو كان ذلك الى ويدي لبادرت اليه قبل ذلك وبدت من ذلك آثار ولاحت  
 لوائحه . (١)

هذا آخر الكلام فى عصمته عن العصيان ، وصيانته عن الخلاف بقى الكلام  
 فى عصمته عن الخطأ والنسيان فنظر حها على بساط البحث اجمالاً .

### عصمة النبي الاعظم عن الخطأ (٢)

ان صيانة النبي عن الخطأ والاشتباه سواء أكان فى محل تطبيق الشريعة،  
 أم فى مجال الامور العادية الفردية المرتبطة بحياته ، مما طرح فى علم الكلام  
 وطال البحث فيه بين متكلمي الاسلام .  
 غير ان تحقيق الغاية من البعثة رهن صيانته عن الخطأ فى كلا المجالين ،  
 والافلات تحقق الغاية المتوخاة من بعثته . وهذا هو الدليل العقلى الذى اعتمدت

(١) الميزان ج ١٠ ص ٢٦ ولاحظ المنار ج ١١ ص ٣٢٠

(٢) البحث كما يعرب عنه عنوان البحث، مركز على صيانة خصوص نبينا الاعظم عن  
 الخطأ استدلالاً واشكالاً وجواباً واما البحث عن عصمة غيره من الانبياء فهو كقول الى مجال آخر

عليه العدلية بعدما اتفق الكل على لزوم صيافته عن الخطأ والاشتباه في مجال تلقي الوحي وحفظه، وادائه الى الناس، ولم يختلف في ذلك اثنان، واليك توضيح هذا الدليل العقلي ان الخطأ في غير امر الدين وتلقي الوحي يتصور على وجهين: أ - الخطأ في تطبيق الشريعة كالسهو في الصلاة او في اجراء الحدود.

ب - الاشتباه في الامور العادية المعدة للحياة كما اذا استقرض الف دينار، وظن انه استقرض مائة دينار وهو مصون من الاشتباه والسهو في كلا الموردين وذلك لان الغاية المتوخاة من بعث الانبياء هي هدايتهم الى طريق السعادة ولا تحصل تلك الغاية الا بكسب اعتماد الناس على صحة ما يقوله النبي وما يحكيه عن جانب الوحي، وهذا هو الاساس لحصول الغاية. ومن المعلوم انه لو سها النبي واشتبه عليه الامر في المجالين الاولين ربما تسرب الشك الى اذهان الناس. وانه هل يسهو في ما يحكيه من الامر والنهي الالهي ام لا؟

فباي دليل انه لا يخطأ في ذلك الجانب مع انه يسهو في المجالين الاخرين وهذا الشعور اذا تغلغل في اذهان الناس سوف يسلب اعتماد الناس على النبي. وبالتالي تنتفي النتيجة المطلوبة من بعثه.

نعم، التفكير بين صيافته في مجال الوحي وصيافته في سائر الامور وان كان امراً ممكناً عقلاً ولكنه ممكن بالنسبة الى عقول الناضجين في الابحاث الكلامية ونحوها، واما العامة ورعاغ الناس الذين يشكلون اغلبية المجتمع، فهم غير قادرين على التفكير بين تينك المرحتين، بل يجعلون السهو في احدهما دليلاً على امكان تسرب السهو الى المرحلة الاخرى.

ولاجل سد هذا الباب المنا في للغاية المطلوبة من ارسال الرسل، ينبغي ان يكون النبي مصنوناً في عامة المراحل، سواء آكنت في حقل الوحي أو في تطبيق الشريعة أو في الامور العامة. ولهذا يقول الامام الصادق جعل مع النبي روح القدس وهي لا تنام ولا تغفل ولا تلهو ولا تسهو. (١)



وعلى ذلك فيما انه ينبغي ان يكون النبي اسوة في الحياة في عامة المجالات  
يجب ان يكون نزيهاً عن العصيان والخلاف والسهو والخطأ.

### القرآن وعصمة النبي عن الخطأ والسهو :

قد عرفت منطلق العقل في لزوم عصمة النبي من الخطأ في مجال تطبيق  
الشريعة ، ومجال الامور العادية المعدة للحياة وهذا الحكم لا يختص بمنطقه ،  
بل الذكر الحكيم يدعمه باحسن وجه واليك ما يدل على ذلك .

١ - قال سبحانه : « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما  
اريدك الله ولا تكن للخائنين خصيماً » (النساء - ١٠٥) وقال ايضاً « ولولا فضل الله  
عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضر ونك من  
شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله  
عليك عظيماً » . (النساء - ١١٣)

وقد نقل المفسرون حول نزول الايات وما بينهما من الايات روايات رويها  
بطرق مختلفة نذكر ما ذكره ابن جرير الطبري عن ابن زيد قال: كان رجل سرق  
درعاً من حديد في زمان النبي ﷺ و طرحه على يهودى ، فقال اليهودى والله  
ماسرقتها يا ابا القاسم ولكن طرحت على وكان للرجل الذى سرق جيران يبرؤونه  
ويطرحونه على اليهودى، ويقولون: يا رسول الله ان هذا اليهودى الخبيث يكفر  
بالله وبما جئت به قال: حتى مال عليه النبي ﷺ ببعض القول فعاتبه الله عز وجل  
في ذلك فقال: « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا  
تكن للخائنين خصيماً . (١)

اقول : سواء أصحت هذه الرواية ام لا ، فمجموع ماورد حول الايات من  
اسباب النزول متفق على ان الايات نزلت حول شكوى رفعت الى النبي وكان كل  
من المتخاصمين يسعى ليبرىء نفسه ويتهم الاخر وكان في جانب واحد منهما رجل

طليق اللسان يريد ان يخدع النبي ﷺ ببعض تسويلاته ويشير عواطفه على المتهم البريء حتى يقضى على خلاف الحق وعند ذلك نزلت الاية ورفعت النقاب عن وجه الحقيقة فعرف المحق من المبطل ،

والدقة في فقرات الاية الثانية يوقفنا على سعة عصمة النبي من الخطأ وصيائمه من السهو، لانها مؤلفة من فقرات اربع ، كل يشير الى امر خاص :

١ - «ولو لافضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضر ونك من شئىء» .

٢ - «وانزل الله عليك الكتاب والحكمة» .

٣ - «وعلمك ما لم تكن تعلم» .

٤ - «وكان فضل الله عليك عظيماً» .

فالاولى منها : تدل على ان نفس النبي بمجرد ما لاتصونه من الضلال (اي من القضاء على خلاف الحق) وانما يصونه سبحانه عنه ، ولو لافضل الله ورحمته لهمت طائفة ان يرضوه بالدفاع عن الخائن والجدال عنه ، غير ان فضله العظيم على النبي هو الذى صده عن مثل هذا الضلال وأبطل امرهم المؤدى الى اضلاله وبما ان رعاية الله سبحانه وفضله الجسيم على النبي ليست مقصورة على حال دون حال او بوقت دون وقت آخر بل هو واقع تحت رعايته وصيائمه منذ ان بعث الى ان يلاقى ربه، فلا يتعدى اضلال هؤلاء انفسهم ولا يتجاوز الى النبي ﷺ فهم الضالون بما هموا به كما قال : «وما يضلون الا انفسهم وما يضر ونك من شئىء» .

والفقرة الثانية : تشير الى مصادر حكمه ومنابع قضائه ، وانه لا يصدر فى ذلك المجال الا عن الوحي والتعليم الالهى كما قال سبحانه : «وانزل عليك الكتاب والحكمة» والمراد المعارف الكلية العامة من الكتاب والسنة .

ولما كان هذا النوع من العلم الكلى احدر كنى القضاء وهو بوحده لا يفى بتشخيص الموضوعات وتمييز الصغريات ، فلا بد من الركن الاخر وهو تشخيص المحق من المبطل والخائن من الامين ، والزانى من العفيف أتى بالفقرة الثالثة



وقال : «وعلمك ما لم تكن تعلم» ومقتضى العطف، مغائرة المعطوف ، مع المعطوف عليه فلو كان المعطوف عليه ناظراً الى تعرفه على الركن الاول وهو العلم بالاصول والقواعد الكلية الواردة في الكتاب والسنة ، يكون المعطوف ناظراً الى تعرفه على الموضوعات والجزئيات التي يعد ركناً ثانياً للقضاء الصحيح . فالعلم بالحكم الكلي الشرعي وتشخيص الصغريات وتمييز الموضوعات جناحان للقاضي يخلق بهما في سماء القضاء بالحق من دون أن يجنح الى جانب الباطل ، او يسقط في هوة الضلال .

قال العلامة الطباطبائي : ان المراد من قوله سبحانه «وعلمك ما لم تكن تعلم» ليس علمه بالكتاب والحكمة ، فان مورد الاية ، قضاء النبي في الحوادث الواقعة والدعاوى المرفوعة اليه ، برأيه الخاص، وليس ذلك من الكتاب والحكمة بشيء وان كان متوقفا عليهما، بل المراد رأيه ونظره الخاص (١) ولما كان هنا موضع توهم وهو ان رعاية الله لنبيه تختص بمورد دون مورد ، دفع ذلك التوهم بالفقرة الرابعة فقال سبحانه «وكان فضل الله عليك عظيماً» : حتى لا يتوهم اختصاص فضله عليه بواقعة دون اخرى : بل مقتضى عظمة الفضل ، سعة شموله لكل الوقائع والحوادث ، سواء أكانت من باب المرافعات والمخاصمات ، ام الامور العادية ، فتدل الفقرة الاخيرة على تعرفه على الموضوعات ومصونيته عن السهو والخطاء في مورد تطبيق الشريعة او غيره ولا كلام اعلى واغزر من قوله سبحانه في حق حبيبه «وكان فضل الله عليك عظيماً» .

٢- قال سبحانه: «وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً». (البقرة: ١٤٣). ان الشهادة المذكورة في الاية حقيقة من الحقائق القرآنية تكرر ذكرها في كلامه سبحانه، قال تعالى: «فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً». (النساء - ٤٠) . وقال

تعالى : «ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون» (النحل- ٨٤). وقال تعالى: «وضع الكتاب وجيء بالنبیین والشهداء». (الزمر ٦٩-). والشهادة فيها مطلقة وظاهر الجميع هو الشهادة على اعمال الامم وعلى تبليغ الرسل كما يومى اليه قوله تعالى: «ولنستلن الذين ارسل اليهم ولنستلن المرسلين». (الاعراف-٥). وهذه الشهادة وان كانت فى الآخرة ويوم القيامة لكن يتحملها الشهود فى الدنيا على ما يدل عليه قوله سبحانه حكاية عن عيسى «و كنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد». (المائدة-١٣٠) وقال سبحانه : «ويوم القيامة تكون عليهم شهيداً». (النساء - ١٥٨). ومن الواضح ان الشهادة فرع العلم، وعدم الخطأ فى تشخيص المشهود به ، فلو كان النبي من الشهداء يجب الا يكون خاطئاً فى شهادته ، فالاية تدل على صيافته وعصمته من الخطأ فى مجال الشهادة كما تدل على سعة علمه ، لان الحواس لا ترشدنا الا الى صور الاعمال والافعال ، والشهادة عليها غير كافية عند القضاء، وانما تكون مفيدة اذا شهد على حقائقها من الكفر والايمان، والرياء و الاخلاص ، وبالجملة على كل خفى عن الحس ومستبطن عند الانسان ، أعنى ما تكسبه القلوب وعليه يدور حساب رب العالمين ، قال تعالى: «ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم». (البقرة-٢٢٥) ولاشك ان الشهادة على حقائق اعمال الامة خارج عن وسع الانسان العادى الا اذا تمسك بحبل العصمة وولى أمر الله بأذنه، ولنا فى الاجزاء الآتية من هذه الموسوعة بحث حول الشهداء فى القرآن، فنكتفى بهذا القدر فى المقام.

ثم ان العلامة الحجة السيد عبدالله شبر أقام دلائل عقلية ونقلية على صيانة النبي عن الخطأ ولكن اكثرها كما صرح به نفسه قدس الله سره مدخولة غير واضحة ومن اراد الوقوف عليها فليرجع الى كتابه (١).



### ادلة المخطئة:

ان بعض المخطئة استدلت على تطرق الخطأ والنسيان الى النبي ببعض الايات غافلة عن اهدافها، واليك تحليلها .

١- قال سبحانه : «واذ رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين» . (الانعام - ٦٨)

زعمت المخطئة ان الخطاب للنبي وهو المقصود منه ، غير انها غفلت عن ان وزن الآية وزان سائر الآيات التي تقدمت في الابحاث السابقة وقلنا بان الخطاب للنبي ولكن المقصود منه هو الامة ويدل على ذلك، الآية التالية لها قال : «وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكري لهم ليتقون» . (الانعام- ٦٩) فان المراد انه ليس على المؤمنين الذين اتقوا معاصي الله سبحانه من حساب الكفرة شيء بحضورهم مجلس الخوض ، وهذا يدل على ان النهي عن الخوض تكليف عام يشترك فيه النبي وغيره ، وان الخطاب للنبي لا ينافي كون المقصود هو الأمة .

والاوضح منها دلالة على ان المقصود هو الامة قوله سبحانه : «وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً» . (النساء - ١٤٠)

والاية الاخيرة مدنية ، والاية المتقدمة مكية ، وهي تدل على ان الحكم النازل سابقاً متوجه الى المؤمنين وان الخطاب وان كان للنبي لكن المقصود منه غيره

٢ - «ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدينى ربي لا قرب من هذا رشداً» (الكهف ٢٣ - ٢٤)) والمراد من النسيان نسيان الاستثناء (الا ان يشاء الله) ، ووزان هذه الآية ، وزان الآية

السابقة في ان الخطاب للنبي والمقصود هو الأمة .

٣- «سنقرئك فلا تنسى الاما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى». (الاعلى ٦-٧) ومعنى الاية سنجعلك قارئاً بالهام القراءة فلا تنسى ما تقرأه ، لكن المخطئة استدلت بالاستثناء الوارد بعده ، على امكان النسيان لكنها غفلت عن نكتة الاستثناء ، فان الاستثناء في الاية نظير الاستثناء في قوله سبحانه : «واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدون فيها مادامت السموات والارض الاما شاء ربك عطاء غير مجذوذ». (هود-١٠٨) ومن المعلوم ان الوارد الى الجنة لا يخرج منها، ولكن الاستثناء لاجل بيان ان قدرة الله سبحانه بعد باقية، فهو قادر على الاخراج مع كونهم مؤبدين فى الجنة، وأما الاية فالاستثناء فيها يفيد بقاء القدرة الالهية على اطلاقها، وان عطية الله أعنى «الاقراء بحيث لا تنسى» لا ينقطع عنه سبحانه بالاعطاء ، بحيث لا يقدر بعد على انساءك بل هو باق على اطلاق قدرته فلو شاء أنسأك متى شاء، وان كان لا يشاء ذلك وبما ان البحث مر كثر على عصمة النبي الاعظم من الخطأ والنسيان دون سائر الانبياء ذكرنا الايات التى استدلت بها المخطئة على ما تبناه فى حق النبي الاكرم واما بيان الايات التى يمكن ان يستدل بها على امكان صدور السهو والنسيان عن سائر الانبياء وتفسيرها فمترك الى مجال آخر ونقول على وجه الاجمال انه تستظهر من بعض الايات صحة نسبة النسيان الى غير النبي الاعظم اعنى قوله سبحانه : « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً » (طه - ١١٥) وقوله سبحانه فى حق موسى: « فلما بلغا مجمع بينهما نسى حوتهما » (الكهف - ٦١) وقوله سبحانه ايضاً عنه : « فانى نسيته وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره » (الكهف - ٦٣) وقوله سبحانه فى حقه ايضاً : « لاتواخذنى بما نسيته » (الكهف-٧٣) لكن البحث عن مفاد هذه الايات مو كول الى مجال آخر.

بقى هنا امران ، الاول : ما هى النظرية السائدة بين الامامية فى مسألة سهو النبي ؟ الثانى : كيفية معالجة المأثورات الظاهرة فى صدور السهو عن النبي الاعظم ، واليك بيان الامرين على نحو الاجمال .



## ١ - الرأي السائد بين الامامية حول سهو النبي (ص) :

يظهر من الشيخ الصدوق ان انكار سهو النبي كان شعار الغلاة والمفوضة قال في كتابه «من لا يحضره الفقيه» ان الغلاة والمفوضة ينكرون سهو النبي (ص) يقولون لو جاز ان يسهو في الصلاة جاز ان يسهو في التبليغ لان الصلاة عليه فريضة كما ان التبليغ عليه فريضة، ثم اجاب عنه بان جميع الاحوال المشتركة تقع على النبي ﷺ فيها ما تقع على غيره . . . . . فالحالة التي اختص بها هي النبوة، والتبليغ من شرائطها، ولا يجوز ان يقع عليه في التبليغ ما يقع عليه في الصلاة لانها عبادة مخصوصة، والصلاة عبادة مشتركة، وبها تثبت له العبودية وبإثبات النوم له عن خدمة ربه عز وجل من غير ارادة له وقصد منه اليه، نفى الربوبية عنه لان الذي لا تأخذه سنة ولا نوم هو الله الحي القيوم، وليس سهو النبي ﷺ كسهونا لأن سهوه من الله عز وجل وانما اسهاه ليعلم أنه بشر مخلوق فلا يتخذ ربا معبوداً ودونه وليعلم الناس بسهوه حكم السهومتى سهواً، وسهونا عن الشيطان وليس للشيطان على النبي ﷺ والائمة صلوات الله عليهم سلطان «انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشر كون وعلي من تبعه من الغاوين» ثم نقل عن شيخه محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد (المتوفى عام - ٣٤٣ هـ) انه كان يقول : اول درجة في الغلو نفى السهو عن النبي ﷺ (١).

و حاصل كلامه ان السهو الصادر عن النبي اسهاه من الله اليه لمصلحة كنفى وهم الربوبية عنه، وإثبات انه بشر مخلوق واعلام الناس حكم سهوهم في العبادات وامثالها، واما السهو الذي يعترينا من الشيطان فانه ﷺ منه بريء وهو منزه عنه، وليس للشيطان عليه سلطان ولا سبيل .

ومع ذلك كله فهذه النظرية مختصة به وبشيخه ابن الوليد ومن تبعهما كالطبرسي في مجمه على ما سيأتي والمحققون من الامامية متفقون على نفى السهو عنه في امور الدين حتى مثل الصلاة .

(١) من لا يحضره الفقيه ، ج ١ ص ٢٣٢

قال المفيد: ان الائمة القائمين مقام الانبياء في تنفيذ الاحكام واقامة الحدود وحفظ الشرائع وتاديب الانام معصومون كعصمة الانبياء وانهم لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين ولا ينسون شيئاً من الاحكام ، وعلى هذا مذهب سائر الامامية الامن شذمنهم وتعلق بظاهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب ، والمعتزلة باسرها تخالف في ذلك ويجوزون من الخلفاء وقوع الكبائر والردة عن الاسلام . (١)

وقال في شرحه على عقايد الصدوق : فاما نص ابي جعفر رحمه الله بالغلو على من نسب مشايخ القميين وعلمائهم (الذين جوزوا السهو على النبي) الى التقصير فليس نسبة هؤلاء القوم على التقصير علامة على غلو الناس اذ في جملة المشار اليهم بالشيخوخة والعلم من كان مقصراً ، وانما يجب الحكم بالغلو على من نسب المحققين الى التقصير سواء كانوا من اهل قم ام من غيرها من البلاد ومن سائر الناس ، وقد سمعنا حكاية ظاهرة عن ابي جعفر محمد بن الحسن بن الوليد رحمه الله لم نجد لها دافعاً وهي ما حكى عنه انه قال: اول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ والامام (ع) .

ثم ان الشيخ المفيد لم يكتف بهذا القدر من الرد بل ألف رسالة مفردة في رده ، وقد ادرجها العلامة المجلسي في بحاره (٢) .

وعلى هذا الرأي استقر رأى الامامية ، فقال المحقق الطوسي : وتجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق... وعدم السهو وقال العلامة الحلبي في شرحه: وان لا يصح عليه السهو لثلاث سهو عن بعض ما أمر بتبليغه (٣)

وقال المحقق الحلبي في النافع : والحق رفع منصب الامامة عن السهو في العبادة (٤) .

وقال العلامة في المنتهى في مسألة التكبير في سجدة السهو. احتج المخالف

(٢) راجع البحار ج ١٧ ص ١٢٢-١٢٩

(١) اوائل المقالات ص ٣٥

(٤) النافع ص ٤٥

(٣) كشف المراد ص ١٩٥



بما رواه ابوهريرة عن النبي: قال: ثم كبر وسجد والجواب: هذا الحديث عندنا باطل لاستحالة السهو على النبي وقال في مسألة اخرى: قال الشيخ: وقول مالك باطل لاستحالة السهو على النبي (١).

وقال الشهيد في الذكري: وخبر ذى اليمين متروك بين الامامية لقيام الدليل العقلي على عصمة النبي عن السهو لم يصر الا ذلك غير ابن بابويه (٢). هذا هو الرأى السائد بين الامامية ولم يشذ عنهم احد من المتأخرين سوى امين الاسلام الطبرسي في تفسيره حيث قال: واما النسيان والسهو فلم يجوزوهما عليهم فيما يؤدونه عن الله تعالى واما ما سواه فقد جوزوا عليهم ان ينسوه او يسهو عنه ما لم يؤدي ذلك الى اخلال بالعقل (٣).

واما غيره فلم نجد من يوافقه ومن اراد التفصيل فليرجع الى المصادر التالية (٤).

وقد قام العلامة المجلسي بايفاء حق المقام في بحاره لاحظ البحار ج ١٧ ص ٩٧-١٢٩.

### ٣- كيفية معالجة المأثورات حول سهو النبي :

روى الفريقان احاديث حول سهو النبي. روى البخارى في كتاب الصلاة باب من يكبر في سجدة السهو عن ابى هريرة قال: صلى النبي احدى صلاتى العشية... ركعتين فقالوا: أقصرت الصلاة؟ ورجل يدعوه النبي ذواليدنين فقال

(١) منتهى المطلب ص ٤١٨-٤١٩ (٢) الذكري ص ٢١٥

(٣) مجمع البيان ج ٢ ص ٣١٧

(٤) حق اليقين في معرفة اصول الدين للسيد عبد الله شير ج ١ ص ١٢٤ مصابيح الانوار في حل مشكلات الاخبار، له ايضاً ج ٢ ص ١٣٤-١٤٢ تنزيه الانبياء للسيد المرتضى منهج الصادقين ج ٣ ص ٣٩٣، ج ٥ ص ٣٤٦

أنسيت الصلاة أم قصرت؟ فقال: لم أنس ولم تقصر قال: بلى قد نسيت فصلتي وركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه فكبر ثم وضع رأسه فكبر فسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر (١) هذا ما رواه أهل السنة كما رواه غيره أيضاً.

أما الشيعة فقد رواوا أحاديث حول الموضوع نقلها العلامة المجلسي في بحاره (٢). ولا يتجاوز مجموع ما ورد في هذا الموضوع عن اثني عشر حديثاً كما أن أخبار نوم النبي عن صلاة الصبح لا تتجاوز عن ستة أحاديث (٣).

لكن الجواب عن هذه الروايات بأحد أمرين. الأول: ما ذكره المفيد في الرسالة الموماً اليها من أنها أخبار آحاد لا تثمر علماً ولا توجب عملاً ومن عمل على شيء منها فعلى الظن يعتمد في عمله بها دون اليقين (٤).

الثاني ما ذكره الصدوق من التفريق بين سهو النبي وسهو الآخرين بما عرفت. والله العالم بالحقائق:

ثم الظاهر من السيد المرتضى، تجويز النسيان على الأنبياء حيث قال في تفسير قوله سبحانه «لاتؤاخذني بما نسيت» (الكهف - ٧٣): أن النبي إنما لا يجوز عليه النسيان فيما يؤديه عن الله تعالى أوفى شرعه أوفى أمر يقتضي التنفيذ عنه فاما فيما هو خارج عما ذكرناه، فلا مانع من النسيان (٥).

وممن وافق الصدوق من المتأخرين، شيخنا المجيز: الشيخ محمد تقي التستري، فقد ألف رسالة في الموضوع نصر فيها الشيخ الصدوق وأستاذه ابن الوليد

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٦٨

(٢) البحار ج ١٧ ص ٢٠٠ - ١٠٧. وقد جمع شيخنا المحقق التستري أحاديث

السهو في رسالة خاصة، طبعها في آخر الجزء الحادي عشر من قاموس الرجال.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٠

(٤) البحار ج ١٧ ص ١٢٣

(٥) تنزيه الأنبياء ص ٨٧



وطبعتها في ملحقات الجزء الحادى عشر من رجاله «قاموس الرجال» والرسالة تقع في ٢٤ صحيفة .

واما العلامة المجلسى فالظاهر منه التوقف في المسألة قال : اعلم أن هذه المسألة في غاية الاشكال لدلالة كثير من الايات (الايات التي تستظهر منها نسبة النسيان الى بعض الانبياء غير النبى الاكرم وقد قدمناها) والاختبار على صدور السهو عنهم واطباق الاصحاب الاما شذ على عدم جواز السهو عليهم مع دلالة بعض الايات والاختبار عليه في الجملة وشهادة بعض الدلائل الكلامية والاصول المبرهنة عليه ، مع ما عرفت في اختبار السهو من الخلل والاضطراب وقبول الايات للتأويل، والله يهدى الى سواء السبيل . (١)

ثم ان الشيخ المفيد وصف القائل بصدور السهو عنهم عليهم السلام من الشيعة بالمقلدة واراد منها: الصدوق وشيخه ابن الوليد ولكن التعبير عنهما بالمقلدة غير مرضى عندنا كيف ويصف الاول الرجالى النقاد ابن النجاشى بقوله: «ابو جعفر شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان وكان ورد بغداد سنة ٣٥٥ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن (٢) ويقول في حق شيخه: ابو جعفر شيخ القميين، وفقههم ومتقدمهم ووجههم ويقال انه نزيل قم وما كان اصله منها ، ثقة ، ثقة ، عين مسكون اليه (٣) .

والمحل الصحيح لهذه التعابير ما اشار اليه شاعر الاهرام بقوله :

يشدت في سبب الخصومة لهجة	لكن يرق خليقة وطباعا
وكذلك العلماء في اخلاقهم	يتباعدون ويلتقون سراعاً
في الحق يختلفون الا انهم	لا يبتغون الى الحقوق ضياعاً

اللهم اغفر الماضين من علمائنا واحفظ الباقيين منهم .

\* \* \*

(١) البحار ج ١٧ ص ١١٨-١١٩

(٢) رجال النجاشى ص ٣٨٩ و ٣٨٣

## مفهوم الإمام في القرآن الكريم

مفهوم الإمام في القرآن الكريم



## في هذا الفصل :

- ١ - نظرية الامامة بين الفريقين .
- ٢ - هل الامامة تفويض اجتماعي او منصب الهى ؟
- ٣ - الاستدلال على كونها منصبا الهيا .
- ٤ - ما هو الهدف من ابتلاء الخليل بالكلمات ؟
- ٥ - ما هو المراد من الكلمات التى ابتلى بها ابراهيم ؟
- ٦ - ما هو المقصود من اتمام تلك الكلمات ؟
- ٧ - ماذا يراد من الامام فى قوله «انى جاعلك للناس اماماً» ؟
- ٨ - توضيح النظريات الخمس فى تفسير الامام فى الاية السابقة ؟
- ٩ - كيف تكون الامامة عهداً الهيا .
- ١٠ - ما هو المراد من الظالمين فى قوله «لاينال» عهدى الظالمين .
- ١١ - بيان كيفية دلالة الآية على نزاهة الامام من الذنب ،
- ١٢ - آية التطهير وعصمة اهل البيت فى القرآن الكريم .
- ١٣ - ماهو المراد من الرجس فى قوله سبحانه «ليذهب عنكم الرجس» .
- ١٤ - هل الأزادة الواردة فى الاية تكوينية او تشريعية .
- ١٥ - ما هو المقصود من اهل البيت فى القرآن الحكيم .
- ١٦ - من هم اهل البيت فى حديث النبى الاكرم ﷺ .
- ١٧ - مشكلة السياق فى الآية .
- ١٨ - اهل البيت فى الادب العربى .

وإنما العلم بالقول والاعمال والسير في الدين والسير في الدنيا والسير في الآخرة  
 من العلم والسير في الدنيا والسير في الآخرة من العلم والسير في الدنيا والسير في الآخرة  
 من العلم والسير في الدنيا والسير في الآخرة من العلم والسير في الدنيا والسير في الآخرة

### مفهوم الامام في القرآن الكريم

للتعرف على مفهوم كلمة الامام في القرآن أهمية خاصة كما ان التعرف  
 على مفهوم النبي والرسول فيه كذلك ، وقد فرغنا من تبين مفهوم الاخيرين  
 في الجزء السابق وبقي البحث عن مفهوم الامام في الكتاب العزيز .  
 ان الامام في مصطلح المتكلمين هو القائد العام للمسلمين الذي يخلف النبي  
 ﷺ في كل اربعض ما يمت له بصلة وقد اتفقت الامة على استداد باب الوحي  
 وختم التشريع بموت النبي ﷺ ولحوقه بالرفيق الاعلى ؛ وانما الكلام في مقدار  
 المسؤولية التي يتحملها الامام في خلافته عنه . وهذا الاختلاف أوجد نظريتين  
 في باب الائمة بين المتكلمين ، بل احدث مدرستين : وجار سبباً للاختلاف في  
 لزوم بعض الشروط في الامام وعدمها ولا يمكن الوصول الى الحق الا بعد دراسة  
 النظريتين على ضوء الكتاب والسنة والعقل ، ولا يضح ابداء النظر في لزوم الشروط  
 التي ذكرها المتكلمون الا بعد تلك الدراسة ، واليك بيان النظريتين .

#### ١ - الائمة تفويض اجتماعي :

الائمة تفويض اجتماعي بمعنى ان الامة هي صاحبة السلطة العليا تخولها  
 للامام وهي التي تجاسب الامام وتراقب قراراته وعليها ان تنتخب من يقودها ،  
 وبعبارة اخرى : ان من حق الامة ان تختار حكامها ، تعيينهم وتعزلهم وتراقبهم في  
 كل تصرفاتهم الشخصية والعمامة ، وعلى ذلك فالائمة مناصب عر في كسائر المناصب  
 المطروحة في المجتمع غير انها تتفاوت بسعة المسؤولية وضيقها ، فالامام اكثر



مسؤولية من الوزراء وهم اكبر مسؤولية من المدراء العامين ولا يخلف الامام النبي الراحل الا في بعض مسؤوليته وهي الاخذ بزمام السلطة في الشؤون التي تتوقف عليها حياة الامة و لاجل ذلك يعتبر فيه من المؤهلات و الصلاحيات : الدراية والكفاية اولا ، والعلم بالاحكام والقوانين على مستوى خاص ثانياً .

واما سائر الشروط كالعصمة الالهية، والعلم بجميع الاحكام الشرعية، والاجابة عن كل الاسئلة المطروحة، والدفاع العلمى عن اصول الشريعة ومعارفها العليا وتفسير ماورد من الايات في الذكر الحكيم و . . . فلا يعتبر قطعاً لان الهدف المتوخى من الامام على هذا الصعيد هو اعمال السلطة وقيادة السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية وتكفيه المقدره العادية والعلم بمقدار محدود .

هذا هو اساس تلك، النظرية وعلى ذلك نجد ان معتنقى تلك النظرية يصفون الامام وشروطه بالعبارات التالية :

يقول القاضى الباقلانى : يجب ان يكون الامام على اوصاف : منها : ان يكون قرشياً من الصميم وان يكون من العلم بمنزلة من يصلح ان يكون قاضياً من قضاة المسلمين وان يكون ذا بصيرة بامر الحرب وتديير الجيوش والسرايا و سد الثغور وحماية البيضة وحفظ الامة والانتقام من ظالمها ونصرة مظلومها وما يتعلق به من مصالحها وان لا يكون ممن تلحقه رقة ولا هوادة فى اقامة الحدود ولا جزع من ضرب الرقاب والابشار (١) .

وقد جاء على منوال القاضى اكثر من تأخر عنه الى عصرنا هذا ولا حاجة لنقل ما ذكره المتأخرون عنه . ونكتفى بنقل ما ذكره احد الشخصيات البارزة فى زماننا ، قال : اتفق الفقهاء على ان خليفة المسلمين هو مجرد و كيل عن الامة يخضع لسلطان موكله فى جميع اموره وهو مثل و كيل من الامة فى البيع والشراء يخضع لما يخضع له الوكيل الشخصى كما اتفقوا على ان موظفى الدولة الذين يعينهم الخليفة او يعزلهم، لا يعملون بولايتهم ولا ينزلون بعزله باعتباره الشخصى

وانما بولاية الامة وعزلها التي وكلته في التولية والعزل. ولهذا اذا عزل الخليفة لا ينعزل ولاته وقضاته لانهم يعملون باسم الامة وفي حق الامة لاباسم الخليفة ولا في خالص حق الخليفة. (١)

وتتلخص تلك النظرية في ان الامة نقلت الى الامام ولايتها وجعلت فيه ثقته ولو قام اهل الحل والعقد بتنصيبه فلاجل انهم وكلاء الامة. هذه حقيقة تلك النظرية عند اصحابها، وسواء أطابقت واقع خلافة الخلفاء وجلسهم على منصة الحكم ام لا، فهو لاء يتبنون تلك النظرية ويحاولون ان يسوقوا على صحتها الشواهد والدلائل.

#### الخليفة والعدالة.

ان اصحاب هذه النظرية اختلفوا في اشتراط العدالة في الخليفة فهم بين نافرين لها مستدلين ببعض الخلفاء الذين افتقدوا السيرة المحمودة والعدالة. وبين مثبتين لها. واليك نصوص كلا الطرفين :

يقول القاضي الباقلاني : قال الجمهور من اهل الاثبات واصحاب الحديث: لا ينخلع الامام بنفسه وظلمه بغصب الاموال وضرب الابشار وتناول النفوس المحرمة وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود ولا ينخلع بهذه الامور ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه وتخويله وترك طاعته في شيء مما يدعوا اليه من معاصي الله واحتجوا لذلك باخبار كثيرة متضافرة عن النبي والصحابة في وجوب طاعة الائمة وان جاروا واستأثروا بالاموال. (٢)

وقال التفتازاني : واذا مات الامام وتصدى للامامة من يستجمع شرائطها من غير استخلاف، وقهر الناس بشو كته، انعقدت الخلافة له. وكذا اذا كان فاسقاً او جائراً على الاظهر الا انه يعصى بما فعل وتجب طاعة الامام ما لم يخالف حكم

(١) من توجيهات الاسلام للشيخ محمود شلتوت ص ٥٦٣

(٢) التمهيد للباقلاني ص ١٨٦



الشرع سواء كان عادلا او جائرا ، ولا ينزل الامام بالفسق . (١) ولا يخرج علي الاثمة وقتالهم بالسيف وان كان منهم ظلم ويتمسكون في ذلك باحاديث منسوبة الى النبي ﷺ وربما يعللون ذلك بان الفساد في القتال والفتنة اعظم من الفساد الحاصل من ظلمهم بدون قتال فيدفع اعظم الفاسدين بالتزام الادنى . ولا تكاد تعرف طائفة خرجت على السلطان ، الا كان في خروجها من الفساد ما هو اعظم من الفساد الذي ازالته . (٢)

وعلى هذا الاساس تسلط اصحاب السلطة من الامويين والعباسيين على اعناق الناس وارقوا الدماء واستباحوا الاعراض واتهبوا الاموال وصار اصحاب الحديث يبررون سلوكهم في عدم جهاد الطواغيت بهذه العلة التافهة التي لو اخذنا بها لاندرس من الدين حتى الاسم . وهؤلاء المساكين لا يدرون انه انما قام للاسلام نعمود واخضر له عود ، بمجابهة المخلصين من المسلمين عن طريق ثوراتهم واعمالهم على السلطات الجائرة حتى استشهد كثير منهم . وسقوا شجرة الاسلام بدمائهم الطاهرة فبقيت مخضرة تؤتى اكلها كل حين .

وفي مقابل هذه الطائفة من اهل السنة هناك من لمس الواقع ودرس حقيقة الائمة على وجه صحيح ولو من بعض جوانبها منهم : القاضي عضد الدين عبدالرحمان بن احمد الايجي وشارح كتابه المحقق السيد الشريف اذ يقولان : نعم - يجب ان يكون عدلا في الظاهر لئلا يجور لان الفاسق ربما يصرف الاموال في اغراض نفسه ويضيع الحقوق . (٣)

ويقول امام الحرمين ابو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني : ان الامام اذا جار وظهر ظلمه وغيه ولم ير عو لزاجر من سوء صنيعه فلاهل الحل

(١) شرح المقاصد للفتاواني ط اسلامبول ج ٢ ص ٢٧٢

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ص ٧٨ ، راجع في ذلك (٣) - (٤) - (٥) - (٦) - (٧) - (٨) - (٩) - (١٠) - (١١) - (١٢) - (١٣) - (١٤) - (١٥) - (١٦) - (١٧) - (١٨) - (١٩) - (٢٠) - (٢١) - (٢٢) - (٢٣) - (٢٤) - (٢٥) - (٢٦) - (٢٧) - (٢٨) - (٢٩) - (٣٠) - (٣١) - (٣٢) - (٣٣) - (٣٤) - (٣٥) - (٣٦) - (٣٧) - (٣٨) - (٣٩) - (٤٠) - (٤١) - (٤٢) - (٤٣) - (٤٤) - (٤٥) - (٤٦) - (٤٧) - (٤٨) - (٤٩) - (٥٠) - (٥١) - (٥٢) - (٥٣) - (٥٤) - (٥٥) - (٥٦) - (٥٧) - (٥٨) - (٥٩) - (٦٠) - (٦١) - (٦٢) - (٦٣) - (٦٤) - (٦٥) - (٦٦) - (٦٧) - (٦٨) - (٦٩) - (٧٠) - (٧١) - (٧٢) - (٧٣) - (٧٤) - (٧٥) - (٧٦) - (٧٧) - (٧٨) - (٧٩) - (٨٠) - (٨١) - (٨٢) - (٨٣) - (٨٤) - (٨٥) - (٨٦) - (٨٧) - (٨٨) - (٨٩) - (٩٠) - (٩١) - (٩٢) - (٩٣) - (٩٤) - (٩٥) - (٩٦) - (٩٧) - (٩٨) - (٩٩) - (١٠٠)

(٣) شرح المواقف ج ٨ ص ٣٥٠ ط مصر

والعقد ، التواطؤ على رده ولو بحمل السلاح ونصب الحروب. (١)  
يقول : العلامة الشيخ محمود شلتوت فالحاكم يجب ان يكون حميد  
السيرة فان ساءت سيرته فللامنة عزله . (٢)

### الإمامة والاجتهاد .

يظهر من كثير من متكلمي السنة شرط الاجتهاد في الإمامة ، قال القاضي  
الايبي : الجمهور على وجوب كون اهل الإمامة مجتهداً في الاصول والفروع  
ليقوم بامور الدين .

وقرره على ذلك الشرط شارح المواقف السيد الشريف الجرجاني مفسراً العبارة  
المزبورة بقوله : حتى يكون متمكناً من اقامة الحجج وحل الشبه في العقائد الدينية  
مستقلاً بالفتاوى في النوازل والاحكام والوقائع نصاً واستنباطاً لان اهم مقاصد  
الإمامة حفظ العقائد وفصل الحكومات ورفع المخاصمات ولن يتم ذلك بدون  
هذا . (٣)

وقال شمس الدين بن محمود الاصفهاني المتوفى عام ٧٤٩ . المعروف بابن  
السنا : صفات الائمة هي تسع - الاولى ان يكون الامام مجتهداً في اصول الدين  
وفروعه . (٤)

وقال امام الحرمين : ان من شروط الامام الاجتهاد بحيث لا يحتاج الى استفتاء  
غيره في الحوادث ، قال : وهذا متفق عليه . (٥)

وقد اكد على ذلك الامام في بعض اسفاره كـ «غياث الامم» (٦) .  
وقد تبلورت هذه النظرية عند المتأخرين من اهل السنة فتري ان الشيخ  
محمد ابوزهرة يقول في حق الحاكم . ان يكون مجتهداً مشاوراً للمجتهدين (٧) .

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٧٢ (٢) من توجيهات لاسلام ص ٥٦٣

(٣) شرح المواقف ج ٨ ص ٣٤٩ (٤) مطالع الانظار ص ٤٧٠

(٥) القرشي في كتاب الحكم والادارة نقلاً عن الارشاد ص ٤٢٦

(٦) راجع غياث الامم ص ٢٧٤ (٧) المجتمع الاسلامي ص ١٢٨



وهناك عدة اخرى من المتقدمين من العلماء والمتأخرين ركزوا على هذا الشرط .

وانت اذا لاحظت ما نقلناه عن اصحاب هذه المدرسة في ماهية الامامة وشرطها نخرج بهذه النتيجة : ان الامامة عند اصحابها ليست الارثاسة عامة لتدبير امر الجيوش وسد الثغور وردع الظالم والاخذ للمظلوم بحقه واقامة الحدود وقسمة الفيء بين المسلمين ولا يشترط فيها نبوغ في العلم يزيد على علم الرعية بل هو والامة في علم الشريعة سياتن ويكفيه من العلم ما يكون عند القضاة . هذه هي ماهية النظرية واما الشروط فقد وقفت على متفققها ومختلفها .

وعلى هذه النتيجة التي خرجنا بها يكون البحث عن العصمة الالهية والعلم بكل الاحكام الشرعية والذب عن حريم العقائد والمعارف وتبيين ما جمل من الكتاب امراً غير لازم بل غير متحقق ولا متمكن منه اذ من المستحيل ان يكون منتخب الامة حائزاً لهذا الكمال اذا لم يكن المنتخب واقعاً في اطار التربية الغيبية كالنبي ﷺ والامام في النظرية الثانية .

ولاجل ذلك نجد ان اصحاب هذه النظرية يستوحشون من سماع شرط العصمة في الامام اذ من سماع بعض الشروط مثل ان يكون اعلم الامة وعارفاً بكل ما يرجع الى الشريعة والسياسة . واذا فرغنا من دراسة حقيقة هذه النظرية فهلم معي ندرس حقيقة النظرية الاخرى .

### الامامة منصب الهى :

ان اصحاب هذه النظرية يعترفون بختم النبوة والرسالة بارتحال النبي ﷺ الى الرفيق الاعلى وانقطاع الوحي بموته - ﷺ - ومع ذلك يقولون بان منصب الامامة استمرار لشؤون ووظائف الرسالة وان الامام يقوم بكل ما كان يقوم به النبي ﷺ سوى كونه متلقياً للوحي فالرسول خص بالتشريع والوحي الالهى وشأن الخليفة والامام، التبليغ والبيان وتفصيل المجمعل وتفسير المعضل واظهار

ما لم يتسن للنبي ﷺ الاشارة اليه اما لتأخر ظرفه او لعدم تهيؤ النفوس له او لغير ذلك من العلل واذا مات الرسول فهناك احكام لم تبلغ وان كانت مشرعة واخرى لم تات ظرفها فالامام مبلغها ومبينها .

ولا تتم وظيفة الامام في هذا المجال فحسب بل هناك وظائف اخرى كوظائف النبي ﷺ حذو القذة بالقذة، فالامام بيانه يكمل الشريعة ويزيح شبه الملحدين ويدردأ عن الدين عادية اعدائه بقوته وسلطانه ويقوم الأمت والعوج بيده ولسانه وعلى الجملة كل ما كان من الوظائف والمسؤوليات على عاتق النبي ﷺ فهو على عاتق الامام الا للتشريع وتحمل الوحي الالهي .

هذه هي حقيقة هذه النظرية وتترتب عليها الشروط النبي تسالم اصحابها عليها من كون الامام : اعلم الامة واقضاها واعرفها باصول الدين وفروعه واقواها على الذب عن حريم الدين والعقائد والمعارف الي غير ذلك من المؤهلات التي يجب ان يكون النبي متصفاً بها وقد استدل اصحاب هذه النظرية على ما يتبنونه بوجوده عقلية ونقلية مذكورة في كتبهم وعلى القاريء الكريم مراجعتها .

ولاجل ايضاح الحق نأتى بالبيان التالي :

ان رحلة النبي الاكرم احدثت فراغاً هائلاً في مختلف المجالات المادية والمعنوية ومقتضى لطفه سبحانه وعنايته بالعباد، ان يملأ هذا الفراغ بانسان يخلف النبي ولا يقدر على ذلك الا الانسان المثالي الذي يكون له من الوعي والتربية والعلم والشجاعة مثل ما كان للنبي سوى كونه نبياً ذا شريعة وملتقياً للوحي .

كان النبي ﷺ يقوم بمسؤوليات كثيرة تجمعها الامور التالية :

١ - ادارة امور الامة في مختلف مجالاتها الحيوية: السياسية والاقتصادية والعسكرية والقضائية وغيرها مما تجمعها ادارة الحكومة .

٢ - تفسير الكتاب العزيز وتوضيح مقاصده وبيان اهدافه وكشف اسراره .

٣ - الاجابة على الاسئلة الشرعية التي لها مساس بعمل المسلم في حياته

من حيث الحلال والحرام .



٤ - الرد على الشبهات والشكيات التي يلقيها اعداء الاسلام ويوجهونها  
ضده من يهود ومسيحيين وغيرهم فكان يرد عليها تارة بلسان الوحي المقدس  
واخرى بلسان الحديث .

٥ - صيانة الدين الاسلامي عن اى فكرة تحريفية ، وعن اى دس فى التعاليم  
فلم يكن لاي دس مقدر على تحريف الدين اصولاً وفروعاً .

٦ - يدفع بامتته فى طريق الكمال والتقدم الروحي .

ولاشك ان النبي ﷺ كان يقوم بهذه المسؤوليات وكان فقداًه وغيابه عن  
الساحة، يلازم حدوث فراغ هائل فى حياة الامة لايسد الابانسان يتمتع بتلك  
الكفاءات عدا النبوة وتلقى الوحي .

والفراغ الاول وان كان يملأ باختيار الامام من جانب الامة لكن الفراغ  
الباقي لايسد الابانسان مثالى تربى فى وضع خاص من العناية الالهية ولما كانت  
هذه الامور النفسية والمؤهلات المعنوية التى يتمكن بها الانسان المثالى من  
ملا الفراغ، لايمكن الوقوف عليها ومعرفتها الا بتعريف من الله تعالى وتعيين مته  
فلاجل ذلك صار الاصل عند اصحاب هذه النظرية فى مسألة الامامة هو التنصيب  
والتعيين من جانبه سبحانه .

ولما كان القيام بهذه المسؤوليات متوقفاً على كون الانسان المثالى مصوناً من  
الزلل ومعصوماً عن الخطل، كان الاصل فى الامام هو العصمة من الذنب .

ان الاجابة على الاسئلة الشرعية على وجه الحق وتفسير القرآن على النهج  
الصحيح وتفتيد الشبهات على وجه يطابق الواقع وصيانة الدين عن اى تحريف  
لايحصل الا بمن يعتصم بحبل العصمة ويكون قوله وفعله مميزين للحق والباطل .  
نعم ان الانسان الجليل ربما يملأ هذا الفراغ ولكن لا بصورة عامة جداً و

لاجل ذلك ترى ان الامة افترقت فى الاصول والفروع الى فرق كثيرة يصعب  
تحديد عددها وتعدادها .

فلاجل هذه الامور لا محيص عن وجود انسان كامل عازف بالشريعة: اصولها

وفروعها عالم بالقرآن واقف على الشبهات و كيفية الاجابة عنها قائم على الصراط  
السوى ليرجع اليه من تقدم على الصراط ومن تأخر عنه.  
وهذا يقتضى كون الامام منصوباً من جانبه سبحانه معصوماً بعصمته وهذه  
خلاصة هذه النظرية وادلتها التي تمسك بها .

ثم ان اصحاب هذه النظرية استدلوا بآيات على لزوم كون الامام معصوماً  
من الذنب . ونحن نقصر الان على آيتين :

اولاهما : آية الابتلاء . والثانية : آية التطهير . والاية الاولى تركز على  
عصمة الامام عن الذنب على وجه الاطلاق والاية الثانية تختص بجماعة خاصة .  
الاية الاولى : قوله سبحانه : «واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال  
انى جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدى الظالمين» (البقرة- ١٢٤).  
وكيفية الاستدلال بهذه الاية على عصمة الامام يتوقف على البحث عن عدة  
نقاط ترتبط بها :

١ - ما هو الهدف من الابتلاء ؟

٢ - ما المراد من الكلمات ؟

٣ - ما المراد من الاتمام ؟

٤ - ما المراد من الامام ؟

٥ - كيف تكون الامامة عهداً الهياً ؟

٦ - ما المراد من الظالمين ؟

٧ - ماهى دلالة الاية على نزاهة الامام من الذنب ؟

واليك بيان كل واحدة من هذه النقاط على وجه الاختصار .

\* \* \*



## ١ - ماهو الهدف من الابتلاء

هاهنا سؤال يفرض نفسه وهو ان الهدف من الامتحان هو الاطلاع على احوال الممتحن، والله سبحانه مطلع على احوال العباد ، عارف بشؤونهم الخاصة والعامه ، فما هو الهدف من وضعهم في ظروف شاقة من البلاء والامتحان ؟  
والاجابة عن هذا السؤال تحصل بكل من الامور التالية :

١- ان الهدف من الامتحان من غيره سبحانه، الاطلاع على سرائر الاخرين،  
واما بالنسبة اليه سبحانه وتعالى فالهدف هو اتمام الحجة على العبد قال سبحانه :  
«ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة» (الانفال - ٤٢) ولنعم ما قال  
الشاعر البغدادي :

وليحيا الجيل عن بينة      وليهلكن عليها من هلك

وعند الامتحان بالتكاليف والوظائف ينقسم العباد الى قسمين :  
طائفة تقوم بما القى على عاتقها من التكاليف . و اخرى تخفق في مجال  
التكليف . فالحياة للطائفة الاولى عن حجة . والهلاك للطائفة الثانية عن حجة  
ايضاً قال سبحانه : «رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد  
الرسال» (النساء - ١٦٥) وقال سبحانه ايضاً: «قل لله الحجة البالغة» (الانعام- ١٤٩)  
فإنه سبحانه يعلم القائم بالوظائف من القاعد عنها ولكنه لوجازاهم بهذا  
العلم ، ربما يعترض عليه القاعد بانه لو كلفه في الدنيا لقام بالوظائف فلماذا اتاه  
دونه . فلاجل محو هذا الاعتراض من الاساس ، جعلهم في بوتقة الامتحان حتى  
تكون له الحجة البالغة على القاعد .

٢ - ان الهدف من الاختبار هو تمحيص المؤمن من الكافر، وتمييز الخبيث من الطيب في المجتمع الاسلامي ، فان لهذا التمحيص شأناً من الشؤون واثراً من الاثار قال سبحانه : «وما كان الله ليذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب» (آل عمران-١٧) وقال سبحانه «ليميز الله الخبيث من الطيب» ويجعل الخبيث بعضه على بعض فير كمه جميعاً فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون» (الانفال-٣٧) وبما ان المنافق يتظاهر بالايمان ، والعدو بالصدقة فلا بد من اجراء الامتحان والابتلاء حتى يميزا فاذا امر الله سبحانه ببذل النفس والنفيس في سبيل الله فيتقدم المؤمن حسب ايمانه ويتناقل المنافق وعندئذ يتمايز الصنفان .

٣ - ان الهدف من الامتحان، ابراز الطاقات الكامنة في الانسان واخراجها من مكانها فكل انسان خلق وله قابليات خاصة كامنة في ذاته ، غير ان ظهورها وخرجها من القوة الى الفعل ، يحتاج الى وقوع الانسان في خضم الامتحان و الاختيار حتى تنبثق تلك القابليات من مكانها ، وترى نور الوجود فكما ان البذرة لاتفتح ولا تصير نباتا ولا شجرة الا بعد ابتلاء وتأثير من الهواء والشمس والارض حتى تكون شجراً فهكذا الانسان لاتفتح طاقاته الكامنة الا اذا وضع في ظروف خاصة توجب تفتح القوة وظهورها الى مرحلة الكمال.

فالتكاليف الشاقة الملازمة للشدة والضغط، توجب ظهور الثمار و ابراز الطاقة ولندرس حياة الخليل عليه السلام حتى نقف على حقيقة هذا الجواب :  
كان الخليل عليه السلام قبل الابتلاء انساناً ذا طاقة و كمال دفين في شخصيته غير ان تلك الطاقة التي نعبّر عنها «بانه كان قابلاً لان يكون انساناً مثالياً ملكوتياً يترك كل شيء من اجل خالقه تعالى» كانت مستورة في وجوده، دفينه في اغوار شخصيته فاراد سبحانه اظهارها فجعلها في مجال الامتحان وبوتفة الاختبار فتفتحت وصارت كما لا بالفعل .

وقد اشار الامام علي عليه السلام الى هذا الجواب بقوله: «ولا يقولن احدكم اللهم انى اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد الا وهو مشتمل على فتنة ، ولكن من



استعاذ فليستعد من مضلات الفتن فإن الله سبحانه يقول : «واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة» .

وهذا التعبير من الامام يشير الى ان الامتحان سنة ثابتة من الله سبحانه وتعالى في عباده ليس عنها محيص . و يشير بعد ذلك الى فلسفة تلك السنة بقوله ( ع ) «ومعنى ذلك انه يختبرهم بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضى بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن لتظهر الافعال التى بها يستحق الثواب والعقاب لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحب المال ويكره انثام الحال . (١)

انه سبحانه جعل الخليل على محك الاختبار فامره بمكافحة عبدة الاصنام وكسر آلهتهم المزعومة الى حد يستعده للبلاء فى طريق طاعته، وان كان بالقتل والحرق ، كما امره سبحانه باسكان اهله بارض غير ذى زرع كما امره ببناء بيته وتطهيره وذبح ولده بيده . . . فهذه الوظائف الشاقة المرة فى ظاهرها ، الحلوة فى باطنها ، جعلت الخليل بفضل بطولاته العجيبة فى مجال الامتحان انساناً الهياً لا يعرف فى مسيرة حياته غير الله ولا يهمله غير امره ، وهذا منتهى الكمال الممكن للانسان المثالى ، فكم فرق بين انسان نسى ميوله الحيوانية وغرائزه عند ما تعارضت مع مراد مولاه وغاية مناه وهو الله ، وبين انسان غارق فى الشهوات و خائض فى لجج الغرائز ، اسره الهوى فصار عبداً للشيطان دارأيت من اتخذ الهه هواه» . (الفرقان - ٤٣)

فالاختبار يجلى تلك الطاقات الكامنة فى الصنفين المتقابلين فى الناس ، ويعمل فى النفوس المستعدة عمل الحرارة من تمييز الذهب عن خليطه .

هذا مجمل القول حول فلسفة الامتحان والتفصيل موكول الى البحث عن الايات الواردة حوله .

## ٢ - ماهو المراد من الكلمات .

الكلمات جمع « كلمة » والمراد منها هو المفرد من الالفاظ وربما يطلق على الجملة فيقال: « لاله الاالله » كلمة الاخلاص ، غير ان القرآن يتوسع بعناية خاصة في استعمال الكلمة فيطلقها على الاشياء والافعال الخارجية قال سبحانه : « بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم » ( آل عمران - ٤٥ ) وقال سبحانه : « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي » ( الكهف - ١٠٩ ) وكما انه يستعملها في الاعيان الخارجية ، يستعملها ايضا في الافعال التي يقوم بها الانسان الممتحن وقد اختلف المفسرون في تعيين تلك الافعال التي اختبر الخليل بها فنأتي بارائهم اجمالا :

١ - المراد من الكلمات هي الامامة وتطهير البيت ورفع القواعدو الدعاء لبعث محمد ، فان هذه الامور شاقة اما الامامة فلان المراد منها هو النبوة وهذا التكليف يتضمن مشاقا عظيمة واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده فمن وقف على ما روى فيه من كيفية بنائه عرف شدة البلوى ثم انه يتضمن اقامة المناسك، وقد امتحن الله فيه الشيطان في الموقف لرمى الجمار وغيره واما امتثاله بالدعاء في ان يبعث الله محمدا ﷺ في آخر الزمان فهذا مما يحتاج فيه الى اخلاص العمل لله وازالة الحسد عن القلب بالكلية (١) .

ولا يخفى ان الرازي ومن قال بهذا القول قد خلطوا الحق بالباطل اما الحق فلان عد تطهير البيت ورفع قواعده من الامور التي اختبر الله الخليل بها حق لامرية فيه وسيوافيك بيانه واما الباطل فهو امران :

الاول: عد الامامة من جملة ما اختبر بها ابراهيم عليه السلام فلان الظاهر من الاية انه سبحانه شرف ابراهيم بمقام الامامة بعد امرين :

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج ١ ص ٤٩٠ ط مدر



## ١ - الابتلاء بالكلمات .

## ٢ - اتمامه اياها .

فعند ذلك نصبه سبحانه في مقام الامامة ونتيجة ذلك مغايرة الكلمات مع الامامة الموهوبة له، ولو كانت الامامة من جملة ما ابتلى به ابراهيم لوجب تقديمها على قوله: «فاتمها» وناسب ان يقول: «واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال انى جاعلك للناس اماماً فاتمهن» .

والعجب ان الرازى جعل تطهير البيت ورفع قواعده من جملة الكلمات التى ابتلى بها ابراهيم، ولم يجعل قيامه بذبح الولد واستعداده لذلك من جملة تلك الكلمات مع انه سبحانه يعرف ذاك العمل بانه بلاء مبين ويقول: «ان هذا لهو البلاء المبين» . (الصفات - ١٠٦)

وانما فعل الرازى ذلك لانه قصر نظره فى الايات الواردة بعد هذه الاية فقد ورد فيها الامر بالتطهير ورفع القواعد وطلب بعث النبى ﷺ فزعم الكل تفسيراً «للكلمات» مع انه ليست فى بيان تلك الامور اية قرينة على كون هذه الامور تفسيراً لها وانما وقفنا على كون بعض ما جاء فيها من الكلمات، من القرائن الخارجية .

والظاهر المتبادر، ان تنصيبه فى مقام الامامة كان جزءاً منه سبحانه لتمامه الكلمات ونجاحه فى الامتحان . فلو كانت الامامة من جملة تلك الامور لاصبح الكلام غير تام وصار السامع فى نظائر المقام ينتظر حين يسمع، المثوبة التى نالها ابراهيم لاجل النجاح فى معترك الامتحان ولا يتم ذلك الا باخراج الامامة عن جملة تلك الامور، وجعلها جزءاً لتمامه الكلمات لامن الامور التى اختبر بها .

واما ما ايدبه الرازى نظره وقال: ثم ان الذى يدل على ان المراد ذلك انه عقبه بذكره من غير فصل بحرف من حروف العطف فلم يقل: «فقال انى جاعلك

للناس اماماً» بل قال : «قال انى جاعلك للناس اماماً» فدل على ان الابتلاء الوارد فى الاية كان عبارة عن هذه الامور المذكورة .

ففيه أن «اذ» فى قوله سبحانه «واذ ابتلى» ظرفية زمانية وليس مظهره سوى قوله «قال انى جاعلك» ومفاد الاية هكذا: فى الظرف الذى ابتلى ابراهيم بكلمات واتمها ، قيل له انه منصوب للامامة . وعلى هذا لاحاجة للآتيان بحرف العاطف «فاء» كانت او غيرها .

وبعبارة اخرى : يريد سبحانه ان يقول : فى هذا الظرف الكذائى الذى ابتلاه الله بكلمات وهو اتمها ، قاله سبحانه : «انى جاعلك للناس اماماً» وفى مثل المورد يكون العاطف مخلا ولعل الرازى توهم ان اذ الظرفية متضمنة لمعنى الشرط وهو غير صحيح وليس هذا اول قارورة كسرت بالرازى فله فى تفسيره شطحات كثيرة يقف عليها السابريه خصوصا فيما يرجع الى العلوم العربية وتفسير كلمات القرآن ومفرداتها ولاجل ذلك قال ابو الوليد ابن الشحنة الحنفى الحلبي فى روض المناظرة فى حوادث سنة ٦٠٦ : ان الرازى له اليد الطولى فى العلوم خلا العربية (١) .

الثانى : انه زعم ان اشتغال الخليل بالدعاء فى حق النبى ﷺ دليل على اخلاصه وزوال الحسد من قلبه ، وفيه : انه لاشك فى اخلاصه وطهارته من كل رذيلة خلقية ، لكن جعل هذا دليلا عليه اشبه شىء بجعل الصباح دليلا على وجود ضوء الشمس . فان العامة من الناس يقومون بذلك فضلا عن الاكارم . فكيف بالانبياء ؟ ولايستدل احد بهذا العمل على اخلاص الداعي وطهارته من الحسد خصوصا اذا كان المدعوله بجىء بعده بقرون وبالاخص اذا كان من اولاده واحفاده .

ولعمر القارى انه لو وقف عربى صميم ، خال ذهنه عن المناقشات الكلامية على هذه الاية ، لقضى بانه كان هناك ابتلاء من الله بالنسبة الى نبيه ابراهيم بعدة



أمور وان ابراهيم اتمهن فجزاه الله سبحانه بتشريفه بمقام الامامة . وانما ما هو المراد من الكلمات فهو من الامور التي يجب ان تطلب من التفحص حول ماورد في حقه ( عليه السلام ) من الايات ولايخطر بباله ان الامامة من جملة ما ابتلى به ابراهيم .

٢- المراد من الكلمات: الخصال العشر التي تسمى خصال الفطرة وهي قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق الراس ، وتقليم الاظفار ، و حلق العانة ، والختان ، و نتف الابط ، والاستنجاء بالماء .

وهذا الراى لايقصر عن سابقه فان القيام بهذه الامور ليس امرأ شاقاً حتى يبتلى الله بها انبياءه ورسله بل يقوم بها كل انسان بسهولة .

٣- المراد من الكلمات هو الخصال الثلاثون التي لم يبتل احدبها قبله فاقامها الخليل عليه السلام كلها فاتمهن فكتب له البراءة فقال تعالى : ( و ابراهيم الذي وفى ) وهي :

عشرة في سورة براءة : «التائبون العابدون الحامدون . . .» (التوبه - ١١٢)  
وعشرة فى الاحزاب : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات . . . »  
(الاحزاب - ٣٥) وعشرة فى سورة المؤمنون : «الذين هم فى صلاتهم خاشعون  
والذين هم عن اللغو معرضون » ( المؤمنون ٢-٩ ) وعشرة فى سورة المعارج :  
« الذين هم على صلاتهم دائمون . . . » الى قوله تعالى « والذين هم على صلاتهم  
يحافظون » . (المعارج ٢٣-٣٤)

ولا يخفى ان هذا اشبه شىء بالتفسير بالرأى وانما هو مجرد استحسان ولم يدل دليل على كون المراد من الكلمات هذه الخصال الواردة فى الايات المباركة على ان الخصال ازيد من ثلاثين فلاحظ .

٤ - المراد هو التكاليف الشاقة الملقاة على عاتق الخليل منذ شبابه الى اخريات أيامه، يظهر ذلك بالرجوع الى الايات التالية الحاكية عن حياته ، من شبابه الى شيخوخته: «وان من شيعته ل ابراهيم . اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لايه

وقومه ماذا تعبدون . أئفكاً آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين .  
 فنظر نظرة في النجوم . فقال انى سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ الى آلهتهم  
 فقال الاتا كلون . مالكم لاتنطقون . فراغ عليهم ضرباً باليمين . فاقبلوا اليه  
 يزفون . قال اتعبدون ماتنحتون . والله خلقكم وما تعملون . قالوا ابنوا له بنياناً  
 فالقوه فى الجحيم . فازادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين . وقال انى ذاهب الى ربى  
 سيهدين . رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى  
 قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ايت افعل ما تؤمر  
 ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما اسلما وتلاه المجيبين . وناديناه ان يا ابراهيم  
 قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه  
 بذبح عظيم . وتر كناعليه فى الاخرين . سلام على ابراهيم . كذلك نجزي المحسنين  
 انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين . وبار كناعليه وعلى  
 اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين . (الصفات ٨٣ - ١١٣)  
 وهذه الايات تصرح بان ابراهيم بطل التوحيد قد ابتلى منذ شبابه الى  
 شيخوخته بامور .

- ١ - امره سبحانه بتحطيم الاصنام، فقام بهذا العمل الخطير بحماس ورباطة  
 جأش، واستقبل رد فعل قومه وهو اللقاء فى النار، بصلابه وقوة عزيمة.
- ٢ - امره تعالى بترك الوطن والقاء الرحل فى دار الغربة لنشر الدعوة  
 فجاءه الوحي بان يذهب باهله وولده الى واد غيرذى زرع . فاستقبل الامر ببشاشة  
 وجه ونادى ربه بقوله : «رب انى اسكنت من ذريتى بواد غيرذى زرع عند بيتك  
 المحرم» . . . (ابراهيم - ٣٧)
- ٣ - امره سبحانه بعمارة البيت ورفع قواعده وتطهيره . وجاء به النص  
 فى قوله سبحانه : «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين  
 والعاكفين والركع السجود . . . واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل  
 ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم» (البقره - ١٢٥ - ١٢٧)



٤ - امره بذبح ولده فقام بامتثال الامر على صعوبته البالغة برحابة صدر وتسليم لامر الله بحيث حكى ذلك تعالى بقوله : «فلما اسلما وتله للجبين . . .» .  
 فالله سبحانه يصف القيام بالامر الاخير بقوله : «ان هذا لهوالبلاء المبين»  
 (الصافات - ١٠٦)  
 وهذا التوصيف (البلاء المبين) وان كان ناظراً الى قيام ابراهيم بمحاولة ذبح الولد ولكنه يشعر بان بقية الكلمات التي ابتلى بها ابراهيم كانت اعمالا تشابه ذلك من حيث المشقة وليست تلك الاعمال في حياة ابراهيم الا ما تكفلت تلك الايات ببيانها .  
 فعند ذلك قامت الحجة على ان ابراهيم خالص من كل مزيج ، صفو من كل كدر، فاستحق الارتقاء الى منصب عال لم يرتق اليه احد من قبله وهو منصب الامامة .

### ٣ - المراد من الاتمام :

التمام في مقابل النقص ومعنى الاتمام ابلاغ الشيء ، الى حد الكمال يقول سبحانه : «وانتمت عليكم نعمتي» والمراد من اتمام الكلمات هو القيام بها ناجحاً في معترك الابتلاء وقد نقل سبحانه كيفية نجاح ابراهيم في تلك المعركة تظهر بالرجوع الى الايات الواردة حول ابتلائه في السور المختلفة . (١)  
 قال الزمخشري في الكشاف في تفسير «فاتمهن» فقام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان . ويؤيد كون الفاعل هو ابراهيم قوله سبحانه : «أم لم ينبأ بما في صحف موسى . و ابراهيم الذي وفى» (النجم ٣٦-٣٧) اي تمم واكمل ما ابتلى وامتحن به او الاعم منه وما امر به (٢) .

(١) البقرة ١٢٧-١٢٨ . الانعام ٧٠-٨٣ . الانبياء ٥٣-٧١ . الحج ٢٦-٢٧ .

وسورة ابراهيم ٣٧-٤٠ .

(٢) لاحظ الكشاف ج ١ ص ٢٣٦ ومجمع البيان ج ٥ ص ١٨٠

وربما يحتمل كون الفاعل ، هو الضمير العائد الى الله سبحانه ، وعليه يكون مفاده توفيقه لما اراد منه حتى تصح نسبة اتمام الكلمات اليه سبحانه فالفاعل المباشر هو الخليل والله سبحانه هو الموفق وتصح نسبة الفعل الواحد الى المباشر والسبب جميعاً .

واما تفسير الاتمام - بناء على كون الضمير عائداً الى الله - «بانه اعطاه ما طلبه ولم ينقص منه شيئاً» (١) فكلام عار عن التحقيق ، فان الضمير المتصل بالفعل يرجع الى الكلمات اعني «هن» في «اتمهن» وليست الكلمات شيئاً طلبها ابراهيم من الله بل الله سبحانه . طلبها منه كما سيوافيك ، وعلى ذلك لا يصح تفسير اتمام الله باعطاءه ما طلبه ابراهيم منه وانما يصح بتوفيقه اياه للقيام لما امر والنجاح في ما ابتلى

#### ٤ - المراد من الامام :

هذا هو البحث المهم في المقام الذي تضاربت فيه الاراء ونحن نرفع الستار عن وجه الحقيقة بالبحث عن امور : ثلاثة :

١ - ما هو معنى الامام لغة ؟

٢ - مفهوم الامام في القرآن الكريم ؟

٣ - ما هو ملاك امامة الخليل في هذه الاية وهذا هو المهم في فهم الاية وقد اهمل في كلمات المفسرين وسيوافيك ان البحث في الامر الثاني لا يغني عن الثالث .

#### ألف - الامام في اللغة .

قال ابن فارس : الامام كل من اقتدى به وقدم في الامور ، والنبي امام الائمة والخليفة امام الرعية والقرآن امام المسلمين .

وقال ابن منظور : الامام من اؤتم به من رئيس وغيره وفي التنزيل «فقاتلوا

(١) لاحظ الكشاف ج ١ ص ٢٣٦ ومجمع البيان ج ٥ ص ١٨٠



ائمة الكفر» اى قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم . . . امام كل شىء فيتمه والمصلح له والقرآن امام المسلمين .

وليست تلك النصوص من هذين العلمين مبيّنة للمعنى الاصلى للكلمة وانما تشير الى مصاديق المعنى الاصلى ، والنص اللغوى الصحيح الذى جاء يحدد معنى الكلمة مجردة عن انطباقه على مصاديقها هو ما ذكره صاحب القاموس : الامام هو ما يتعلمه الغلام كل يوم من رؤوس اقلام ، وما امثل عليه من مثال ودليل ، وخشبة يسوى عليها البناء .

وهذه العبارة من صاحب القاموس توصلنا الى اصل المعنى اللغوى وهو ان الامام عبارة عن كل شىء يتخذها الانسان مثالا لعمله ودليلا لفعله ويطبق فعله وعمله على ذلك المثال وذلك الدليل فهذا هو المعنى الاصلى لتلك الكلمة فالنبي ﷺ امام ، والقرآن امام ، وخشبة البناء امام للبناء ، لاجل ان الانسان يطبق عمله على عمل وقول النبي ﷺ او القرآن ، فكل شىء اتخذ مثالا فى الحياة واسوة فى مقام التطبيق يكون اماما من غير فرق بين الاشياء المادية هذا كله فى توضيح مفهوم «الامام» من حيث اللغة واليك توضيحه فى القرآن .

### ب - مفهوم الامام فى القرآن .

جاءت لفظ الامام فى الذكر الحكيم اثنتا عشرة مرة بين مفرد وجمع ، مفردا سبعة مرات ، وجمعها خمس مرات .

وقد استعملت فى الجميع بمعنى واحد وهو الذى تعرفت عليه من صاحب القاموس وان كانت تطبيقاتها مختلفة ولاجل ذلك لا يمكن عدّها من معانى كلمة الامام .

واليك تلك الموارد .

١ - ترى انه سبحانه يصف التوراة بانها امام يقول سبحانه وتعالى : «ومن

قبله كتاب موسى اماما ورحمة» . (هود - ١٧)

٢ - كما يصف الطريق الذي تمشى عليه القوافل اماما ويقول . «فانتقمنا منهم وانهما لبأمام مبین» (الحجر - ٧٩) اي انتقمنا من قوم لوط واصحاب الايكة وان مساكنهم على الطريق الواضح .

٣- كما انه يصف قادة الكفر والانحراف به ويقول : «وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون» (القصص - ٤٢) بل يصف كل قائد بالامامة بقوله : «يوم ندعو كل اناس بامامهم» . (الاسراء - ٧١)

فالمعنى في الجميع واحد وهو الدليل الذي يهتدى به، والمثال الذي يمثل به وان كانت التطبيقات مختلفة، فالتوراة امام لانها يقتدى بها، وطريق القوافل امام لان القوافل تتخذة دليلا وتمشى عليه ، وقادة الكفر بل جميع القادة ائمة لان المقتدين يتخذونهم مثالا في الحياة ويمشون على آثارهم حتى ان الانبياء جميعهم ائمة بهذا المعنى فان عمل وقول النبي ﷺ وتقريره تتخذ مثالا و دليلا يسار على ضوئه .

وهذا ما قلناه من ان معنى الامام في الذكر الحكيم لا يختلف عن المعنى الذي نصت عليه الكتب اللغوية حتى الامام في الاية المباركة فقد استعمل الامام فيه في المعنى اللغوي لا غير وهو الدليل والمثال والاسوة والمقتدى غير ان ما يجب التدبر فيه هو الوقوف على الملاك الذي جعل به الخليل عليه السلام اماما فهل هو لاجل كونه نبياً او رسولا او خليلا او كونه مفترض الطاعة او غير ذلك من الملاكات المختلفة التي تصح كون الانسان اماماً .

### ج - ما هو ملاك امامة الخليل في الاية :

نرى ان المفسرين يفترضون للامام معاني مختلفة ثم يبحثون عن معناه في هذه الاية ويذهبون يمينا وشمالا غير ان البحث بهذه الكيفية غير تام اصلالانه ليس لذلك اللفظ الامعنى واحد كما بينا والذي يجب التركيز عليه هو التعرض لملاك الامامة ومعيارها وانه بماذا جعل الخليل اماما في زمانه دون لوط عليه السلام



مع ان الثانى كالأول كان نبياً بل كل نبى امام يتخذ قدوة - ومع ذلك - خص بكونه اماماً من بين انبياء عصره فلا بد ان يكون هناك ملاك يختص به الخليل وعلى الجملة نحن لانشك ان للكلمة فى جميع موارد استعمالها معنى واحداً سواء أوقع وصفاً للكتاب او الطريق او الانسان ولكن الذى كان من واجب المفسرين هو تعيين ملاك الامامة فى كل مورد من موارد استعمالها حتى الآية التى تبحث عنها غير انهم اهلوا تلك الناحية الحساسة فى البحث .  
ولاجل ذلك نطرح ما ذكره المفسرون على بساط البحث معبرين عنه بملاكات الامامة ومعاييرها .

### ١ - الملاك هو النبوة :

ذهب عدة من المفسرين - منهم الرازى فى مفاتيح الغيب - الى ان المراد من الامامة هنا هو النبوة وبعبارة صحيحة : ان ملاك امامة الخليل نبوته لانها .  
تضمن مشاقاً عظيمة (١) .

وقال الشيخ محمد عبده على ما فى تفسير المنار . الامامة هنا عبارة عن الرسالة وهى لا تنال بكسب الكاسب وليس فى الكلام دليل على ان الابتلاء كان قبل النبوة . (٢)

ولا يخفى وهن هذا الرأى لان ابراهيم كان نبياً قبل الابتلاء بالكلمات وقبل تنصيبه اماماً فكيف يصح ان تفسر الامامة بالنبوة على ما فى لفظ الرازى والرسالة على ما فى لفظ المنار ويتضح ذلك بالامور التالية .

١ - ان نزول الوحي على ابراهيم - كما تدل عليه الآية : «انى جاعلك للناس اماماً» - اوضح دليل على انه كان نبياً متلقياً للوحي قبل نزول هذه الآية وليس فى وسع احد ان يقول : «ان الخطاب اليه بقوله «انى جاعلك للناس اماماً» يدل على كونه

(١) مفاتيح الغيب ج ١ ص ٤٩٠

(٢) المنارج ١ ص ٤٥٥

نبياً حينه ولا يدل على كونه نبياً من قبل، وذلك لان اسلوب الوحي البدائي يختلف لونا عن الوحي الاستمراري فالمحاوره الموجودة في هذه الاية تعرب عن انه كان مأنوساً بالوحي قبل نزولها، ولاجل ذلك لما تشرّف بمقام الامامة اطال الكلام وطلبها لذريته وليس هذا اللون من الكلام يشبه الوحي الابتدائي ابدأ فان الانسان في بدء لقائه و كلامه مع شخص، لا يتجاوز عن امور كلية ولا يتجاوز الى اخص الخصوصيات وهي طلب المنزلة لنسله بل هذا يناسب كلام من كان مأنوساً بمخاطبه ومكلمه .

ويمكن لك ان تكشف الحقيقة بالخطاب النازل على موسى في بداية الايحاء اليه بالنبوة قال سبحانه: «فلما اتاها نودي من شاطيء الوادى الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انى انا الله رب العالمين» (القصص - ٣٠) ونظير ذلك ما خوطب به النبي محمد ﷺ في بدء نزول الوحي قال سبحانه: «اقرأ باسم ربك الذى خلق (العلق-١)».

ومن هذا ينتج ان الخليل كان نبياً قبل القاء الخطاب بالرسالة عليه فيكون ملاك الامامة غير النبوة .

٢ - دلت الايات على ان ابراهيم كان نبياً ولم يرزق اى ولد لاسماعيل ولا اسحاق .

اما الاول فانما بشر به بعد ما كان نبياً وقام بتحطيم الاصنام في «بابل» وحكم عليه بالاحراق ولما نجّاه سبحانه ترك الموطن ذاهباً الى فلسطين فعند ذلك جاءت البشارة بانه يرزق غلاماً حليماً قال سبحانه «فراغ عليهم ضرباً باليمين فاقبلوا اليه يزفون. قال اتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم وما تعملون. قالوا ابنوا له بنيانا فاقوه في الجحيم. فازادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين. وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين. رب هبلى من الصالحين. فبشرناه بغلام حليم. فلما بلغ معه السعى. قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك» . (الصافات - ٩١ - ١٠٢)

واما الثانى فقد بشر به ايضاً عند ما نزلت عليه الملائكة ضيفاً قال سبحانه



«وبئهم عن ضيف ابراهيم. اذ دخلوا عليه فقالوا اسلاماً. قال انا منكم وجلون. قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم. قال ابشر تمونى على ان مسنى الكبير فبم تبشرون. قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين». (الحجر-٥١-٥٥) ونزول الملائكة الذين كانوا مرسلين الى قوم لوط ، عليه آية نبوته عند البشارة باسحاق . هذا من جانب .

ومن جانب آخر ان ابراهيم يطلب من الله سبحانه ان يرزق ذريته الامامة كما رزقها اياه فطلبه لها دليل على انه كان عند افاضة الامامة عليه ووقت الدعاء لذريته ، صاحب ذرية واولاد .

اذا عرفت هذين الامرين فنقول : يجب ان تكون الامامة الموهوبة (عند ما كان الخليل صاحب ذرية) غير النبوة والافيلزم ان تكون هبة المنصب الذى كان واجدأله قبل ذلك بكثير، اشبه بتحصيل الحاصل. والحاصل: ان الاية تدل على ان الامامة افيضت عليه عند ما كان ذا ولد بدليل طلبها لهم ، ودلت الايات الماضية على انه كان نبياً قبل ان يرزق اى ولد ، فينتج ان الامامة الموهوبة فى الازمنة المتأخرة عن بعثته بكثير، غير النبوة. غير ان بعض المفسرين لما وقف على ذلك الوجه وانه لا يصح طلب شيء للذرية الا لمن كان له بعضها صار يصدد دفعه بان ابراهيم يوم خوطب بقوله سبحانه «انى جاعلك للناس اماما . .» لم يكن ذا ذرية وانما طلبها لها لاجل التعرف من جواب الله سبحانه على انه هل يكون فى المستقبل ذا ذرية ام لا؟ فوقف من جوابه سبحانه على انه لا يموت عقيماً بل يكون ذا ذرية ولا يخفى ان ما ذكره غير صحيح لان الحكم على الذرية على وجه الايجاب يقتضى ان يكون الرجل رزق بعضها واما اذا لم يكن له اى ولد فلا يستحسن فى العرف، الدعاء لهم بالامامة ولجل ذلك ترى ان ابراهيم يستعمل لفظ الذرية فى اولاده المحققين ويقول: «ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم» (ابراهيم - ٣٧) ويقول ايضا: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا اممة مسلمة» وقد طلب ذلك عند ما كان يرفع القواعد من البيت مع ولده اسماعيل .

نعم ان الانسان يصح ان يطلب من الله ذرية سالحة تكون قرّة عين له كما امر به سبحانه بقوله : «والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرّة عين واجعلنا للمتقين اماماً». (الفرقان-٧٤) ولكن لا يصح اذا اعطى شيئاً من جانب الله سبحانه، ان يطلبه في الوقت نفسه لذريته مع انه لم يكن في وقت الطلب ذا ذرية فان ذلك كلام خارج عن المتعارف واما كون الطلب لاجل الوقوف على انه هل يرزق في المستقبل بعض الذرية ام لا فهو كما ترى .

قال العلامة الطباطبائي : «و كيف يسع من له ادنى تدريب بادب الكلام وخاصة مثل ابراهيم الخليل في خطاب يخاطب به ربه الجليل أن يتفوه بما لا علم له به . ولو كان ذلك لكان من الواجب أن يقول : ومن ذريتي ان رزقتني ذرية او ما يؤدي هذا المعنى (١) .

## ٢ - الملاك كونه اسوة في المجالات الثلاث :

النبوة عبارة عن نزول الوحي على الانسان والرسالة ابلاغه وتحقيق النبوة في مجالها ولكن ليس كل نبي اماماً بل الانبياء على قسمين : منهم ائمة ومنهم غير ائمة قال سبحانه : «وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» (السجدة - ٢٤) والاية بحكم «من» التبعية تدل على انه سبحانه : لم يجعل كل الانبياء ائمة بل جعل البعض منهم ائمة . وعلى ذلك فيجب التفحص في الايات الواردة حول الانبياء للتعرف على الائمة من بينهم ويستظهر ان المراد من يمكن ان يكون اسوة على الاطلاق في جميع المجالات الثلاث : قولاً وفعلاً وتقريراً لافي مجال خاص كالانبياء بالواجبات وترك المحرمات دون مجال كترك الاولى .

توضيحه : ان الانبياء على قسمين قسم منهم يصح ان نجعل اقوالهم وافعالهم وتقريراتهم على وجه الاطلاق اسوة ودليلاً في مجالات الحياة وقسم منهم ليسوا



كذلك لانهم اقترفوا ما كان الاولي والاليق بشأنهم تركه ولاجل ذلك لا يصح ان يتخذوا ائمة على الاطلاق ونرى انه سبحانه ينقل عن عدة منهم اقرار امور لا تصح ان تجعل دليلاً في الحياة واسوة للمؤمنين يقول سبحانه في حق اينا آدم: «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنى ولم نجعله عزماً (طه - ١١٥) كما ذكر تعالى عن نبيه موسى عليه السلام عندما وكر عدوه وفضى عليه: «هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين» (القصص - ١٥) وينقل عن نبيه يونس قوله: «وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانه انى كنت من الظالمين».

وهذه الاعمال الصادرة من هؤلاء الانبياء وان لم تكن معصية ونقضاً للحكم المبرم وكانت عبارة عن ما يسمى بـ «ترك الاولي» في المصطلح. وقد دللنا على ذلك عند البحث عن عصمة الانبياء غير ان هذه الافعال حالت بينهم وبين ان يكونوا ائمة على الاطلاق ويؤخذ بافعالهم على وجه الابرام. ولاجل ذلك لم يكونوا ائمة واسوة في كل شيء وانما كانت الامامة ثابتة لطائفة اخرى من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وهم الذين يصفهم سبحانه بقوله: «وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات».

فالهداية المطلقة والدعوة الواسعة والاسوة التامة خاصة لقسم من الانبياء وان كان كل نبي داعياً وهادياً الى الحلال والحرام. ويرشد الى ذلك ان الخليل انما وصل الى ذلك المقام، بعدما صار خليلاً والخلة هي فراغ القلب عن غير الله سبحانه بحيث لا يفعل صاحبها الا بما فيه رضى الله سبحانه وتعالى، واليك متن الحديث: ان الله تبارك وتعالى اتخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتخذ نبياً، وان الله اتخذ نبياً قبل ان يتخذ رسولا، وان الله اتخذ رسولا قبل ان يتخذ خليلاً، وان الله اتخذ خليلاً قبل ان يتخذ اماماً فلما جمع له الاشياء قال: «انى جاعلك للناس اماماً» . (١)

فالامامة نتيجة الخلة وصيرورة النبي فارغاً من كل شيء سوى الله سبحانه

وعند ذلك يكون اماماً مطلقاً يستدل به واسوة يقتدى به في المجالات الثلاثة :  
قولا وفعلا وتقريراً .

### تحليل النظرية :

وفيه : اما اولافلان هذه النظرية مبنية على مااستظهره من قوله سبحانه: « وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا » فاستظهر ان الانبياء على قسمين : امام وغيره بشهادة كلمة « من » لكن الاستظهار غفلة عن مرجع الضمير. فالضمير يرجع الى بنى اسرائيل لا الى الانبياء قال سبحانه « ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون . » (السجدة - ٢٣ - ٢٤)

ولاجل ذلك نرى انه سبحانه يصف ابراهيم ولوطاً واسحاق ويعقوب ائمة يهدون بامرهم قال سبحانه « ونجيناهم ولوطاً الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة و كلاجعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا » (الانبياء - ٧١ - ٧٣)

وعلى هذا فجعل الانبياء على قسمين معتمداً على مااستظهر من الاية غير تام وان كان اصل التقسيم صحيحاً على ماسيبين .

وثانياً : فلما اذا لا تكون الامامة ذات مراتب ودرجات ومقولاً بالتشكيك ويكون الكل باعتبار ان لهم نور الوحي والنبوة ، والعصمة والمصونية ، ائمة يقتدى بهم. وتخصيص الامامة بجماعة خاصة منهم بلغوا القمة في الطهارة والفضيلة يحتاج الى دليل خاص فان الانسان المثالي اذا بلغ مقام العصمة يصبح اسوة للناس ودليلاً في الحياة، واماماً في القول والعمل فالتشدد والتزم في شرطية ترك الاولى في الامامة ، غير واضح .

نعم لو كان مااقتروه من الاعمال، عصياناً صح القول بعدم كونهم ائمة واسوة على وجه الاطلاق واما اذا كان امراً مباحاً وجائزاً شرعاً وان كان الاولى تركه



فلاوجه لاخراج المقترفين منهم عن كونهم أئمة .

### ٣ - الملاك كونه معلم الهداية عبر العصور :

ان هذه النظرية تتلخص في كلمة : وهي ان الامامة التي جاءت في هذه الاية ، من خصائص الخليل عليه السلام ولانعدوه الى اشخاص آخر لاختصاص ملاكها به من الانبياء وهو كونه بين الانبياء واقعاً في قمة الهداية ومعلماً للاخرين وان الذين جاؤوا بعده ساروا على الطريق الذي اختطه . ويظهر ذلك من الآيات الواردة في حقه قال سبحانه : «ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً بل كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» (آل عمران - ٦٧) . «ان اولي الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين» .

(آل عمران - ٦٨)

فالاية الاولى تجل ابراهيم عن ان يكون يهودياً او نصرانياً وتصفه بانه كان حنيفاً مسلماً وما كان مشركاً وذلك لان اليهودية والنصرانية عدلتا عن جادة التوحيد وامتزجتا بالشرك مضافاً الى ان ابراهيم بعث قبل نزول الشريعتين . والاية الثانية تخص الاصناف الثلاثة بانهم اولي بابراهيم فان الاول هم الذين اتبعوه في عصره وما بعد عصره حتى ظهور النبي محمد ﷺ والصنف الثاني هو النبي محمد ﷺ والثالث الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺ . فالوابة الصنف الاول به لاجل كونهم من امته والثاني والثالث لوجود الوحدة بين الخطين والتشابه بين المنهجين .

نرى في بعض الايات ان الامر اعظم من ذلك حيث يامر سبحانه النبي الاكرم ﷺ باتباع طريقة ابراهيم وهي الطريقة الحنيفية واخص منها البراءة من الشرك والنزاهة من الوثنية حتى يعرف الخليل عليه السلام بانه ابو الاسلام والمسلمين وانه هو اول من وصف مشاة خط التوحيد بالمسلمين قال سبحانه : «ثم اوحينا اليك ان اتبع ملّة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» (النحل - ١٢٣)

ويقول ايضا «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس». (الحج - ٧٨)

وهذه الآيات وغيرها تعرب عن امامة ابراهيم عبر العصور والادوار وانه بطريقته المثلى وشريعته الحنيفية ونزاهته من الوان الشرك في العقيدة والعمل صار مثالا شاخصاً لجميع الانبياء والمرسلين، والشرائع السماوية من بدايتها الى نهايتها التي تمت بشريعة النبي الاعظم ﷺ و كأن الانبياء في كل عصر يتبعون منهجه ويخطون خطواته ويمشون على الخط الذي مشى عليه ولاجل ذلك صار الخليل اماماً للناس و مثالا للامم يتمثل به ويتخذ مناراً يقتدى به في القول والعمل .

#### تحليل هذه النظرية :

لاشك ان ابراهيم يعد من القمم بين الانبياء وان له من الصفات الجليلة التي يذكرها القرآن ما ليس لغيره الا ان تفسير ملاك الامامة على النحو الذي مر يوجب اختصاص الامامة به من بين جميع الانبياء والاولياء ولا تتعدى الى غيره لان الخصيصة التي نالها ابراهيم عليه السلام من جانب شريعته وطريقته حتى صار علماً ومناراً في حقول الشرائع والنبوات امر يختص به ، فلو كان ملاك الامامة هو هذا ، يجب ان يكون هو الامام وحده دون غيره مع انه -ع- طلبها لذريته فاجيب بان عهده سبحانه «لا ينال الظالمين» مشعر بان غيرهم ينالونه. فلو كان ملاك الامامة كون الانسان مناراً بين الانبياء، وشريعته علماً بين الشرائع لاختصت الامامة به ، ولا يناسب في المقام سؤالها للاولاد بما ذكر.

وحصيلة الجواب ان ما ذكر من الفضيلة لبطل التوحيد امر لا ينكر على ضوء الايات التي ذكرناها لكنها لا تكون ملاكاً للامامة بل يجب هناك شيء آخر وراءها يكون ملاكاً حتى يصح طلبها لذريته وتصح الاجابة بنيل العدول منهم لها.



## ٤ - الملاك كونه مفترض الطاعة :

هذه النظرية تتلخص في ان الامام في الاية هو الحاكم السائد على المجتمع، والآخذ بيد الامة الى الكمال في الحياة الفردية والاجتماعية فيجب على الامة امتثال اوامره وتوجيهاته في الحقوق السياسية والاجتماعية والقضائية والعسكرية وغير ذلك، ولا نقف على مدى صحة هذه النظرية الا بعد الوقوف على معنى النبي والرسول في القرآن الكريم حتى نعرف ان الامام يشتمل على معنى لا يشتمل عليه اللفظان وعلى الاصح يشتمل منصب الامامة على شيء لا يوجد في منصب النبوة والرسالة فنقول :

النبي - سواء أ جعل بمعنى المطلع على الغيب او بمعنى المنبئ عن الغيب - انسان مؤدع عن الله بلا واسطة بشرية (١) وهذا الانسان باعتبار اتصاله بالملأ الاعلى و كونه متلقياً للوحي ومطلعاً عليه ومنبئاً عنه ، يسمى نبياً ، واذا كلف بابلاغ ما أمر به وتجسيد ما أخبر به على صعيد الحياة فهو رسول . ففي اطار النبوة ليس الا ، قضية الاطلاع على الغيب او قدرة الاخبار عنه الى الناس ولا يتعدى عنها كما انه في اطار الرسالة ، مأمور بالابلاغ والبيان ولا يتعدى عن هذه الوظيفة وهذا هو الموضوع الهام الذي فرغنا عنه في الجزء الرابع من كتابنا : مفاهيم القرآن ولا حاجة للاعادة (٢) .

ولكن القول الذي نر كز عليه هو ان الرسول المأمور بالابلاغ ليس له في هذا المجال امر ولا نهى ولا اكرام ولا سيطرة بل تتلخص وظيفته في التذكير والتبليغ قال سبحانه «فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر» (الغاشية - ٢١ - ٢٢) ويقول سبحانه : «فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين» (المائدة - ٩٢) ففي هذا المجال تتجلى وظيفة الرسالة في بيان الحلال والحرام والمشروع و

(١) الرسائل العشر ص ١١ ، للشيخ الطوسي

(٢) لاحظ الجزء الرابع من هذا الموسوعة ص ٣١٧ - ٣٦٩

الممنوع وازاءة طرق الصلاح والفلاح، فلوضح في تبیین الحقيقة التمثیل بشیء أدون من الممثل فنقول : ان مثل الرسول في توجيهاته الرسالية اشبه بمستنبط الاحكام من الكتاب والسنة وابلغها للناس فاذا امتثل الناس بما يقول فقد امتثلوا المشرع الاعظم واطاعوه، وان لم يقوموا باداء ما يقول فقد خالفوا الشارع وعصوه وعلى هذا الضوء فالناس في صلاتهم وصومهم وحجهم وزكاتهم مطيعون لله سبحانه فقط وليس للرسول اى طاعة الا بضرب من العناية . كما ان للمفتي والمجتهد طاعة مثله فحين قال سبحانه: «وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله» (النساء - ٦٤) فهو يرشد الى هذا النوع من الطاعة. فالطاعة هو الله سبحانه حقيقة والنبي مطاع بضرب من العناية اذا المفروض انه ليس للرسول اى تشريع وای تقنين ولا امر ونهى فلا يكون له طاعة .

### امامة الرسول:

هذا اذا قصرنا النظر على مجالى النبوة والرسالة ولكنه سبحانه لما كساه ثوب الامامة بعد ان ابتلاه ونصبه لمقام الامامة وصار عند ذلك حاكماً سائداً على المجتمع، رائداً للامة، قائماً بارشادهم في الحقول المختلفة سياسياً وعسكرياً... الخ. فعند ذلك كان الرسول في مقام التنفيذ ذا امر ونهى واخذ ورد وتعيين وعزل الى غير ذلك من الامور التي يمارسها الرسول باعتبار كونه حاكماً وسائداً ومؤدياً للامة وقائداً للمجتمع واماماً للمؤمنين .

ولاريب انه ليست لاحد ولاية على احد وان الناس كاسنان المشط ليس لاحدهم حق حكم على الاخر، بل الولاية المطلقة لله سبحانه وتعالى، فهو باعتبار كونه خالفاً للكون ومدبراً لما فيه، له حق الحكم والطاعة يقول سبحانه : «ان الحكم الا لله امر أن لاتعبدا الاياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون» (يوسف - ٤٠)

وهذا ما يعبر عنه بالتوحيد في الحاكمية والطاعة لا يشار كه فيها غيره .



لكن مع الاعتراف بذلك لانعنى من عنوان انحصار الحاكمية ( بالله ) حصر الامرة بالله بان يتولى سبحانه الامرة على العباد . فالولاية وحق الحاكمية بالاصالة حقله سبحانه ولكن الامرة لخيرة عباده يتصدون لها باذنه وان شئت قلت: ان المقصود من قوله سبحانه: «ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين» ( الانعام - ٥٧ ) وقوله : « الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين » ( الانعام - ٦٢ ) وقوله سبحانه : « له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون » . ( القصص - ٧٠ ) . . هو حصر الولاية وحق الحاكمية لا الامرة والتصدي لنظام البلاد ، اذ تستحيل مما رسة الحكم من الله تعالى بصورة مباشرة ولاجل ذلك نجد جمعا من الانبياء تولوا منصة الولاية باذن الله واخذوا بتدبير شؤون الحياة الاجتماعية للانسان ففي هذا الصدد بقوله سبحانه : « ياداد انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق » . (سورة ص - ٢٦)

فالرسول الذي يحظى بمقام تنفيذ الولاية الالهية في المجالات المختلفة بين الناس ، هو الامام المفترضة طاعته ولا يحظى به الا ثلثة من المصطفين الاخيار واليك الشواهد القرآنية التي تدل بوضوح على ان ملاك الامامة في هذه الاية لامطلقا هو كونه مثالا في القول والعمل وعلى الامة طاعته في كل ما يامر وينهى ويبرم وينقض فهو اسوة في الحياة وقدوة للجميع .

### الشواهد القرآنية : على تفسير الامامة باقتراض الطاعة:

ان تفسير ملاك الامامة باقتراض الطاعة والقيادة الالهية الحكيمة شىء تؤيده الايات التالية بل تثبته .

روى بعض المفسرين ان كعب بن الاشرف خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد . ليحا لفوا قريشا ضد الرسول ﷺ فنزل كعب على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقالت قريش : انكم اهل كتاب ، ومحمد صاحب كتاب فلان آمن من ان يكون هذا مكرأ منكم فان اردت

ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ذلك. ثم قال ابوسفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم فاينا اهدى طريقاً و اقرب للحق نحن ام محمد؟. قال كعب: اعرضوا على دينكم فلما عرض ابوسفيان عليه دينه. فقال كعب : انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد. فانزل الله سبحانه الايات التالية .

« الم تر الى الذين اتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت و يقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا. ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيراً . ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً» :

( النساء ٥١ و ٥٣ و ٥٤ ) (١)

توضيح الاستدلال : انه سبحانه رد على قولهم : هؤلاء (المشركون) اهدى من الذين آمنوا سبيلا . بوجوه ثلاثة .

الاول والثاني : استفاد ان من قوله سبحانه : « ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيراً » فان « ام » بحكم كونها متصلة تدل على وجود معطوف عليه محذوف . مثل :

١- « اللهم علم في كل ما حكموا به من حكم » ثم قال :

٢- ام لهم نصيب من الملك :

وعلى ذلك فعطف على ذلك المقدر قوله : ام لهم نصيب من الملك  
ثم اجاب بجواب ثالث :

٣- ام يحسدون على ما آتاهم الله من فضله :

فيؤول معنى الآية وجوابه سبحانه عنهم الى شقوق ثلاثة .



الف- ألهم حق الحكم في كل شيء حتى بان المشركين اهدى من الذين آمنوا  
ب- ام لهم نصيب من الملك الذي انعم الله به على نبيه ، ولو كان لهم  
نصيب من الملك لم يؤتوا الناس حتى اقل القليل الذي لا يعتد به لبخلهم وسوء  
سريرتهم وهذا يظهر من قوله سبحانه : « قل لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي  
إذا لامستكم خشية الانفاق » . (الاسراء - ١٠٠)  
ثم عاد سبحانه يبين اساس قضائهم وحكمهم يكون المشركين اهدي من  
الذين آمنوا وقال :

ج - « ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » .

فبين ان اساس حكمهم بكون المشرك اهدي من الموحد هو الحسد للموحد  
وهو النبي وبذلك تبين ان المراد من الناس المحسودين هو النبي ﷺ واطلاق لفظ  
« الناس » عليه ، اما لاجل كونه في وحدته امة ، كما كان ابراهيم كذلك قال  
تعالى : « ان ابراهيم كان امة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين » (النحل - ١٢٠)  
اولاجل الذين التفوا حوله .

ولاجل اياهم وقطع رجائهم في زوال هذه النعمة و انقطاع هذا الفضل ،  
بين بان الله قد اعطى آل ابراهيم من فضله ما اعطى وآتاهم من رحمة ما آتى  
ليموتوا بغيبظهم فلن ينفعهم الحسد له و قال : « فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب  
والحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً » فأخبر عن حقيقة ثابتة غير زائلة تعلقت بها  
الارادة الحكيمة وهي : آتاهم الكتاب اولاً ، والحكمة ثانياً ، والملك العظيم ثالثاً ،  
وهذا النبي من آل ابراهيم ايضاً قد اوتى مثل ما اوتى سائرهم من غير فرق  
بين اولاد اسماعيل و اسحاق فشملتهم العناية الالهية فاتاهم الامور الثلاثة فلن  
ينفعهم الحسد في زوال هذه النعمة .

والكتاب والحكمة و اضحان فالكتاب رمز الوحي والنبوة والحكمة هي  
السنة والكلم والجامع . وانما الكلام في « الملك العظيم » الذي اعطاه الله سبحانه  
المصطفين من آل ابراهيم من غير فرق بين ولد اسماعيل واخيه اسحاق .

فباقترا ن هذه الاية التي اخبر فيها سبحانه انه اعطى آل ابراهيم الملك العظيم بآية الابتلاء ، التي استجاب فيها سبحانه ان يرزق المصطفين من ذرية ابراهيم الامامة ، يتبين ان الامامة الموهوبة لهم (التي دللنا انها غير النبوة والرسالة) هي نفس « الملك العظيم » الذي يدل ظاهر الاية على انه غير النبوة والرسالة لعطفه على الكتاب والحكمة اللذين يعدان رمز الوحي ونزوله والاتصاف بالنبوة ولا يصح حمل الملك العظيم على النبوة او الرسالة للاستغناء عنهما بما تقدم من ايتاء الكتاب والحكمة كيف ونزول الكتاب والحكمة دليل على كون المنزول نبيا ينزل عليه الوحي بلا واسطة فلا حاجة لتكراره مجدداً قال سبحانه: «واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة» (البقرة - ٢٣١) فالإيه تهييب ببني اسرائيل ان يذكروا نعمة الله عليهم حيث بعث فيهم الانبياء والرسول. وقال سبحانه «وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم». (النساء - ١١٣) الى غير ذلك من الايات التي وردت فيهما الكلمتان .

وان شئت قلت: ان الاية المباركة تدل على انه سبحانه اعطى منصب الامامة لآل ابراهيم وبعض ذريته .

والآية الثانية تدل على انه سبحانه اعطى آل ابراهيم بعد الكتاب والحكمة، الملك العظيم فباقترا ن الايتين نخرج بهذه النتيجة : ان الامامة المعطاة لآل ابراهيم هي الملك العظيم فيتحدان حقيقة ومصداقاً فاذا كان ملاك الامامة في الذرية هو كونهم ذوى ملك عظيم فيصبح ملاكها في نفس الخليل ايضا ذلك .

### الملك العظيم في القرآن :

ان القرآن الكريم يصنف ذرية ابراهيم الى قسمين: قسم اعطى النبوة والرسالة كايوب وزكريا ويحيى وعيسى . وقسم اعطى بعدهما الملك والحكومة . وتشير الى ذلك الايات التالية :

الف- يقول يوسف بعدما اعطى القوة والقدرة في حكومته وصار اميناً مكيئناً فيها «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث» (يوسف - ١٠١) فجملة «تأويل الاحاديث» رمز لجزء من النبوة، والملك اشارة الى السلطة والقدرة التي نالها



ب - يقول سبحانه في حق داود : « وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء » (البقرة - ٢٥١) ويقول ايضاً « وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » (سورة ص - ٢٠) ويحكي سبحانه عن سليمان انه قال : « وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى انك انت الوهاب » (سورة ص - ٣٥) فاستجاب الله دعاه كما تحكي الاية التالية : « فسخر ناله الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين في الاصفاد . هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب . » (سورة ص - ٣٦-٣٩)

ففي هذه الشخصيات الالهية اجتمعت المناصب الثلاثة : النبوة والرسالة والامامة ولكن ربما تقتضى المصلحة فصل الحكم عن النبوة والرسالة فيكون المبعوث بالنبوة والرسالة، غير المبعوث للحكم ولاجل ذلك نرى انه سبحانه يعرف طالوت ملكاً على لسان نبي زمانه قال سبحانه : « وقال نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم . » (البقرة - ٢٤٧)

ففي هذه الاية والايات التي تليها عدة نكات نشير اليها :

اولاً - ان المصالح ربما تقتضى التفكيك بين المنصبين ولاجل امكانه ما عترض بنواسر ائيل باستهجانهم بل اعترضوا بانهم احق بالملك منه .  
ثانياً - ان طالوت صار ملكاً وحاكماً ورئيساً للجيش بامر من الله سبحانه قال سبحانه : « ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً » .

ثالثاً - ان وظيفة طالوت لم تتلخص في قيادة الجيش بل قيادة الجيش كانت جزءاً منها ولاجل ذلك يقول سبحانه : « ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً » ويقول في ذيلها « والله يؤتى ملكه من يشاء » .

رابعاً - ان الاية تشير الى ان اعظم المؤهلات في القيادة الالهية هو استكمال القائد من حيث العلم والجسم فالانسان الجاهل بالشؤون الحكومية غير قادر عليها

كما ان الانسان الضعيف في القوى الجسمانية لا يقدر ان يقوم بمشاق الامور ومصاعبها  
خامساً - انه سبحانه عند ما يعد نعمه على بنى اسرائيل يذكر منها انه جعل  
فيهم انبياء وملوكاً قال : سبحانه «وان كروا نعمة الله عليكم ان جعل فيكم انبياء  
وجعلكم ملوكاً» (المائدة - ٢٠) فالآية تصرح بانهم كانوا ملوكاً غير أن نسبة  
الملوكية الى الجميع لاجل ان طائفة منهم صاروا ملوكاً بامر من الله سبحانه.  
فحصيلة البحث ان الايات المقدمة باجمعها تعطى النتيجة التالية .  
فمن جانب طلب ابراهيم لذريته العظيمة الالهية اعنى الامامة وقد استجاب  
دعوته في بعضهم .

ومن جانب آخر ان مجموعة من ذريته كيوسف وداود وسليمان حظوا مع  
النبوة والرسالة ، بمنصب الحكومة والقيادة .  
ومن جانب ثالث: نرى انه سبحانه اعطى آل ابراهيم مع الكتاب والحكمة  
الملك العظيم .

فمن ضم هذه الامور بعضها الى بعض خرجنا بهذه النتيجة : ان ملاك الامامة  
في ذرية ابراهيم هو قيادتهم وحكمهم في المجتمع لا غير واما ملاكها في نفس  
ابراهيم فالايات وان كانت غير ناظرة اليها لكنها تفضى بوحدة الملاك في الوالد  
والاولاد وان ملاك امامة الخليل ايضاً هي حكمه واقتراض طاعته والالزم الفصل  
في ملاك الامامة بينه وبين ذريته وهو كما ترى .  
هذا ما وصلنا اليه من التدبر في الايات والله العالم بالحقائق .

#### الملك العظيم في الاحاديث الاسلامية :

هذا وقد تضافرت الروايات على ان المراد من قوله (ملكاً عظيماً) هو كونهم  
مفترضى الطاعة. روى حمز بن اعين قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل:  
فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب قال : النبوة، قلت: الحكمة : قال : الفهم والقضاء .  
قلت : وآتيناهم ملكاً عظيماً فقال : الطاعة .



وروى بريد العجلي عن ابي جعفر عليه السلام في تفسير الاية المباركة انه قال: الملك العظيم: ان جعل فيهم ائمة من اطاعهم اطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم (١).

روى السيوطي وقال: اخرج الزبير بن بكار في الموفقيات عن ابن عباس ان معاوية قال: يا بني هاشم انكم تريدون ان تستحقوا الخلافة كما استحققتم النبوة ولا يجتمعان لاحد وتزعمون ان لكم ملكاً فقال له ابن عباس: اما قولك انما تستحق الخلافة بالنبوة فان لم تستحقها بالنبوة فبمن تستحقها؟ واما قولك ان النبوة والخلافة لا يجتمعان لاحد فاين قول الله: «فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» فالكتاب، النبوة، والحكمة، السنة، والملك، الخلافة نحن آل ابراهيم امر الله فينا وفيهم واحد والسنة لنا ولهم جارية. (٢)

وهذا البيان الضافي اوقفنا على معنى «ملكاً عظيماً» في الاية المباركة. وبضم هذه الاحاديث الى ما وصلنا اليه من التدبر في الايات يتضح الحق باذنه سبحانه.

#### اسئلة واجوبتها :

١ - هل زعامة هؤلاء كانت بتشريع من الله ؟

الجواب : الايات التي تلونها عليك دلت بوضوح على ان نيل هؤلاء لمقام الملك والامامة كان بجعل منه سبحانه ويكفي في ذلك قوله سبحانه : «اني جاعلك للناس اماماً» وقوله سبحانه : «ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً» وهناك آيات اخر في هذا الصدد قدمرت عليك .

\* \* \*

(١) الكافي ج ١ باب ان الائمة (ع) ولاة الامر وهم الناس المحسودون ص ٢٠٦

(٢) الدر المشورج ٢ ص ١٧٣-١٧٤

## ٢ - ماهى النسبة بين النبوة والامامة الواردة فى الاية ؟

ماهى النسبة بين النبى و الامام فهل هما متساويان فى الصدق . بمعنى ان كل نبى امام ، و كل امام نبى أم لا . ؟

الجواب : الايات التى تلونها عليك تنفى الملازمة بينهما، فهذا هو الخليل عليه السلام قد قضى شطراً كبيراً من عمره و كان نبياً ولم يكن اماماً. وانما اقيضت الامامة عليه بعد ما بلغ من العمر عتياً وابتلاه سبحانه بامور كما بيناه .

وهذا هو طالوت بعثه الله سبحانه ملكاً على بنى اسرائيل وقد اخبر به بلسان نبيهم فصار اماماً مطاعاً وقائداً لهم ولم يكن نبياً .

وبذلك اتضح انه لا ملازمة بين النبوة والامامة وانه لا يلزم ان يكون كل نبى اماماً كما هو الحال فى الخليل - قبل ان يبلغ منصب الامامة - وسائر الانبياء الذين لم ينالوا منصب الامامة ، كما انه لا يلزم ان يكون كل امام نبياً كما هو الحال فى طالوت . وقد تجتمعان فى بعض الفترات مثل اجتماعهما فى الخليل يوسف وداود وسليمان والنبى الاعظم ﷺ (١) .

وربما يستدل على تفكيك النبوة عن الامامة بقوله سبحانه : « وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا و كانوا باياتنا يوقنون » . (السجدة - ٢٤)

« فان الاية - بحكم لفظه «من» التبعية - تصنف الانبياء الى صنفين بين كونهم ائمة وغير ائمة . لكن الاستدلال مبنى على ارجاع الضمير الى الانبياء ولكنه غير صحيح بل الضمير يعود الى « بنى اسرائيل » الوارد ذكرهم فى ذيل الاية السابقة عليها . قال سبحانه : « ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل . وجعلنا منهم ائمة » . . وقد مر ذلك فلاحظ (٢)

نعم عند ما يصف مجموعة من الانبياء بالامامة يقول : « وجعلنا هم ائمة

(١) وسوا فيك بيان امامة النبى الاعظم فتر بص حتى حين

(٢) مرتفصليه عند البحث عن الملوك الثانى لامامة الخليل



يهدون بأمرنا و اوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة و كانوا لنا عابدين . (الانبياء - ٧٣)

وقد وافاك ان ملاك امامة هؤلاء ، كان نبوتهم لاغير .  
نعم كان ملاك امامة غيرهم كالخليل وامثاله امرأء نبوتهم كما اسلفنا بيانه .

### ٣ - هل الامام لا يحقق اهدافه الا في ضوء الشريعة :

ان محور السؤال في ما سبق هو التعرف على مدى الملازمة بين النبوة والامامة وانه هل كل نبي امام ، و كل امام نبي ام لا ؟ وقد عرفت عدمها . ولكن الهدف من هذا السؤال هو التعرف على الاطار الذي يحقق الامام اهدافه فيه وهو الشريعة الالهية ، فهل هو لا يامر ولا ينهى ولا يبعث ولا يزجر الا استلهاماً من الدساتير الكلية السماوية سواء أكان هو نفس صاحب الشريعة ام غيره ، او انه يتوسع في حكمه وتدييره ويعمل على صعيداوسع منها ؟

الحق الذي لا يعتريه الشك هو الاول لان الامامة وتديير الامة ليست مقصودة بالذات وانما اتخذت اداة لاسعاد الامة وارشادها الى قمة الكمال ، ولا يحصل ذلك الا بتطبيق الشريعة الالهية وتجسيدها في المجتمع ، لقصور كل المناهج البشرية عن القيام بذلك الهدف الاسمي .

وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على ان الامام لا يحقق اهدافه الا في ضوء الشريعة السماوية سواء انزلت عليه ام انزلت على غيره وسواء كان ذلك الغير حياً حاضراً ام ميتاً راحلاً ، وعلى كل تقدير فسياسة الامة وتدييرها وقيادتها ودفعها الى الكمال والتي تعد من الوظائف الاساسية للامام ، لا تحصل الا ان يكون امره ونهيه وفعله وتقريره انعكاساً عن الكليات والدساتير العامة النازلة منه سبحانه على نبي زمانه وصاحب شريعته .

وقد عرفت ان وظيفة النبي تلقى الوحي كما ان وظيفة الرسول هي ابلاغه

الى الناس ، ولكن تجسيد هذه الكليات وتحقيقها في المجتمع من وظيفة الامام ولاجل ذلك يجب اما ان يكون نبياً صاحب شريعة او يكون تابعاً لشريعة نبي اخر معاصر له اولنبي قبله والاول كالخليل والنبي الاعظم . والثاني : كطالوت بنى اسرائيل الذي بعثه الله سبحانه سائساً لهم وقائداً مطاعاً .

وبذلك يعلم ان القادة المعصومين كعلي واولاده الذين نصبوا ائمة للامة الاسلامية لا يحققون اهدافهم ، ولا يقومون بشؤون الامة وسياستها الا في ضوء الشريعة المحمدية النازلة على النبي الاكرم، فهم من تلك الجهة كداود وسليمان اللذين حققا اهداف الامامة في ضوء الشريعة الموسوية سلام الله عليهم اجمعين .

#### ٤ - الامامة رهن الابتلاء :

المتبادر من الاية الكريمة ان افاضة الامامة على الخليل كانت رهن ابتلائه واتيامة الكلمات على النحو المطلوب ، ونجاحه الباهر في هذا المعترك . وبعبارة اخرى كانت هناك صلة - ولو بنحو المقتضى والمعد - بين النجاح في الامتحان ، وجعله اماماً وان اتمامه الكلمات على النحو المطلوب صار ارضية مناسبة لمنح منصب الامامة له .

ولايشك في هذا من اعطى حق النظر في الاية بشرط تجرده عن اي فكر مسبق واما ما اختار صاحب المنار: من عدم وجود الصلة بين الابتلاء و افاضة الامامة فهو على خلاف المتبادر من الاية واليك كلامه قال : قال شيخنا : ولم يقل : « فقال اني جاعلك » للاشعار بان هذه الامامة بمحض فضل الله تعالى واصطفائه لا بسبب اتمام الكلمات فان الامامة هنا عبارة عن الرسالة وهي لا تنال بكسب الكاسب وليس في الكلام دليل على ان الابتلاء كان قبل النبوة ، واما فائدة الابتلاء فهي تعريف ابراهيم بنفسه وانه جدير بما اختصه الله به وتقوية له على القيام بما يوجه اليه . وقد تحققت امامته للناس بدعوته اياهم الى التوحيد الخاص ، وكانت الوثنية قد دعمتهم واحاطت بهم ، فقام على عهده بالحنيفية وهي الايمان بتوحيد الله



والبراءة من الشرك واثبات الرسالة وتسلسل ذلك في ذريته فلم ينقطع منها دين التوحيد ولذلك وصف الله الاسلام بانه ملة ابراهيم . (١)  
ولا يخفى ما فيه :

اما اولاً : فلان الاية لما اخبرت عن اتمام الخليل . (٢) الكلمات التي ابتلي بها . صار المقام ان يسأل عن ماذا قال ربه حين اتم الكلمات او فعل به عنده ، فاجيب بقوله «قال انى جاءك للناس اماماً» فعدم الاتيان بالفاء لاجل كونه جواباً عن سؤال مقدر يرد على الذهن عند الوقوف على قوله «واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن» وعلى ذلك فتكون الجملة استثنائية . واما جعله بياناً لقوله «واذا بتلى» وتفسير آله فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت» فقد عرفت بطلانه لان ملاك الامامة على هذا الفرض هي من الرسالة وقد كان الخليل رسولا قبل نزول الاية بكثير وثانياً : ان ما ذكره من ان الامامة في الاية عبارة عن الرسالة وهي لا تنال بكسب الكاسب وان كان صحيحاً (٣) الا ان الافاضات على حسب اللياقات ، والعطايا الالهية على حد الصلاحيات ، والمناصب المعنوية قيد مؤهلات وشروط ، بين ماهي خارجة عن حدود الاختيار غير قابلة للاكتساب ، وما هي داخلية فيها وقابلة له ، فالرسالة لانفاض على الانسان ارتجالاً بلا سبق مؤهلات وقابليات ذاتية او مكتسبة . وليست المناصب الالهية غرضاً لكل هادف اورمية لكل نابل ، وانما يصل اليها الامثل فالامثل نعم : الله سبحانه «اعلم حيث يجعل رسالته» لكنه لا يجعل رسالته

(١) المنار ج ١ ص ٤٥٥

(٢) من غير فرق بين كون الضمير في انمهن راجعاً الى الخليل او الى الله سبحانه : لما عرفت عند البحث عن «اتمام الكلمات» من ان الاتمام من جانب ابراهيم عبارة عن قيامه بها ، ومن جانبه سبحانه توفيقه لما امر به وطلب منه فهنا فعل واحد ينسب الى المباشر والسبب معاً فلورجع الى ابراهيم لصح ، لكونه الفاعل المباشر ولورجع الى الله لكونه السبب الموفق .

(٣) لكنه صحيح لان تفسير الامامة بالرسالة غير صحيح كما شرحناه

الا في النفوس والارواح الكاملة ، ذات الارضيات الصالحة الذين يضرب بهم المثل في مجال الفضل و الفضيلة ، و يشار اليهم بالبنان بين الموصوفين بالمثل العليا و الفضائل الكبرى .

ثم ان كثيراً من هذه الصلاحيات وان كانت خارجة عن اطار الاكتساب لكن بعضاً منها قابل له في ضوء المواهب الالهية و كون الرسالة امراً غير اكتسابي . لا يلزم ان تكون جميع الارضيات المصححة لافاضتها، امرأ خارجاً عن حد الاكتساب وبهذا تبين انه اذا كانت الرسالة رهن قيد و شرط فالامامة اخرى واحوج اليها من الرسالة ، لان وظيفة النبي والرسول تتلخص في تلقي الوحي و ابلاغ الرسالة ولكن وظيفة الامام هي تجسيد البرامج الالهية و تحقيقها في المجتمع ، و سوقه الى سعادة الناشئين و هي اصعب من وظيفة التبليغ .

ان القيام بمسؤولية القيادة اشد وطناً من القيام بمسؤولية التبليغ والبيان ، و هي من اشكل الامور و اصعبها ، فلا يقوم بها الا الانسان الصبور امام المصاعب و المشاكل ، الواصل الى مقام الخلة الذي لا يرى في نفسه و ذاته سوى حبه سبحانه و رضاه .

نعم الابتلاء بالمشاكل ، و الامتحان بامور الصعبة احد العوامل البنائة للشخصيات الالهية ، و هناك عوامل اخرى لبناءها و صنعها ، قد بينت في موضعها و لاجله لا يجب ان يكون كل امام مبتلى بما ابتلى به ابراهيم ، و انما الواجب الاتصاف بالمواهب الذاتية و الفضائل الاكتسابية و غير ذلك من الامور المصححة لافاضة منصب سياسة الامة و تدبير امورها و اسعادها في الدارين .

وباختصار: ان الابتلاء ليس العامل الوحيد لايجاد المؤهلات و الصلاحيات بل هناك عامل او عوامل تقوم مقام الابتلاء و تؤثر اثره ، و لاجل ذلك قد بلغ بعض الائمة المعصومين لدى الشيعة الى القمة من الكمال و الصلاح من دون ان يتعرضوا للابتلاء و صاروا ذات شخصية صلبة غير متزعزعة امام الاحداث و النوائب ، و ان لم يقعوا في معرض الامتحان و ذلك لما عرفت من ان الابتلاء ليس عاملاً و جيداً في



تكوين الشخصيات العالية بل هناك عوامل اخرى مكشوفة وغير مكشوفة مؤثرة في ذلك المضمار .

اما المكشوفة : فمنها الوراثة و التربية والبيئة والائمة المعصومون تربوا في بيت رفيع عريق طاهر معروف بالصدق ، والوفاء ، والشجاعة والسماحة ، والغيرة والامانة الى غير ذلك من حميد الاخلاق . وكان اجدادهم شرفاء ، كرماء ، ومن هذا المنطلق ورث النبي ﷺ ما في هذا البيت من الشرف والكمال فاذا كانت التربية عاملاً مؤثراً بنسبة في مجال تكوين الشخصيات، وموجبة لتفتح الكمالات المكنونة وازدهار كوا من النفوس ، فقد تربوا في البيت النبوي تحت رعاية آباءهم المكرمين، فورثوا المكارم من اجدادهم واطهروا الكمالات برعاية آباءهم .

واذا كانت الوراثة والتربية والبيئة الصالحة من العوامل المكشوفة فهناك عوامل غير مكشوفة لبناء الشخصيات ، تساهم تلك العوامل في عملية تكوين الشخصيات الاصيلة ولجل ذلك نرى بروز نوابغ في بعض البيوتات من دون ان يكون هناك اثر من العوامل البناءة المعروفة وما ذلك الا لان الانسان ما اوتي من العلم الا قليلا ولا يعلم من اسرار الحياة الا ظاهرها وقليلها . (١) فهناك اسباب لتكون الشخصيات لم يعرفها الانسان ولم يقف عليها وهذه العوامل مكشوفها وغير مكشوفها تخلف الارضية الصالحة لافاضة منصب الامامة بل العصمة مضافاً الى عنايته سبحانه وحكمته البالغة فان الامة تحتاج الى معلم بارع وهاد مصون من الزلل والخطأ، ومقتضى لطفه وعنايته تقدير الاسباب المنتهية الى تكوين شخصيات عالية صالحة لان يكونوا ائمة واسوة في الحياة وقدوة في القول والفعل .

##### ٥ - هل حقق الخليل اهداف الامامة ؟

وفي الختام يطرح هذا السؤال نفسه : اذا كان الهدف من تنصيب ابراهيم

(١) ايماء الى قوله سبحانه: «وما اوتيتم من العلم الا قليلا» (الاسراء - ٨٥) وقوله سبحانه: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا» . (الروم - ٧)

هو قيادة الامة وتنظيم امورهم في الحياة فلسائل ان يسأل عن تحقق تلك الغاية في حياة الخليل وعدمه. وانه هل ساعدته الظروف لقيامه بتلك الوظيفة الخطيرة ام لا؟  
الجواب: ان حياة الخليل كحياة سائر الانبياء محفوفة بالابهام، وماورد في قصص الانبياء لا يصح الركون اليه، لان اكثرها اسرائيليات او مسيحيات واما العهدان فقد لعب بهما الهوى وسرى اليهما التحريف فلا يصح الاعتماد على محتوياتهما ولاجل ذلك لا يمكن اظهار النظر حول السؤال على وجه بات .

والذي يمكن ان يقال: ان القيادة وافترض الطاعة وتنظيم امور الامة بالامر والنهي ذات مراتب وهي تختلف حسب اختلاف الظروف والامكانيات، وحسب اختلاف الازمنة والحضارات، فالقيادة البارزة التي اتيحت للنبي او لمن قبله من الائمة كداود وسليمان لم تكن متاحة ولاممكنة في زمن الخليل لما عرفت من اختلاف القيادة باختلاف امكانيات الظروف، وازدهار الحضارات .

ولكن القيادة باحدى مراتبها كانت متاحة ومتحققة له والا يلزم لغوية جعل المنصب ولولم يتسن له مثل ما تنسى لسائر الائمة فليس لقصور في القائد وبرامجه بل لقصور في الظروف والازمنة اولتقصير في الامة والتابعين او غير ذلك .

#### دلائل امامة النبي الاعظم (ص) .

دلت الاية الكريمة على انه سبحانه جعل ابراهيم اماماً للناس وقد سأل الخليل ان يجعل من ذريته ائمة للناس، فاستجاب سبحانه دعوته وصرح بانها تنال غير الظالمين منهم، والنبي الاعظم افضل ذريته وامثلهم فطبع الحال يقتضي ان يكون مشمولاً لدعاء جده ويكون اماماً كالخليل هذا من جانب .

ومن جانب آخر وقد استفاضت الايات والروايات على ان النبي الخاتم ﷺ كان له منصب الامامة وراء النبوة والرسالة، فهو بما انه كان يتلقى الوحي ويبلغه كان نبياً ورسولاً، ولم تكن له في هذا المجال اية طاعة وعصيان الا بالعناية وبما انه كان قائداً وزعيماً للامة في مختلف المجالات كان اماماً مفترض



الطاعة. وهو في هذا المقام صاحب أمر وبعث ونهى، وزجر ونصب وعزل وقضاء وفصل وغزوة وسرية الى غير ذلك من الامور الراجعة الى ادارة المجتمع وسياسته واليك بيان ما يثبت امامته بوضوح وما يدل على ذلك من الآيات .

١ - «النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين» (الاحزاب-٦) ومعنى «كون النبى اولى بهم من انفسهم» انه اولى بهم منهم ومعنى الاولوية رجحان جانب النبى اذا دار الامر بينه وبين غيره ويتحصل من ذلك ان ماير آه المؤمن لنفسه من الحفظ والكلاءة وانفاذ الارادة ، فالنبى اولى بذلك من نفسه فلو دار الامر بين النبى وبين نفس المؤمن وماير جمع اليه، كان جانب النبى ارجح من جانب المؤمن نفسه وما يتعلق به فعلى ذلك يجب ان يكون النبى احب اليه من نفسه واكرم عنده منها ولو دعت نفسه الى شىء والنبى الى خلافه كان المتعين اجابة النبى ﷺ وطاعته وتقديم امر النبى على نفسه. وعلى ذلك فمقتضى الاطلاق - اطلاق الاولوية - ان النبى اولى بهم فيما يتعلق بالامور الدنيوية او الدينية وهذا يمثل قمة الاطاعة له وذروة الامامة والقيادة فى جميع المجالات على احسن وجه .

نعم اذا امر النبى باخراج المؤمن عن نفسه ونفيسه فيجب عليه الخروج لان النبى لا يأمر لغايات شخصية وانما يأمر لمصالح الاسلام والمسلمين ولا يتصور ان الاية، تهدف الى جعله مستبداً بالحكم وتسلم زمام المجتمع بيد الفرد حتى يتصرف فيه بما شاء هواه وامرت به نفسه ، حاشا للنبى الاعظم المسد دان تكون سيادته على اساس التسلط الفردى والنفع الشخصى وانما يتبع الوحي فى حكمه وقضائه ويكون مصوناً بتسديد من الله عن الخطاء والزلل قال سبحانه : «وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى» (النجم - ٣ - ٤) وقال سبحانه : «يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم. واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حجب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم» (الحجرات-١-٧) وقد كان بعض الصحابة يصر على اتباع الرسول لأرائهم ، فرد الله عليهم بان

مقتضى الايمان ان لا يتقدم المؤمن على الله سبحانه ورسوله ، ولو ان الرسول اتبع آراءهم لكانت عاقبة ذلك العنت والهلاك

٢ - «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم» (الاحزاب - ٣٦) فقضاه - ص - قضاء منه بولايته وفي الوقت نفسه قضاء من الله سبحانه لانه الجاعل لولايته والمنفذ امره، وبما انه جعل الامر الواحد «قضى» متعلقاً لقضاء الله ورسوله معاً فهو يدل على ان المراد من القضاء التصرف في شؤون الناس في الامور الدنيوية والاخرية ، لا القضاء بمعنى التشريع وجعل الاحكام لانه مختص بالله سبحانه (١) .

وبالجمله ليس لاحد من المؤمنين والمؤمنات اذا قضى الله ورسوله بالتصرف في امر من امورهم ، اختيار غير ما اراد الله ورسوله بل عليهم ان يتبعوا قضاء الله ورسوله ، فالاية تمثل اعلى مرتبة من الحكم للنبي ﷺ ومن المعلوم ان جعل قضاء الرسول كقضاء الله تابع لملاكات صحيحة تتبع المصالح العامة فقط لا المصالح الشخصية .

٣ - «وما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب» (الحشر - ٧) الاية تمثل مقام ولاية النبي في تقسيم الفىء وانه يجب على المؤمنين اتباعه في كفيته ، ولا يعترضوا عليه بشيء هذا من غير فرق بين تفسير الايتاء في «آتاكم» بمعنى الامر والبعث بقربنة قوله «وما نهاكم عنه فانتهوا» والمعنى ما امركم الرسول فخذوه بالاتباع والطاعة، او تفسيره بمعنى الاعطاء اى ما اعطاكم الرسول من الفىء فخذوه وما نهاكم عنه ومنعكم فانتهوا ولا تطلبوه و ذلك لان موقف الاية اعطاء الضابطة في كل ما آتاه الرسول فيجب اتباعه سواء أكان في مجال

(١) راجع الجزء الاول من هذه الموسوعة بحث التوحيد في الشريعة والتقنين .



الفىء ام غيره بشهادة قوله فى ذيل الاية «واتقوا الله ان الله شديد العقاب» وكون المورد هو الفىء لا يوجب تخصيص الاية بها. والرجوع الى الايات السابقة لهذه الاية يفيد بان النبى ﷺ كان يمثل مقام الامامة والحكم، واليك الايات السابقة:

- أ - «ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله» .  
 ب - «وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولاركاب» .  
 ج - «ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فله وللرسول ولذى القربى» .  
 د - «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» .

فمجموع الايات من بدئها الى آخرها واردة فى مجال الحكم والقضاء وان الله فوض ادارة امور المسلمين الى نبيه وامرهم بالاخذ بما آتى والانتهاى عما نهى وبهذا المعنى صرح الاحاديث المرورية عن اهل البيت عليهم السلام فقال الامام جعفر الصادق عليه السلام فى تفسير الاية : ثم فوض اليه امر الدين يسوس عباده فقال «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» ان الرسول كان مسدداً موقفاً مؤيداً بروح القدس ولا يزل ولا يخطأ فى شىء مما يسوس به الخلق . (١)

وقال عليه السلام ايضا : ان الله عز وجل فوض الى نبيه امر خلقه لينظر كيف طاعتهم . ثم تلا هذه الاية . (٢)

والمراد من تفويض امر خلقه، امضائه تعالى ما يأمربه وينهى عنه وافترض طاعته وامضاء ولايته فى امر الناس .  
 نعم التفويض بمعنى سلبه تعالى ما اثبتته للنبي عن نفسه فمستحيل كما قرر فى محله .

٤ - ان هناك آيات كثيرة تتجاوز عشرين آية تفرض طاعة الرسول على الامة فيجب امعان النظر فيما هو المراد من هذه الفريضة فنقول :

الرسول بما هو رسول وبما هو واسطة لابلغ كلامه سبحانه الى الناس ليس

(١) الكافى ج ١ ص ٢٦٦ باب التفويض الى رسول الله (ص) من كتاب الحجّة.

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٦٦ .

له امر ونهى حتى تفترض له الطاعة بل هو في ذلك مبلغ لرسالات الله ومذكر باياته وليست له سلطة وسيطرة قال سبحانه «انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر» (الغاشية ٢١ - ٢٢) غير ان الرسول اذا كان له مع الرسالة منصب الحكم وحق الامر والنهى في تدبير المجتمع و تجسيد الشريعة يكون له حق الطاعة و على الامة فرض الاقتفاء . والايات التالية تشير الى ذلك النوع من الطاعة حيث يقول : سبحانه «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم» . (النساء - ٥٩) فترى انه سبحانه يعطف طاعة الرسول على طاعته . لكن بتكرار الفعل مشيراً الى ان له طاعة خاصة و ان كانت في طول طاعة الله و مشتقة منها . وقال سبحانه «ومن يطع الرسول فقد اطاع الله و من تولى فما ارسلناك عليهم حفيظاً» (النساء - ٨٠) يقول الامام امير المؤمنين عليه السلام في تفسير الاية: فقرن طاعته بطاعته و معصيته بمعصيته و كان ذلك دليلاً على ما فوض اليه وشاهداً على من اتبعه وعصاه ، و بين ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم . (١)

فالرجوع الى الايات الواردة فيها طاعة الرسول يوقعك على جلاء الحال.

#### الامامة في الاحاديث الاسلامية :

قد عرفت ان الامامة التي افيضت على الخليل كانت عبارة عن حكمه بين الناس وتدييره اموره وقد استظهرنا ذلك من سائر الايات الواردة في هذا المضمار و الاحاديث الاسلامية تدعم ذلك المعنى بوضوح وتفسر الاية على النحو الذي فسرناه . قال الامام امير المؤمنين عليه السلام: والامامة نظاماً للامة والطاعة تعظيماً للامامة . (٢)

(١) نور الثقلين ج ١ ص ٤٣١

(٢) نهج البلاغة قسم الحكم رقم ٢٥٢ . وقد جاء في المطبوع . من نهج البلاغة

بمصر بشرح الشيخ محمد عبده «الامانات» مكان الامامة . وهو اشتباه محض وقد تبعه صبيحي الصالح في الاشتباه .



وقال الامام الصادق عليه السلام: اتقوا الحكومة انما هي للامام العالم بالقضاء العادل في المسلمين (١).

وقال الامام الثامن علي الرضا عليه السلام: ان الامامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين. (٢)

وقال عليه السلام ايضاً: الامام يحل حلال الله، ويحرم حرامه، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة، الى ان قال: مضطلع بالامر، عالم بالسياسة، مستحق للرئاسة مفترض الطاعة قائم بامر الله ناصح لعباده الله. (٣)

فهذه العقود الدرية تعرب عن مفهوم الامامة لدى ائمة اهل البيت وهو مطابق لما استفدناه من الاية الكريمة.

هذه هي النظريات الاربع المذكورة حول ملك امامة الخليل الواردة في آية الابتلاء وبقيت هنا نظرية خامسة اختاره العلامة الطباطبائي تبرك في خاتمة المطاف بذكرها وتحليلها وانما اخرنا ذكرها لان للنظريه الرابعة تأثيراً خاصاً في فهمها وتوضيحها وما يتوجه اليها من الاشكال، واليك بيانها.

#### الملاك الخامس: تسيير النفوس الى الكمال بهداية تكوينية:

ويتضح ببيان امور:

الاول: ان تسيير الامامة بالنبوة والخلافة او الوصاية او الرئاسة في امور الدين والدنيا، وكونه مطعاً حدث من تكرر الاستعمال بمرور الزمان كما اتليت به سائر الالفاظ الواقعة في القرآن، فان النبوة معناها تحمل النبأ من جانب الله.

(١) وسائل الشيعة ج ١٨ كتاب القضاء الباب ٣ من ابواب صفات القاضى الحديث

الثالث من ٧

(٢) الكافي ج ١ كتاب الحجة باب النادر ص ٢٠٠

(٣) تحف العقول ص ٤٣٦-٤٤١.

والرسالة معناها تحمل التبليغ . والاطاعة من لوازم النبوة والرسالة [ فكيف نفسر الامامة بالاطاعة ] والخلافة نحو من النيابة وكذلك الوصاية والرئاسة نحو من الطاعة للموصى والرئيس وهو كون الانسان مصدراً للحكم في المجتمع ، وكل هذه المعاني غير معنى الامامة ، اذ لا معنى لأن يقال لنبي من الانبياء مقترض الطاعة اني جاعلك للناس نبياً او مطاعاً فيما تبلغه اورثياً تأمر وتنهي في الدين او وصياً او خليفة في الارض تقضى بين الناس في مراجعاتهم بحكم الله .

وبعبارة اخرى: لا يصح ان يقال لنبي من لوازم نبوته كونه مطاعاً بعد نبوته اني جاعلك مطاعاً في الناس بعد ما جعلتك كذلك. ولا يصح ان يقال له ما يؤول اليه معناه وان اختلف معه في العبارة فهذه المواهب - امثال الامامة الالهية - ليست مقصورة على مجرد المفاهيم اللفظية بل تصحبها المعارف الحقيقية.

الثاني : انا نجد في كلامه تعالى انه كلما تعرض لمعنى الامامة تعرض معها للهداية تعرضاً تفسيرياً قال تعالى « و وهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة و كلاجعلنا صالحين . وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا » (الانبياء ٧٣) وقال سبحانه : « وجعلنا منهم (اي من بنى اسرائيل) ائمة يهدون بامرنا لما صبروا و كانوا باياتنا يوقنون » (السجدة - ٢٤) فوصفها بالهداية وصف تعريف ثم قيدها بالامر فيبين ان الامامة ليست مطلق الهداية بل الهداية التي تقع بامر الله والتعرف على ان الامام هو الهادي « بامر الله » هو المهم في فهم معنى الامامة .

الثالث : انه سبحانه بين سبب هبته الامامة بقوله : « لما صبروا و كانوا باياتنا يوقنون » فبين ان الملاك في ذلك هو صبرهم في جنب الله و كونهم قبل ذلك موقنين : وقال سبحانه في حق ابراهيم : و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين » (الانعام - ٧٥) فارادة الملكوت لابراهيم كانت مقدمة لافاضة اليقين عليه وقد علمت ان كونهم موقنين احد اسباب امامتهم .

الرابع : ان « الامر » الذي يكون الامام به هادياً ليس بمعنى الاذن بل المراد هو الامر التكويني الذي بينت حقيقته في قوله : « انما امره اذا اراد شيئاً



ان يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئى» (يس ٨٢-٨٣) .  
 وقال سبحانه : «وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر» (القمر - ٥٠) والمراد  
 بكلمة (كن) ليس هو التلفظ بل وجود الشئ المعين بلا تدرج وتغيير كما هو اللائق  
 لافعاله سبحانه كما انه مع التغيير والانطباق على قوانين الحركة والزمان هو الخلق:  
 اذا عرفت ذلك نقول : ان شأن النبى و الرسول هو اراءة الطريق و شأن  
 الامام هو الايصال الى المطلوب، لان الانسان الكامل الذى يهدى بامر ملكوتى (١)  
 (لابامر لفظى) يصاحب ذلك الامر . فالامامة نحو ولاية للناس فى اعمالهم ،  
 وهدايتها، ايصالها اياهم الى المطلوب بامر الله . (٢)

وقد اوضحه ايضا فى كتابه «الشيعه فى الاسلام» : بقوله :

كما ان الامام قائد ومسير وزعيم للامة بالنسبة للظاهر من الاعمال، كذلك  
 هو قائد وزعيم بالنسبة للباطن من الاعمال ايضا فهو المسير والقائد للانسانية من  
 الناحية المعنوية نحو خالق الكون وموجده .

ان كل عمل من الاعمال الحسنة والسيئة تولد فى الانسان واقعية، والحياة  
 الاخرية ترتبط بهذه الواقعات ارتباطاً وثيقاً . والانسان يتصف بحياة باطنية  
 غير الحياة الظاهرية التى يعيشها والتى تنبع من اعماله، وترتبط حياته الاخرية  
 بهذه الاعمال والافعال التى يمارسها فى حياته هنا . قال سبحانه «من عمل صالحاً  
 من ذكرا وانثى وهو مؤمن فلنجيئنه حياة طيبة» . (النحل - ٩٧)

ان القرآن يدل على ان هناك حياة اسمى وروحاً ارفع من هذه الحياة  
 للمصالحين والمؤمنين ويؤكد على ان نتائج الاعمال الباطنية تلازم الانسان دوماً  
 ولكن الانسان ربما لا يشعر بان الاعمال الحسنة او السيئة تكون فى الانسان حياة  
 اخروية وواقعية باطنية وسعادة وشقاء، ومع ذلك كله هى مؤثرة . والانسان فى

(١) يريد بالامر الملكوتى، الامر التكوينى الذى تعلقه بشئىء نفس تحققه وتكونه واين  
 هو من الامر اللفظى او الذهنى الذين ينفكان عن المراد والمأمور به ويتوقفان على مقدمات ومعدات  
 (٢) الميزان ج ١ ص ٢٧٤-٢٧٦ بتلخيص .

حياته يشبه الطفل حيث يملأ عليه مربيه بالفاظ الامر والنهي فهما كالفان لتكوين حياة سعيدة له، هو يأتمر امره ولا يشعر بما يرتب على طاعة امره ونهي من النتائج لكنه كلما تقدم في العمر استطاع ان يدرك ما قاله مربيه فينال بذلك الحياة السعيدة . وما ذلك الا بما اتصف به من ملكات . واذا ما رفض وعصى معلمه الذي كان يسعى له بالصلاح ، تجد حياته مليئة بالمآسى والالام .

الانسان يشبه المريض الذي دأب على تطبيق اوامر الطبيب في الدواء و الغذاء اورياضة خاصة فهو لم يبال بشيء الا ما املاه عليه طبيبه فعندئذ يجد الراحة والصحة ويتحسن بتحسن صحته .

فاذن الانسان الذي يصبح قائداً للامة بامر من الله فهو قائد للحياة الظاهرية والمعنوية وما يتعلق بها من اعمال تسير مع سيره ونهجه .

فالامام فضلا عن الارشاد والهداية الظاهرية ، يختص بنوع من الهداية المعنوية فهو بواسطة الحقيقة والنور الباطني الذي يتصف به ، يستطيع ان يؤثر في القلوب المهياة وان يتصرف بها كيف ماشاء ويسيرها نحو مراتب الكمال والغاية المتوخاة . (١)

هذا غاية توضيح لهذه النظرية حررناها بشكل يقف على مرادها كل من له ادنى المام بالعلوم العقلية .

#### تحليل هذه النظرية :

لاشك ان النفوس القوية تستطيع ان تؤثر في القلوب المهياة وتسيرها نحو الكمال لكن البحث في تفسير الامام الوارد في الاية الكريمة بالمتصرف في القلوب والهادي لها تكويناً ومسیرها نحو الكمال ، فانه لاشاهد لذاك التفسير .

اما اولاً : فان قوله : «يهدون بامرنا» في مقام الثناء عليهم بانهم لا يصدرون في امرهم ونهيهم الا عن اذنه تعالى فلاجل ذلك صاروا هداة واقعيين فمنطقهم صواب ، وفعلهم وتقريرهم حجة و كل ما يمت اليهم هداية ، واين ذلك من كون



الجملة في مقام بيان حقيقة الامامة وانها عبارة عن القدرة التكوينية التي يستطيع بها الانسان الكامل ان يؤثر في النفوس المهيأة لسوقها نحو الكمال .  
ويظهر ما ذكرنا من رواية طلحة بن زيد عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام حيث قال: «ان الامام في كتاب الله عز وجل امامان: قال الله تبارك وتعالى «وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا» لا بامر الناس يقدمون امر الله قبل امرهم وحكم الله قبل حكمهم قال: «وجعلناهم ائمة يدعون الى النار» يقدمون امرهم قبل امر الله وحكمهم قبل حكم الله وياخذون باهوائهم خلاف ما في كتاب الله عز وجل . (١)  
ويقول العلامة المجلسي (ره) حول الرواية: «اي ليست هدايتهم للناس وامامتهم بنصب الناس وامرهم بل هم منصوبون لذلك من قبل الله تعالى ومأمورون بامره . (٢)

وثانياً: ان تفسير الامامة بالقيادة العامة للامة هو كون المتلبس بها اسوة في القول والعمل، ليس من المعاني المبتذلة كيف ويقول الامام امير المؤمنين عليه السلام: والامامة نظاماً للامة . (٣)

وثالثاً: ما افاده من انه: «لامعنى ان يقال للنبي مفترض الطاعة «اني جاعلك للناس اماماً او مطاعاً» غير تام لما اوقفناك عليه من ان النبي بما هو نبي ليس له شأن الا التنبؤ، كما ان الرسول ليس له شأن الا ابلاغ الرسالات واما كونه مطاعاً بالنسبة الى الاوامر التي تصدر منه لاجل مصالح الامة فهو ليس من شؤون الرسالة وانما يكون من شؤون مقام آخر يتلبس به بعدهما ويحول اليه بعد الاختيار والابتلاء. وقد اوقفناك على ان مثل النبي والرسول فيما يبلغ من امر الرسالة مثل المفتي والمستنبط للاحكام من الكتاب والسنة ليس له امر ولا نهى ولا طاعة

(١) الكافي ج ١ ص ٢١٦ .

(٢) مرآة العقول ج ١ ص ١٦٥ - الطبعة القديمة الحجرية وفي اواخر الجزء الثاني من

الطبعة الحديثة .

(٣) نهج البلاغة: قسم الحكم الرقم: ٢٥٢

ولامعصية ، بل له حق الابلاغ والاعلام لا الامر والبعث والزجر والمنع. كل ذلك يستوجب ان يكون له مقام آخر يناسب تلك الامور . وهو مقام الامامة والقيادة والرئاسة وما اشبهها .

ففي المجال الاول يكون المطاع حقيقة هو الله ولو نسبت الطاعة الى الرسول فبالعناية وبهذا يفسر قوله : «وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله» (النساء - ٦٤) والا فالرسول بما هو رسول ومبلغ وواسطة بين الخالق والمخلوق لا امر له حتى يطاع ولا نهى له حتى لا يعصى ، فمن اطاعه فقد اطاع الله ومن عصاه فانما عصى الله ونسبة الطاعة اليه في الاية المباركة بضرب من العناية والمقصود من اطاعته سماع قوله ، وتطبيق العمل على كلامه نظير ما يقول الصديق للصديق «اطعت قولك» والمقصود ، جعل العمل مطابقا لكلامه .

وبذلك يعلم ان ما ورد من الايات من الامر باطاعة الرسول في جنب اولي الامر ليس المراد من الرسول فيها الرسول بما هو رسول ، بل بماله من مقام الطاعة فيكون الرسول عنوانا مشيراً الى قيادته وامامته قال سبحانه «واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم» (النساء - ٥٩) «واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا» . (الانفال - ٤٦)

والحاصل : ان للرسول اطاعتين .

احدهما بضرب من العناية كما هو شأن كل واسطة بين الامر والمأمور ولا تعد هذه طاعة حقيقية وعلى هذا المعنى تنزل عدة من الايات الواردة فيها طاعة الرسول .

وثانيتهما : اطاعة حقيقية عندما خلع عليه سبحانه ثوب الامامة ولباس القيادة فيكون مطاعاً واقعاً وعلى كلا المعنيين يمكن تنزيل قوله سبحانه «ومن يطع الرسول فقد اطاع الله» . (النساء - ٨٠)

وعلى الجملة فما افاده (قدس الله اسراره) - فله حق عظيم علينا وعلى الامة الاسلامية - كلام غير تام والله العالم .



وعلى كل تقدير فبين ما افاده في الميزان وما بينه في الموضوع الاخر فرق واضح ، لانه قدس سره في الاول لا يسلم كون القيادة الظاهرية من شؤون الامام بل يفسر الامام ، بالمتصرف في القلوب ، الهادي على نحو الايصال الى المطلوب ولكنه يسلم في كتاب «الشيعة في الاسلام» كونها احد شؤونه كما هو لائح من عبارته ، ولعله امتن وقد عرفت فيما سبق ان الوقوف على مفاد الاية يتوقف على البحث عن نقاط سبع ، وقد فرغنا عن البحث اربع منها وبقي الكلام في نقاط ثلاث واليك بيان الخامس منها .

#### ٥ - الامامة عهد من الله .

العهد في الاصل هو الاحتفاظ بالشيء واليه ترجع سائر المعاني التي استعملت فيها تلك اللفظة فيقال للوصية : العهد . لانه ينبغي الاحتفاظ بها كما يطلق على ما يكتب للولاة من الوصية لانه مما ينبغي الاحتفاظ به . والعهد ، الكتاب الذي يستوثق به في البيعات (١) .

وعلى ذلك فكل شيء غال قيم ينبغي الاحتفاظ به فهو العهد والله سبحانه ينسب الامامة الى نفسه ويقول : «عهدي» ويريد بذلك انه شيء غال وهدية ثمينة من الله سبحانه يجب الاحتفاظ بها من جانب الامة وبما ان الشيء الثمين لا يودع الا عند من كان اميناً واضعاً كل شيء في مكانه قال سبحانه : «لا ينال عهدى الظالمين» فالامامة ميثاق الله سبحانه بين الامة يجب الاحتفاظ بها عن طريق امتثال ما يفترض من الاوامر والنواهي وعدم اضعائها .

ويظهر ذلك - اي ان الامامة عهد الله سبحانه - ان الامامة نوع من الحكومة وليس لاحد حق الحكم على احد الا باذنه سبحانه . فالحاكم الواقعي المشروع حكمه ، النافذ امره ونهيه ، من استند في ولايته الى الله سبحانه وتعالى .

## ٦- ماهو المقصود من الظالمين؟

الظلم في اللغة : هو وضع الشيء في غير موضعه ، قال ابن فارس بعد ذكره لهذه الجملة : الا تراهم يقولون من اشبه اباہ فما ظلم أي : ما وضع الشبه غير موضعه وبه قال غيره من اللغويين قال ابن منظور : الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، ومن امثال العرب : من اشبه اباہ فما ظلم . قال : الاصمعي : اي ما وضع الشبه في غير موضعه وفي المثل : من استرعى الذئب فقد ظلم . وفي حديث ابن زمل : لزموا الطريق فلم يظلموه اي : لم يعدلوا عنه يقال : اخذ في طريق فما ظلم يمينا ولا شمالا . واصل الظلم : الجور ومجاوزة الحد . والظلم : الميل عن القصد ، والعرب تقول : الزم هذا الصوب ولا تظلم عنه ، اي لا تجزع عنه . وقال سبحانه « ان الشرك لظلم عظيم » وذلك لانه جعل النعمة لغير ربها .

فاذا كان الظلم بمعنى مجاوزة الحد الذي عينه العرف او الشرع فالمعصية كبيرها وصغيرها ظلم لان مقتر فهما يتجاوز عن الحد الذي رسمه الشارع . والظلم له مراتب والمجموع يشترك في كونه تجاوزاً عن الحد ووضعاً للشيء في غير موضعه . ولما خلع سبحانه نوب الامامة على خليله ونصبه اماماً للناس ودعا ابراهيم ان يجعل من ذريته اماماً فاجيب بان الامامة وثيقة الهيئة قيمة لانال الظالمين ، لان الامام هو المطاع بين الناس ، المتصرف في النفوس والاموال ، والفائد للمجتمع الى السعادة ، فيجب ان يكون على الصراط السوي حتى يكون امره ونهيه وتصرفه وقيادته نابعة عنه . والظالم هو المتجاوز عن الحد ، المتمايل عن الصراط الى اليمين والشمال . (١) الواضع للشيء في غير موضعه لا يصلح لهذا المنصب وحدوده .

ان الظالم الناكث لعهد الله ، والناقض لداياتيره وحدوده على شفا جرف هار

(١) ونعم ما قال الامام امير المؤمنين : اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي

الجادة (نهج البلاغة قسم الخطب الرقم ١٥)



لا يؤتمن عليه ولا تلقى إليه مقاليد الخلافة ، ولامفاتيح القيادة لانه على مقربة من الخيافة والتعدى وعلى استعداد لان يقع اداة الجائرين فكيف يصح فى منطق العقل ان يكون اماماً مطاعاً ، نافذاً قوله ، مشروعاً تصرفه ، الى غير ذلك من شؤون الامامة؟ ان بعض المناصب والمقامات تعين شروطها بنفسها ، فمدير المستشفى ، له شروط تختلف عن شروط قائد الجيش وهكذا غيرهما .

فالامامة التى لاتنفك عن التصرف فى النفوس والاموال وبها يناطق حفظ القوانين ، يجب ان يكون القائم بها انساناً مثالياً مالكاً لنفسه ، وغرائزه حتى لا يتجاوز فى حكمه عن الحد ، وفى قضائه عن الحق .

والمستفاد من الاية ان الظلم بشتى الوانه مانع من النيل لمقام الامامة ، لان كلمة «الظالمين» بحكم كونها محلاة باللام تفيد الاستغراق فى الافراد فاذا كان الظالمون بعامة افرادهم ممنوعين من الارتقاء الى هذا المقام ، يكون الظلم بكل الوانه وصوره مانعاً عن الرقى والنيل لهذا المنصب الالهى ، فالاستغراق فى جانب الافراد يستلزم الاستغراق فى جانب الظلم واقسامه وتكون النتيجة مانعية كل فرد منه عن الارتقاء الى منصب الامامة .

وبالجملة : فالاية تستغرق جميع الظالمين وتسلب الصلاحية عن كل فرد فرد منهم . وبالنتيجة تفيد بان الظلم باى شكل كان مانع عن الارتقاء الى الامامة . فالاستغراق فى ناحية الافراد يلازم الاستغراق فى اقسام الظلم فتكون النتيجة ان من صدق عليه انه ظالم ولو فى فترة من عمره يكون ممنوعاً من نيل هذا المقام الرفيع .

### سؤال وجواب :

اما السؤال : فهو ان الاية انما تشمل من كان مقيماً على الظلم فاما النائب عنه فلا يتعلق به الحكم لان الحكم اذا كان معلقاً على صفة وزالت الصفة زال الحكم ، وصفة الظلم صفة ذم فانما تلحقه مادام مقيماً عليه فاذا زال عنه زالت الصفة عنه ( كذلك

يزول عنه الحكم الذي علق به من نفى نيل العهد في قوله تعالى «لا ينال عهدى الظالمين» الا ترى ان قوله تعالى: «ولا تتركوا الي الذين ظلموا» انما هو نهى عن الركون اليهم ما اقاموا على الظلم وكذلك قوله تعالى: «ما على المحسنين من سبيل» انما هو ما اقاموا على الاحسان فقوله تعالى: «لا ينال عهدى الظالمين» لم ينف به العهد عن من تاب عن ظلمه. لانه في هذه الحالة لا يسمى ظالماً كما لا يسمى من تاب من الكفر كافراً ومن تاب من الفسق فاسقاً وانما يقال كان كافراً و كان فاسقاً و كان ظالماً والله تعالى لم يقل لم ينل عهدى من كان ظالماً وانما نفى ذلك عن من كان موسوماً بسمة الظالم والاسم لازم له باق عليه. (١)

### الجواب :

ان ما افاده الجصاص من ان الحكم يدور مدار وجود الموضوع ليس ضابطاً كلياً يعتمد عليه في كل الموارد وما استشهد به من المثاليين لا يكون مبدأ لاتزاع القاعدة الكلية المزعومة بل الاحكام على قسمين: قسم يدور مدار وجود الموضوع فينتفى بانتفائه ، وقسم يكفى فيه اتصاف الموضوع بالوصف والعنوان آنأما ولحظة خاصة ، وان انتفى بعد الاتصاف . واليك توضيح كلا القسمين :

اما القسم الاول: مثل قولنا الخمر حرام ، او في سائمة الغنم زكاة ، فالمانع مادام يصدق عليه عنوان الخمر يحرم شربه ، فاذا انقلب الى الخل يرتفع عنه الحكم . والغنم مادامت سائمة تتعلق بها الزكاة فاذا زال العنوان وعادت معلوفة يرتفع عنها الحكم ولها في العرف والشريعة امثلة لاتعد ولا تحصى .

واما القسم الثانى : اعنى ما يكفى في بقاء الحكم اتصاف الموضوع بالعنوان ولومرة واحدة او لحظة سريعة عابرة، فهو كالزاني والسارق ، فالانسان اذا تلبس بالزنا او السرقة ، يكون محكوماً بالحد وان زال عنه العنوان ، بل وان تاب

(١) احكام القرآن لابي بكر احمد بن على الرازى الجصاص المتوفى عام ٣٧٠



واناب بعد ثبوت الحكم في حقه . ومثله عنوان المستطيع ، فمن استطاع الحج يجب عليه وان زالت عنه الاستطاعة وقصر في اداء الحج .  
ومثل هذه الامثلة، عنوان «امهات نساءكم» فمن انصفت بكونها امّاً لزوجته ولولحظة تحرم على الزوج وان زالت علاقة الزوجية وعلى هذا الضوء يكون قوله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما» (المائدة-٣٨) وقوله سبحانه: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» (النور - ٢) وقوله سبحانه : «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً» (آل عمران - ٩٧) وقوله سبحانه : «وامهات نساءكم» (النساء - ٢٣) شاملاً لكل من تلبس بالسرقه والزنا والاستطاعة والامومة للزوجة سواء بقوا على العنوان ام زال عنهم وعلى هذا القياس يجب تقسيم الموضوعات المتصفة بالعناوين الى قسمين لاجعلهما قسماً واحداً كما صنع الجصاص .

نعم : المهم في المقام اثبات ان الموضوع في الاية من قبيل القسم الثاني لا القسم الاول فما لم يثبت كونه منه لا يفيد تقسيم العنوان الى قسمين .  
وبعبارة اخرى : اللازم اثبات ان المتلبس بالظلم ولو آناً ما ، ولو فترة يسيرة من عمره لا يصلح للامامة في كل عمره وان تاب عن الذنب ويمكن اثبات ذلك من طريقين .

### الاول : طريق العقل :

ان الهدف الاسمي من تنصيب امثال الخليل عليه السلام على الامامة تحقيق الشريعة الالهية في المجتمع وتحقيقها بين الناس فاذا كان القائد رجلاً مثالياً نقى الثوب ، مشرق الصحيفة ، ناصع السلوك ، يكون لامره ونهيه نفوذ في القلوب ولا تكون قيادته محل طعن من قبل المجتمع بل يستقبله الشعب بوجوه ملؤها الاجلال والاكبار ، لانه عاش بين ظهرائهم ولم يروا منه عصياناً ولازلة بل كان قائماً على الصراط السوي غير مائل عنه وعند ذلك يتحقق الهدف الاسمي من

تنصيب الشخصيات المعينة على الامامة .

واما اذا كان في فترة من عمره مقترفاً للمعاصي ، مجترحاً للسيئات فهو غرض لسهام الناقدين ، ومن البعيد ان ينفذ قوله وتقبل قيادته بسهولة ، بل يقع مورداً للاعتراض بانه كان بالامس يقترف الذنوب ويعمل بالمعاصي ، يتبنى الباطل واصبح اليوم آمراً بالحق ومميتاً للباطل ! ، وعند ذلك لا يتحقق الهدف الذي لاجله خلعت عليه الامامة .

وهذا التحليل العقلي يحكم بلزوم نقاوة الامام عن كل زلة ومعصية وان الانابة لو كانت ناجحة في حياته الفردية لاتكون ناجحة في حياته الاجتماعية ولا يقع امره ونهيه موقع القبول ولا يقدر أن يأخذ بمجامع القلوب .

#### الثاني : طريق النقل :

وهو تحليل الاية : ببيان ان الناس بالنسبة الى الظلم على اربعة اقسام :

- ١ - من كان في طيلة عمره ظالماً .
- ٢ - من كان طاهراً ونقياً في جميع عمره .
- ٣ - من كان ظالماً في بداية عمره وتائباً في آخره .
- ٤ - من كان طاهراً في بداية عمره وظالماً في آخره .

عند ذلك يجب ان نقف على ان ابراهيم عليه السلام الذي سأل الامامة لبعض ذريته ، اراد اي قسم منها ؛ حاشا ابراهيم عليه السلام ان يسأل الامامة للقسم الاول والرابع من ذريته لوضوح ان الفارق في الظلم من بداية عمره الى آخره او الموصوف به ايام تصديه للامامة لا يصلح لان يؤتمن عليها فبقي القسمان الاخران ، اعنى الثاني والثالث وقد نص سبحانه على انه : لا ينال عهده الظالم . (والظالم في هذه العبارة لا ينطبق الاعلى القسم الثالث اعنى من كان ظالماً في بداية عمره وصار تائباً حين التصدي ، فاذا خرج هذا القسم بقى القسم الثاني - وهو من كان نقى الصحيفة في طيلة عمره ، لم يرم منه لا قبل التصدي ولا بعده انحراف عن الحق ، ومجاوزه للصراط السوى .



وحصيلة البحث : ان الامام هو الانسان المثالي المطاع قوله ، المقتدى بفعله ، المنصوب من الله سبحانه ، لاجل تحقيق الاهداف الالهية في المجتمع ولا يختلف كلامه وتقريره عنها قيد شعرة ، حتى يحقق الهدف الذي نصب لاجله وبما ان الاية الكريمة تنفي صلاحية الظالم لنيل هذا المقام وهي على وجه الاستغراق ، فالظالم بجميع اصنافه لا يصلح لهذا المقام وان تاب وطهر ، لم اعرفت من الوجهين من ان المقام من قبيل القسم الثاني الذي يكفى في ثبوت الحكم دائما تلبس الموضوع بالعنوان آنأماً .

### سؤال وجواب :

اما السؤال فحاصله : ان غاية ما يستفاد من الاية لزوم كون الامام نقي الصحيفة عادلا غير ظالم ، واما كونه معصوماً قد افيضت عليه ملكة العصمة فلا يستفاد من الاية وان شئت قلت : ان نفي صلاحية الظالم للتصدي للامامة لا يثبت الاصلاحية تصدي العادل وهو اعم من المعصوم الذي نحن بصدد اثباته .

اما الجواب : فان العدالة المطلقة التي يؤكد عليها القرآن - وهي كون الرجل نقياً عن كل ذنب صغيرة وكبيرة طيلة عمره من اوان بلوغه الى لقاء ربه - تلازم العصمة ولا تنفك عنها اذ من المستحيل عادة ان يثبت الانسان على الحق ولا يتجاوز عنه ولا تصدر منه كبيرة ولا صغيرة الى ان يلاقى ربه ، ومع ذلك يكون فاقداً للعصمة وملكة المصونية .

ان الانسان القائم على الصراط السوي في جميع لحظات عمره غير مائل عن الحق فكراً وعملاً ، لا ينفك عن كونه يمتلك ملكة العصمة الحامية من الزلل . نعم : العدالة غير المطلقة لا تلازم العصمة ولاجل ذلك ربما يقترف العادل بعض المعاصي وان كان يتوب بسرعة ، لكنها ليست عدالة مطلقة ، بل عدالة خاصة لاننافي صدور المعصية ، واما العدالة المطلقة في جميع سني العمر ، والالتزام بالحق قولاً وفعلاً ، عقيدة وعملاً ، بلا انحراف ، فهي عبارة اخرى عن العصمة ،

ولا تتحقق الا بالموهبة الالهية المفاضة من الله سبحانه على عباده المخلصين .  
وان ابنت الاعن أعمية ما تهدف اليه الاية وان المستفاد منها العدالة المطلقة  
لا العصمة المفاضة من الله سبحانه فنقول : ان الشيعة الامامية تكتمى بذلك فى نفي  
خلافة من تصدى للخلافة بعد رسول الله ﷺ ، بحجة انهم لم يكونوا ذوى عدالة  
مطلقة ، كيف وقد عبدوا الصنم والوثن فى فترات من عمرهم ؟

فاذا ثبت عدم صلاحيتهم تعينت امامة العترة الطاهرة : لان الامة فى  
مسألة الامامة ذات قولين : فذهب طائفة الى امامة الخلفاء وذهبت طائفة اخرى  
الى امامة على واهل بيته عليهم السلام : فاذا نفيت صلاحية الفرقة الاولى تعينت  
خلافة الطائفة الثانية لان امامة غير هاتين الطائفتين لم يذهب اليها احد .

وبالجملة: انفقت الامة الاسلامية على قولين فى مسألة الامامة . فذهب اهل  
السنة الى خلافة الخلفاء الاربعة بعد رسول الله ﷺ ثم تبدلت الخلافة بعد الخليفة  
الرابع الى الملوكية وخرجت عن صبغة الخلافة الاسلامية ، وقد كان أكثر  
هؤلاء الخلفاء الاربعة غير مجتنبين عن الشرك وعبادة الوثن فى اوليات حياتهم وان  
صاروا بيرة الاسلام موحدين تاركين الخط الجاهلى .

وذهب الشيعة بعامة فرقمهم الى خلافة على وبعده الحسن والحسين الى آخر  
ائمة الهدى ، فهؤلاء كانوا طاهرين عن الشرك منذ نعومة اظفارهم الى لقاء ربهم  
وليس بين الامة قول بامامة غيرها تين الطائفتين .

هذا هما القولان اللذان أشرنا اليهما ، ومن جانب اخر ان الاية تدل على  
شرطية طهارة الامام على وجه الاطلاق عن كل ظلم فى جميع أدوار الحياة وهذا  
لا ينطبق الا على الطائفة الثانية لان كثيراً من افراد الطائفة الاولى كانوا غير  
مجتنبين عن الظلم فى بداية حياتهم وذلك مما لم يختلف فيه اثنان .



## الاية الثانية آية التطهير :

قد عرفت دلالة آية الابتلاء على لزوم نزاهة الامام عن اقتراف الذنب و لولحظة قصيرة في مدة عمره وقد قلنا ان مثل تلك العدالة المطلقة تلازم العصمة فمن اتصف بالثبات على الحق، وعدم التجاوز عنه ولم تصدر منه صغيرة ولا كبيرة الى ان يلقى ربه ، لا ينفك عن العصمة .

وهناك آية اخرى تدل على عصمة عدة خاصة من المتمسكين لمنصب الامامة وهي آية التطهير اعنى قوله سبحانه: «وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهر كم تطهيرا . (الاحزاب - ٣٣)

وقد استدل الشيعة الامامية عن بكرة ابها بهذه الاية على عصمة اهل البيت الذين نزلت هذه الاية في حقهم . والفرق بين دلالة تلك الاية وآية الابتلاء في السعة والضيق ، فالاية الاولى تدل على عصمة كل من تسلمت الامامة من الخليل الى يوسف وداود والنبي الاعظم وعلى امير المؤمنين عليه السلام وكل من ثبت عهد الله اليه بالامامة، وآية التطهير تدل على عصمة عدد خاص نزلت الاية في حقه ودلالة الاية تتوقف على البحث عن عدة امور :

- ١ - ماهو المراد من الرجس ؟
  - ٢ - هل ارادته تعالى في هذه الاية ارادة تكوينية او تشريعية ؟
  - ٣ - ماهو المقصود من اهل البيت ؟
  - ٤ - من هم اهل البيت في حديث النبي الاكرم (ص) .
  - ٥ - مشكلة السياق في الاية .
  - ٦ - اهل البيت في الادب العربي .
- سنبحث عن هذه الامور واحداً بغير آخر:

## ١- ماهوالمراد من الرجس ؟

المراد من الرجس : هو القذارة الاعم من المادية والمعنوية ، وقد اتفق على ذلك ائمة اللغة قال ابن فارس : الرجس اصل يدل على اختلاط ومن هذا الباب : الرجس : القذر لانه لطح و خلط . (١)

وقال ابن منظور: الرجس: القذر وكل قذر رجس وفي الحديث: اعوذ بك من الرجس النجس . وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعن والكفر. قال الزجاج : الرجس في اللغة كرا. ما استقذر من عمل . . . فبالغ الله في ذم اشياء وسمها رجساً. وقال ابن الكلبي: رجس من عمل الشيطان اي مأثم. (٢) وقد استعملت هذه اللفظة في الذكر الحكيم ثمانية مرات : ووصف به الخمر والميسر والانصاب والازلام والكافر غير المؤمن بالله والميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير والاثوان وقول الزور . . . الى غير ذلك من الموارد التي وصفت به في الذكر الحكيم .

ونكتفي بنقل بعض الايات قال سبحانه «انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان» (المائدة - ٩٠) وقال سبحانه «الان يكون ميتة او دماً مسفوحاً او لحم خنزير فانه رجس» ( الانعام - ١٤٥ ) وقال سبحانه : « كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون» (الانعام - ١٢٥) الى غير ذلك من الايات و المتفحص في كلمات ائمة اهل اللغة و الايات الواردة فيها تلك اللفظة يصل الى انها موضوعة بمعنى القذارة التي تستنفر منها النفوس سواء كانت مادية كما وردت في الايات ام معنوية كما هو الحال في الكافر وعابد الوثن ووثنه . فلو وصف به العمل القبيح عرفاً او شرعاً فلاجل ان العمل القبيح يوصف

(١) معجم مقاييس اللغة ج ٢ ص ٤٩٠

(٢) لسان العرب ج ٦ ص ٩٤-٩٥ (مادة رجس)



بالقذارة التي تستنفرها الطباع السليمة. وعلى هذا فالمراد من الرجس في الآية هي الاعمال القبيحة عرفاً او شرعاً وبديل عايمه قوله سبحانه : بعد تلك اللفظة «ويطهر كم تطهيراً» فليس المراد من هذا التطهير الا تطهيرهم من الرجس المعنوي الذي لا تقبله النفوس السليمة .

وقد ورد نظير قوله «ويطهر كم تطهيراً» في حق السيدة مريم عليها السلام قال سبحانه «ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين» (آل عمران - ٤٢)

نعم: ان لتطهير النفوس وطهارتها مراتب ودرجات ولا تكون جميعها مستلزمة للعصمة وانما الملازم لها هو الدرجة العليا قال سبحانه : «فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين» . (التوبة - ١٠٨)

قال العلامة الطباطبائي : الرجس بالكسر والسكون صفة من الرجاسة و هي القذارة ، والقذارة هيئة في النفس توجب التجنب والتنفر منها وهي تكون نادرة بحسب ظاهر الشيء كرجاسة الخنزير قال تعالى : «اولحم خنزير فانه رجس» (الانعام - ١٤٥) وبحسب باطنه، اخرى وهي الرجاسة والقذارة المعنوية كالشرك والكفر وائر العمل السيء قال تعالى : «واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون» (التوبة - ١٢٥) وقال : «ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون» . (الانعام - ١٢٥)

واياً ما كان فهو ادراك نفساني وائر شعوري يحدث من تعلق القلب بالاعتقاد الباطل او العمل السيء وازهاب الرجس عبارة عن ازالة كل هيئة خبيثة في النفس تضاد حق الاعتقاد والعمل ، وعند ذلك يكون اذهاب الرجس معادلاً للعصمة الالهية التي هي صورة علمية نفسانية ، تحفظ الانسان من رجس باطنى الاعتقاد وسىء العمل . (١)

## المنفى مطلق الرجس :

إذا كان المراد من الرجس في الآية الكريمة : هو الأفعال القبيحة عرفاً أو شرعاً والمعاصي صغيرة أو كبيرة : فيجب أن يقال : أن المنفى في الآية هو عموم الرجس وذلك لأن المنفى هو جنس الرجس لأنواعه ولاصفه ونفى الجنس يلازم نفي الطبيعة بعامة مراتبها ولأجل ذلك لم يكتف سبحانه بقوله : «ليذهب عنكم الرجس» ، بل أكد بقوله «ويطهركم تطهيراً» فلو كان المراد نفي قسم خاص من الرجس - اعنى الشرك أو الأوسع منه كالمعاصي الكبيرة - لما كان لهذه العناية وجه .

والحاصل أن المفهوم من قول القائل لاخير في الحياة أو لارجل في الدار هو المفهوم من قوله ليذهب عنكم الرجس ، والتفكيك بين المقامين غير مقبول

## ٢ - الإرادة في الآية تكوينيه أم تشريعية ؟

أن انقسام إرادته سبحانه إلى تكوينية وتشريعية من الانقسامات الواضحة التي لا تحتاج إلى بسط في القول ، ومجمل القول فيها هو أنه إذا تعلقت إرادته سبحانه على إيجاد شيء وتكوينه في صحيفة الوجود ، فهي الإرادة التكوينية ولا تتخلف تلك الإرادة عن مراده ، وربما يعبر عنها بالأمر التكويني قال سبحانه : «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» . (يس - ٨٢) ففي هذا المجال يكون متعلق الإرادة تكوين الشيء وتحققه وتجسده والله سبحانه لأجل سعة قدرته ونفوذ إرادته لا تنفك إرادته عن مراده ولأمره التكويني عن متعلقه .

وأما إذا تعلقت إرادته سبحانه بتشريع الأحكام وتقنينها في المجتمع حتى يقوم المكلف مختاراً بواجبه ، فهي إرادة تشريعية ففي هذا المجال يكون متعلق الإرادة تحقيقاً هو التشريع والتقنين . وأما قيام المكلف فهو من غايات التكليف



ولاجل ذلك ربما تترتب عليه الغاية ، وربما تنفك عنه ، ولا يوجب الانفكاك خلافاً في ارادته سبحانه لانه ما اراد الا التشريع وقد تحقق كما انه ما اراد قيام المكلف بواجبه الامختاراً فقيامه بواجبه او عدم قيامه من شعب اختياره. هذا هو اجمال القول في الارادتين وللتفصيل محل آخر .

والقرائن التي ستمر عليك تدل على ان الارادة في الاية تكوينية لا تشريعية بمعنى ان ارادته التكوينية التي تعلق بتكوين الاشياء وابداعها في عالم الوجود ، تعلقت ايضاً باذهاب الرجس عن اهل البيت ، وتطهيرهم من كل رجس وقدر ، ومن كل عمل يستنفر منه ، واليك تلك القرائن :

١ - ان الظاهر من الاية هو تعلق ارادة خاصة باذهاب الرجس عن اهل البيت ، والخصوصية انما تتحقق لو كانت الارادة تكوينية ، اذ لو كانت تشريعية لما اقتصت بطائفة دون طائفة ، لان الهدف الاسمي من بعث الانبياء هو ابلاغ شريعته ورسالته الى الناس عامة لا لأناس معينين ولاجل ذلك ترى انه سبحانه عند ما شرع للمسلمين الوضوء والغسل بقوله : (يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنباً فاطهروا . . . ) . علله بقوله : «ولكن يريد ليظهر كم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون» (المائدة - ٦) . خاطب هو سبحانه المؤمنين عامة بالوضوء والغسل وعلل تشريعه العام بتطهيرهم واتمام نعمته عليهم وهذا بخلاف الاية التي نحن بصدددها فانها خصت ارادة تطهيره بجمع خاص تجمعهم كلمة «اهل البيت» وخصهم بالخطاب وقال : (عنكم اهل البيت) اي لاغيركم وبالجملة فتخصيص تعلق الارادة بجمع خاص على الوجه الوارد في الاية ، يمنع من تفسير الارادة بالارادة التشريعية التي عمت الامة جميعاً .

نعم لا يتوهم من ذلك ان اهل البيت خارجون عن اطار التشريع بل التشريع في كل المجالات يعمهم كما يعم غيرهم ولكن هنا ارادة تكوينية مختصة بهم .

٢ - ان العناية البارزة في الاية المباركة اقوى شاهد على ان المقصود

بالارادة، الارادة التكوينية لا التشريعية لوضوح ان تعلق الارادة التشريعية باهل البيت لا يحتاج الى العناية في الاية واليك بيان تلك العناية :

أ - ابتدأ سبحانه كلامه بلفظ الحصر ولا معنى له اذا كانت الارادة التشريعية لانها غير محصورة باناس مخصوصين .

ب - عين تعالى متعلق ارادته بصورة الاختصاص فقال : « اهل البيت » اى اخصكم اهل البيت .

ج - قد بين متعلق ارادته بالتاكيد وقال بعد قوله : ليذهب عنكم الرجس . . . « ليظهركم » .

د - قد اكد ايضا بالاتيان بمصدره بعد الفعل وقال : ويظهركم تطهيراً . ليكون اوفى في التأكيد .

هـ - اند سبحانه اتي بالمصدر نكرة . ليدل على الاكبار والاعجاب اى تطهيراً عظيماً معجباً .

و - ان الاية في مقام المدح والثناء فلو كانت الارادة ارادة تشريعية لما ناسب الثناء والمدح .

وعلى الجملة: العناية البارزة في الاية تدل بوضوح على ان الارادة هناك غير الارادة العامة المتعلقة لكل انسان حاضر او باء ولاجل ذلك فان المحققين من المفسرين يفسرون الارادة في المقام بالارادة التكوينية ويجيبون عن كل سؤال يطرح عنها قال الشيخ الطبرسي: ان لفظة «انما» محققة لما ثبت بعدها، نافية لما لم يثبت فان قول القائل: انما لك عندى درهم، وانما فى الدار زيد: يقتضى انه ليس عنده سوى الدرهم وليس فى الدار سوى زيد وعلى هذا فلا تخلو الارادة فى الاية ان تكون هى الارادة المحضة (التشريعية) او الارادة التى يتبعها التطهير وازهاب الرجس ولا يجوز الوجه الاول لان الله تعالى قد اراد من كل مكلف هذه الارادة المطلقة فلا اختصاص لها باهل البيت دون سائر الخلق، ولان هذا القول يقتضى المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا مدح فى الارادة المجردة فثبت الوجه



الثاني وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالاية من جميع القبائح . (١)  
وقال السيد ابن معصوم المدني في تقريب دلالة الاية على عصمة المعنيين  
بالاية «ان لفظة «انما» محققة لما اثبت بعدها ، نافية لما لم يثبت فان قول القائل  
انما لك عندي درهم وانما في الدار زيد يقتضي انه ليس له عنده سوى درهم وليس  
في الدار سوى زيد . اذا تقرر هذا فلا تخلو الارادة في الاية ان تكون هي الارادة  
المطلقة او الارادة التي يتبعها التطهير وازهاب الرجس فلا يجوز الوجه الاول  
لان الله تعالى قد اراد من كل مكلف هذه الارادة المطلقة ، فلا اختصاص لها باهل  
البيت دون سائر الخلق . وهذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك ولا شبهة  
ولامدح في الارادة المجردة فثبت الوجه الثاني وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين  
بالاية من جميع القبائح لان اللام في الرجس للجنس ونفي الماهية نفي لكل  
جزئياتها . وقد علمنا ان من عدا من ذكرناه من اهل البيت حين نزول الآيه  
غير مقطوع على عصمته فثبت ان الاية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم . وما  
اعتمدوا عليه من ان صدر الاية وما بعدها في الأزواج فجوابه ان من عرف عادة  
العرب العرباء في كلامهم واسلوب البلغاء والفصحاء في خطابهم لا يذهب عليه ان  
هذا من باب الاستطراد وهو خروج المتكلم من غرضه الاول الى غرض آخر ثم  
عوده الى غرضه الاول . واتفقت كلمة اهل البيان على ان ذلك من محاسن البديع  
في الكلام نثراً ونظماً والقرآن المجيد وخطب البلغاء واشعارهم مملوءة من ذلك (٢).

#### اسئلة واجوبة :

قد تعرفت على مفاد الاية : واتضح لديك ان القرائن الداخلية في نفس

(١) مجمع البيان ج ٤ ص ٣٥٧ (تفسير سورة الاحزاب) وقرب منه ما افاده الشيخ

الطوسي في تبيانه ج ٨ ص ٣٤٠

(٢) رياض السالكين : الروضة السابع والاربعون ص ٤٩٧ وقد نقلنا عن الطبرسي

ما يفرب منه .

الاية تدل بوضوح على ان الارادة الواردة في الاية ارادة تكوينية تعلق بظاهرة اهل البيت وازهاب الرجس عنهم ويكون وزان الارادة فيها وزان الارادة الواردة في الايات التالية ونظائرها :

١- «وريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين». (القصص - ٥)

٢- «ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين». (الانفال - ٧)

٣- «ومن ير دالله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً اولئك الذين لم ير دالله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم». (المائدة - ٤١)

وعند ذلك تطرح في المقام اسئلة لا بد من الاجابة عليها :

### السؤال الاول :

هل يصح تعريف الارادة التشريعية بالارادة المتعلقة بفعل الغير كتكليفه سبحانه عباده بالصلاة والزكاة ، وتكليف الأمر البشري غيره بالسقى والرعى ؟  
واذا كانت الارادة التشريعية عبارة عما ذكر ، فتكون الارادة التكوينية عبارة عن تعلقها بفعل نفس المرید كتعلق ارادته سبحانه بخلق السموات والارض ، و ارادة غيره بالاكل والشرب ؟

الجواب : ان تعريف الارادة التكوينية بما ذكر وان كان صحيحاً ، لكن تعريف التشريعية منها بتعلقها بفعل الغير غير صحيح قطعاً ، وذلك لان الارادة لاتتعلق الا بامر اختياري وهو فعل المرید واما فعل الشخص الاخر فهو بما انه خارج عن اختيار المرید ، لاتتعلق به ارادته وكيف يصح لشخص ان يريد صدور فعل من الغير مع ان صدوره منه تابع لارادة ذلك الغير وليس تابعاً لارادة المرید الآخر ؟  
وان شئت قلت : ان زمام فعل الفاعل المختار بيد الفاعل المباشر فلو اراده لقيام به . ولو لم يرده لما قام به وليس زمامه بيد الأمر ، حتى يریده منه جداً



ولاتصيرهم ارادة الأمر مسلوب الاختيار ولا تجعله مضطراً مقهوراً مسخراً في مقابل ارادة الامر ، لان المفروض ان الفاعل بعد ، فاعل مختار ، ومن هذا شأنه لاتتعلق بفعله ، ارادة الغير الجدية ، لان معنى تعلقها بفعل الغير أنه في اختيار المرید ومتناوله ، ويوجد بارادته وينتفى بانتفائه ، مع انه ليس كذلك وانما يوجد بارادة الفاعل المباشر وينتفى بانتفاء ارادته ، ولاملزمة بين ارادة الأمر و ارادة المأمور ولاجل ذلك كثيراً ما يعصى ويخالف .

وفي الجملة : ليست ماهية الارادة التشريعية امرأ يخالف ماهية الارادة التكوينية ، بل الكل من واحد تختلفان في الاسم وتحددان في الماهية ، والجميع يتعلق بفعل نفس المرید غير ان المراد فيهما مختلف حسب الاعتبار ، وهو في التكوينية ، عبارة عن الفعل الخارجى الصادر عنه مباشرة كالتكوين والتصنيع سواء كان المرید هو الله سبحانه ام احد عباده القادرين على الافعال الخارجية باقداره ، ولكنه في التشريعية عبارة عن نفس الطلب والانشاء بالايماء والاشارة واللفظ والكتابة وهو ايضا فعل المرید الواقع في اختياره . و اما قيام الغير بالمطلوب فهو من غايات ارادة المرید و مقاصده واغراضه ، وهي تترتب تارة . وتنفك اخرى فلو تكونت في نفسه مبادئ الخوف والرجاء لقام به والا فلا يقوم به ولا يتحقق الغاية لكن تتم عليه الحجة .

وعلى ذلك فما اشتهر على اللسان من ان الارادة التشريعية عبارة عن تعلق ارادة الامر بفعل الغير تسامح في التعبير ومن باب اقامة الغاية مكان ذبها .

والذى يوضح ذلك : ان ارادته سبحانه لاتفك عن مراده ، ومن المستحيل ان يخاطب شيئاً بـ « كن » ولا يتحقق ، ولسعة قدرته وعموميتها . قال سبحانه : « انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون » (يس - ٨٢) فلو تعلقت ارادته بفعل العباد كالصلاة والصوم لما انفك عنهم ولو تعلقت على ايمانهم وهدايتهم ، لما وجد على اديم الارض عاص ومتمرّد ، قال سبحانه : « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » (الانعام - ٣٥) وتكون نتيجة ذلك كونهم مجبورين

في قبول الهداية ، ومضطرين الى الطاعة فلايقام لمثلهاوزن ولاقيمة وهذا يعرب بوضوح عن ان متعلق ارادته في مجال التشريع هو فعل نفس المشرع وهو التشريع وهو بعد غير منفك عن ارادته ، موجود معها .

### السؤال الثاني :

لو كانت الارادة في المقام ارادة تكوينية فيما ان ارادته سبحانه لايتخلف عن المرادفلازمها هنا كون طهارتهم وابتعادهم عن الرجس امرأ جبريا لايتخلف ، وهذا لايعد فضيلة وثناء لاهل البيت مع ان الاية بصدد الثناء عليهم . وقد اجاب عنه المحققون على وجه الاجمال وقالوا: ان القدرة والتمكن من فعل المعصية ثابت للمعصوم . والعصمة مانع شرعى ولامنافاة بين عدم القدرة الشرعية والقدرة الذاتية وهذا الجواب باجماله كاف لاهل التحقيق ولكن يحتاج الى ايضاح فنقول .:

ان مشكلة الجبر تنحل بالتعرف على كيفية تعلق ارادته سبحانه بافعال العباد والامعان في هذا الموضوع يكفى لحل بعض المشاكل المطروحة في مسألة الجبر والاختيار .

وبعبارة اخرى: هل تعلق ارادته سبحانه بصدور افعال العباد عنهم باختيارهم و ارادتهم، ام تعلق بصدورهم منهم مطلقاً وان لم تكن مسبوقه باختيارهم و ارادتهم؟ فالجبر لازم القول الثاني ، والاختيار نتيجة القول الاول ، والحق هو القول الاول فنقول في توضيحه :

ان لازم التوحيد في الفاعلية والخالقية - كما هو منصوص الايات ومقتضى البراهين - هو ان كل مايقع في صفحة الوجود سواء كان فعلا للعباد ام لغيرهم لا يخرج عن اطار الارادة التكوينية لله سبحانه ، ولايقع شىء في الكون الا بارادته واذنه سبحانه ، قال تعالى : « ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فبذن الله » ( الحشر - ٥ ) وهذه الاية وغيرها تدل بصراحة على ان افعال العباد



حلالها وحرامها غير خارجة عن اطار الارادة التكوينية لله والالزم ان يكون الانسان او الفوا عل الاخر مستقلة في الفعل والتأثير وهو يستلزم الاستقلال في الذات ، وهو عين الشرك ونفى التوحيد في الافعال والخالقية .

ومع ذلك فليس العباد مجبورين في افعالهم وتصرفاتهم لان ارادته سبحانه وان تعلقت بافعالهم لكن ارادته سبحانه متعلقة بافعالهم بتوسط ارادتهم الخاصة وفي طول مشيئتهم ، وبذلك صح ان يقال لاجبر ولا تفويض بل امرين الامرين . وعلى ذلك فالله سبحانه وان اراد طهارتهم عن الذنوب بالارادة التكوينية ولكن تلك الارادة تعلقت بها ، لما علم سبحانه انهم بمازودوا من امكانات ذاتية ومواهب مكتسبة نتيجة تربيتهم وفق مبادئ الاسلام ، لا يريدون الا مخرج لهم سبحانه من احكام ، فهم لا يشاؤون الا ما يشاء الله ، وعند ذلك صح له سبحانه ان يخبر بان اراد تكويناً اذهب الرجس عنهم لانهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ماداموا لا يريدون لانفسهم الا الجري على وفق الشرع لا يفاض عليهم الا هذا النوع من الوصف .

وحصيلة الكلام ان مبنى الاشكال هو الغفلة عن كيفية تعلق ارادته سبحانه بافعال العباد حيث توهم المستشكل :

اولا - : ان افعال العباد خارجة عن اطار الارادة التكوينية لله سبحانه ، وغفل عن ان هذا النوع من الاعتقاد يساوق الشرك ويصادم التوحيد .

وثانيا : ان سبق الارادة التكوينية على افعال العباد يستلزم سلب الاختيار عنهم ، وغفل عن ان ارادته سبحانه انما تتعلق بتوسط ارادة العباد واختيارهم ، فهم اذا ارادوا لانفسهم شيئاً فالله سبحانه يريد ذلك الشيء لهم تكويناً ، وليس في ذلك اية رائحة للجبر ، بل هو الامر بين الامرين .

وعندئذ يكون المراد من تطهيرهم - بعد تجهيزهم بادراك الحق في الاعتقاد والعمل ، واعطائهم البصيرة الكاملة لمعرفة الحق في مجال الاعتقاد والعمل - . تعلق ارادته التكوينية بطهارتهم من الذنوب ، لاجل تعلق ارادتهم بذلك فقد تعلقت ارادته سبحانه بتنزيههم عن طريق ارادتهم واختيارهم ، واين هذا من الجبر ؟

## تحليل آخر لتفسير الارادة بالتكوينية في المقام :

ما ذكرناه في كيفية تعلق ارادته سبحانه بافعال العباد ، جواب عام سارفي جميع الموارد ورافع للاشكال في مجال الجبر وان من اعزل الموارد في الجبر والاختيار ، هي تحليل كيفية تعلق ارادته بافعال العباد وانه : هل يوجب الجبر ويسلب الاختيار ، باعتبار ان ارادته لانفك عن المراد ، ام لا ؟ لان ارادته تعلقت بصدور افعالهم عن انفسهم عن مبادئها المكونة فيهم وهي ارادتهم واختيارهم فلوصدرت عنهم بلا هذه الخصوصية لزم انفكك ارادته عن مراده .

ولما استشكل هذا المطلب على بعضهم انصرفوا الى اخراج افعال العباد عن اطار ارادته سبحانه ، وانما تتعلق بالكائنات دون افعالهم . وهو كما ترى ، لانه يستلزم تحقق شيء في صحيفة الوجود بغير اذنه و ارادته ، مع ان مقتضى التوحيد في الخالقية انتهاء كل ما في عالم الامكان الى وجوده وخالقيته ، وبالتالي الى ارادته ، فاخراج افعال العباد عن مجال ارادة الله ، يخالف الاسس التوحيدية التي جاء بها القران ودعمها العقل .

الا ان في مسألة العصمة و كيفية تعلق ارادته تعالى بعصمة المعصوم تحليلا آخر يختص بهذا المقام ولا يتعداه وحاصل هذا التحليل يتوقف على معرفة كيفية العصمة و حقيقتها . فنقول :

ان حقيقة العصمة ترجع الى الدرجة العليا من التقوى ، بمعنى ان التقوى اذا بلغت قمته تعصم الانسان عن اقتراف الذنب و جميع القبائح . و ان شئت قلت : العصمة نتيجة العلم القطعي الثابت والعرفان بعواقب المعصية علماً بصد الانسان عن اجتراح المعاصي واقتراف المآثم ، كالانسان الواقف امام الاسلاك التي يجري فيها التيار الكهربائي ، فانه لا يقدم بنفسه على امساكها . وبعبارة ثالثة : العصمة : الاستشعار بعظمة الرب و كماله و جلاله . استشعاراً منقطع النظير حيث يحدث في المستشعر التفاني في الحق ، والعشق لجماله و كماله ، بحيث



لايستبدل برضاه شيئاً .

فاذا كانت حقيقة العصمة نفس هذه الحقائق او قريباً منها فليس اتصاف الانسان بهذه الحقائق موجبا للجبر وسالبا للاختيار، بل المعصوم مع هذه المواهب الالهية قادر على اقرار المعاصي وارتكاب الخطايا غيرانه لاجل حصوله على الدرجة العليا من التقوى ، والعام القطعي بآثار المعاصي والاستشعار المنقطع النظير بعظمة الخالق ، يختار الطاعة وترك المعصية مع القدرة على خلاف ذلك فحاله كالوالد العطوف لا يقدم على قتل ولده ولو اعطيت له الكنوز الكثيرة .

ان هذه الحقائق الموهوبة للمعصوم اشبه بحبل يلقي الى الغارق في البحر والساقط في البئر حتى يتمسك به وينجى نفسه ، فلاشك ان العاقل يتمسك به دائماً وينجى نفسه ولكن هذا العمل لا يخالف قدرته على ترك التمسك به والقاء نفسه في مهاوى الهلكة .

فهذه الحقائق النفسانية الموهوبة ليست الاسباباً لترك العصيان ومقتضيات للطاعات، ومعدات لقرب العبد من ربه ، ومع ذلك تتوسط بينها وبين فعل العبد من طاعة او عصيان، ارادته واختياره ، فليست هذه المواهب عللاً تامة لتوجه العبد الى جانب واحد وانحيازه عن جانب آخر ، بل هي اسباب مقربة ومعدات للارادة ومع ذلك كله فاختيار المعصوم و ارادته باقيا على حالهما .

فمعنى تعلق ارادته سبحانه بعصمتهم ليس تعلقها بالطاعة وترك العصيان ، بل معناه تعلق ارادته التكوينية بافاضة هذه المواهب عليهم وجعلها في مكان نفوسهم وتحليتهم بهذه الحلية الالهية ، ولكن هذا الجعل والتحلية لا يهدف الى كونهم مكتوفى الايدي امام التكاليف ومسوقين الى جانب واحد ، فالاشتباة في المقام حصل في تعيين ماهو المفاض من الله سبحانه على هذه الشخصيات فتخييل: ان المفاض هو العصمة المفسرة بترك المعصية ونفس الطاعة» غفلة عن ان المفاض هو هذه الكيفيات والصفات العليا النفسانية عليهم . وهي توجد استعداداً في النفس بترك العصيان واختيار الطاعة مع القدرة على الخلاف .

نعم : لو كان هناك جبر فالجبر في تحليتهم بهذه المواهب والعطايا الالهية ولكنهم معهما مختارون في التوجه لاي طرف ارادوا، وان كانوا لا يشاؤون الا الطاعة وترك المعصية .

### ما هو الاساس لتفسير الارادة بالتشريعية ؟

ثم ان الجمهور لما ذهبوا الى كون الارادة تشريعية احتالوا في توجيهها يقول المفسر المعاصر سيد قطب في هذا الصدد : انه سبحانه يجعل تلك الاوامر - الاوامر الواقعة قبل الاية من قوله : وقرن .. ولا تبرجن - وسيلة لاذهاب الرجس وتطهير البيت ، فالتطهير واذهاب الرجس يتم بوسائل يأخذ الناس بها انفسهم ويحققونها في واقع الحياة العملى . . ويختتم هذه التوجيهات لنساء النبي بمثل ما بداها ، بتذكيرهن بعلوم مكانتهن وامتيازهن على النساء بمكانتهن من رسول الله وبما انعم الله عليهن فجعل بيوتهن مهبط القرآن ومنزل الحكمة وتشرف النور والهدى والايمان ، وانه لحظ عظيم يكفى التذكير به لتحس النفس جلاله وقدره ولطيف صنع الله فيه وجزالة النعمة التي لا يعد لها نعيم .

وحاصل ما ذكره مبنى على نزول القرآن في مورد نساء النبي وانه سبحانه علل خطاياهن لهن بانه يريد من هذه التكاليف اذهاب الرجس عنهن ويكون المعنى ان التشديد في التكاليف وتضعيف الثواب والعقاب ليس لانتفاع الله سبحانه به بل لاذهاب الرجس عنكن وتطهيركن .

ولا يخفى ان ماورد في الايات من الاحكام ليست احكاماً خاصة بنساء النبي ﷺ فهذا قوله سبحانه قبل آية التطهير :

« وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله » .

وهذا قوله سبحانه بعد الاية : واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله



والحكمة... كلها احكام عامة لنساء المسلمين فالله سبحانه بهذه التكليف يريد ان يطهر الكل وازهاب الرجس عن عموم النساء لاعتن زوجات النبي خاصة وعندئذ لا وجه لتخصيصهن بالخطاب بالعناية التي عرفت .

وانما ذهب بعض الجمهور الى ما ذهب لاجل انهم تصوروا نزول الاية في حق نساء النبي ﷺ فاحتالوا لتفسير الارادة بما ذكره سيد قطب ونظرأوه ، وانما ذهبوا الى ذلك بزعمهم اتصال الاية بما قبلها من الايات ، مع انه سيوافيك ان الاية (آية التطهير) آية مستقلة . لاصله لها بما قبلها ولا ما بعدها وانما وضعت في هذا الموضع لمصلحة خاصة سنشير اليها والاحاديث بكثرتها البالغة ناصة على نزول الاية وحدها ولم يرد نزولها في ضمن آيات نساء النبي ﷺ ولا ذكره احد حتى ان القائل باختصاص الاية بازواج النبي ينسب القول الى عكرمة وعروة لالي الرواية .

فالاية لم تكن بحسب النزول من آيات النساء ، ولا متصلة بها ، وستوافيك الروايات الكثيرة الواردة في هذا المضمار .

### السؤال الثالث : هل العصمة الموهوبة مفخرة ؟

وهذا سؤال ثالث يتردد في المقام وفي غيره وقد طرحناه عند البحث عن العصمة على وجه الاطلاق ونطرحه هنا بشكل آخر ، وهو ان عصمة اهل البيت لو كانت امراً موهوباً من الله سبحانه كيف يمكن ان تعد مفخرة لاهله ؟ والاجابة عن هذا السؤال واضحة بعد الوقوف على معنى العصمة الموهوبة لهم ، وقد عرفت ان المراد من هبتها لهم هو اعطاء المقتضيات والمعدات لهم التي لا تسلب الاختيار عنهم وهم بعد قادرين على الطاعة والعصيان والنقض والابرام ، والسائل تخيل ان العصمة الموهوبة هي نفس ترك العصيان والمخالفة ، فزعم ان شيئاً مثلها لا يعد فخراً ولا يوجب ثناءً وقد اوضحنا هذا في السؤال السابق فراجع .

## السؤال الرابع : هل الآية تدل على فعلية التطهير ؟

وربما يقال : ان أقصى ما تدل عليه الآية هو اخباره سبحانه عن انه يريد اذهاب الرجس عن اهل البيت وتطهيرهم ، وليس في الآية ما يدل على تحقق هذه الإرادة بالفعل . وانها صدرت منه سبحانه ، مع ان القائلين بعصمة اهل البيت يذهبون بدلالتها على اتصافهم بالعصمة ، وفي هذا الصدد ينقل الشيخ زين الدين البياضي العاملي اشكالا عن المخالف ويقول : «يريد» لفظ مستقبل فلا دليل على وقوعه (١) ولا يخفى ان هذا الاشكال نشأ من اتخاذ موقف خاص بالنسبة الى اهل البيت بشهادة ان هذه اللفظة وردت في كثير من الايات مع انه ما خطر ببال احد مثل هذا الاشكال قال سبحانه . «يريد الله ليبين لكم» (النساء - ٢٦) وقال : «والله يريد ان يتوب عليكم» (النساء - ٢٧) وقال «يريد الله ان يخفف عنكم» (النساء ٢٨) وقال ويهديكم سنن الذين من قبلكم (النساء - ٢٦) اضع الى ذلك ان هناك قرينة واضحة على تحقق الإرادة بشهادة ان الآية في مقام المدح والثناء .

واما الاتيان بصيغة المستقبل والعدول عن الماضي فهو لاجل ظهور فعل المستقبل في الدوام وهو سبحانه يريد افادة دوام هذه الإرادة واستمرارها مدى الايام والسنين .

## السؤال الخامس : هل الاذهاب يستلزم الثبوت !

خلاصة هذا السؤال ترجع الى ان الاذهاب يتعلق بشيء موجود ، فعلى ذلك يستلزم ان يكون هناك رجس موجود اذبه الله وطهرهم منه ، وهذا يضاد مقالة اهل العصمة . ولكن السائل او المعارض غفل عن ان هذه التراكيب كما تستعمل في اذهاب الشيء الموجود ، كذلك تستعمل فيما اذا لم يكن موجوداً ولكن كانت هناك مقتضيات ومعدات له حسب الطبيعة الانسانية وان لم يكن موجوداً

(١) الصراط المستقيم ج ١ ص ١٨٤ .



بالفعل كقول الانسان لغيره : اذهب الله عنك كل مرض . ولم يكن حاصله له ، ولكن كانت بعض المعدات للمرض موجودة. وفي المقام نزيد توضيحاً : ان الانسان حسب الطبيعة الاولى مجهز بالفرائز والميول العادية المتجاوزة عن الحدود ، ولم يشا اهل البيت عنها ولم تكن لهم في العالم الجسماني خلقة خاصة بهم فكانت هناك ارضية صالحة للتعدي والطغيان ، فلما جهزوا بهذه الفرائز اولاً ، ثم بالعصمة - بالمعنى الذي عرفت - ثانياً صح ان يقال : انه سبحانه اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً من العصيان .

وهذه الاسئلة واشباهها لا تحتاج الى البسط في المقال ولاجل ذلك نطوى الكلام عنها وندخل في بحث آخر وهو من اهم الابحاث المتعلقة بالآية .

### ٣ - مفهوم اهل البيت :

التعرف على مفهوم اهل البيت لغة ، اولاً : وعلى المقصود منه في هذه الآية ثانياً ، يعد من الابحاث الضرورية في فهم مفادها فمن ضل في تفسير الآية فانما ضل من هذا الجانب ضلالاً مبيناً ولاجل ذلك نبحت عن تحديد هذا المفهوم لغة على وجه يرفع الستار عن وجه الحقيقة .

### اهل البيت عند اللغة :

قد ورد لفظ اهل البيت في القرآن مرتين احدهما : في هذه الآية والاخرى في قوله تعالى : « قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد » (هود - ٧٣) وقد جاء هذا اللفظ مر كلاً من كلمتين ولكل مفهوم ويمكن تحديد مفهوم «الاهل» من موارد استعماله فيقال : ١ - اهل الامر والنهي . ٢ - اهل الانجيل . ٣ - اهل الكتاب . ٤ - اهل الاسلام . ٥ - اهل الرجل ٦ - اهل الماء . وهذه الموارد توقفتنا على ان كلمة «اهل» تستعمل مضافاً فيمن كان له علاقة قوية بمن اضيف اليه فاهل الامر والنهي هم الذين يمارسون الحكم

والبعث والزجر ، واهل الانجيل هم الذين لهم اعتقاده كاهل الكتاب واهل الاسلام وقد اتفقت كلمة اهل اللغة على ان الاهل والآل كلمتان بمعنى واحد قال ابن منظور : آل الرجل : اهله وآل الله وآل رسوله : اوليائه ، اصلها اهل ثم ابدلت الهاء همزة فصارت في التقدير آل فلما تواترت الهمزتان ابدلوا الثانية الفاً . كما قالوا : آدم وآخر ، وفي الفعل آمن وآزر .

وقد انشاء عبدالمطلب عند هجوم ابرهة على مكة المكرمة وقد اخذ حلقة باب الكعبة وقال :

وانصر على آل الصليب      وعابديه اليوم آلك

وعلى ما ذكرنا فهذا اللفظ اذا اضيف الى شيء يقصد منه المضاف الذي له علاقة خاصة بالمضاف اليه ، فاهل الرجل مثلاً هم اخص الناس به ، واهل المسجد ، المترددون كثيراً اليه ، واهل الغابة القاطنون فيها . . . فاذا لاحظنا موارد استعمال هذه الكلمة لا نتردد في شمولها للزوجة والاولاد ، بل وغيرهم ممن تربطهم رابطة خاصة بالبيت من غير فرق بين الاولاد والازواج ، ولا جل ذلك ترى انه سبحانه يطلقه على زوجة ابراهيم كما عرفت في الآية . هذا هو حق الكلام في تحديد مفهوم هذا الكلمة ، ولنأت ببعض نصوص ائمة اللغة ، قال ابن منظور : اهل البيت سكانه ، واهل الرجل اخص الناس به ، واهل بيت النبي ، ازواجه وبناته وصهره ، اعنى عليا (عليه السلام) ، وقيل : نساء النبي والرجال الذين هم آله . (١)

فلقد احسن الرجل في تحديد المفهوم اولاً ، وتوضيح معناه في القرآن الكريم كما اشار بقوله : قيل : الى ضعف القول الاخر لانه نسبه الى القيل . وقال ابن فارس ناقلاً عن الخليل بن احمد : اهل الرجل وزوجه ، والتأهل التزوج واهل الرجل اخص الناس به ، واهل البيت سكانه واهل الاسلام من يدين به . (٢)

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٢٩ «اهل»

(٢) معجم مقاييس اللغة ج ١ ص ١٥٠



وقال الراغب في مفرداته : اهل الرجل من يجمعه واياهم نسب او دين او ما يجرى مجراهما من صناعة وبيت وبلد ، فاهل الرجل في الاصل من يجمعه واياهم مسكن واحد ، ثم تجوز به فقيـل اهل بيت الرجل لمن يجمعه واياهم النسب وتعرف في اسرة النبي عليه الصلاة والسلام مطلقاً اذا قيل اهل البيت . (١)

وقال صاحب القاموس : اهل الامر : ولاته ، وللبيت سكانه ، وللمذهب من يدين به ، وللرجل زوجته كاهله وللنبي ازواجه وبناته وصهره على رضى الله تعالى عنه ، او نساؤه والرجال الذين هم آله . (٢)

هذه الكلمات ونظائرها بين اعلام اهل اللغة كلها تعرب عن ان مفهوم اهل البيت في اللغة هم الذين لهم صلة وطيدة بالبيت ، واهل الرجل من له صلة به بنسب او سبب او غيرهما .

هذا هو الحق الذي لامرية فيه والعجب ممن ينقل هذه النصوص من ائمة اللغة وغيرهما ثم يستظهر ان اهل البيت يطلق اصلا على الازواج خاصة ثم يستعمل في الاولاد والاقارب تجوزاً ، ثم يقول هذا ما ثبت من القرآن الكريم كما وردت هذه اللفظة في قصة ابراهيم بالبشرى فقال الله عز وجل في سياق الكلام «وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت يا ويلتى األد وانا عجوز وهذا بعلى شيخاً ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت» (هود - ٧٣) ثم قال : فاستعمل الله عز وجل هذه اللفظة على لسان ملائكته في زوجة ابراهيم عليه السلام لا غير . وهكذا قال الله عز وجل في كلامه المحكم في قصة موسى عليه الصلاة والسلام «فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكنوا انى آنت ناراً» (القصاص - ٣٠) فالمراد من الاهل زوجة موسى عليه السلام وهي بنت شعيب . (٣)

(١) المفردات للراغب ص ٢٩

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادى ج ٣ ص ٣٣١

(٣) الشيعة واهل البيت . لاحسان الهى ظهير ص ١٦-١٧

نحن نسأل الكاتب من اين استظهر من كلمات اهل اللغة ان «الاهل» تطلق اصلا على الازواج خاصة ، ثم تستعمل في الاولاد تجوزاً ؟  
 أليس قد تقدم لنا كلام ابن منظور : اهل الرجل اخص الناس به ؟ أليس الاولاد اخص الناس بالرجل؟ ومن فسر به بقوله : اهل الرجل زوجه لا يريد اختصاصه بالزوج بل يشير الى احد موارد استعماله ولاجل ذلك يستدر كه ويصرح بقوله: اهل الرجل اخص الناس به .

ثم نسأله عن دلالة الايتين على اختصاص الاهل بالازواج وهل في منطق اللغة والادب جعل الاستعمال دليلاً على الانحصار فلاشك ان الاهل في الايتين اطلق على الزوجة ، وليس الاطلاق دليلاً على الانحصار ، على انه اطلق في قصة الخليل واريده الزوجة والزوج معاً أى نفس الخليل بشهادة قوله تعالى : «عليكم اهل البيت» ، والايان بضمير الجمع المذكر ، واردة واحد منهما وحمل الخطاب العام على التعظيم ، لاوجه له في المقام .

وحصيلة الكلام ان مراجعة كتب اللغة وموارد استعمال الكلمة في الكتاب والسنة تعرب عن ان مفهوم «الاهل» هو المعنى العام وهو يشمل كل من له صلة بالرجل والبيت صلة وطيدة مؤكدة من نسب او سبب او غير ذلك من غير فرق بين الزوجة والاولاد وغيرهم ، وان تخصيصها بالزوجة قسوة على الحق ، كما ان تخصيصها لغة بالاولاد واخراج الازواج يخالف نصوص القرآن واستعمالها كما عرفت في الايات الماضية .

هذا هو الحق في تحديد المفهوم ، فهلم معي نبحت عما هو المراد من هذا المفهوم في الآية الكريمة وهل اريد منه كل من انتمى الى البيت من ازواج واولاد او ان هناك قرائن خاصة على ان المقصود قسم من المنتمين اليه ؟ وليس هذا بشيء غريب لان المفهوم العام قد يطلق ويراد منه جميع الاصناف والاقسام كما يطلق ويراد منه حسب القرائن بعضهم وقد عرفت ان المراد من الاهل في قصة موسى وزوجته وفي قصة ابراهيم وزوجته ، وعلى هذا لاشك في شمول كلمة



اهل البيت للزوجة و الاولاد وغيرهما الا ان تقوم قرائن على ان المراد صنف خاص والمدعى انه قد قامت القرائن على ارادة صنف خاص منهم وتبين في البحث الاتي:

#### ٤ - ماهو المراد من اهل البيت

اختلف المفسرون في بيان ماهو المراد من «اهل البيت» في الاية المباركة على اقوال ، غير ان العبرة بقولين والاقوال الاخر شاذة لا يعبأ بها وانما اختلفت لحل الاشكالات الواردة على القول الثاني كما سيوافيك بيانها في آخر البحث .

١- المراد بنت النبي وصهره وولداهما الحسن والحسين عليهم السلام

٢- نساء النبي صلى الله عليه وآله (١)

و لا بد من امعان النظر في تعيين المراد بعد قابلية اللفظ لشمول كلتا الطائفتين فيقول ان هناك قرائن تدل بوضوح على ان المراد من هذه الكلمة جماعة خاصة منتمين الى البيت النبوي بوشائج خاصة لا كل المنتمين اليه واليك تلك القرائن

#### القرينة الاولى : اللام في «اهل البيت» للعهد

لاشك ان اللام قد تطلق ويراد منها الجنس المدخول كقوله سبحانه «ان الانسان لفي خسر» وقد يطلق ويراد منها استغراق افراده كقوله سبحانه «يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم» (التوبة - ٧٣) وثالثة تستعمل في العهد باعتبار معهودية مدخولها بين المتكلم والمخاطب .

ولا يمكن حمل اللام في «البيت» على الجنس او الاستغراق لان الاول انما يناسب اذا اراد المتكلم بيان الحكم المتعلق بالطبيعة كما يعلم من تمثيلهم لذلك بقوله تعالى «ان الانسان خلق هلوعاً» (المعارج - ١٩) ومن المعلوم ان الاية الكريمة ليست لصدد بيان حكم طبيعة (اهل البيت) كما لا يصح ان يحمل على

(١) وهناك اقوال اخر شاذة جدا ستوافيك في مختتم البحث

العموم اى : جميع البيوت فى العالم او بيوت النبى و الا للناسب الايتان بصيغة الجمع فيقول اهل البيوت كما اتى به عندما كان فى صدد افادة ذلك وقال فى صدر الاية « وقرن فى بيوتكن » فتعين ان يكون المراد هو الثالث اى البيت المعهود فالاية تشير الى اذهاب الرجس عن اهل بيت خاص معهود بين المتكلم والمخاطب وحينئذ يقع الكلام فى تعيين هذا البيت المعهود . فما هو هذا البيت ؟ هل هو بيت ازواجه ، ام بيت فاطمة وزوجها والحسن والحسين (ع) ؟ لاسبيل الى الاول ، لانه لم يكن لازواجه بيت واحد حتى تشير اللام اليه بل تسكن كل واحدة فى بيت خاص ، ولو اريد واحداً من بيوتهن لاختصت الاية بواحدة منهن . وهذا ما اتفقت الامة على خلافه .

اضف الى ذلك انه على هذا يخرج بيت فاطمة مع ان الرويات ناطقة بشمولها وانما الكلام فى شمولها لازواج النبى كما سيوافيك بيانه .

هذا كله على تسليم ان المراد من البيت هو البيت المبنى من الاحجار و آلاجر والاشباب فقد عرفت ان المتعين حمله على بيت خاص معهود ولا يصح الاعلى حمله على بيت فاطمة اذ ليس هناك بيت خاص صالح لحمل الاية عليه . واما لو قلنا بان البيت قد يطلق ويراد منه تارة هذا النسق كما فى قوله تعالى « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » واخرى غير هذا النمط من البيت ، مثل قول القائل « بيت النبوة » و « بيت الوحي » تشبيها لهما على المحسوس فلما حيص ان يراد منه المنتمون الى النبوة والوحي بوشائج معنوية خاصة على وجه يصح مع ملاحظتها ، عدهم اهلا لذلك البيت ، وتلك الوشائج عبارة عن النزاهة فى الروح والفكر . ولا يشمل كل من يرتبط ببيت النبوة عن طريق السبب والنسب فحسب ، وفى الوقت نفسه يفتقد الاوصاف المعنوية الخاصة ولقد تظن العلامة الزمخشري صاحب التفسير لهذه النكته فهو يقول فى تفسير قوله تعالى « اتعجبين من امر الله رحمة الله وبر كاته عليكم اهل البيت » (هود ٧٠) لانها كانت فى بيت الايات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر و لا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيوت النبوة ، وان



تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة فى قولها « رحمة الله وبر كاته عليكم اهل البيت » ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة . (١)

وعلى ذلك لا يصح تفسير الاية بكل المنتسبين عن طريق الاوصار الجسمانية بيت خاص حتى بيت فاطمة الا ان تكون هناك الوشائج المشار اليها ، ولقد ضل من ضل فى تفسير الاية بغير تلك الجماعة عليها السلام فحمل البيت فى الاية على البيت المبنى من حجر ومدبر مع ان المراد غيره .

ولقد جرى بين قتادة ذلك المفسر المعروف وبين ابى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام محادثة لطيفة ارشده الامام فيها الى هذا المعنى الذى اشرنا اليه ، قال عند ما جلس امام الباقر عليه السلام : لقد جلست بين يدى الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبى قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك . قال له ابو جعفر الباقر عليه السلام ويحك اتدرى اين انت ؟ انت بين يدى : « بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وابتاء الزكوة » فانت ثم ونحن اولئك . فقال له قتادة : صدقت والله جعلنى الله فداك ، والله ما هى بيوت حجارة ولاطين (٢) وهذه القرينة تحض المفسر على التحقيق عن الافراد الذين يرتبطون بالبيت باوصار معينة وبذلك يسقط القول بان المراد منه ازواج النبي ﷺ لانه لم تكن تلك الوشائج الخاصة باتفاق المسلمين بينهم واقصى ما عندهن انهن كن مسلمات مؤمنات .

#### القرينة الثانية : تذكير الضمائر :

فرى انه سبحانه عندما يخاطب ازواج النبي يخاطبهن حسب المعتاد بضمائر

(١) الكشاف ج ٢ ص ١٠٧

(٢) لكافى ج ٦ ص ٢٥٦ - ٢٥٧

التأنيث ولكنه عند ما يصل الى قوله: انما يريد الله ليذهب . . .) يغير الصيغة الخطابية في التأنيث ويأتي بصيغة التذكير فما السر في تبديل الضمائر لو كان المراد ازواج النبي؟ واليك نص الآيات :

«يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً» . (الاحزاب - ٣٢)

«وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» (٣٣) .

«واذ كرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً» (٣٤) .

تري انه سبحانه يخاطبهن في الاية الاولى بهذه الخطابات : ١ - لستن ٢ - اتقيتن ٣ - فلا تخضعن ٤ - وقلن . ويخاطبهن في الاية الثانية بهذه الخطابات : ١ - قرن ٢ - بيوتكن ٣ - تبرجن ٤ - اقمن ٥ - آتين ٦ - اطعن . كما يخاطبهن في الاية الثالثة بقوله : ١ - واذا كرن ٢ - بيوتكن .

وفي الوقت نفسه يتخذ في ثنايا الاية الثانية موقفاً خاصاً في الخطاب ويقول:

١ - عنكم ٢ - يطهركم - فما وجه هذا العدول اذا كان المراد نساء النبي؟

أو ليس هذا يدل على ان المراد ليس نساء ﷺ .

وقد حاول القرطبي التفصلي عن الاشكال فقال : ان تذكير الضمير يحتمل لان يكون خرج محرج «الاهل» كما يقول لصاحبه : كيف اهلك اي امرأتك ونساؤك فيقول هم بخير قال الله تعالى : «اتعجبين من امر الله ورحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت» . (١)

ولكن المحاولة فاشلة فان ما ذكره من المثال على فرض سماعه من العرب ، انما اذا تقدم «الاهل» وتأخر الضمير، دون العكس كما في الاية فان احد الضميرين



مقدم على لفظ «الاهل» في الآية كما يقول: «عنكم الرجس اهل البيت». واما الاستشهاد بالآية فغير صحيح، لان الخطاب فيها لابراهيم وزوجته فيصح التغليب تغليب الاشراف على غيره في الخطاب والمفروض في المقام ان الآية نزلت في زوجاته ونسائه خاصة فلامعنى للتغليب.

نعم انما تصح فكرة التغليب لو قيل بان المراد منه، هو اولاده وصهره وزوجاته وهو قول ثالث سنبحث عنه في مختتم البحث وسيوافيك ان بقية الاقوال كلها مختلفة لتصحيح الاشكالات الواردة على النظرية الثانية، فلاحظ.

#### القرينة الثالثة: الارادة تكوينية لا تشريعية:

قد سبق منا الاستدلال على ان المراد من الارادة في قوله: انما يريد الله... الارادة التكوينية. التي لا ينفك المراد فيها عن الارادة وتكون متحققة وثابتة في الخارج، وبما ان المراد هو اذهاب الرجس واثبات التطهير وتجهيزهم بالاسباب والمعدات المنتهية الى العصمة، فلا يصح ان يراد من اهل البيت ازواج النبي ان لم يدع احد من المسلمين كونهن معصومات من الذنب ومطهرات من الزلل. فلا مناص عن تطبيقه على جماعة خاصة من المنتمين الى البيت النبوي الذين تحقق فيهم تعلقهم بالاسباب والمقتضيات التي تنتهي بصاحبها الى العصمة ولا ينطبق هذا الاعلى الامام على عليه السلام وزوجته والحسين عليه السلام لان غيرهم مجمع على عدم اتصافهم بهذه الاسباب.

القرينة الرابعة ان الايات المربوطة بازواج النبي تبتدى من الآية ٢٨ وتنتهي بالآية ٣٤ وهي تخاطبهن تارة بلفظ «الازواج» ومرتين بلفظ «نساء النبي» الصريحين في زوجاته فما هو الوجه في العدول عنهما الى لفظ «اهل البيت» اذ ليس العدول قرينة على ان المخاطب به غير المخاطب بهما؟ فتعامل.

#### ٥ - اهل البيت في كلام النبي الاكرم:

ان للنبي الاكرم عناية وافرة بتعريف اهل البيت لم يرمثلها الا في اقل

الموارد حيث قام بتعريفهم بطرق مختلفة سيوافيك بيانها ، كما ان للمحدثين و المفسرين و اهل السير والتاريخ عناية كاملة بتعريف اهل بيت نبيه ﷺ في مواضع مختلفة حسب المناسبات التي تقتضى طرح هذه المسألة كما أن للشعراء الاسلاميين المخلصين في طوال قرون ، عناية بارزة ببيان فضائل اهل البيت والتعريف بهم، والتصريح باسمائهم على وجه يظهر من الجميع اتفاقهم على نزول الآية في حق العترة الطاهرة وسيوافيك نزر من شعرهم في مختتم البحث .

كل ذلك يعرب عن ان الرأى العام بين المسلمين في تفسير اهل البيت هو القول الاول وان القول بان المقصود منهم زوجاته كان قولاً شاذاً متر و كائنقل ولا يعتنى به ولم ينحرف عن ذلك الطريق المهيغ الابعض من اتخذ لنفسه تجاه اهل البيت موقفاً يشبه موقف اهل العدا ، والنصب .

قام النبي بتعريف اهل البيت بطرق ثلاثة نشير اليها .

١ - صرح باسماء من نزلت الآية في حقهم حتى يتعين المنزول فيه باسمه

ورسمه .

٢ - قد ادخل جميع من نزلت الآية في حقهم تحت الكساء ومنع من دخول غيرهم و اشار بيده الى السماء وقال : « اللهم ان لكل نبى اهل بيت و هؤلاء اهل بيتى » كما سيوافيك نصه .

٣ - كان يمر بيبيت فاطمة عدة شهور كلما خرج الى الصلاة فيقول: الصلاة اهل البيت «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً». و بهذه الطرق الثلاثة حدد افراد اهل البيت و عين مصاديقهم على وجه يكون جامعاً لهم و مانعاً عن غيرهم و نحن ننقل ماورد حول الطرق الثلاثة في التفسيرين : الطبرى و الدر المنثور للسيوطى ، ثم نأتى بماورد في الصحاح الستة حسب ما جمعه ابن الاثير الجزرى في كتابه «جامع الاصول» و اخيراً نشير الى الجوامع التي جمعت فيها احاديث الفريقين حول نزول الآية في حق الخمسة الطيبة، و نترك الباقي الى القارىء الكريم فان البحث قرآنى لا حديثى والاستيعاب



في الموضوع يحوجنا الى تأليف مفرد .

### الطائفة الاولى : التصريح باسمائهم :

١ - روى الطبري : عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : نزلت هذه الاية في خمسة : في- وفي علي رضي الله عنه وحسن رضي الله عنه وحسين رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» .

٢- عن ابي سعيد عن ام سلمة زوج النبي ﷺ ان هذه الاية نزلت في بيتها «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» قالت وانا جالسة على باب البيت فقلت : انا يا رسول الله الست من اهل البيت ؟ قال انك الى خير انت من ازواج النبي ﷺ قالت : وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم .

وفي الدر المنثور ما يلي

٣- روى السيوطي عن ابن مردويه عن ام سلمة قالت : نزلت هذه الاية في بيتي «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» وفي البيت سبعة جبريل وميكائيل عليهما السلام وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وانا على باب البيت قلت يا رسول الله الست من اهل البيت . قال انك الى خير انت من ازواج النبي ﷺ .

٤ - السيوطي : واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : نزلت هذه الاية في خمسة : في- وفي علي وفاطمة وحسن وحسين «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» .

الطائفة الثانية :

أدخلهم تحت الكساء او «مرط او ثوب» او «عباءة او قטיפعة» : فقد ورد حوله هذه الروايات :

٥ - اخرج الطبري قال : قالت عائشة : خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله معه ثم جاء علي فادخله معه ثم قال «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» .

٦ - اخرج الطبري قال : عن ام سلمة قالت : كان النبي ﷺ عندي وعلي فاطمة والحسن والحسين فجعلت لهم خزيرة فاكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة او قטיפعة ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

٧ - اخرج الطبري : ابوعمار قال : اني لجالس عند وائلة بن الاسقع ان ذكروا علياً رضي الله عنه فشتموه فلما قاموا قال اجلس حتى اخبرك عن هذا الذي شتموا ، اني عند رسول الله ﷺ اذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين فالقى عليهم كساء له ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي ، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

٨ - اخرج الطبري : ابوعمار قال : سمعت وائلة بن الاسقع يحدث قال سألت عن علي بن ابي طالب في منزله فقالت فاطمة : قد ذهب يأتي برسول الله ﷺ اذ جاء فدخل رسول الله ﷺ ودخلت فجالس رسول الله ﷺ علي الفراش واجلس فاطمة عن يمينه وعلياً عن يساره وحسناً وحسيناً بين يديه فلفح عليهم بثوبه وقال : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» اللهم هؤلاء اهلي اللهم اهلي .

٩ - اخرج الطبري : عن ابي سعيد الخدري عن ام سلمة قالت : لما نزلت هذه الاية : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» ، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فجاءل عليهم كساءً خبيراً فقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قالت : ام سلمة قلت الست منهم ؟ . قال : انت الي خير .



١٠ - اخرج الطبري : عن ابي هريرة عن ام سلمة : قالت : جاءت فاطمة الى رسول الله ﷺ ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق فوضعت بين يديه فقال : اين ابن عمك؟! واناك؟ فقالت في البيت فقال : ادعهم فجاءت الى علي فقالت : اجب النبي ﷺ وانت وابناك قالت ام سلمة فلما رأهم مقبلين مديده الى كساء كان على المنامة فمده وبسطه واجلسهم عليه ثم اخذ باطراف الكساء الاربعة بشماله فوضه فوق رؤسهم وادماً بيده اليمنى الى ربه فقال : هؤلاء اهل البيت فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

١١ - اخرج الطبري : عن عمر بن ابي سلمة قال : نزلت هذه الاية على النبي ﷺ في بيت ام سلمة : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فاجلسهم بين يديه ، ودعا علياً فاجلسه خلفه فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال : هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت ام سلمة انامعهم ، قال : مكانك وانت علي خير .

١٢ - اخرج الطبري : قال عامر بن سعد قال : قال سعد : قال رسول الله ﷺ حين نزل عليه الوحي فاخذ علياً وابنيه وفاطمة وادخلهم تحت ثوبه ثم قال : رب هؤلاء اهلي واهل بيتي .

١٣ - اخرج الطبري : عن حكيم بن سعد قال : ذكرنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه عندهم سلمة قالت : فيه نزلت «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» قالت ام سلمة : جاء النبي ﷺ الى بيتي فقال : لاتاذني لاحد ، فجاءت فاطمة فلم استطع ان احجبها عن ايها ، ثم جاء الحسن فلم استطع ان امنعه ان يدخل على جده وامه وجاء الحسين فلم استطع ان احجبه ، فاجتمعوا حول النبي ﷺ على بساط فجللهم نبي الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال : هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فنزلت هذه الاية حين اجتمعوا على البساط . قالت : فقلت يا رسول الله وانا؟ قال : انك الى خير .

١٤ - روى السيوطي : قال : واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم

والطبراني وابن مردويه عن ام سلمة : رضى الله عنها زوج النبي ﷺ ان رسول الله ﷺ كان بيتهما على منامة له عليه كساء خيبرى، فجاءت فاطمة رضى الله عنها ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله ﷺ : ادعى زوجك وابنيك حسناً وحسيناً فدعتهم فبينما هم يأكلون انزلت على رسول الله ﷺ : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» فاخذ النبي ﷺ بفضلة ازاره فغشاهم اياها ثم اخرج يده من الكساء وادما بها الى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالها ثلاث مرات. قالت ام سلمة رضى الله عنها: فادخلت رأسى فى الستر فقلت يا رسول الله وانا معكم ؟ فقال انك الى خير مرتين .

١٥ - روى السيوطى : واخرج الطبراني عن ام سلمة رضى الله عنها : ان رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنها : أنتنى بزوجك وابنيه فجاءت بهم فالقى رسول الله ﷺ عليهم كساءً فدكياً ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم ان هؤلاء اهل محمد (وفى لفظ : آل محمد) فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد . قالت ام سلمة رضى الله عنها : فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبته من يدي وقال : انك على خير .

١٦ - روى السيوطى : واخرج الطبراني عن ام سلمة رضى الله عنها قالت : جاءت فاطمة رضى الله عنها الى أبيها بشريدة لها تحملها فى طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها ابن ابن عمك ؟ قالت : هو فى البيت . قال : اذهبي فادعيه وابنيك فجاءت تقود ابنيهما كل واحد منهما فى يد وعلى رضى الله عنه يمشى فى اثرهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسهما فى حجره وجلس على رضى الله عنه عن يمينه وجلست فاطمة رضى الله عنها عن يساره قالت ام سلمة رضى الله عنها فاخذت من تحتى كساء كان بساطنا على المنامة فى البيت (١) .

١٧ - روى السيوطى : واخرج ابن مردويه والخطيب عن ابى سعيد الخدى

(١) واجمال الحديث وابهامه يرتفع بالرجوع الى سائر ما روى عن ام سلمة فى



رضى الله عنه قال : كان يوم ام سلمة ام المؤمنين رضى الله عنها فنزل جبرئيل (ع) على رسول الله ﷺ بهذه الاية «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» قال: فدعا رسول الله ﷺ بحسن وحسين وفاطمة وعلى فضعهم اليه ونشر عليهم الثوب ، والحجاب على ام سلمة مضروب ، ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت ام سلمة رضى الله عنها فانا معهم يا نبي الله ؟ قال : انت على مكانك واناك على خير .

١٨ - روى السيوطي : واخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن ام سلمة رضى الله عنها قالت : في بيتي نزلت : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت» وفي البيت فاطمة وعلى والحسن والحسين فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال: هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

١٩ - روى السيوطي : و اخرج ابن ابي شيبة واحمد ومسلم وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج رسول الله ﷺ غداة وعله مرط من رجل من شعرا سود فجاء الحسن والحسين رضى الله عنهما: فادخلهما معه ثم جاء على فادخله معه ثم قال «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» .

٢٠ - روى السيوطي : واخرج ابن جرير و الحاكم وابن مردويه عن سعد قال : نزل على رسول الله ﷺ الوحي فادخل علياً وفاطمة و ابنيهما تحت ثوبه ثم قال : اللهم هؤلاء اهلى واهل بيتي .

٢١ - روى السيوطي : واخرج ابن ابي شيبة واحمد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن وائلة بن الاسقع رضى الله عنه قال : جاء رسول الله ﷺ الى فاطمة ومعه حسن وحسين وعلى حتى دخل فادنى علياً وفاطمة فاجلسهما بين يديه واجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه وانا مستدبرهم . ثم تلا هذه الاية : «انما يريد

الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهر كم تطهيراً» .

**الطائفة الثالثة : تعيينهم بقلاوة الاية على بابهم :**

٢٢ - اخرج الطبرى : عن انس ان النبى ﷺ كان يمر بببيت فاطمة ستة اشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول : الصلاة اهل البيت «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهر كم تطهيراً» .

٢٣ - اخرج الطبرى: اخبرنى ابوداود عن ابى الحمراء قال : رابطت المدينة سبعة اشهر على عهد النبى ﷺ قال : رأيت النبى ﷺ اذا طلع الفجر جاء الى باب على وفاطمة فقال : الصلاة الصلاة «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهر كم تطهيراً» .

٢٤ - اخرج الطبرى : عن يونس بن ابى اسحاق باسناده عن النبى ﷺ مثله.

٢٥ - روى السيوطى: اخرج ابن ابى شيبه واحمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه عن انس رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة رضى الله عنها اذا خرج الى صلاة الفجر ويقول : الصلاة يا اهل البيت «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهر كم تطهيراً» .

٢٦ - روى السيوطى : اخرج ابن مردويه عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : لما دخل على رضى الله عنه بفاطمة رضى الله عنها جاء النبى ﷺ اربعين صباحاً الى بابها يقول : السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته ، الصلاة رحمكم الله ، «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهر كم تطهيراً» انا حرب لمن حاربتم ، انا سلم لمن سالمتم .

٢٧ - روى السيوطى : اخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابى الحمراء رضى الله عنه قال حفظت من رسول الله ﷺ ثمانية اشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج الى صلاة الغداة الا اتى الى باب على رضى الله عنه فوضع يده على جنبتى



الباب ثم قال : الصلاة الصلاة ، «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» .

٢٨ - روى السيوطي : واخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : شهدنا رسول الله ﷺ تسعة اشهر يأتي كل يوم باب علي بن ابي طالب رضي الله عنه عند وقت كل صلاة . فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهل البيت «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» الصلاة -رحمكم الله كل يوم خمس مرات .

٢٩ - روى السيوطي : واخرج الطبراني عن ابي الحمراء رضي الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ يأتي باب علي وفاطمة ستة اشهر فيقول : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» . (١)

#### جولة حول مارواه العلمان :

قد تعرفت على اكثر مارواه الطبري والسيوطي في تفسيرهما وتركتنا بعض ما نقلناه في ذلك المجال عن اعلام التابعين وما روينا به ينتهي اسناده الى اقطاب الحديث من الصحابة وعيون الاثر وهم :

- ١- اوسعيد الخدري ٢- انس بن مالك ٣- ابن عباس ٤- ابو هريرة الدوسي
- ٥- سعد بن ابي وقاص ٦- وائلة بن الاسقع ٧- ابو الحمراء ، اعني هلال بن الحارث
- ٨- امهات المؤمنين : عائشة وام سلمة .

أبعد هذا يصح لمناقش ان يشك في صحة نزولها في حق العترة الطاهرة ؟ وليس الطبري والسيوطي فريدين في نقل تلك المأثورة ، بل سبقهما ، اصحاب الصحاح والمسانيد فنقلوا نزول الآية في حقهم صريحاً او كناية ولا بأس بنقل ما جار في خصوص الصحاح حتى يعضد بعضه بعضاً فنقول :

(١) لاحظ في الوقوف على مصادر هذه الروايات تفسير الطبري ج ٢٢ ص ٥-٧

٣٠ - اخرج الترمذى : عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية «فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم» (آل عمران-٦١) الآية دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء اهلى .

٣١ - اخرج الترمذى : عن ام سلمة رضى الله عنها : قالت : «ان هذه الآية نزلت فى بيتى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» (الاحزاب - ٣٣) قالت : وانا جالسة عند الباب فقلت : يا رسول الله : الست من اهل البيت ؟ فقال : انك الى خير ، انت من ازواج رسول الله ﷺ . قالت : وفى البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين . فجللهم بكسائه وقال : اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . وفى رواية ان النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتى وحامتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت ام سلمة : وانا معهم يا رسول الله ؟ قال انك الى خير .

٣٢ - اخرج الترمذى : عن عمر بن ابى سلمة قال : نزلت هذه الآية على النبي ﷺ «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» (الاحزاب - ٣٣) فى بيت ام سلمة ، فدعا النبي ﷺ فاطمة وحسناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت ام سلمة : وانا معهم يا نبي الله ؟ قال : انت على مكانك و انت على خير .

٣٣ - اخرج الترمذى : عن انس بن مالك : ان رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة اذا خرج الى الصلاة حين نزلت هذه الآية قريباً من ستة اشهر يقول : الصلاة اهل البيت «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» .

٣٤ - اخرج مسلم : عن عائشة قالت : خرج النبي ﷺ وعليه مرط مرط مرط مرط مرط فاجاء الحسن فادخله ، ثم جاء الحسين فادخله ، ثم جاءت فاطمة فادخلها ثم جاء علي فادخله ثم قال : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس» الآية .





وتركنا مارواه الامام احمد في مسنده روماً للاختصار وفي هذا غنى وكفاية لمن رام الحق واتبعه وعرف الباطل فاجتنبه و من اراد التوسع فعليه الرجوع الى المصادر التالية :

١ - العمدة للمحدث الحافظ يحيى بن سعيد (المتوفى عام ٦٠٠) :المطبعة الحديثة (١) .

٢ - بحار الانوار ج ٣٥ - ص ٢٠٦ - ٢٢٦ .

٣ - غاية المرام ص ٢٨٧ / ٢٩٤ فقد اورد فيه واحداً واربعين حديثاً من كتب اهل السنة واربعاً وثلاثين من كتب الشيعة .

٤ - تفسير البرهان ج ٣ ص ٣٠٩-٣٢٥ فقد اورد فيه خمساً وستين حديثاً

٥ - نور الثقلين ج ٤ ص ٢٧٠ - ٢٧٧ اورد فيه خمسة وعشرين حديثاً .

٦ - احقاق الحق الاجزاء الثلاثة : ج ٢ ص ٥٠٢ - ٥٤٤ فقد نقل نزول

الاية فى حق العترة الطاهرة عن كتب اهل السنة حديثاً وتفسيراً ثم استدرک ما فاته فى الجزء التاسع والرابع عشر .

٧ - آية التطهير فى حديث الفريقين فقد استقصى فى جزء خاص الاحاديث

الواردة حول الموضوع من طريق الفريقين شكر الله مساعى الجميع .

وبعد هذا ، حان حين البحث عن دلائل القول الاخر : وهو نزول الاية فى

نسائه .

### ٦- نزولها فى نسائه عليه الصلاة والسلام :

قد تعرفت على دلائل القول وقرائنه ومؤيداته و احاديثه المتواترة التى اطبق على نقلها تسع واربعون (٢) صحابياً وصحابية من امهات المؤمنين ، وقد تلقته الامة بالقبول فى القرون الماضية ، واما القول الثانى اعنى نزولها فى نسائه وزوجاته عليهن السلام فقد نسب الى اشخاص نقل عنهم ، منهم :

(١) حققت تحقيقاً دقيقاً وتم طبعها وسرف تنشر بأذنه سبحانه (٢) سيوافيك مصدره



١ - ابن عباس :

٢ - عكرمة :

٣ - عروة بن الزبير :

٤ - مقاتل بن سليمان :

اما الاول : فقد نقل عنه تارة عن طريق سعيد بن جبير واخرى عن طريق عكرمة . قال السيوطي في الدر المنثور : واخرج ابن ابي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس عن قوله : انما يريد الله... قال : نزلت في نساء النبي ﷺ . و قال ايضا : اخرج ابن مردويه عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : نزلت في نساء النبي ﷺ .

واما الثاني ، اعنى عكرمة : فقد نقله عنه الطبري عن طريق «علقمة» وان عكرمة كان ينادى في السوق : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس» . . . نزلت في نساء النبي ﷺ .

ونقل في الدر المنثور : اخرج ابن جرير و ابن مردويه عن عكرمة في قوله : « انما يريد الله ليذهب عنكم » .. انه قال ليس بالذى تذهبون اليه انما هو نساء النبي ﷺ .

واما الثالث ، اعنى عروة بن الزبير : فقال السيوطي : واخرج ابن سعد عن عروة بن الزبير انه قال : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت» قال : ازواج النبي نزلت في بيت عائشة .

واما الرابع : فقد نقل عنه في اسباب النزول . (١)

تحليل هذه النقول :

اما نقله عن ابن عباس : فليس بثابت بل نقل عنه خلاف ذلك فقد نقل

(١) تفسير الطبري ج ٢٢ ص ٧ و ٨ و الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي ج ٥

ص ١٩٨ و -باب النزول للواحدى ص ٢٠٤ -

السيوطي في الدر المنثور قال : واخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : شهدنا رسول الله ﷺ تسعة اشهر يأتي كل يوم باب علي بن ابي طالب عند وقت كل صلاة فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهل البيت « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم ويطهركم تطهيراً » .

وليس ابن مردويه فريداً في هذا النقل ، فقد نقله عنه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (١) بسند ينتهي الى ابي صالح عن ابن عباس : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم ويطهركم تطهيراً » نزلت في رسول الله وعلى وفاطمة والحسن والحسين . والرجس : الشك .

كما نقله الحافظ الحسين بن الحكم الجبري في تنزيل الآيات عن ابي صالح بمثل ما سبق .

و ممن رواه عن ابن عباس صاحب ارجح المطالب ص ٥٤ طبع لاهور ، والعلامة اسماعيل النقشبندی في مناقب العشرة (٢) .

اضف الى ذلك ان من البعيد أن يخفى على ابن عباس جبر الامة ما اطلع عليه عيون الصحابة وامهات المؤمنين وقد انهى بعض الفضلاء السادة (٣) عدد رواة الحديث من الصحابة الى تسع واربعين صحابياً . وجمعهما من مصادر الفريقين في الفضائل والمناقب .

### واما عكرمة :

فقد ثبت تقوله بذلك كما عرفت لكن في نفس كلامه دليلاً واضحاً على ان الرأي العام يوم ذاك في شأن نزول الآية هو نزولها في حق فاطمة ، وانما تفرد

(١) شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٠

(٢) مناقب العشرة : « مخلوط » منه نسخة في جامعة طهران لاحظ احقاق الحق

ج ١٤ ص ٥٣

(٣) آية التطهير في حديث الفريقين



هو بذلك . ولاجله رفع عقيرته في السوق بقوله : «ليس بالذى تذهبون اليه وانما هو نساء النبي» اضع الى ذلك : ان تخصيص هذه الآية بالنداء في السوق وانها نزلت في نساء النبي يعرب عن موقفه الخاص بالنسبة الى من اشتهر نزول الآية في حقهم والا فالمتعارف من الناس يجهر بالحقيقة بشكل معقول لابهذه الصورة المعربة عن الانحراف عنهم .

هذا كله حول ما نقل عنه . واما تحليل شخصيته وموقفه من الامانة والوثاقة . وانحرافه عن علي وانحيازه الى الخوارج وطمعه الشديد بما في ابدى الامراء فحدث عنه ولا حرج ، ولاجل ايقاف القارىء على قليل مما ذكره ائمة الجرح والتعديل في حقه نأتى ببعض ما ذكره الامام شمس الدين الذهبي نقاد الفن في كتابيه : تذكرة الحفاظ ، وسير اعلام النبلاء ومن اراد التفصيل فليرجع الى كتب الجرح والتعديل .

نقل الامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ في سير اعلام النبلاء هذه الكلمات في حق عكرمة :

١ - قال ايوب: قال عكرمة: أنى لاخرج الى السوق فاسمع الرجل يتكلم بالكلمة فينفتح لى خمسون باباً من العلم ...» ما معنى هذه الكلمة ؟ وهل يقولها انسان يملك شيئاً من العقل والوقار ؟

٢ - قال : ابن لهيعة : وكان يحدث برأى نجدة الحرورى (١) واتاه ، فاقام عنده ستة اشهر ، ثم اتى ابن عباس فسلم ، فقال ابن عباس : قد جاء الخبيث .

٣ - قال سعيد بن أبى مریم ، عن أبى لهيعة ، عن أبى الاسود قال : كنت اول من سبب لعكرمة الخروج الى المغرب وذلك أنى قدمت من مصر الى المدينة فلقينى عكرمة وسألنى عن أهل المغرب ، فأخبرته بغفلتهم ، قال : فخرج اليهم

(١) هو نجدة بن عامر الحرورى الحنفى من بنى حنيفة رأس الفرقة النجدية ...

انفرد عن سائر الخوارج بأراء

وكان اول ما احدث فيهم رأى الصفرية (١).

٤ - قال يحيى بن بكير : قدم عكرمة مصر ونزل هذه الدار وخرج الى المغرب فالخوارج الذين بالمغرب عنه اخذوا .

٥ - قال على بن المدينى : كان عكرمة يرى رأى نجدة الحرورى .

٦ - وقال احمد بن زهير : سمعت يحيى بن معين يقول : انما لم يذكروا مالك عكرمة - يعنى فى الموطأ - قال : لان عكرمة كان ينتحل رأى الصفرية .

٧ - وروى عمر بن قيس المكي عن عطاء قال : كان عكرمة اباضياً (٢) .

٨ - وعن أبى مريم قال : كان عكرمة بيهسياً (٣) .

٩ - وقال أبراهيم الجوزجاني : سألت أحمد بن حنبل عن عكرمة أكان يرى رأى الاباضية ؟ فقال : يقال : أنه كان صفرياً ، قلت أتى البربر؟ قال : نعم وأتى خراسان يطوف على الامراء يأخذ منهم .

١٠ - وقال على بن المدينى : حكى عن يعقوب الحضرمى عن جده قال : وقف عكرمة على باب المسجد فقال : ما فيه الاكافر . قال : وكان يرى رأى الاباضية لاحظ سير اعلام النبلاء للذهبي ج ٥ ص ١٨-٢٢ .

وقال فى ميزان الاعتدال : ج ٣ ص ٩٣ - ٩٧ : وقد وثقه جماعة واعتمده البخارى وأما مسلم فتجنبه وروى له قليلاً مقروناً بغيره ، واعرض عنه مالك وتحايده الا فى حديث او حديثين .

عفان، حدثنا وهيب قال شهدت يحيى بن سعيد الانصارى وايوب فذكروا عكرمة فقال يحيى : كذاب وقال ايوب : لم يكن بكذاب ، عن عبدالله بن الحارث : دخلت على على بن عبدالله بن عباس فاذا عكرمة فى وثاق عند باب الحش

(١) هم فرقة من الخوارج اتباع زياد بن الاصفر

(٢) هم اتباع عبدالله بن اباض رأس الاباضية

(٣) فرقة من الصفرية اصحاب أبى يهيس هيصم بن جابر الضبى رأس الفرقة



فقلت الاتقى الله ؛ قال : ان هذا الخبيث يكذب على ابي  
سئل محمد بن سيرين عن عكرمة فقال ما يسؤني ان يكون من اهل الجنة  
ولكنه كذاب . هشام بن عبدالله المخزومي : سمعت ابن ابي ذئب يقول : رأيت  
عكرمة و كان غير ثقة . وعن يزيد بن هارون قال قدم عكرمة البصرة فاتاه ايوب  
ويونس وسليمان التيمي فسمع صوت غناء فقال : اسكتوا ثم قال : قاتله الله لقد اجاد  
وعن خالد بن ابي عمران قال : كنا بالمغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم  
فقال : وددت ان بيدي حربة فاعترض بها من شهد الموسم يمينا وشمالا . وعن  
يعقوب الحضرمي عن جده قال : وقف عكرمة على باب المسجد فقال : ما فيه الا  
كافر قال : ويرى رأى الاباضية ان عكرمة لم يدع موضعاً الا خرج اليه :  
خراسان والشام واليمن ومصر وافريقية كان يأتي الامراء فيطلب جوائزهم .  
روى سلمان بن معبد السنجي قال : مات عكرمة و كثير عزة في يوم واحد  
فما شهدهما الا سودان المدينة : وعن ابن المسيب انه قال مولاه « برد » : لا تكذب  
على كما كذب عكرمة على ابن عباس .

افبعد هذه الكلمات المتضادة الحاكية عن انحراف الرجل عن جادة  
الحق وتكفيره عامة المسلمين وتمنيه ان يقتل كل من شهد الموسم ، يصح الاعتماد  
عليه في تفسير الذكر الحكيم ؟ والاسف ان المفسرين نقلوا اقواله وارسلوها ولم  
يلتفتوا الى ان الرجل كذاب على مولاه وعلى المسلمين . فواجب على عشاق  
الكتاب العزيز و طلاب التفسير ، تهذيب الكتب عن اقوال و آراء ذلك الدجال  
ومن يحذو خذوه من مقاتل بن سليمان وغيرهما .

### ٣ - عروة بن الزبير :

واما عروة بن الزبير فيكفي في عدم حجية قوله ، عداؤه لعلي وانحرافه  
عنه ، ففي هذا الصدد يقول ابن ابي الحديد : روى جرير بن عبد الحميد عن محمد  
بن شيبه قال : شهدت مسجد المدينة فاذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران

علياً عليه السلام فناً لأمته ، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام ، فجاء حتى وقف عليهما ، فقال : اما انت يا عروة فان ابي حاكم اباك الى الله فحكم لابي علي ابيك واما انت يا زهرى فلو كنت بمكة لأريتك كيرايبك .

وقد روى من طرق كثيرة : ان عروة بن الزبير كان يقول : لم يكن احد من اصحاب رسول الله ﷺ يزوره الا علي بن ابي طالب واسامة بن زيد .  
وروى عاصم بن ابي عامر البجلي عن يحيى بن عروة قال : كان ابي اذا ذكر علياً قال منه .

وقال لي مرة : يا بني والله ما احجم الناس عنه الا طلباً للدنيا ، لقد بعث اليه اسامة بن زيد ان ابعث اليه بعتائ فوالله انك لتعلم انك لو كنت في قم اسد لدخلت معك . فكتب اليه : ان هذا المال لمن جاهد عليه ولكن لي مالا بالمدينة . فاصب منه ماشئت .

قال يحيى : فكنت اعجب من وصفه اياه بما وصفه به ومن عيبه له وانحرافه عنه . (١)

#### ٤ - مقاتل بن سليمان :

وهو رابع النقلة لنزول الآية في نسائه ويكفي في عدم حجية قوله ما نقله الذهبي في حقه في سير اعلام النبلاء قال : قال ابن عيينة قلت لمقاتل : زعموا انك لم تسمع من الضحاك قال : يغلق علي وعليه باب فقلت في نفسي : اجل باب المدينة : وقيل انه قال سلوني عمادون العرش فقالوا : أين امعاء النملة ؟ فسكت ، وسألوه لما حج آدم من حلق رأسه ؟ فقال لا ادري قال وكيع : كان كذاباً .

( ) شرح النهج لابن ابي الحديد الجزء الرابع ص ١٠٢ من الطبعة الجديدة وراجع سير اعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٢١-٤٢٧ ما يدل على كونه من بغاة الدنيا وطلبها وقد نفي قصرأ في العقيق وانشد شعراً في مدحه وكان مقرباً لدى الامويين خصوصاً عبد الملك بن مروان .



وعن ابن حنيفة قال : اتانا من المشرق رأيان خبيثان : جهم معطل (١) ومقاتل مشبه ، مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومائة وقال البخاري : مقاتل لاشيء البتة قلت : اجمعوا على تركه (٢) .

تجد اتفاق المتكلمين من الاشاعرة المعتزلة ومن قبلهم على ان القول بالتشبية انما تسرب الى الاوساط الاسلامية من مقاتل ، فهو الزعيم الركن بالقول بان له سبحانه اعضاء مثل مال الانسان من اليد والرجل والوجه وغير ذلك ، قاتل الله مقاتل كيف يفترى على الله سبحانه كذباً ونفس آياته بغير وجهها !؟ .

وقال الذهبي ايضا في ميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٧٢ - ١٧٥ - ما هذا تلخيصه : قال النسائي : كان مقاتل يكذب وعن يحيى : حديثه ليس بشيء وقال الجوزجاني : كان دجالا جسوراً وقال ابن حبان : كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب في الحديث . وعن خارجه بن مصعب : لم استحل دم يهودي ولو وجدت مقاتل بن سليمان خلوة لشققت بطنه وقال ابن ابي حاتم : حديثه يدل على انه ليس بصدوق

#### ٧ - مشكلة السياق ؟ !

ان آية التطهير جزء من الآية الثالثة والثلاثين ، التي يرجع صدرها وذيلها الى نساء النبي فعندئذ كيف يصح القول بانها راجعة الى غيرهن فان وحدة السياق قاضية على ان الكل راجع الى موضوع واحد ، وارجاعها الى غير نساءه يستلزم التفكيك بين اجزاء آية واحدة ؟ نعم لو كانت آية التطهير آية مستقلة لكان الامر سهلاً اذ كان الاشكال اضعف ولكنها جزء من آية واحدة نزلت في نساء النبي ، والجواب : لاشك ان السياق من الامور التي يستدل بها على كشف المراد

(١) التعطيل : هو ان لا تثبت لله الصفات التي وصف بها نفسه او وصفه بها رسوله (ص) والتشبيه : ان يشبه الله سبحانه وتعالى باحد من خلقه

(٢) سير اعلام النبلاء ٧١ ص ٢٠٢

ويجعل صدر الكلام ووسطه وذيلها قرينة على المراد ووسيلة لتعيين ما اريد منه ولكنه حجة اذا لم يقم دليل اقوى على خلافه ، فلو قام ترفع اليد عن وحدة السياق وقرينته ، وبعبارة اخرى: ان الاعتماد على السياق انما يتم لو لم يكن هناك نص على خلافه ، وقد عرفت النصوص الدالة على خلافه .

اضف اليه ان هناك دلائل قاطعة على ان آية التطهير آية مستقلة نزلت كذلك ووقعت في ثنايا الاية المربوطة بازواج النبي ﷺ لمصلحة كان صاحب الشريعة اعرف بها . (١) ، واليك هاتيك الدلائل الدالة على استقلالها .

#### الدليل الاول : على استقلال الاية :

اطبقت الروايات المنتهية الى الاصحاب وامهات المؤمنين والتابعين لهم باحسان على نزولها مستقلة ، سواء اقلنا بنزولها في حق العترة الطاهرة وزوجات النبي واصحابه ، فالكل - مع قطع النظر عن الاختلاف في المنزول فيه - اتفقوا على نزولها مستقلة ، وقد مضت النصوص عن الطبري والدر المنثور والصحاح ترى ان ام سلمة تقول : «نزلت في بيتي» «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا» .

ويروي ابوسعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ : نزلت هذه الاية في خمسة : في وفي علي وفاطمة وحسن وحسين «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا» .

وروت عائشة: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرّجل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله معه، ثم جاء الحسين فادخله معه، ثم جاءت فاطمة فادخلها معه،

(١) نقل السيوطى عن ابن الحصار: ان ترتيب السور ووضع الايات مواضعها انما

كان بالوحى كان رسول الله (ص) يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا . لاحظ الاتقان ج ١

ص ١٧٦ . الفصل الثامن عشر في جمع القرآن وترتيبه من طبعة مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى

تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم



ثم جاء على فادخله معه ، ثم قال : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت  
ويطهركم تطهيراً» الى غير ذلك من النصوص .

حتى ان ظاهر كلام عكرمة وعروة بن الزبير نزولها مستقلة بقول السيوطي :  
كان عكرمة ينادى في السوق «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت»  
نزلت في نساء النبي .

واخرج ابن سعد عن عروة بن الزبير انه قال : «انما يريد الله ليذهب  
عنكم الرجس اهل البيت» قال : ازواج النبي . نزلت في بيت عائشة . (١)  
فالموافق والمخالف اتفاقاً على كونها آية مستقلة اما نزلت في بيت ام سلمة  
او بيت عائشة ، اما في حق العترة او نساءه .

وعلى ذلك تسهل مخالفة السياق ، والقول بنزولها في حق العترة الطاهرة  
وان الصدر والذيل راجعان الى نساءه عليه السلام لا ماورد في ثناياها ، فهو راجع الى  
غيرهن .

ولاغرو في ان يكون الصدر والذيل راجعين الى موضوع وماورد في الاثناء  
راجعاً الى غيره فان ذلك من فنون البلاغة واساليبها . نرى نظيره في الذكر  
الحكيم وكلام البلغاء . وعليه ديدن العرب في محاوراتهم . فربما يرد في موضوع  
قبل ان يفرغ عن الموضوع الذي كان يبحث عنه ثم يرجع اليه ثانياً .

يقول الطبرسي : من عادة فصحاء العرب في كلامهم انهم يذهبون من خطاب  
الى غيره ويعودون اليه . والقرآن من ذلك مملوء ، وكذلك كلام العرب و  
اشعارهم . (٢)

قال الشيخ محمد عبده : ان من عادة القرآن ان ينتقل بالانسان من شأن  
الى شأن ثم يعود الى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة . (٣)  
وروى عن الامام جعفر الصادق : ان الآية من القرآن يكون اولها في شيء

(١) لاحظ ص ٢٨٦-٢٩٦ من هذا الجزء (٢) مجمع البيان ج ٤ ص ٣٥٧

(٣) المنار ج ٢ ص ٤٥١

وآخرها في شيء . (١)

ولاجل ان يقف القارىء على صحة ماقاله هؤلاء الاكابر نأتى بشاهد فنقول  
قال سبحانه ناقلاً عن «العزیز» مخاطباً زوجته: «انه من كيد كن ان كيد كن عظیم»  
يوسف اعرض هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين . (يوسف ٢٨-٢٩)  
نرى ان العزیز يخاطب اولاً امرأته بقوله «انه من كيد كن» وقبل ان يفرغ  
من كلامه معها، يخاطب يوسف بقوله: «يوسف اعرض عن هذا»... ثم يرجع الى  
الموضوع الاول ويخاطب زوجته بقوله: «واستغفرى لذنبك»... فقوله «يوسف  
اعرض عن هذا» جملة معترضة وقعت بين الخطابين والمسوغ لوقوعها بينهما كون  
المخاطب الثانى احد المتخاصمين وكانت له صلة تامة بالواقعة التى رفعت الى العزیز.  
والضابطة الكلية لهذا النوع من الكلام هو وجود التناسب المقتضى للعدول  
من الاول الى الثانى ثم منه الى الاول، وهى ايضا موجودة فى المقام ، فانه سبحانه  
يخاطب نساء النبى ﷺ بالخطابات التالية :

١ - «يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين»

٢ - «يانساء النبى لستن كاحد من النساء ان اتقين»...

٣ - «وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى»...

فعند ذلك صح ان ينتقل الى الكلام عن اهل البيت الذين اذهب عنهم الرجس  
وطهرهم تطهيراً وذلك لوجهين .

١- تعريفهن على جماعة بلغوا فى التورع والتقى، الذروة العليا، وفى الطهارة  
عن الرذائل والمساوى، القمة. وبذلك استحقوا ان يكونوا اسوة فى الحياة وقدوة  
فى مجال العمل فيلزم عليهن ان يقتدين بهم ويستضيئ بضوءهم .

٢ - التنبيه على ان حياتهن مقرونة بحياة امة طاهرة من الرجس ومطهرة  
من الدنس، ولهن معهم لحمة القرابة ووصلة الحسب، واللازم عليهن التحفظ على  
شؤون هذه القرابة بالابتعاد عن المعاصى والمساوى، والتحلى بما يرضيه سبحانه



ولاجل ذلك يقول : «بإساء النبي لستن كاحد من النساء» وما هذا الا لقرابتهن منه ﷺ وصلتهن باهل بيته . وهي لا تنفك عن المسؤولية الخاصة، فالانتساب للنبي الاكرم ﷺ ولبيته الرفيع، سبب المسؤولية ومنشؤها. وفي ضوء هذين الوجهين صح ان يطرح طهارة اهل البيت في اثناء المحاوره مع نساء النبي والكلام حول شؤونهن .

ولقد قام محققو الامامية ببيان مناسبة العدول في الآية نأني ببعض تحقيقاتهم قال السيد القاضي التستري: «لا يبعد ان تكون اختلاف آية التطهير مع ما قبلها على طريق الالتفات من الأزواج الى النبي ﷺ واهل بيته ﷺ على معنى ان تأديب الأزواج وترغيبهن الى الصلاح والسداد، من توابع اذهاب الرجس والدنس عن اهل البيت ﷺ فالحاصل نظم الآية على هذا : ان الله تعالى رغب أزواج النبي ﷺ الى العفة والصلاح بانه انما اراد في الازل ان يجعلكم معصومين يا اهل البيت واللائق ان يكون المنسوب الى المعصوم عفيفاً سالحاً كما قال «والطيبات للطيبين» . (١)

وقال العلامة المظفر : وانما جعل سبحانه هذه الآية في اثناء ذكر الأزواج وخطابهن للتنبيه على انه سبحانه امرهن ونهاهن وادبهن اكراماً لاهل البيت ونزيراً لهم عن ان تنالهم بسببهن وصمة ، وصوناً لهم عن ان يلحقهم من اجلهن عيب ورفعاً لهم عن ان يتصل بهم اهل المعاصي ولذا استهل سبحانه الآيات بقوله : «بإساء النبي لستن كاحد من النساء» ضرورة ان هذا التمييز انما هو للاتصال بالنبي وآله لالذواتهن فهن في محل، واهل البيت في محل آخر، فليست الآية الكريمة الا كقول القائل : يا زوجة فلان لست كازواج سائر الناس فتعفني ، وتستري ، واطيعي الله تعالى ، انما زوجك من بيت اطهار يريدون الله حفظهم من الادناس وصونهم عن النقائص (٢) .

(١) احقاق الحق ج ٢ ص ٥٧٠

(٢) دلائل الصدق ج ٢ ص ٧٢

## الدليل الثاني : على استقلالها :

ان لسان الآيات الواردة حول نساء النبي لسان الانذار والتهديد ، ولسان الاية المربوبة باهل بيته، لسان المدح والثناء فجعل الايتين آية واحدة وارجاع الجميع اليهن مما لا يقبله الذوق السليم فاين قوله سبحانه «يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب» من قوله : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهر كم تطهيرا» .

## الدليل الثالث : على الاستقلال :

ان قوله سبحانه : انما يريد الله . . . في المصاحف جزء من الآية الثالثة والثلاثين فلو رفعناه منها لم يتطرق اى خلل فى نظم الاية ومضمونها وتتحصل من ضم الاية الرابعة والثلاثين الى ما بقيت، آية تامة واضحة المضمون، مبينة المرهى منسجمة الفاصلة ، مع فواصل الايات المتقدمة عليها ، واليك تفصيل الاية فى ضمن مقاطع :

الف - قرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله .

ب - انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهر كم تطهيرا .  
(الاية - ٣٣)

ج - واذ كرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً .  
(الاية - ٣٤)

فلو رفعنا قوله : انما يريد الله» وضممنا ما تقدم عليه بما تأخر ، جاءت الاية تامة من دون حدوث خلل فى المعنى والنظم. وهذا دليل على ان قوله تعالى «انما يريد الله» آية مستقلة وردت فى ضمن الاية لمصلحة ربما نشير اليها .

ان الاحاديث على كثرتها صريحة فى نزول الاية وحدها ، ولم يرد حتى



في رواية واحدة نزولها في ضمن آيات نساء النبي ﷺ ولاذكره احد حتى القائل باختصاص الآية بازواج النبي كما ينسب الى عكرمة وعروة ، فالاية لم تكن حسب النزول جزءاً من آيات نساء النبي ولامتصلة بها ، وانما وضعت اما بامر النبي ﷺ او عند التأليف بعد الرحلة .

ويؤيده ان آية «وقرن في بيوتكن» باقية على انسجامها واتصالها لو قدر ارتفاع آية التطهير من بين جملها . (١)

وليس هذا امراً بدعاً فله نظير في القرآن الكريم .

فقد تضافرت السنة و روى الفريقان ان قوله سبحانه : «اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» نزل في غدير خم عند ما نصب النبي ﷺ علياً اماماً للامة وولياً للمؤمنين . مع انه في المصاحف جزء الآية الثالثة من «سورة المائدة» التي تبين احكام اللحوم واليك نفس الآية في مقاطع ثلاثة .

الف - حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيت وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالاذلام ذلكم فسق .

ب- اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً .

ج - فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم (٢) .

فاذا رفعنا الجزء الثاني تحصل من ضم الاول الى الثالث آية تامة من دون طرء خلل في مضمونها ونظمها وذلك آية على ان الجزء الثاني آية مستقلة وردت في ضمن آية اخرى بتصويب صاحب الشريعة الغراء او بتصويب من جامع القرآن بعد رحلته ﷺ ،

(١) الميزان ج ١٦ ص ٣٣٠

(٢) سورة المائدة- ٢٣

اضف الى ذلك ان مضمون الآية - اعنى احكام اللحوم - قد ورد في آيات  
اخر من دون ان تشمل على هذه الزيادة، فهذه قرينة على ان ماورد في الاثناء  
ليس من صميم الآية في سورة المائدة، وانما وضع في اثائها بامر من النبي الاكرم  
لمصاححة عامة يشير اليها .

### ماهو السر في جعلها جزء من آية اخرى

قد اتضح مما ذكرنا ان القرآن الكريم انما انتقل الى موضوع اهل البيت  
وخطابهم لاجل اعلام نساء النبي ﷺ بانهن في جوار هؤلاء المطهرين فيجب  
عليهن القيام باداء حقوق هؤلاء العظماء، الذين ميزهم الله تعالى عن غيرهم من  
هذه الامة بالتطهير والعصمة كما يجب عليه الاقتداء بهم في القول والسلوك .  
ولكن يبقى هنا سؤال آخر، وهو انه اذا كانت الآية، آية مستقلة فلما ذا  
جاءت في المصحف جزء من آية اخرى؟ ولم تكتب بصورة آية تامة في جنب  
الآيات الاخرى؟ .

الجواب: التاريخ يطلعنا بصفحات طويلة على موقف قريش وغيرهم من اهل  
البيت عليهم السلام، فان مر جل الحسد ما زال يغلي والاتجاهات السلبية ضدهم  
كانت كالشمس في رابعة النهار، فاقتضت الحكمة الالهية ان تجعل الآية في ثنايا الآيات  
المربوطة بنساء النبي ﷺ من اجل تخفيف الحساسية ضد اهل البيت . وان كانت  
الحقيقة لا تخفى على من نظر اليها بعين صحيحة، وان الآية تهدف الى جماعة .  
اخرى غير نساء النبي ﷺ كما بيناه قبل قليل .

وللسيد عبدالحسين شرف الدين هنا كلام ربما يفصل ما اجملناه فانه - قدس  
الله سره - بعد ما اثبت ان قوله سبحانه «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا  
الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» (المائدة - ٥٥) منزل في  
حق الامام امير المؤمنين عليه السلام طرح سؤاله وان كان امير المؤمنين (ع)



هو المراد من الآية فلماذا عبر عن المفرد بلفظ الجمع؟ فقال: ان العرب قد تعبر عن المفرد بلفظ الجمع لنكتة التعظيم حيث يستوجب ثم قال: وعندى فى ذلك نكتة الطف وادق وهى انه انما اتى بعبارة الجمع دون عبارة المفرد بقياً منه تعالى على كثير من الناس فان شائئى على واعداء بنى هاشم وسائر المنافقين واهل الحسد والتنافس لا يطيقون ان يسمعوها بصيغة المفرد اذ لا يبقى لهم حينئذ مطمع فى التمويه ولا ملتمس فى التضليل فيكون منهم (سبب بأسهم) حينئذ ما تخشى عواقبه على الاسلام فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها للمفرد اتقاء من معرفتهم، ثم كانت النصوص بعدها ترى بعبارات مختلفة ومقامات متعددة وبث فيهم امر الولاية تدريجاً حتى اكمل الله الدين واتم النعمة جرياً منه ﷺ على عادة الحكماء فى تبليغ الناس ما يشق عليهم. ولو كانت الآية بالعبارة المختصة بالمفرد لجعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصرروا واستكبروا واستكباراً، وهذه الحكمة مطردة فى كل ما جاء فى القرآن الحكيم من آيات فضل امير المؤمنين واهل بيته الطاهرين كما لا يخفى وقد اوضحنا هذه الجمل واقمنا عليها الشواهد القاطعة والبراهين الساطعة فى كتابينا (سبيل المؤمنين) و (تنزيل الآيات) والحمد لله على الهداية والتوفيق والسلام. (١)

### الاقوال الاخر :

قد عرفت القولين المعروفين حول الآية كما عرفت الحق الواضح منهما فهلم معى ندرس سائر الاقوال الشاذة التى لا تعتمد الى ركن وثيق وانما هى آراء مختلفة لاجل الفرار عن المشا كل المتوجهة الى ثانى القولين ونحن نذكرها واحداً بعد آخر على نحو الايجاز.

- ١- المراد من «البيت» هو «بيت الله الحرام» والمراد من اهله هم المقيمون حوله
- ٢- المراد من «البيت» هو مسجد النبى ﷺ والمراد من اهله هم القاطنون

حوله و كان لبيوتهم باب الى المسجد .

٣ - المراد من تحرم عليهم الصدقة وهم ولد ابى طالب : على ، جعفر ، وعقيل ، وولد العباس .

٤ - المراد من البيت النسب والحسب فيعم ابناء النبي ﷺ ونساءه (١) وهذه الوجوه كلها عليّة .

اما الاول والثاني فلان اطلاق «اهل البيت» واستعماله في اهل مكة والمدينة استعمال بعيد لا يحمل عليه الكلام الابقرينة قطعية ، والمتبادر منه هو أهل بيت الرجل وعلى ذلك جرى الذكر الحكيم في موردين احدهما في قصة ابراهيم قال: سبحانه: قالوا تعجبين من امر الله، رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت. (هود-٧٢) وثانيهما في قصة موسى قال سبحانه: هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه .

(القصص - ١٢)

اضف اليه ان الآية واقعة في سياق البحث عن نساء النبي فصرف الآية عنه ﷺ وارجاعها الى من جاور بيت الله او من بات حول مسجده لا يساعد عليه ظاهر الآيات ابدأ .

ويتلوهما الثالث: فان تفسير «اهل بيت النبي ﷺ بمن تحرم عليه الصدقة من صلب ابى طالب والعباس تفسير بلا شاهد و كأنه حمل البيت على البيت النسبي اضف اليه ان الصدقة غير محرمة على خصوص ابنائهما بل هي محرمة على ابنائهما وكل من كان من نسل عبدالمطلب .

قال الشيخ الطوسي في الخلاف: تحرم الصدقة المفروضة على بنى هاشم من ولد ابى طالب العقيليين والجعافرة والعلويين، وولد العباس بن عبدالمطلب وولد ابى لهب وولد الحارث بن عبدالمطلب ولاعقب لهاشم الامن هؤلاء ولايحرم على ولد

(١) لاحظ في الوقوف على هذه الاقوال تفسير الطبرى ج ٢٢ ص ٥ - ٧ وتفسير القرطبي ج ١٤ ص ١٨٢ ومفاتيح الغيب للرازي ج ٦ ص ٦١٥ والكشاف ج ٢ ص ٥٣٨ وغيرها .



المطلب ونوفل وعبد شمس بن عبد مناف قال الشافعي : تحرم الصدقة المفروضة على هؤلاء كلهم وهم جميع ولد عبدمناف (١) .

وقال بمثله ايضا في كتاب قسمة الصدقات ج ٢ ص ٣٥٣ . المسئلة ٢٦ .

وعلى ذلك فليس لهذه النظرية دليل سوى مارواه مسلم عن زيد بن ارقم وقد قدمنا نصه عند ذكر الاحاديث الواردة حول الاية . (٢)

واما النظرية الرابعة : فقد ذهب اليها بعضهم جمعاً بين الاحاديث المتضاربة الحاكية عن نزول الاية في العترة الطاهرة ، وسياق الايات الدالة على رجوعها الى نسائه ، فحاول القائل الجمع بين الدليلين بتفسير الاية باولاده وازواجه وجعل علياً ايضا منهم بسبب معاشرته وملازمته للنبي ﷺ .

قال الرازي : والاولى ان يقالهم : اولاده وازواجه والحسن والحسين منهم وعلى معهم لانه كان من اهل بيته بسبب معاشرته بيت النبي وملازمته . (٣)

وقال البيضاوي : والتخصيص بهم (اولاده) لايناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم من اهل البيت لان غيرهم ليس منهم . (٤)

٥- وقال المراغي : اهل بيته من كان ملازماً له من الرجال والنساء والازواج والاماء والاقارب . (٥)

### وهذه النظرية موهونة ايضاً :

اولاً : ان اللام في «اهل البيت» ليس للجنس ولا للاستغراق ، بل هي لام العهد وهي تشير الى بيت معهود بين المتكلم والمخاطب وهو بيت واحد ، ولو صح ذلك القول لوجب ان يقول «اهل البيوت» حتى يعم الازواج والاولاد وكل من يتعلق بالنبي نسباً او حسباً او لعلاقة السكنية مثل الاماء .

(١) الخلاف كتاب الوقوف والصدقات ج ٢ ص ٢٢٧ - المسئلة ٤

(٢) لاحظ ص ٢٩٤ - الحديث ٣٥ (٣) مفاتيح الغيب ج ٦ ص ٦١٥

(٤) نوار التنزيل ج ٤ ص ١٦٢ (٥) تفسير المراغي ج ٢٢ ص ٧

والحاصل انه لو اريد «بيت النبي» المادى الجسمانى لا يصح، اذ لم يكن له بيت واحد، بل كان لكل واحدة من نساؤه بيت مشخص، فكان النبي صاحب البيوت لا البيت الواحد :

ولو اريد منه بيت النسب، كما يقال «بيت من بيوتات حمير» او «ربيعة» فلازمه التعميم الى كل من ينتمى الى هذا البيت بسبب او سبب، مع انه كان بعض المنتميين اليه يوم نزول الاية من عبدة الوثن واعداء النبي، فان سورة الاحزاب نزلت سنة ست من الهجرة وقد ورد فيها زواج النبي من زينب بنت جحش وهو حسب ما ذكره صاحب تاريخ الخميس من حوادث سنة الخمس وعلى ذلك فلا تتجاوز الايات النازلة في نساء النبي عن هذا الحد وكان عند ذلك، بعض من ينتمى الى النبي بالنسب مشركا كابي سفيان بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله، وعبدالله بن امية بن المغيرة ابن عمته وقد اسلما في عام الفتح وانشد الاول قوله في اسلامه واعتذر الى النبي مما كان مضى منه فقال :

لعمرك انى يوم احمل راية      لتغلب خيل اللات، خيل محمد  
لكالمدايح الحيران اظلم ليله      فهذا اوانى حين اهدى واهتدى (١)

ولو اريد منه «بيت الوحي» فلازمه الاختصاص بمن بلغ في الورع والتقوى ذروتها، حتى يصح عده من اهل ذلك البيت الرفيع المعنون، ومثله لا يعم كل من ينتمى بالوشائج النسبية او الحسبية الى هذا البيت وان كان في جانب الايمان والعمل في درجة نازلة تلحقه بالعادين من المسلمين .

ثانيا : قد عرفت ان الارادة الواردة في الاية تكوينية تعرب عن تعلق ارادته الحكيمة على عصاة اهل ذلك البيت ومعه كيف يمكن القول بان المراد كل من ينتمى الى ذلك البيت بوشائج النسب والحسب .

ثالثا : ان النظرية في جانب مخالف للاحداث المتضاربة الدالة على نزول الاية في حق العترة الطاهرة، وقد قام النبي ﷺ بتفسيرها بوجوده مختلفة او عزنا



اليها عند البحث عن القول الاول . والنبي ﷺ هو المبين الاول لمفاد كتابه الذي ارسل معه قال سبحانه : وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون . (النحل - ٤٤)

فليست وظيفة النبي ﷺ القراءه والتلاوة بل التبيين والتوضيح من وظائفه التي تنص الاية عليها .

هذا هو موجز القول في تفسير الاية ولا باس باكمال البحث بنقل بعض ما انتجته قريحة الشعراء الاسلاميين حول اهل البيت وفضائلهم ، على وجه يعرب ان المتبادر من ذلك اللفظ في القرون الاسلامية لم يكن الا العترة الطاهرة اعنى فاطمة واباها وبعلمها وابناها ( سلام الله عليهم اجمعين ) واليك نزراً يسيراً في هذا المجال .

#### اهل البيت في الادب العربي :

قال عمرو بن العاص في قصيدته الجبلية المعروفة بمدح بها الامام علي بن ابي طالب وفيها هذا البيت في حق العترة الطاهرة :

فوال مواليد ياذا الجلال      وعاد معادي اخ المرسل  
ولانقضوا العهد من عترتي      فقاطعهم بي لم يوصل

الغدِير ج ٢ ص ١١٥

وقال الكميت بن زيد الاسدي من قصيدة .

ألم ترني من حب آل محمد      اروح واغدو خائفاً اترقب  
فان هي لم تصلح لحي سواهم      فان ذوى القربى احق واوجب  
يقولون لم يورث ولولا ترائه      لقد شركت فيها بكيل وارحب

(الغدِير ج ٢ ص ١٩١)

قال العبدى الكوفى (المتوفى - ١٢٠) على ما في اعيان الشيعة ، والغدير

(ج ٢ ص ٢٩٠ - ٣٢٦)

ولما رايت الناس قد ذهبت بهم  
 ر كبت على اسم الله في سفن النجاة  
 و امسكت حبل الله وهو ولاؤهم  
 وقال الامام الشافعي كما في الغدير ج ٢ ص ٣٠٢ .  
 مذاهبهم في ابحر الغي والجهل  
 وهم اهل بيت المصطفى خاتم الرسل  
 كما قد امرنا بالتمسك بالحبل  
 يا اهل بيت رسول الله حبكم  
 كفاكم من عظيم القدر انكم  
 فرض من الله في القرآن انزله  
 من لم يصل عليكم لاصلاة له  
 وذكر ابن الصباغ المالكي في الفصول ص ١٣ لقائل : كما في الغدير ج ٢  
 ص ٣١٠ - ٣١١ .

هم العروة الوثقى لمعتصم بها  
 مناقب في الشورى وسورة هل اتى  
 وهم آل بيت المصطفى فودادهم  
 وذكر الشبلنجي في نور الابصار ص ١٣ عن ابي الحسن بن جبير كما في  
 الغدير ج ٢ ص ٣١١ .  
 مناقبهم جاءت بوحي وانزال  
 وفي سورة الاحزاب يعرفها التالي  
 على الناس مفروض بحكم واسجال  
 فاني ارى للبغضاء في حقهم كفرا

احب النبي المصطفى وابن عمه  
 هم اهل بيت اذهب الرجس عنهم  
 موالاتهم فرض على كل مسلم  
 وما انا للصحب الكرام بمبغض  
 وقال العبدى : كما في الغدير ج ٢ ص ٣١٧ .  
 علياً و سبطيه و فاطمة الزهرا  
 واطلعهم افق الهدى انجماً زهرا  
 وحبهم اسنى الذخائر للاخرى  
 فاني ارى للبغضاء في حقهم كفرا

ياسادتي يا بني علي  
 من ذا يواز يكم و اتم  
 انتم نجوم الهدى اللواتي  
 لولا هداكم اذاً ضللنا  
 لازلت في حبكم اوالى  
 و ما تزودت غير حبي  
 يا « آل طه » و « آل صاد »  
 خلائف الله في البلاد  
 يهدى بها الله كل هاد  
 و التبس الغي بالرشاد  
 عمرى وفي بغضكم اعادى  
 اياكم و هو خير زاد



وذاك ذخري الذي عليه  
ولاكم و البراءة ممن  
وقال دعبل الخزاعي : كما في الغدير ج ٢ ص ٣٨١ - ٣٨٢ .  
انسكب دمع العين بالعبرات  
و تبكى لاثار لال محمد  
الا فابكهم حقا و بل عليهم  
ولانس في يوم الطفوف مصابهم  
سقى الله اجدائاً على ارض كربلا  
وصلى على روح الحسين حبيبه  
قتيلا بلا جرم فجعنا بفقده  
انا الظامىء العطشان في ارض غربة  
وقدر فعوار أس الحسين على القنا  
فقل لابن سعد عذب الله روحه  
سأقنت طول الدهر ماهبت الصبا  
على معشر ضلوا جميعاً وضيعوا  
وقال ايضاً :

نطق القرآن بفضل آل محمد  
بولاية المختار من خير الذى  
بعد النبى الصادق المتودد

وقال الحماني المتوفى ٣٠١ : كما في الغدير ج ٣ ص ٦٦ .

يا آل حاميم الذين بحبهم  
كان المديح حلى الملوك وكنتم  
بيت اذا عد المآثر اهله  
قوم اذا اعتدلوا الحمايل اصبحوا  
نشؤوا بآيات الكتاب فما انتنوا  
حكم الكتاب منزل تنريلا  
حلل المدايح غرة و حجولا  
عدوا النبى وثانياً جبريلا  
متقسمين خليفة و رسولا  
حتى صدرن كهولة و كهولا

ثقلان لن يتفرقا اربطفيا  
 و خليفتان على الانام بقوله  
 فاتوا اكف الآسين فاصبحوا  
 بالحوض من ظمأ الصدور غليلا  
 الحق اصدق من تكلم قيلا  
 ما يعدلون سوى الكتاب عديلا  
 وقال العجلوني المتوفى ١١٦٢ : كما في الغدير ج ٣ ص ١٧٣ .

لقد حاز آل المصطفى اشرف الفخر  
 فحبهم فرض على كل مؤمن  
 و من يدعى من غيرهم نسبة له  
 وقد خص منهم نسل زهراء الاشرف  
 و يغنيهم عن لبس ما خصهم به  
 ولم يمتنع من غيرهم لبس اخضر  
 وقد صححواعن غيره حرمة الذي  
 بنسبتهم للطاهر الطيب الذكر  
 اشار اليه الله في محكم الذكر  
 فذلك ملعون اتى اقبح الوزر  
 باطراف تيجان من السندس الخضر  
 وجوه لهم ابهى من الشمس والبدر  
 على رأى من يعزى لاسيوط ذى الخبر  
 رآه مباحاً فاعلم الحكم بالسبر  
 وقال جرير بن عبدالله البجلي : كما في الغدير ج ٣ ص ٢٣٣

فصلى الا له على احمد  
 وصلى على الطهر من بعده  
 عليا عنيت وصى النبي  
 له الفضل و السبق و المكرما  
 رسول المليك تمام النعم  
 خليفتنا القائم المدعم  
 يجالده عنه غواة الامم  
 ت و بيت النبوة لا المهتمم  
 وقال الزاهي المتوفى ٣٥٢ : كما في الغدير ج ٣ ص ٣٩١

يا سادتي يا آل ياسين فقط  
 لو لاكم لم يقبل الفرض ولا  
 انتم ولاة العهد فى الذر ومن  
 ما احد قايسكم بغيركم  
 الا كمن ضاهى الجبال بالحصى  
 وقال ايضا ضمن ابيات  
 عليكم الوحي من الله هبط  
 رحا لبحر العفو من اكرم شط  
 هوا هم الله علينا قد شرط  
 ومازج السلسل بالشرب اللمط  
 او قايس الابحر جهلا بالنقط

هم آل احمد و الصيد الجحاحجة الزهر  
 هر الغطارفة العلوية الغرر



وقال ايضاً

يا آل احمد ماذا كان جرمكم فكل ارواحكم بالسيف تنتزع

الى اخر الايات كما فى الغدير ج ٣ ص ٣٩٦

قال الناشء الصغير المتوفى ٣٦٥ : كما فى الغدير ج ٤ ص ٢٥

بآل محمد عرف الصواب وفى آياتهم نزل الكتاب

هم الكلمات والاسماء لاحت لادم حين عزله المتاب

وهم حجج الاله على البرايا بهم و بحكمهم لا يستراب

الى اخر الايات ويقول فيها:

يقول لقد نجوت باهل بيت بهم يصلى لظى وبهم يثاب

هم النبأ العظيم و فلك نوح و باب الله و انقطع الخطاب

وقال البشنوى الكردي المتوفى بعد ٣٨٠ كما فى الغدير ج ٤ ص ٣٥

أليّة ربي بالهدى متمسكا باثنى عشر بعد النبي مراقباً

ابقى على البيت المطهر اهله بيوت قريش للديانة طالباً

وقال ايضاً كما فى الغدير ج ٤ ص ٣٨ .

يا ناصبى بكل جهدك فاجهد انى علقى بحب آل محمد

الطيبين الطاهرين ذوى الهدى طابوا وطاب وليهم فى المولد

واليتهم و برئت من اعدائهم فاقبل ملامك لا ابا لك أوزد

فهم امان كالنجوم و انهم سفن النجاة من الحديث المسند

وقال صاحب بن عباد المتوفى ٣٨٥ كما فى الغدير ج ٤ ص ٦٠

او اليكم يا آل بيت محمد فكلكم للعلم و الدين فرقد

و اترك من ناواكم وهو هتكه ينادى عليه مولد ليس يحمد

وقال ابن الحجاج البغدادي المتوفى ٣٩١ : كما فى الغدير ج ٤ ص ٨٩

فما وجدت شفاء تستفيد به الا ابتغاءك تهجو آل ياسين

كافاك ربك اذ أجزتك قدرته بسب اهل العلا الغر الميامين

الى ان يقول :

وان اجر ابن سعد في استباحة آل النبوة اجر غير ممنون

وقال ابو الفتح كشاجم المتوفى ٣٦٠ من قصيدة كما في الغدير ج ٤ ص ٣

له في البكاء على الظاهرين مندوحة عن بكاء الغزل

فكم فيهم من هلال هوى قبيل التمام و بدر اقل

هم حجج الله في خلقه و يوم المعاد على من خذل

و من انزل الله تفضيلهم فرد على الله ما قد نزل

فجدتهم خاتم الانبياء ويعرف ذاك جميع الملل

وقال ايضا في الغدير ج ٤ ص ١٧

آل النبي فضلتكم فضل النجوم الزاهرة

و بهرتم اعدائكم بالمآثرات السائرة

وقال ابو محمد الصوري الشاعر المتوفى ٤١٩ كما في الغدير ج ٤ ص ٢٢٢ ٢٢٥

فهل ترك البنين من ارتجيه من الاولين والآخريننا

سوى حب آل نبي الهدى فحبهم اميل الاملينا

هم عدتي لوفاتي هم نجاتي هم الفوز للفائزيننا

وقال من قصيدة في اهل البيت كما في الغدير ج ٤ ص ٢٢٧

بما ذا ترى تحتج يا آل احمد على احمد فيكم اذا ما أستعدت

واشهر ما يروونه عنه قوله : تركت كتاب الله فيكم وعترتي

و لكن دنياهم سعت فسعوا لها فتلك التي فلت ضميراً عن التي

وقال ايضا من قصيدة كما في الغدير ج ٤ ص ٢٢٧ - ٢٢٨

فلهذا ابنا احمد ابنا علي طرا يد الافساق

فقراء الحجاز بعد الغنى الاكبر اسرى الشام قتلى العراق

جانبتهم جوانب الارض حتى خلت ان السماء ذات انطباق

ان اقصر يا آل احمد او أغر ق كان التقصير كالانغراق



وقال الشبراوى الشافعى فى كتابه الاتحاف بحب الاشراف ص ٩٩  
 آل طه و من يقل آل طه      مستجيراً بجاهكم لا يبرد  
 حبكم مذهبى وعقد يقينى      ليس لى مذهب سواه و عقد  
 وقال ايضاً فى قصيدة اخرى ص ١٠٠.

آل بيت النبى مالى سواكم      ملجأ ارتجيه للكرب فى غد  
 لست اخشى رب الزمان وانتم      عمدتى فى الخطوب يا آل احمد  
 من يضاهاى فخاركم آل طه      و عليكم سراق العز ممتد  
 الى ان يقول فى قصيدته هذه

يا الهى مالى سوى حب آل البيت      آل النبى طه الممجد  
 انا عبد مقصر لست ارجو      عملاً غير حب آل محمد  
 وقال ايضاً من قصيدة فى ص ١٠٣

يا كرام الانام يا آل طه      حبكم مذهبى و عقد ولائى  
 ليس لى ملجأ سواكم و ذخر      ارتجيه فى شدتى و رخائى  
 فاز من زار حبيكم آل طه      وجنا منكم ثمار العطاء

وقال ايضاً فى قصيدة فى ص ١٠٦ - ١٠٩

انا فى عرض آل بيت نبى      طهر الله بيتهم تطهيراً  
 سادة اتقياء اعطاهم الله      مقاماً ضخماً و ملكاً كبيراً  
 الى ان يقول

يا بحور الكمال يا آل طه      كم منتم و كم جبرتم كسيراً  
 هل على غير نبيكم نزل الو      حى بجبريل خادماً ماموراً  
 هل سواكم قد اذهب الله عنه الرج      س نصاً فى ذكره مسطوراً

«اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده»

( الانعام - ٩٠ )

الشيعة وآية التطهير :

استدللت الشيعة عن بكرة ابيها بآية التطهير على عصمة العترة الطاهرة وافاض المفسرون منهم القول حول الاية واتوا ببيانات شافية في وجه دلالتها على عصمتهم وهناك جماعة من العلماء قاموا بتأليف رسائل مفردة حول دلالتها وشأن نزولها ، نشير الى ما وقفنا عليه في ما يلي .

١ - السحاب المطير في تفسير آية التطهير للسيد السعيد القاضي نور الله المرعشي الشهيد عام ١٠١٩ .

٢ - تطهير التطهير تأليف الفاضل الهندي المتوفى عام ١٠٣٥ .

٣ - شرح تطهير التطهير تأليف السيد عبد الباقي الحسيني كتبه شرحاً لكتاب الفاضل الهندي .

٤ - اذهاب الرجس عن حظيرة القدس للعلامة الشيخ عبد الكريم بن محمد طاهر القمي .

٥ - الصور المنطبعة له ايضا في هذا المجال .

٦ - اقطاب الدوائر للعلامة عبد الحسين بن مصطفى احد علمائنا في القرن الثاني عشر فرغ عنه عام ١١٣٨ وطبعت عام ١٤٠٣ .

٧ - تفسير آية التطهير تأليف الشيخ اسماعيل بن زين العابدين الملقب بمصباح المتوفى عام ١٣٠٠ .

٨ - التنوير في ترجمة رسالة « آية التطهير » باللغة الاوردية تأليف السيد عباس الموسوي طبع في الهند عام ١٣٤١ وهو ترجمة لرسالة السيد القاضي نور الله .

٩ - جلاء الضمير في حل مشكلات آية التطهير للشيخ محمد البحراني طبع في بمبسيء عام ١٣٢٥ .

١٠ - رسالة قيمة في تفسير آية التطهير للعلامة المحقق الشيخ لطف الله الصافي طبع عام ١٤٠٣ من منشورات دار القرآن الكريم في قم المقدسة . وله رسالة اخرى في العصمة طبعت معها حياه الله وبياه .



١١ - آية التطهير في جزءين للسيد الجليل : على الاطحي وقد استقصى الكلام فيها حول الماثورات الواردة فيها في الجزء الاول ، ودلالاتها على العصمة في الجزء الثاني .

١٢ - اخيرها - لاخرها - ماقدمناك في هذه الصحائف لكاتب هذه السطور عفى الله عنه . ورزقه شفاعة اهل بيته يوم لا ينفع مال . لابنون . الى هنا قد خرجنا بالنتيجتين التاليتين :

الاولى : ان الانبياء معصومون من الذنب والعصيان وعلى الاصح من الخطاء والنسيان، وقد تعرفت على الدلائل المشرقة ، كما تعرفت على ضآلة ادلة المخطئة لعصمتهم .

الثانية : ان الامام هو من يؤم ويقصد ويتخذ دليلا واسوة، ومن لوازم الامامة كونه مفترض الطاعة ، وقد عرفت دلائل هذا المعنى .

وبما ان اهل السنة يعتقدون بعدالة الصحابة ، عدالة قريبة من العصمة ، ولا يجوزون نسبة الذنب والعصيان اليهم ، وهم وان كانوا لا يصرحون بذلك ، لكنهم يتعاملون معهم معاملة العدل المطلق، النزيه من الذنب، القريب من العصمة. كما أنهم يعتقدون بأطاعة السلطان الجائر او حرمة الخروج عليه وان لم تجب اطاعته على تفصيل في اقوالهم وآرائهم .

فلأجل وجود المناسبة بين النتيجتين المتقدمين وما يعتقداه اهل السنة في حق الصحابة والسلطان الجائر، عقدنا بحثين آخرين حول الموضوعين المذكورين واليك عنوانهما :

١ - عدالة الصحابة بين العاطفة والبرهان :

٢ - اطاعة السلطان بين الوجوب والحرمة .

وتقدم البحث عن الثاني على الاول: لكونه امس بحياتنا اليومية في المنطقة

الاسلامية .

١ - اطاعة السلطان بين الوجوب والحرمة .

٢ - عدالة الصحابة بين العاطفة والبرهان .



## في هذا الفصل :

- ١ - اطاعة السلطان العادل من صميم الدين وبيان دلائله .
- ٢ - اطاعة السلطان الجائر ورأى اهل السنة فيها .
- ٣ - حكم الخروج عليه وجوباً وحرمة .
- ٤ - الاحاديث التي استدلت الحنابلة بها على وجوب اطاعة الحاكم الجائر وحرمة الخروج عليه .
- ٥ - عرض تلك الاحاديث على كتاب الله اولاً ، والسنة الصحيحة ثانياً ، واحاديث العترة الطاهرة ثالثاً ، وسيرة السلف رابعاً .
- ٦ - محاولة الاستاد «ابوزهرة» لتصحيح نظرية امام الحنابلة في هذا المورد وبيان ضعفها .
- ٧ - الصراع الدائم بين العقيدة والوجدان في نظائر المقام .
- ٨ - من هو الصحابي وتعريفه المختلفة والغاية السياسية بها .
- ٩ - نظرية عدالة الصحابة كلهم وتقييم تلك النظرية .
- ١٠ - الصحبة ليست بمادة كيميائية تقلب المصاحب الى انسان مثالي .
- ١١ - الذكر الحكيم واصناف الصحابة المختلفة
- ١٢ - الصحابة في السنة النبوية
- ١٣ - الصحابة والتاريخ المتواتر
- ١٤ - آراء الصحابة بعضهم حول بعض
- ١٥ - النظرية الوسطى في الصحابة نظرية الشيعة المنعكسة في دعاء الامام السجاد
- ١٦ - كلام ابي المعالي الجويني ونقد بعض الزيدية له
- ١٧ - النسبة المفتعلة الى الشيعة الامامية وابطالها .

## اطاعة السلطان بين الوجوب والحرمة

اطاعة الحاكم العادل من صميم الدين ، قال سبحانه : «اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» (النساء - ٥٩) ، وليس المراد منه اطاعة مطلق ولاية الأمر بل المراد خصوص العدول منهم بقريضة النهي عن اطاعة المسرفين والغافلين عن ذكر الله سبحانه ، والمكذبين والأمين وغيرهم ، قال سبحانه : «ولانطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطاً» (الكهف - ٢٨) ، وقال سبحانه : «يا ايها النبي اتق الله ولانطع الكافرين والمنافقين» (الاحزاب - ١) وقال سبحانه : «ولانطع المكذبين» (القلم - ٨) ، وقال تعالى : «ولانطع كل حلاف مهين» (القلم - ١٠) ، وقال سبحانه : «فاصبر لحكم ربك ولانطع آنماً او كفوراً» (الانسان - ٢٤) وقال تعالى : «ولاطيعوا أمر المسرفين» (الشعراء - ١٥١) الى غير ذلك من الآيات الناهية عن طاعة الطغاة العصاة . فقريضة هذه الآيات الناهية يصح ان يقال ان المراد من الأمر باطاعة اولى الأمر ، هو اطاعة العدول منهم وقد تضافرت الروايات على وجوب اطاعة السلطان العادل المعربة عن عدم وجوب اطاعة السلطان الجائر او حرمتها ، قال رسول الله ﷺ : «السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الارض ويرفع له عمل سبعين صديقاً» (١) . وقال ﷺ : «مامن أحد أفضل منزلة من امام ان قال صدق ، وان حكم عدل

(١) كنز العمال ، ج ٦ ، ص ٦ الحديث ١٤٥٨٩ .



وان استرحم رحم (١) .

وقال عليه السلام : «أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم مجلسا ، امام عادل ، وأبغض الناس الى الله وأبعدهم منه امام جائر» (٢) .

وقال عليه السلام : «السلطان ظل الله في الارض يأوى اليه الضعيف ، وبه ينصر المظلوم ، ومن اكرم سلطان الله في الدنيا اكرمه الله يوم القيامة» (٣) .

وقال عليه السلام : «ثلاثة من كن فيه من الائمة صلح ان يكون اماما اضطلع بامانتة: اذا عدل في حكمه ، ولم يحتجب دون رعيته ، واقام كتاب الله تعالى في القريب والبعيد» (٤) . . . الى غير ذلك من الروايات التي يقف عليها المتتبع في الجوامع الحديثية .

هذا من طريق أهل السنة ، وأما من طريق الشيعة فحدث عنه ولا حرج . روى عمر بن حنظلة عن الصادق عليه السلام في لزوم طاعة الحاكم العادل: «من روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف احكامنا فليرضوا به حكما فاني جعلته عليكم حاكما فاذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه ، فانما استخف بحكم الله وعلينا رد ، والراد علينا الرد على الله وهو على حد الشرك بالله» (٥) .

ونكتفي بقول الامام الحسين بن علي عليهما السلام في كتابه الى أهل الكوفة حيث قال عليه السلام : فلمعري ما الامام الا الحاكم بالكتاب ، القائم بالقسط ، الدائن بدين الحق . الحابس نفسه على ذات الله (٦) .

اذاً فوجوب اطاعة السلطان العادل مما لا شك فيه ولا يحتاج الى «اسهاب الكلام فيه :

(١) (٢ ، ٣) المصدر السابق الحديث ١٤٥٩٣ ، ١٤٦٠٤ ، ١٤٥٧٢ .

(٤) المصدر السابق ج ٥ الحديث ١٤٣١٥ .

(٥) الوسائل الجزء ١٨ الباب ١١ من أبواب صفات القاضي الحديث ١ .

(٦) بحار الانوار ج ١٥ ص ١١٦ والطبرى ج ٤ احداث سنة ٦٠ ص ٢٦٢ .

## «اطاعة السلطان الجائر» :

اتفقت كلمة الحنابلة ومن لف لفهم على وجوب اطاعة السلطان الجائر واليك  
نصوصهم .

قال احمد بن حنبل في احدى رسائله : «السمع والطاعة للائمة وأمير المؤمنين ، البر والفاجر ومن ولي الخلافة فأجمع الناس ورضوا به ومن غلبهم بالسيف ، وسمى أمير المؤمنين ، والغزوماض مع الامراء الى يوم القيامة ، البر والفاجر ، واقامة الحدود الى الائمة ، وليس لاحد أن يطعن عليهم وينازعهم ، ودفع الصدقات اليهم جائز من دفعها اليهم اجزأت عنهم برأ كان او فاجراً وصلاة الجمعة خلفه وخلف كل من ولي ، جائزة اقامته ، ومن أعادها فهو مبتدع تارك للاوتار مخالف للسنة» (١) .

ومن خرج على امام من ائمة المسلمين وقد كان الناس قد اجتمعوا عليه واقروا له بالخلافة باى وجه من الوجوه ، كان بالرضاء او بالغلبة فقد شق الخارج عصا المسلمين وخالف الاثار عن رسول الله فان مات الخارج عليه ، مات ميتة جاهلية هذا الرأى المنقول عن امام الحنابلة لا يمكن انكار صحته نسبه اليه ولاجل ذلك قال الاستاذ أبوزهرة : «ولا احمد رأى يتلاقى فيه مع سائر الفقهاء وهو جواز امامة من تغلب ورضيه الناس واقام الحكم الصالح بينهم بل انه يرى اكثر من ذلك ان من تغلب وان كان فاجراً تجب اطاعته حتى لا تكون الفتن» (٢) .

والعبارة التى نقلناها عن امام الحنابلة تعرب عن وجوب اطاعة الجائر ولو أمر بمعصية الخالق وهو أمر عجيب منه جدا مع أن اكثر الاشاعرة الذين يحرمون الخروج عليه ، لا يوجبون طاعته كما سترى عند ما نوافيك بنصوصهم ولغرابة رأى ابن حنبل هذا ، ذيله أبوزهرة بقوله : ولكنه ينظر فى هذه القضية

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية : لابي زهرة ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٢١ .



الى مصلحة المسلمين وانه لا بد من نظام مستقر ثابت وان الخروج على هذا النظام يحل قوة الامة ، ويفك عراها ، ولانه رأى من أخبار الخوارج وفتنتهم ما جعله يقرر أن النظام الثابت اولى وان الخروج عليه يرتكب فيه من المظالم اضعاف ما يرتكبه الحاكم الظالم .

ثم انه ينظر في القضية نظرة أتباع فان التابعين عاشوا في العصر الاموي الى اكثر من ثلثي زمانه قد رأوا مظالم كثيرة ومع ذلك نهوا عن الخروج ولم يسيروا مع الخارجين وكانوا ينصحون الخلفاء والولاة ان وجدوا آذانا تسمع ، وقلوبا تفقه ، وفي كل حال لا يخرجون ولا يؤيدون خارجه . (١)  
وهذا التوجيه من الاستاذ غريب جدا :

اما اولا : فلان الخروج على النظام الظالم اذا كان موجبا لحل قوة الامة وفك عراها ، يكون الصبر عليه تشويقا لتماديه في الظلم ، واكثر الضغط على الامة وبالنتيجة : تحويل الدين وتحريفه عما هو عليه من الحق ... فأى فائدة تكمن في حفظ قوة أمة ، انحرف عن صراطها وتبدلت سننها وتغيرت أصولها. فان الظالم لا يرى لظلمه حداً ولتعديه ضوابط ، فلو رأى أن الاسلام بواقعه يضاد آرائه الشخصية وميوله الخبيثة، عمد الى تغييره وتحويله فليس يقتصر ظلم الظالم على التعدي على النفوس والاموال ، بل الراكب على أعناق الناس ، يغير كل شيء كيفما يريد ، وحيثما يرى انه لصالح شخصه، والتاريخ شاهدنا الاصدق على ذلك وثانيا فان الاستاذ ابا زهرة نسب الى التابعين الذين عاشوا في العصر الاموي الى اكثر من ثلثي زمانه بأنهم رأوا مظالم كثيرة ومع ذلك نهوا عن الخروج ولم يسيروا مع الخارجين... ولكنه كيف غفل عن قضية الحرية الدائمة حيث كان الخارجون فيها على الحكومة الغاشمة هم الصحابة والتابعون . . .  
وهذا المسعودي صاحب «مروج الذهب» ينقل الينا لمحفة عما جرى هناك ويقول :

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية : لابي زهرة ج ٢ ص ٣٢٢ .

« ولما انتهى الجيش من المدينة الى الموضع المعروف بالحرّة وعليهم «مسرف» خرج الى حربته أهلها . عليهم عبدالله بن مطيع العروى وعبدالله بن حنظلة الغسيل الانصارى ، وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من بنى هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس ، فقد قتل من آل ابى طالب اثنان: عبدالله بن جعفر بن أبى طالب وجعفر بن محمد بن على بن ابى طالب ومن بنى هاشم من غير آل ابى طالب ، الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، وحمزة بن عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، والعباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبدالمطلب ، وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش ومثلهم من الانصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن ادر كه الاحصاء دون من لم يعرف . (١)

كيف نسي أبوزهرة أولعله تناسى قضية دير الجماجم حيث قام ابن الاشعث التابعى فى وجه الحجاج السفاك بالموضع المعروف بدير الجماجم فكان بينهم نيف وثمانون وقعة تفانى فيها خلق وذلك فى سنة اثنين وثمانين . (٢)

وعلى كل تقدير فقد افتقى اثر احمد بن حنبل جماعة من متكلمى الاشاعرة وادعوا بان هذه عقيدة اسلامية كانت الصحابة والتابعون يدينون بها وانه يجب الصبر على الطغاة الظلمة اذا تصدروا منصة الحكم ، نعم غاية ما يقولون انه لا يجب اطاعتهم اذا أمروا بالحرام والفساد جاعلين قولهم هذا منعطفهم الوحيد عن قول ابن حنبل وبقية أهل الحديث ، واليك نبذة من اقوال القوم :

١- قال الامام الشيخ أبو جعفر الطحاوى الحنفى (المتوفى عام - ٣٢١) فى رسالته المسماة بـ «بيان السنة والجماعة» المشهور بـ «العقيدة الطحاوية» :

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة ولا نرى السيف على احد من أمة محمد الا على من وجب عليه السيف (أى سفك الدم بالنص القاطع كالقاتل والزانى المحصن والمرتد) ولا نرى الخروج على أئمتنا ولا ولاية أمرنا

(١) مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٦٩ - ٧٠ طبع بيروت .

(٢) نفس المصدر السابق ج ٣ ص ١٣٢ .



وان جاروا، ولاندعوا على أحد منهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعات الله عز وجل فريضة علينا ما لم يأمرنا بمعصية (١) .

٢- قال الامام الاشعري من جملة ما عليه اهل الحديث والسنة: ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل امام بر وفاجر . الى ان قال: ويرون الدعاء لائمة المسلمين بالصالح، وان لا يخرجوا عليهم بالسيف، وان لا يقاتلوا في الفتن (٢) .  
٣- وقال الامام ابو اليسر محمد بن عبد الكريم البزودي: الامام اذا جار

أوفسق لا ينعزل عند اصحاب أبي حنيفة باجمعهم وهو المذهب المرضي . . . ثم قال: وجه قول عامة اهل السنة والجماعة اجماع الامة، فانهم رأوا الفساق ائمة، فان اكثر الصحابة كانوا يرون بنى أمية وهم بنو مروان حتى كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلفهم، ويرون قضايانهم نافذة، وكذا الصحابة والتابعون وكذا من بعدهم يرون خلافة بنى عباس واكثرهم كانوا فاسقا. ولان القول بانعزال الائمة بالفسق، ايقاع الفساد في العالم، واثبات المنازعات وقتل الانفس، فانه اذا انعزل يجب على الناس تقليد غيره، وفيه فساد كثير ثم قال: اذا فسق الامام يجب الدعاء له بالتوبة ولا يجوز الخروج عليه وهذا مروى عن أبي حنيفة لان في الخروج اثاره الفتن والفساد في العالم (٣) .

٤- وقال الامام ابوبكر محمد بن الطيب الباقلاني (المتوفى عام ٥٠٣ هـ ق)

في التمهيد:

ان قال قائل: ما الذي يوجب خلع الامام عندكم؟ قيل له: يوجب ذلك أمور: منها كفر بعد ايمان، ومنها تركه الصلاة والدعاء الى ذلك ومنها عند كثير من الناس فسقه وظلمه بغصب الاموال وضرب الابشار وتناول النفوس المحرمة وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود وقال الجمهور من أهل الاثبات وأصحاب الحديث:

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن جعفر الطحاوي طبع دمشق ص ١١٠ و ١١١ .

(٢) مقالات الاسلاميين: ص ٣٢٣ .

(٣) أصول الدين للامام البزودي ط القاهرة ص ١٩٠ - ١٩٢ .

لا يخلع بهذه الامور ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه وتخويله وترك طاعته في شيء مما يدعوا اليه من معاصي الله اذ احتجوا في ذلك باخبار كثيرة متضافرة عن النبي ﷺ وعن الصحابة في وجوب طاعة الائمة وان جاروا واستأثروا بالاموال وانه قال عليه السلام :

«واسمعوا وأطيعوا ولو لعبد اجدع ولو لعبد حبشي وصلوا وراء كل بر وفاجر» وروى انه قال : «وان أكلوا مالك وضربوا ظهرك وأطيعوهم ما أقاموا الصلاة» . (١)

٥ - وقال الشيخ نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي (المتوفى عام ٥٣٧هـ) في العقائد النسفية :

ولا ينزل الامام بالفسق والجور . . . ويجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر وعلله الشارح التفتازاني بقوله : لانه قد ظهر الفسق واشتهر الجور من الائمة والامراء بعد الخلفاء الراشدين ، والسلف كانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمع والاعياد باذنتهم ولا يرون الخروج عليهم . (٢)

وقد أبدت تلك العقائد بر وايات ربما يتصور القارى أن لها مسحة من الحق أولمسة من الصدق لكن الحق ان اكثرها مفتعلة على لسان رسول الله ﷺ قد افرغها في قالب الحديث جمع من وعاظ السلاطين ومر تزقتهم تحفظا على عروشهم وحفظا لمناصبهم واليك بعض تلك الروايات التي رواها مسلم في صحيحه .

١ - روى مسلم عن حذيفة بن اليمان قلت يا رسول الله . . . الى أن قال ، قال رسول الله ﷺ : يكون بعدى ائمة لا يهتدون بهدأى ولا يتسنون بسنتى ، وسيقوم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس قال : قلت كيف أصنع يا رسول الله ان أدركت ذلك قال : تسمع وتطيع للامير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع .

(١) التمهيد : ط القاهرة ص ١٨٦ .

(٢) شرح العقائد النسفية .



٢ - وروى عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال : من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة الجاهلية . . . الى أن قال : ومن خرج على امتي يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لذي عهد عهده فليس مني ولست منه

٣ - روى عن ابن عباس انه قال رسول الله ﷺ : من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فانه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية .

٤ - روى عنه ايضا عن رسول الله ﷺ قال : من رأى من أميره شيئاً فليصبر فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه الامات ميتة جاهلية .

٥ - روى عن عبدالله بن عمر انه جاء الى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال : اخرجوا لابي عبدالرحمان وسادة فقال : انى لم اتيتك لاجلس أيتك لاحدئك حديثا سمعت رسول الله ﷺ يقوله : من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لاحجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية .

وقد فسر قول رسول الله ﷺ ابن عمر بلزوم بيعة يزيد واطاعته حتى فى مسألة الحرة .

٦ - روى عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برء ومن انكر سلم ولكن من رضى وتابع قالوا يا رسول الله : ألا نقاتلهم قال : لا ماصلوا .

٧ - وروى عن عوف بن مالك فى حديث : قيل يا رسول الله أفلا نتابذهم بالسيف ؟ فقال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة واذا رأيتم من ولائكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعته . (١)

وقد أورد ابن الاثير الجزرى قسما من هذه الاحاديث فى جامع الاصول . (٢)

(١) صحيح مسلم باب الامر بلزوم الجماعة ج ٦ وباب حكم من فرق أمر المسلمين ص ٢٠ - ٢٤ .

(٢) لاحظ جامع الاصول ج ٤ الكذب الرابع فى الخلافة والامارة الفصل الخامس ص ٤٥١ . . . الخ .

٨- روى البيهقي في سننه عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ : سيكون بعدى خلفاء يعملون بما يعلمون ، ويفعلون بما يؤمرون وسيكون بعدهم خلفاء يعملون بما لا يعلمون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن انكر عليهم برء ومن أمسك يده سلم ولكن من رضى وتابع (١) .

٩- وروى ابن عبد ربّه عن عبدالله بن عمر : اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر واذا كان الامام جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر (٢) .

وفى مقدم المحدثين احمد بن حنبل فقد جاء فى احدى رسائله ما هذا نصها : السمع والطاعة للائمة وامير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة فاجمع عليه الناس ورضوا به ومن غلبهم بالسيف وسمى أمير المؤمنين ، والغزو ماض مع الامراء الى يوم القيامة (٣) .

وقبل كل شيء يجب علينا ان نعرض تلك الروايات على كتاب الله سبحانه فانه المحك الاول لتشخيص الحديث الصحيح من السقيم . قال سبحانه حاكيا عن العصاة والكفار : «يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول . وقالوا ربنا اطعنا ساداتنا و كبرائنا فاضلونا السبيلا . ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا . (الاحزاب : ٦٦ - ٦٨)

فهذا القسم من الايات بندد بقول من يرى وجوب طاعة السلطان الظالم التى توجب ضلالة المطيع لهم عن السبيل السوى ، وثمة آيات تندد بعمل من يصبر على عمل الطاغية من دون ان يأمره بالمعروف أو ينهاه عن المنكر وترى نفس السكوت والصبر على طغيان الطاغية، جرما واثما موجبا للهلاك وهذه الايات هى الواردة حول قوم من بنى اسرائيل الذين كانوا يعيشون قرب ساحل من سواحل البحر فتقسمهم الى اصناف ثلاثة :

(١) السنن الكبرى ، ج ٨ ، ص ١٥٨ .

(٢) العقد الفريد ، ج ١ ص ٨ .

(٣) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ٢ ص ٣٢٢ .



الاول : الجماعة المعتدية العادية التي رفضت حكم الله سبحانه حيث حرم عليهم صيد البحر يوم السبت قال سبحانه «اذ يعدون فى السبت اذتأنيهم حيثانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأنيهم» . (الاعراف - ١٦٣)

الثانى : الجماعة الساكنة التي اهمتهم انفسهم لايرتكبون ما حرم الله وفى الوقت نفسه لاينهون الجماعة العادية عن عدوانها ، بل كانوا يعترضون على الجماعة الثالثة التي كانت تقوم بواجبها الدينى من ارشاد الجاهل والقيام فى وجه العاصى والطاغى ، بقولهم : «لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا»  
الثالث : الجماعة الآمرة بالمعروف والنهي عن المنكر محتسبين ذلك وظيفة دينية عريقة ونصيحة لازمة للاخوان وقد حكى الله سبحانه على لسانهم فى محكم كتابه العزيز حيث قال : «معدرة الى ربكم ولعلمهم يتقون» .

نرى ان الله سبحانه أباد الطائفتين الاوليين وأنجى الثالثة قال سبحانه : «فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون» . (الاعراف : ١٦٣ - ١٦٥)

فالاية الاخيرة صريحة فى حصر النجاة فى الناهين عن سوء فقط دون العادين والساكتين على عدوانهم . فلو كان السكوت والصبر على عدوان العادين أمرا جائزا لماذا عم العذاب كلتا الطائفتين ؟ أو ما كان فى وسع هؤلاء أن يعتذروا للقائمين بالامر بالمعروف ، بأن فى القيام والخروج وحتى فى النصيحة بالقول تضعيفا لقوة الامة وفكا لعراها ؟ .

فلودلت الاية الاولى على حرمة طاعة الظالم ودلت الاية الثانية على حرمة السكوت فى مقابل طغيان اعادين فهناك آية ثالثة تدل على حرمة الركون الى الظالم بقول سبحانه : «فلاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار» . (هود - ١١٣)  
أوليس تأييد الحاكم الجائر والدعاء له فى الجمعية والجماعات ، واقامة الصلاة بأمره ، وادارة كل شأن خول منه اليد ، يعد ركونا الى الظالم ؟ فما هو جواب هؤلاء المرتزقة فى الدول الاسلامية اصطلاحا الذين يعترفون بجور حكامهم

وانحرفهم عن الصراط السوي ، فمع ذلك يدعون لهم عقب خطب الجمعيات بطول العمر ودوام السلامة ويديرون الشؤون الدينية حسب الخطط التي يرسمها ويصورها لهم اولئك الحكام ، الذين تعدهم أولئك المرتزقة محاور ومراكز ، وانفسهم أقمارا تدور في أفلاكها اللهم الا ان يعتذر هؤلاء بعدم التمكن مما يجب عليهم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على مراتبها المختلفة ولكنه عذر لا يقبل في كثير من الاحيان وعلى ذلك الاساس فما قيمة تلك الروايات المعارضة لنصوص الكتاب وصريح الذكر الحكيم .

أضف الى ذلك أن هناك روايات تنفي صحة الروايات السابقة وتجعلها في مدحرة البطلان و قد نقلها أصحاب الصحاح والسنن أيضا وعند المعارضة يؤخذ من السنة الشريفة ما يوافق كتاب الله الحكيم . واليك نورا من تلك الروايات .  
قال رسول الله ﷺ : «اسمعوا : سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد على الحوض» . (١)  
هذا بعض ما لدى السنة من الروايات واما ما لدى الشيعة فنأتي ببعضها .  
عن رسول الله ﷺ انه قال : الا ومن علق سوطا بين يدي سلطان جعل الله ذلك السوط يوم القيامة تعبانا من النار طوله سبعون ذراعا يسلطه الله عليه في نار جهنم وبئس المصير  
وعنه ﷺ ايضا انه قال : اذا كان يوم القيامة نادى مناد : ابن أعوان الظلمة ، ومن لاق لهم دواة أو ربط لهم كيسا ، أو مد لهم قلم ، فاحشروهم معهم .  
وعنه ﷺ انه قال : من خف لسلطان جائر في حاجة كان قرينه في النار  
وقال ﷺ : ما اقترب عبد من سلطان جائر الا تباعد من الله .  
وعن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : من أحب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله .

وعنه عليه السلام انه قال : من سود اسمه في ديوان الجبارين . . . حشره الله يوم القيامة حيرانا .

(١) جامع الاصول ج ٤ ص ٧٥ نقلا عن الترمذي والنسائي .



وعنه عليه السلام انه قال : من مشى الى ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج عن الاسلام .

وعن الامام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال: ما أحسب أنى عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء وأن لى ما بين لابتيتها لا ولامدة بقلم ، ان أعوان الظلمة يوم القيامة فى سرادق من نار حتى يفرغ الله من الحساب . (١)  
وغيرها من عشرات الاحاديث والروايات الواردة من النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام الناهية عن السكوت على الحاكم الجائر ، والحائنة على زجره ودفعه ، والانكار عليه بكل الوسائل الممكنة فهذه الاحاديث تدل على أن مامر من الروايات الحائنة على السكوت عن الحاكم الظالم ، والانصياع لحكمه ، والتسليم لظلمه ، والرضا بجوره ، جميعها مما لفقته رواة السوء والجور بايعاز من السلطات الحاكمة فى تلك العصور المظلمة ، فنسبوها الى النبي ﷺ وهو ﷺ منها براء لمعارضتها الصريحة لمبادئ الكتاب والسنة.

ولو لم يكن فى المقام الاقول على عليه السلام فى خطبته : « . . . وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم . . . الخ » (٢) لكفى فى وهن تلك الروايات المفتعلة على لسان النبي ﷺ وفى ختام الكلام نلفت نظر القارى الكريم الى مقاله الامام أبو الشهداء الحسين بن على عليهما السلام الى أهالى الكوفة حيث خطب أصحابه وأصحاب الحر ( قائد جيش عبيدالله بن زياد آنذاك ) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ايها الناس ان رسول الله ﷺ قال : من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ، فاكثا لعهد الله ، مخالفا لسنة رسول الله ، يعمل فى عباد الله بالاثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول ، كان حقا على الله أن يدخله مدخله . ألا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة

(١) راجع لمعرفة هذه الاحاديث واثم الشبهة ج ١٢ الباب ٤٢ ، الاحاديث ٦ ،

١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، والباب ٤٤ الحديث ٥ و ٦ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٣ .

الرحمان وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفىء، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيره (١).

وهذه النصوص الرائعة المؤيدة بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين الذين قاموا في وجه الطغاة من بنى أمية وبنى العباس، تشهد بان ما نسب الى الصحابة والتابعين من الاستسلام والسكوت على ظلم الظالمين لكون ذلك من عقيدتهم الاسلامية، ماهو الا بعض مفتعلات أصحاب العروش وقد وضعها وعاظهم ومرزقتهم والافالطيبيون من الصحابة والتابعون بريئون من هذه النسبة

#### صراع بين العقيدة والوجدان :

نرى أن بعض الشباب المسلم في البلاد الاسلامية، قد انخرطوا في الاحزاب السياسية، ورفضوا الدين من اساسه، ولعل بعض السبب هو أنهم وجدوا في أنفسهم صراعا عنيفا بين العقيدة والوجدان. فمن جانب توحى اليهم فطرتهم وعقيدتهم الانسانية السليمة، الى انه يجب مكافحة الظالمين، والخروج عليهم، ونصرة المظلومين، وأخذ حقوقهم من أيدي الظالمين، ومن جانب اخر يسمعون من علماء الدين أو المتزين بلباسه، أنه لا يجوز الخروج على السلطان، بل يجب طاعته، وان امر بالظلم والعدوان، فحينئذ يقع الشاب في حيرة من امره بين اتباع الفطرة والعقل السليم. واتباع كلام هؤلاء العلماء الذين ينطقون باسم الدين خصوصا اذا كان المتكلم رجلا يكيل المجتمع له الاحترام والاكبار، و يعرفه التاريخ بالخطيب الزاهد كالحسن البصرى فانه عندما سئل عن مقاتلة الحجاج ذلك السيف المشهور على الامة والاسلام فأجاب: «أرى أن لا تقاتلوه فانها ان تكن عقوبة من الله، فما انتم براديبها، وان يكن بلائنا فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين» فخرج السائلون من عنده وهم يقولون مستنكرين ماسمعوا منه: انطيع هذا العليج ثم خرجوا مع ابن الاشعث على قتال الحجاج (٢).

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ حوادث سنة ٦١ ص ٣٠٤.

(٢) الطقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٦٤.



فأذا سمع الشاب الثورى هذه الكلمة من عميد الدين وخطيبه - كما يقال - عاد يصف جميع رجال الدين بما وصف به الحسن البصرى و بالتالى يخرج من الدين ويتركه ويصف الدين سنادا للظالم وملجأ له .  
وفى الختام توجه نظر الاعلام من السنة الى خطورة الموقف فى هذه الايام ، وأن أعداء الاسلام لبالمرصاد يصطادون الشباب بسهام الدعاية الكاذبة ، ويعرفون الاسلام بأنه سند الظالمين ، وركن الجائرين بحجة انه ينهى عن الخروج على السلطان الجائر .

والمسلم غير العارف بالدين وماالعقبة ، لايميز بين الحقيقة الناصعة وبين ماالبس عليها من ثوب ردىء قائم .

وليس هذا اول ولاخر مورد يجد الشاب الثورى صراعا فى نفسه بين العقلية الانسانية وبين الدعاية الكاذبة عن الاسلام ، فيختار وحى الفطرة ويصبح نائرا على القوى الطاغية ، ويظن انه ترك الاسلام باعتقاد ان المتروك هو الدين الحقيقى الذى انزل الله تعالى على النبي محمد ﷺ وهذه الجريمة متوجهة بالدرجة الاولى على هذا النمط من العلماء .

فواجب على علماء الدين أن يرجعوا الى المصادر الاسلامية الصحيحة فى تشخيص ماهو من صميم الدين عما الصق به ، ولايقنعوا بما كتب باسم الدين عن السلف الصالح ، وليس كل مانسب الى السلف الصالح أوقالوا به صميم الدين ، كما انه ليس كل سلف صالحا بل هم بين صالح وطالح ، وسعيد وشقى ، وعالم وجاهل وليس كل سلف أفضل وأتقى وأعلم من كل خلف ، فليدرسوا الاصول المسلمة من رأس ، نعم لا اكنتم ان هناك اناسا واقفين على الحقيقة ولكن لاقتضى مصالحهم الشخصية اظهارها وقدنزل فيهم قوله سبحانه: «ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» (البقرة - ١٥٩) كما ان بينهم شخصيات لامعة جاوروا بالحقيقة واصهروا بها و اشتروا رضا الرب باثمان غالية وتضحيات ثمينة .

## عدالة الصحابة بين العاطفة والبرهان

عدالة الصحابة كلهم بلا استثناء، ونزاهتهم من كل سوء هي إحدى الأصول التي يتدين بها أهل السنة وقد راجت تلك العقيدة بينهم حتى اتخذها الإمام الأشعري إحدى الأصول التي يبتنى عليها مذهب أهل السنة جميعاً (١) ونحن نعرض هذه العقيدة على الكتاب أولاً وعلى السنة النبوية الصحيحة ثانياً والتاريخ ثالثاً حتى يتجلى الحق باجلى مظاهره ان شاء الله تعالى وقبل أن ندخل في صلب المسألة نقدم تعريف الصحابي فنقول :

### من هو الصحابي ؟

ان هناك تعاريف مختلفة للصحابي تأتي ببعضها على وجه الاجمال :

١ - قال سعيد بن المسيب : الصحابي لانعده الامن اقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزاه مع غزوة أو غزوتين .

٢ - قال الواقدي : رأينا أهل العلم يقولون كل من رأى رسول الله وقد أدرك فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب رسول الله ، ولو ساعة من نهار ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم في الاسلام .

(١) مقالة الا-لاميين ج ١ ص ٣٢٣ يقول : ويمر فون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه بصحبة نبيه صلى الله عليه وآله يأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم .



٣ - قال احمد بن حنبل : أصحاب رسول الله كل من صحبه شهرا أو يوماً أو ساعة أو رأه .

٤ - قال البخارى : من صحب رسول الله أو رأه من المسلمين فهو أصحابه .

٥ - وقال القاضى ابوبكر محمد بن الطيب : لاختلاف بين اهل اللغة فى ان الصحابى مشتق من الصحبة قليلا كان او كثيراً ثم قال : ومع هذا فقد تقرر للائمة عرف فانهم لا يستعملون هذا التسمية الا فى من كثرت صحبته ولا يجيزون ذلك الا فى من كثرت صحبته لاعلى من لقيه ساعة او مشى معه خطى ، او سمع منه حديثاً فوجب ذلك ان لا يجرى هذا الاسم الاعلى من هذه حاله ومع هذا فان خبر الثقة الامين عنه مقبول ومعمول به وان لم تطل صحبته ولا سمع عنه حديثاً واحداً .

٦ - وقال صاحب الغوالى : لا يطلق اسم الصحبة الاعلى من صحبته ثم يكفى فى الاسم

من حيث الوضع ، الصحبة ولو ساعة ولكن العرف يخصه بمن كثرت صحبته .

قال الجزرى بعد ذكر هذه النقول : قلت : وأصحاب رسول الله على ما شرطوه

كثيرون فان رسول الله شهد حيناً ومعه اثنا عشر الف سوى الاتباع والنساء ، وجاء

اليه « هوازن » مسلمين فاستنقذوا حريمهم وأولادهم . وترك مكة مملوءة ناسا

وكذلك المدينة ايضا وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين فهؤلاء

كلهم لهم صحبة وقد شهد مع نبوك من الخلق الكثير ما لا يحصيهم ديوان وكذلك

حجة الوداع وكلهم له صحبة (١) .

ولا يخفى ان التوسع فى مفهوم الصحابى على الوجه الذى عرفته فى كلماتهم

مما لا تساعد اللغة والعرف المام فان صحابة الرجل عبارة عن جماعة تكون لهم

خلطة و معايشة معه مدة مديدة فلا تصدق على من ليس له حظ الاالرؤية عن بعيد

او سماع الكلام او المكالمة او المحادثة فترة يسيرة او الاقامة معه زمنا قليلا .

وأظن أن فى هذا التبسيط والتوسع غاية سياسية لما سيوافيك من ان النبى

قد تنبأ بارتداد ثلثة من اصحابه بعد رحلته فارادوا بهذا التبسيط صرف هذه النصوص

الى الاعراب وأهل البوادي ، الذين لم يكن لهم حظ من الصحبة الا اللقاء الفصير وسيأتي ان هذه النصوص راجعة الى الملتفين حوله الذين كانوا مع النبي ليلا ونهاراً، صباحاً ومساءً الى حد كان النبي يعرفهم باعيانهم واشخاصهم واسمائهم فكيف يصح صرفها الى أهل البوادي والصحاري من الاعراب فتربص حتى تأتيك النصوص و على كل تقدير فلسنا في هذا البحث بصدد تعريف الصحابة وتحقيق الحق بين هذه التعاريف غير اننا نركز الكلام في ان أهل السنة يقولون بعدالة هذا الجمع الغفير المدعويين باسم الصحابة واليك كلماتهم :

#### عدالة الصحابة جميعهم

قال ابن عبد البر : ثبت عدالة جميعهم (١) .

وقال ابن الاثير: ان السنن التي عليها مدار تفصيل الاحكام ومعرفة الحلال والحرام الى غير ذلك من امور الدين، انما ثبتت بعد معرفة رجال اسانيدھا ورواتها واولهم والمقدم عليهم أصحاب رسول الله فاذا جهلهم الانسان كان بغيرهم أشد جهلاً واعظم انكاراً ، فينبغي أن يعرفوا بأنسابهم واحوالهم ، هم وغيرهم من الرواة حتى يصح العمل بما رواه الثقات منهم . و تقوم به الحجة فان المجهول لا تصح روايته ولا ينبغي العمل بما رواه . والصحابة يشار كون سائر الرواة في جميع ذلك الا في الجرح والتعديل فانهم كلهم عدول لا يتطرق اليهم الجرح لان الله عز وجل ورسوله زكياهم وعدلاهم وذلك مشهور لا يحتاج لذكره (٢) .

وقال الحافظ ابن حجر في الفصل الثالث من الاصابة : اتفق اهل السنة على ان الجميع عدول ولم يخالف في ذلك الا شذوذ من المبتدعة . وقد ذكر الخطيب في الكفاية فصلاً نفيساً في ذلك فقال : عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم واختياره لهم ثم نقل عدة آيات حاول بها اثبات عدالتهم و

(١) الاستيعاب : في اسماء الاصحاح ج ١ ص ٢ في هامش «الاصابة» .

(٢) أسد الغابة ج ١ ص ٣ .



وطهارتهم جميعا الى أن قال : روي الخطيب بسنده الى أبي زرعة الرازي قال :  
إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله فاعلم انه زنديق وذلك أن  
الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة  
وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى  
وهم زنادقة (١) هذه كلمات القوم وكم لها من نظائر نتركها طلبا للاختصار .

### تقييم نظرية عدالة الصحابة كلهم :

تقييم هذه النظرية يتم بتبيين أمور :

١ - ان البحث عن عدالة الصحابي أو جرحه ليس لغاية ابطال الكتاب  
والسنة ، ولا لابطال شهود المسلمين ، لما سيوافيك من أن الكتاب شهد على فضل  
عدة منهم ، وزينغ آخرين وهكذا السنة ، والغاية في هذا البحث هي الغاية في  
البحث عن عدالة التابعين ومن تلاهم من رواة القرون المختلفة ، فالغاية في  
الجميع هي التعرف على الصالحين والظالمين ، حتى يتسنى لنا أخذ الدين عن  
الصلحاء ، والتنزه عن أخذهم عن غيرهم ، فلو قام الرجل بهذا العمل وتحمل العبء  
الثقيل ، لما كان عليه لوم فلو قال أبو زرعة مكان قوله الانف ، هذا القول : « إذا  
رأيت الرجل يتفحص عن أحد من أصحاب الرسول لغاية العلم بصدقه أو كذبه ،  
أو خيره أو شره ، حتى يأخذ دينه عن الخيرة الصادقين ، ويحترز عن الآخرين ،  
فاعلم أنه من جملة المحققين في الدين والمتحررين للحقيقة ، لكان أحسن وأولى  
بل هو الحسن والمتعين .

ومن غير الصحيح أن يتهم العالم أحدا ، يريد التثبت في أمور الدين  
والتحقيق في مطالب الشريعة « بالزندقة وأنه يريد جرح شهود المسلمين لابطال  
الكتاب والسنة ، وما شهود المسلمين الا الاف المكتظة من أصحابه عليهم السلام فلا يضر  
بالكتاب والسنة جرح لفيق منهم وتعديل قسم منهم . وليس الدين القيم قائما

بهذا الصنف من المجرحين ، «ما هكذا تورد يا سعد الابل» .

٢ - ان هذه النظرية تكونت من العاطفة الدينية التي حملها المسلمون تجاه الرسول الاكرم ﷺ وجرتهم الى تبني تلك الفكرة وقد قيل : «من عشق شيئاً عشق لوازمه وآثاره» .

ان صحبة الصحابة لم تكن بأكثر ولا اقوى من صحبة امرأة نوح وامرأة لوط فما اغنتهما عن الله شيئاً قال سبحانه : «ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين» (التحریم - ١٠) .

ان التشرف بصحبة النبي لم يكن اكثر امتيازاً وتأثيراً من التشرف بالزواج من النبي وقد قال سبحانه في شأن أزواجه : «يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً» (الاحزاب - ٣٠) .

٣ - ان أساتذة العلوم التربوية كشفوا عن قانون مجرب وهو أن الانسان الواقع في اطار التربية، انما يتأثر بعماملها اذالم تكمل شخصيته الروحية والفكرية لان النفوذ في النفوس المكتملة شخصية والتأثير عليها والثورة على أفكارها وروحياتها، يكون صعباً جداً (لاقول أمراً محالاً) بخلاف ما اذا كان الواقع في اطارها صبياً يافعاً، أو شاباً في عنفوان السن ، اذ عندئذ يكون قلبه وروحه كالارض الخالية ينبت فيها ما القى بها ، وعلى هذا الاساس لا يصح لنا أن نقول : ان الصحبة والمجالسة وسماع بعض الايات والاحاديث، اوجدت ثورة عارمة في صحابة النبي ﷺ وأزالته شخصياتهم المكونة طيلة سنين في العصر الجاهلي ، وكونت منهم شخصيات عالية تعد مثلاً للفضل والفضيلة. مع انهم متفاوتين في السن ومقدار الصحبة، مختلفين في الاستعداد والتأثر ، وحسب ان بعضهم اسلم وهو صبي لم يبلغ الحلم وبعضهم اسلم وهو في اوليات شبابه ، كما اسلم بعضهم في الاربعينات والخمسينات من أعمارهم الى أن اسلم بعضهم وهو شيخ طاعن في السن يناهز الثمانين والتسعين فكما انهم كانوا مختلفين في السن عند الانقياد للاسلام، كذلك كانوا مختلفين



ايضا في مقدار الصحبة فبعضهم صحب النبي ﷺ من بدء البعثة الى لحظة الرحلة، وبعضهم أسلم بعد البعثة وقبل الهجرة، و كثير منهم اسلموا بعد الهجرة وربما أدر كوا من الصحبة سنة أو شهرا أو أياماً أو ساعة فهل يصح أن نقول : ان صحبة ما قلعت ما في نفوسهم جميعا من جذور غير صالحة وملكات ردية وكونت منهم شخصيات ممتازة أعلى وأجل من أن يقعوا في اطار التعديل والجرح .

ان تأثير الصحبة عند من يعتقد بعدالة الصحابة كلهم أشبه شييء بمادة كيميائية تستعمل في تحايل عنصر كالنحاس الى عنصر آخر كالذهب . فكأن الصحبة قلبت كل مصاحب الى انسان مثالي يتحلى بالمعالي وهذا مما يرد المنطق والبرهان السليم وذلك لأن الرسول الاعظم ﷺ لم يقم بتربية الناس وتعليمهم عن طريق الاعجاز (فلو شاء لهداكم أجمعين) (الانعام - ١٤٩) بل قام بإرشاد الناس ودعوتهم الحق وصبهم في بوتقات الكمال مستعينا بالأساليب الطبيعية والامكانيات الموجودة كتلاوة القرآن الكريم، والنصيحة بكلماته النافذة، وسلوكه القويم وبعث رسله، ودعاة دينه الى الاقطار، ونحو ذلك . والدعوة القائمة على هذا الاساس، يختلف أثرها في النفوس حسب اختلاف استعدادها وقابلياتها فلا يصح لنا أن نرمي الجميع بسهم واحد .

الى هنا خرجنا بهذه النتيجة : أن الاصول التربوية تقضى بأن بعض الصحابة يمكن أن يصل في قوة الايمان ورسوخ العقيدة الى درجات عالية، كما يمكن أن يصل بعضهم في الكمال والفضيلة الى درجات متوسطة ومن الممكن أن لا يتأثر بعضهم بالصحبة وسائر العوامل المؤثرة الأشياء طفيفا لاجعله في صفوف العدول وزمرة الصالحين .

هذا هو مقتضى التحليل حسب الاصول النفسية والتربوية غير أن البحث لا يكتمل، ولا يصح القضاء البات الابالرجوع الى القرآن الكريم حتى نقف على نظره فيهم كما تجب علينا النظرة العابرة الى كلمات الرسول في حقهم، وملاحظة سلوكهم وحياتهم في زمنه ﷺ وبعده .

## الصحابة في الذكر الحكيم :

نرى أن الذكر الحكيم يصنف صحابة النبي الأكرم ﷺ ويمدحهم في ضمن أصناف تأتي ببعضها :

## ١- السابقون الأولون :

يصف الذكر الحكيم السابقين الأولين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم بأن الله رضى عنهم وهم رضوا عنه ، قال عز من قائل : «والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم» .

(سورة التوبة - ١٠٠)

## ٢- المبايعون تحت الشجرة

يصف سبحانه جماعة من الصحابة الذين بايعوه تحت الشجرة بنزول السكينة عليهم ويقول في محكم كتابه : «لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً» .

(الفتح - ١٨)

## ٣- المهاجرون

وهؤلاء هم الذين يصفهم تعالى ذكره بقوله : «للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون» .

(سورة الحشر - ٨)

## ٤- اصحاب الفتح :

هؤلاء هم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى فى آخر سورة الفتح بقوله : «محمد



رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تريهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً . (سورة الفتح - ٢٩)

### الاصناف الاخرى للمصحابة :

فالناظر المخلص المتجرد عن كل رأى مسبق ، يجد فى نفسه تكريماً لهؤلاء الصحابة غير أن القضاء البات فى عامة الصحابة ، يستوجب النظر الى كل الآيات القرآنية الواردة فى حقهم فعندئذ يتبين لنا أن هناك اصنافاً اخرى من الصحابة غير ما سبق ذكرها ، تمنعنا من أن نضرب الكل بسهم واحد ، ونصف الكل بالرضا والرضوان . وهذا الصنف من الآيات يدل بوضوح على وجود مجموعات من الصحابة تضاد الاصناف السابقة فى الخلقيات والملكات والسلوك والعمل واليك قسطاً منهم :

### ١ - المنافقون المعروفون :

المنافقون المعروفون بالنفاق الذين نزلت فى حقهم سورة المنافقين ، قال سبحانه : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون . . . » (الى آخر سورة المنافقين) .  
فهذه الآيات تعرب بوضوح عن وجود كتلة قوية من المنافقين بين الصحابة آنذاك وكان لهم شأن فنزلت سورة قرآنية كاملة فى حقهم .

### ٢ - المنافقون المختفون :

تدل بعض الآيات على أنه كانت بين الاعراب القاطنين خارج المدينة ومن نفس أهل المدينة ، جماعة مردوا على النفاق وكان النبي الاعظم لا يعرف بعضهم

ومن تلك الآيات قوله سبحانه: «ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق (١) لا تعلمهم نحن نعلمهم». (سورة التوبة - ١٠١)

لقد اعطى القرآن الكريم عناية خاصة بعصبة المنافقين واعرب عن نواياهم وندد بهم في السور التالية: البقرة، آل عمران، المائدة، التوبة، العنكبوت، الاحزاب، محمد، الفتح، الحديد، المجادلة، الحشر، والمنافقين.

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان المنافقين كانوا جماعة هائلة في المجتمع الاسلامي بين معروف، عرف بسمة النفاق ووصمة الكذب، وغير معروف بذلك مقنع بقناع التظاهر بالايمان والحب للنبي، فلو كان المنافقون جماعة قليلة غير مؤثرة لما رأيت هذه العناية البالغة في القرآن الكريم وهناك ثلة من المحققين كتبوا حول النفاق والمنافقين رسائل وكتابات وقد قام بعضهم باحصاء ما يرجع اليهم فبلغ مقدارا يقرب من عشر القرآن الكريم، (٢) وهذا ان دل على شيء فانما يدل على كثرة أصحاب النفاق وتأثيرهم يومذاك في المجتمع الاسلامي وعلى ذلك لا يصح لنا الحكم بعدالة كل من صحب مع غض النظر عن تلك العصاة المجرمة، المتظاهرة بالنفاق او المختفية في أصحاب النبي ﷺ.

### ٣ - مرضى القلوب،

وهذه المجموعة من الصحابة لم يكونوا من زمرة المنافقين بل كانوا يتلونهم في الروحيات والملكات مع ضعف في الايمان والثقة بالله ورسوله ﷺ قال سبحانه بحقهم: «وان يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الاغورا». (سورة الاحزاب - ١١)

فاني لنا أن نصف مرضى القلوب الذين ينسبون خلف الوعد الى الله سبحانه والى رسوله ﷺ بالتقوى والعدالة؟

(١) مردوا على النفاق: تمرنوا عليه وتمارسوا عليه

(١) النفاق والمنافقون: تأليف الاستاذ: ابراهيم على سالم المصري



## ٤ - السماعون :

تلك المجموعة كانت قلوبهم كالريشة في مهب الريح تتمايل تارة الى هؤلاء واخرى الى اولئك بسبب ضعف ايمانهم وقد حذر الباري عز وجل المسلمين منهم حيث قال عز من قائل ، واصفا اياهم بالسماعون لأهل الريب : « انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون . ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كرم الله انبياءهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين » ( سورة التوبة : ٤٥ - ٤٧ ) وذيل الآية دليل على كون السماعين من الظالمين لامن العدول .

## ٥ - خالطوا العمل الصالح بالسيء :

وهؤلاء هم الذي يقومون بالصالح والفلاح تارة ، والفساد والعبث مرة اخرى ، فلأجل ذلك خلطوا عملا صالحا بعمل سيء قال سبحانه : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا » . ( التوبة - ١٠٢ )

## ٦ - المشرفون على الارتداد :

ان بعض الآيات تدل على أن مجموعة من الصحابة كانت قد اشرفت على الارتداد يوم دارت عليهم الدوائر ، وكانت الحرب بينهم وبين قريش طاحنة فأحسوا بضعفهم ، وقد اشرفوا على الارتداد عرفهم الحق سبحانه بقوله : « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل ان الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا » . ( آل عمران - ١٥٤ )

## ٧ - الفاسق :

ان القرآن الكريم يبحث المؤمنين وفي مقدمتهم الصحابة الحضور ، على

التحرز من خبر الفاسق حتى يتبين ، فمن هذا الفاسق الذي أمر القرآن في التحرز منه ؟ اقرأ أنت ما نزل حول الآية من شأن النزول واحكم بما هو الحق . قال سبحانه « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » . (الحجرات - ٦)

فان من المجمع عليه بين أهل العلم انه نزل في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط وذكرة المفسرون في تفسير الآية ولا تحتاج الى ذكر المصادر .

كما نزل في حقه قوله تعالى : « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون » (السجدة - ١٨) نقل الطبري في تفسيره باسناده انه كان بين الوليد وعلي ، كلام فقال الوليد : أنا أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأرد منك للكتيبة . فقال علي : أسكت فانك فاسق فأنزل الله فيهما : « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون » (١) وقد نظم الحديث حسان بن ثابت (شاعر عصر الرسالة) وقال :

انزل الله و الكتاب عزيز	في علي وفي الوليد قرآنا
فتبوء الوليد اذ ذاك فسقا	و علي مبوء ايماننا
ليس من كان مؤمنا عرف	الله كمن كان فاسقا خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل	و علي الى الحساب عيانا
فعلى يجزى بذاك جنانا	ووليد يجزى بذاك هو انانا (٢)

أفهل يمكن لباحث حر ، التصديق بما ذكره ابن عبد البر وابن الاثير وابن حجر وفي مقدمتهم ابو زرعة الرازي الذي هاجم المتفحصين المحققين في أحوال الصحابة واتهمهم بالزندقة .

(١) تفسير الطبري ج ٢١ ص ٦٢ وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٢ .

(٢) تذكرة الخواص سبط ابن الجوزي ص ١١٥ و « كفاية » الكنجي ص ٥٥ و « مطالب السؤل » لابن طلحة ص ٢٠ و شرح النهج ، الطبعة القديمة ج ٢ ص ١٠٣ و جمهرة الخطب لاحمد زكي ج ٢ ص ٢٣ ، لاحظ القدير ج ٢ ص ٤٢



## ٨ - المسلمون غير المؤمنين :

ان القرآن يعد جماعة من الاعراب الذين رأوا النبي وشاهدوه وتكلموا معه ، مسلمين غير مؤمنين وانهم بعد لم يدخل الايمان في قلوبهم قال سبحانه : «قالت الاعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم» .  
(الحجرات - ١٤)

أهل بصح عدصابة غير مؤمنين من المدول الانقياء .

## ٩ - المؤلفة قلوبهم :

اتفق الفقهاء على ان المؤلفة قلوبهم ممن تصرف عليهم الصدقات ، قال سبحانه «انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم» . (التوبة - ٦٠)  
والمراد من «المؤلفة قلوبهم» : الذين كانوا في صدر الاسلام ممن يظهرون الاسلام ، - يتألفون بدفع سهم من الصدقة اليهم لضعف يقينهم . وهناك أقوال اخر  
فيهم متقاربة والكل يهدف الى الاعطاء لمن لا يتمكن اسلامه حقيقة الا بالعطاء (١)

## ١٠ - المولون امام الكفار :

ان التولي عن الجهاد والفرار منه ، من الكبائر الموبقة التي ندد بها سبحانه بقوله : «يا ايها الذين آمنوا اذا قاتلتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الامتحن فالقتال اومتحيز الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير» .  
(الانفال - ١٥٠ - ١٦)

ان التحذير من التولي والفرار من الزحف ، والحث على الصمود امام العدو ،

(١) تفهيم القرطبي ج ٨ ص ١٨٧ لاحظ : المعنى لابن قدامة ج ٢ ص ٥٥٦

لم يصدر من القرآن الا بعد فرار مجموعة كبيرة من صحابة النبي في غزوة «احد» و«حنين» اما الاول فيكفيك قول ابن هشام في تفسير الآيات النازلة في احد ، قال : «ثم اتبهم بالفرار عن بينهم وهم يدعون ، لا يعطفون عليه لدعائه اياهم فقال: «اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم» واما الثاني: فقد قال ابن هشام فيه ايضا: فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة اهل مكة ، الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في انفسهم من الضغن فقال ابوسفيان بن حرب: لانتتهى هزيمتهم دون البحر، وصرخ جبلة بن حنبل الا بطل السحر اليوم... (١)

افبعد هذا يصح أن يعد جميع الصحابة بحجة أنهم رأوا نور النبوة عدولا أتقياء .

قال القرطبي في تفسيره قد فر الناس يوم «احد» وعفى الله عنهم وقال الله فيهم يوم حنين : «ثم وليتم مدبرين» ثم ذكر فرار عدة من اصحاب النبي من بعض السرايا (٢) .

هذا الامام الواقدي يرسم لنا تولى الصحابة منهزمين ويقول : فقالت أم الحارث فمر بي عمر بن الخطاب فقالت ام الحارث يا عمر ما هذا ؟ فقال عمر : «امر الله» وجعلت ام الحارث تقول يا رسول الله من جاوز بعيري فاقتله (٣)

هذه هي الاصناف العشرة من صحابة النبي ممن لا يمكن توصيفهم بالعدالة والتقوى، اتيناها في هذه المجالة مضافا الى الاصناف المضادة لها ولكن نلفت نظر

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١١٠ ج ٢ ص ٤٤٤ ولاحظ التفاسير

(٢) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٨٣

(٣) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٩٠٤ . ان تعليق الفرار عن الزحف بقضاء الله كتعليل عباد الاوثان شركهم به كما في قوله سبحانه حاكيا عن المشركين « اوشاء الله ما اشر كنا ولا ابائنا » ( الانعام - ١٤٨ ) وتلزم من ذلك تبرئة امصاة والكفار لان اعمالهم كلها بقضاء منه .



القارىء الكريم الى الآيات الواردة في اوائل سورة البقرة وسورة النساء وغيرها من الآيات القرآنية فترى فيها ان الايمان بعدالة الصحابة مطلقاً خطأ في القول، وزلة في الرأي، يضاد نصوص الذكر الحكيم ولم يكن الصحابة الا كسائر الناس فيهم صالح تقى بلغ القمة في التقى والنزاهة، وفيهم طالح شقى سقط الى هوة الشقاء والدناءة. ولكن الذى يميز الصحابة عن غيرهم انهم رأوا نور النبوة ونشروا بصحبة النبي ﷺ وشاهدوا معجزاته في حلبة المباراة بأمر عينهم ولأجل ذلك تحملوا مسؤولية كبيرة امام الله وامام رسوله وامام الاجيال المعاصرة لهم واللاحقة بهم، فانهم، ليسوا كسائر الناس، فزيغهم وميلهم عن الحق اشد لا يعادل زيغ اكثر الناس وانحرفهم وقد قال سبحانه في حق ازواج النبي ﷺ بقوله: «يا نساء النبي لستن كاحد من النساء» لاحظ (سورة الاحزاب الاية ٣٠ - ٣١) فلوانحرف هؤلاء فقد، انحرفوا في حال شهدوا النور، ولمسوا الحقيقة، وشتان الفرق بينهم وبين غيرهم.

#### الصحابة في السنة النبوية :

اذا راجعنا الصحاح والمسانيد نجد ان اصحابهم افردوا بابا بشأن فضائل الصحابة الا انه لم يفردوا بابا في مثالبهم بل اقحموا ما يرجع الى هذه الناحية في ابواب اخر سترأ لمثالبهم وقد ذكرها البخارى في الجزء التاسع من صحاحه في باب الفتن وادرجها ابن الأثير في جامعته في ابواب القيامة عند البحث عن الحوض والوضع الطبيعي لجمع الاحاديث وترتيبها كان يقتضى عقداً باب مستقل للمثالب في جنب الفضائل حتى يطلع القارىء على قضاء السنة حول صحابة النبي الاكرم. روى ابو حازم عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: انى افرطكم على الحوض من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ ابداً وليردن على اقوام اعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم . . . قال ابو حازم: فسمع النعمان بن ابي عياش وانا احدثهم بهذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول، فقلت: نعم قال: وانا اشهد على ابي سعيد الخدرى لسمعته يزيد فيقول: انهم منى فقال: انك لا تدري ما احدثوا

بعدك فاقول : سحقا سحقا لمن بدل بعدي اخرج البخاري ومسلم (١) .  
 وظاهر الحديث أن المراد بقرينة « بدل بعدي » اصحابه الذين عاصروه وصحبوه  
 وكانوا معه مدة ثم مضوا. روى البخاري ومسلم ان رسول الله ﷺ قال: يرد على يوم  
 القيامة رهط من أصحابي - أو قال من امتي - فيحلثون عن الحوض فاقول يا رب  
 أصحابي فيقول. انه لا علم لك بما حدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم الفهري (٢)  
 ثم قال و للبخاري : ان رسول الله ﷺ قال بينما أنا قائم على الحوض اذا  
 زمرة حتى اذا عرفتهم خرج بيني وبينهم فقال : هلم فقلت . اين ؟ فقال : الى النار  
 والله، فقلت: ما شأنهم ؟ قال: انهم ارتدوا على ادبارهم الفهري ثم اذا زمرة حتى اذا  
 عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم فقال لهم: هلم فقلت الى أين؟ قال الى النار والله قلت:  
 ما شأنهم قال انهم ارتدوا على ادبارهم فلاأراه يخلص منهم الا همل النعم (٣) .  
 وظاهر الحديث بقرينة « حتى اذا عرفتهم » وقوله « ارتدوا على ادبارهم  
 الفهري » أن الذين أدر كوا عصره و كانوا معه هم الذين يرتدون بعده.

### الصحابة والتاريخ المتواتر :

كيف يمكن عد الصحابة جميعاً عدولا والتاريخ بين أيدينا نرى أن بعضهم  
 ظهر عليه الفسق في حياة النبي وبعده كوليد بن عقبة ، اما الاول فقد عرفت نزول  
 الآية في حقه و اما الثاني فروى أصحاب السير و التاريخ أن الوليد بن عقبة أيام  
 ولايته بكوفة شرب الخمر وقام ليصلي بالناس صلاة الفجر فصلى اربع ركعات وكان  
 يقول في ركوعه وسجوده: اشربي واسقني ثم قام في المحراب ثم سلم وقال هل  
 أزيدكم الى اخر ما ذكره (٤) .

- (١) جامع الاصول لابن الاثير ج ١١ كتاب الحوض في ورود الناس عليه ص ١٢٠  
 رقم الحديث ٧٩٧٢ و «الفرط»: المتقدم قومه الى الماء ويستوى فيه الواحد والجمع يقال  
 رجل فرط وقوم فرط (٢) جامع الاصول ج ١١ رقم الحديث ٧٩٧٣ ص ١٢٠  
 (٣) جامع الاصول ج ١١ ص ١٢١ ، و «همل النعم» كناية عن ان الناجي عدد قليل ،  
 وقد اكنينا من الكثير بالقليل ومن اراد الوقوف على ما لم نذكره فليرجع الى «جامع الاصول»  
 (٤) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٤٢ . أسد الغابة ج ٥ ص ٩١ وغيرهما . وقد اقام \*



وبعضهم ظهرت عليه سمة الارتداد عند ما بدت علائم الهزيمة عند المسلمين فقال : لانتهى هزيمتهم دون البحر (١) وقال الآخر أما يبطل السحر (٢) .  
وهذا رسول الله يخاطب ذى الخويصرة عند ما قال للنبي فى تقسيم غنائم حنين اعدل بقوله «ويحك ان لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟ ثم قال : فانه يكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية» (٣)  
وهذا أبوسفیان يضرب برجله قبر حمزة عليه السلام ويقول : ذق عقق ان الملك الذى كنا نتنازع عليه أصبح اليوم بيد صبياننا (٤) .

وهذا أبوسفیان عند ما بويع عثمان . دخل اليه بنوأييه حتى امتلأت بهم الدارثم اغلقوها عليهم فقال أبوسفیان أعندكم أحد من غيركم ؟ قالوا : لا . قال : يا بنى أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذى يحلف به أبوسفیان ما من عذاب ولاجنة ولا نارولا بعث ولاقيامة (٥) .

أفهل بعد هذه الكلمات الردة الخبيثة يصح لمسلم ان يعد هؤلاء وامثالهم من صنف العدول وطبقة الصالحين ويعددهم جرحهم أبطالا للكتاب والسنة وتضعيفا لشهود المسلمين .

### آراء الصحابة بعضهم حول البعض :

النظرة العابرة لتاريخ الصحابة تقتضى بان بعضهم كان يتهم الآخر بالنفاق

والامام امير المؤمنين على عليه السلام عليه الحد فى خلافة عثمان باصرار من الناس والحاح منهم لئلا تعطل الحدود

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٤٣ والقائل ابوسفیان

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٤٤ والقائل كلدة ابن الحنبل فقال له صفوان :

اسكت فض الله فاك .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٩٦

(٤) قاموس الرجال ج ١٠ ص ٨٩ نقلا عن الشرح الحديدي

(٥) الشرح الحديدي ج ٩ ص ٥٣ نقلا عن كتاب السقيفة للجوهري

و الكذب ، كما ان بعضهم يقاتل بعضاً ، ويقود جيشاً لمحاربتة فقتل بين ذلك جماعة كثيرة افهل يمكن تبرير اعمالهم من الشاتم والمشتوم ، والقاتل والمقتول ، عدولا ومثلاً للفضل والفضيلة واليك نزرأ يسيراً من تاريخهم مما حفظته يد النقل غفلة عن المبادئ العامة لأصحاب الحديث .

١- روى البخارى مشاجرة سعد بن معاذ مع سعد بن عبادة سيد الخزرج فى قضية الافك قال : قام رسول الله ﷺ فاستعدا يومئذ من عبدالله ابن ابي وهو على المنبر فقال : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغنى عنه اذاه فى اهلى ، والله ما علمت على اهلى الاخيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه الاخيراً وما يدخل على اهلى الامعى فقام سعد بن معاذ اخو بنى عبد الأشهل فقال : انا رسول الله اعذرک فان كان من الأوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ، ففعلنا امرک ، فقام رجل من الخزرج : وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج و كان قبل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رھطك ما احببت ان يقتل فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين . فتار الحيان : الأوس والخزرج حتى هموا ان يقتلوا ورسول الله قائم على المنبر فلم يزل رسول الله يخفضهم حتى سكتوا وسكت (١) اقرء فاقض فان هؤلاء يتهم بعضه بعضاً بالكذب و النفاق ، ونحن نعتبرهم عدولا صلحاء . والانسان على نفسه بصيرة .

٢ - ان الحروب الدائرة بين الصحابة انفسهم وحتى الثورة التى اقامها أصحاب النبی و من اتبعهم على عثمان بن عفان حتى جرت الى قتله أفضل دليل على أنه لا يصح تعريف الصحابة وتوصيفهم بالعدالة والتقوى اذ كيف يصح أن يكون القاتل والمقتول على الحق والعدالة .

وهذا هو طلحة وهذا الزبير قد جهزا جيشا جراراً لحرب الامام على (ع)

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ١١٨-١١٩ . فى تفسير سورة النور



واعانتها أم المؤمنين فقتلت جماعة كثيرة بين ذلك فهل يمكن تعديل كل هذه الجماعة حتى الباغين على الامام المفترض الطاعة بالنص أولاً، وبيعة المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان ثانياً .

وهذا معاوية بن ابي سفيان يعد من الصحابة وقد صنع بالاسلام والمسلمين ما قد صنع مما هو مشهور في التاريخ ومن ذلك انه حارب الامام علي عليه الصلاة والسلام في حرب صفين وكان مع علي كل من بقي من البدرين وهم قريب من مائة شخص، فهل من حارب هؤلاء الصحابة جميعاً بما فيهم سيد الصحابة علي (ع) يعد من أهل الفضل والصلاح والعدالة؟ فاقض ما انت قاض .

نقل صاحب المنار: انه قال احد علماء الالمان في «الاستانة» لبعض المسلمين وفيهم احد شرفاء مكة : انه ينبغي لنا ان نقيم تمثالا من الذهب لمعاوية بن ابي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا «برلين» قيل له لماذا؟ قال لانه هو الذي حول نظام الحكم الاسلامي عن قاعدته الديمقراطية الى عصبية الغلب (الملك لمن غلب) ولولا ذلك ، لعم الاسلام العالم كله ولكننا نحن الالمان وسائر شعوب اوربة عربا مسلمين (١).

هذا خال المؤمنين ومن يترحم عليه خطباء الجمعة والجماعة فكيف حال غيره اذف اليه ماله من الموبقات والمهلكات مما لا يمكن لاحد انكاره. والاعتذار منه في تبرير اعماله القاسية باجتهاده في ما نأبه وباء بائمه من حروب دامية وازهاق نفوس بريئة تعد بالالاف المؤلفة ليس الا ضلالة وخداعا المعقل فانه اجتهاد علي خلاف الله وضد رسوله والا يصح ان يعد جميع المناوئين للاسلام مجتهدين في صدر الاسلام ومؤخره .

هذا مجمل القول في هذا الاصل الذي اتخذه أصحاب الحديث أصلاً من أصول الاسلام ثم أدخله الأشعري في الأصول الذي يتبناها اكثر أهل السنة والجماعة

## التعذير التافه أو أسطورة الاجتهاد :

وما أتفه قول من يريد تبرير عمل هؤلاء بالاجتهاد ، وأنهم كانوا مجتهدين في أعمالهم وافعالهم أهل يصح تبرير عمل القتل والفتك والخروج على الامام المفترضة طاعته، بالاجتهاد ، ولو صح هذا الاجتهاد (ولن يصح ابدا) لصح عن كل من خالف الحق وحالف الباطل من اليهود والنصارى وغيرهم من الطغام اللئام اى قيمة للاجتهاد فى قبال النص وصريح السنة النبوية واجماع الامة . اى قيمة للاجتهاد الذى اباح دمء المسلمين ودمر كيانهم وشق عصاهم وفكك عرى وحدتهم . اى ، اى ، اى .

ان القائلين بعدالة الصحابة يتمسكون بما يروون عن النبي انه قال : اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم (١) غير ان متن الحديث يكذب صدوره عن النبي اذ ليس كل نجم هاديا للانسان فى البر والبحر بل هناك نجوم خاصة موجهة للاهتداء ولأجل ذلك قال سبحانه : «وعلامات وبالنجم يهتدون» .

(النحل - ١٦)

ولم يقل «وبالنجوم يهتدون» ولو كان كل نجم هاديا للضال لكان الانسب الايتان بصيغة الجمع. ولو افترضنا صحة الاهتداء بكل نجم فى السماء، أهل يمكن أن يكون كل صحابى نجما لا معافى سماء الحياة ، هاديا للأمة .

هذا قدامة بن مظعون صحابى بدرى يعد من السابقين الأولين ومن المهاجرين هجرتين روى انه شرب الخمر و اقام عليه عمر الحد (٢) كما أن المشهور أن عبدالرحمان الاصغر بن عمر بن الخطاب قد شرب الخمر (٢) .

وقدارتد طلحة بن خويلد عن الاسلام وادعى النبوة ومثله مسيلمة بن العنسى

(١) جامع الاصول ج ٩ كتاب الفضائل ص ٤١٠ رقم الحديث ٦٣٥٩

(٢) اسد الغابة ج ٤ ص ١٩٩ وصائر الكتب الرجالية .

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ٣١٢ .



الكذاب وأمرهما أشهر من أن يذكر .

ان بعض الصحابة خضب وجه الارض بالدماء فقرأ تاريخ بسر بن أرطاة حتى امه قتل طفلين لعبيد الله بن عباس . وكم وكم بين الصحابة لدة هؤلاء من رجال العبث والفساد قد احتفل التاريخ بضبط مساويهم أفبعد هذه البيئات يصح لاي ابن أنثى ان يتقول بعدالة الصحابة مطلقا ويتخذها مذهبا ويرمى المخالف له ، بما هو برى منه .  
والنظرية القويمة المستقيمة هي نظرية الشيعة المنعكسة في الدعاء المروي عن الامام الطاهر على بن الحسين عليهما السلام ترى انه يدعو الله سبحانه في حق اصحاب محمد ﷺ لالكلهم بل للذين أحسنوا الصحبة والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، والذين عاضدوه وأسرعوا الي وفادته و اليك تلك الكلمة المباركة من الصحيفة السجادية :

«اللهم واصحاب محمد ﷺ خاصة الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، و كاتفوه واسرعوا الي وفادته، وسابقوا الي دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته وفارقوا الأزواج والأولاد في اظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته، يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر اذا تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القربات، اذسكنوا في ظل قرابته ، فلاننس اللهم ماتر كوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك ، دعاة لك اليك واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم وخرجهم من سعة المعاش الي ضيقه، ومن كثرت في اعزاز دينك من مظلومهم اللهم وأوصل الي التابعين لهم باحسان الذين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا . . : » (١)

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء الرابع مع شرحه : في ظلال الصحيفة السجادية

## خاتمة المطاف :

ان لابي المعالي الجويني كلاما حول الصحابة دعافيه الي ان الواجب، الكف و الامساك عن الصحابة و عما شجر بينهم ، نقله الشارح الحديدي في شرحه علي نهج البلاغة كما نقل نقد بعض الزيدية له ، الذي سمعه من استاذه النقيب ابي جعفر يحيى بن محمد العلوي البصري في سنة احدى و عشرة وست مائة ببغداد وعنده جماعة ومانقله عن أستاذه رسالة مبسوطه في الموضوع فيها نكات بديعة لا يسعنا ايرادها في المقام ولذلك نقبس بعضها وقد نقل فيها قضايا تعرب عن جريان السيرة علي النقد والرد والمشاجرة واليك بعضها .

- ١- هذه عائشة ام المؤمنين خرجت بقميص رسول الله ﷺ فقالت للناس : هذا قميص رسول الله لم يبل ، وعثمان قد ابلى سنته ثم تقول : اقتلوا نعتلا قتل الله نعتلا ثم لم ترض بذلك حتى قالت : اشهد ان عثمان جيفة علي الصراط غدا .
- ٢- هذا المغيرة بن شعبة وهو من الصحابة ، ادعى عليه الزنا وشهد عليه قوم بذلك ، فلم ينكر ذلك عمر ولا قال : هذا محال وباطل لان هذا صحابي من صحابة رسول الله ﷺ لا يجوز عليه الزنا وهلا انكر عمر علي الشهود وقال لهم : ويحكم هلاتنا فلتم عنه لمارأ يتموه يفعل ذلك ، فان الله تعالى قد اوجب الامساك عن مساوي اصحاب رسول الله ﷺ واوجب الستر عليهم ، وهلا تر كتموه لرسول الله في قوله دعوا لي اصحابي ، ما راينا عمر الا قد انتصب لسماع الدعوى واقامة الشهادة واقبل يقول للمغيرة : يا مغيرة ذهب ربعك ، يا مغيرة ذهب نصفك ، يا مغيرة ذهب ثلاثة ارباعك حتى اضرب الرابع فجلد الثلاثة وهلا قال المغيرة لعمر : كيف تسمع في قول هؤلاء وليسوا من الصحابة وانا من الصحابة ورسول الله ﷺ قد قال : اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ؟ ما رأيناها قال ذلك بل استسلم لحكم الله تعالى .
- ٣- وهاهنا ، من هو امثل من المغيرة و افضل ، كقدامة بن مظعون ، لما شرب الخمر في ايام عمر فاقام عليه الحد و هو رجل من علية الصحابة و من أهل بدر



المشهود لهم بالجنة فلم يرد عمر الشهادة ولا درء عنه الحد لعله انه بدرى ولا قال قد نهى رسول الله ﷺ عن ذكر مساوى الصحابة وقد ضرب عمر ايضا بنه حد أفمات وكان ممن عاصر رسول الله ﷺ ولم تمنعه معاصرته له من اقامة الحد عليه .

٤- كيف يصح ان يقول رسول الله ﷺ : « اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم » لان هذا يوجب أن يكون اهل الشام فى صفين على هدى، وان يكون اهل العراق ايضا على هدى وان يكون قاتل عمار بن ياسر مهتديا ، وقد صح الخبر الصحيح انه ﷺ ، قال له : تقتلك الفئة الباغية وقال فى القرآن : «فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله» فدل على انها مادامت موصوفة بالمقام على البغى مفارقة لامر الله ، و من يفارق امر الله لا يكون مهتدياً و كان يجب ان يكون بسر بن ابى أرطاة الذى ذبح ولدى عبيد الله بن عباس الصغيرين، مهتديا لان بسرا من الصحابة ايضا وكان يجب ان يكون عمر بن العاص ومعاوية اللذان كانا بلعنان عليا أذبار الصلاة وولديه ، مهتدين وقد كان فى الصحابة من يزنى ، ومن يشرب الخمر، كابى محجن الثقفى ، ومن يرتد عن الاسلام ، كطليحة بن خويلد فيجب أن يكون كل من اقتدى بهؤلاء فى أفعالهم مهتديا .

٥- هذا الحديث (أصحابى كالنجوم) من موضوعات متعصبة الاموية فان لهم من ينصرهم بلسانه وبوضعه الاحاديث اذا عجز عن نصرهم بالسيف، وكذا القول فى الحديث الاخر وهو قوله: «القرن الذى انا فيه» ومما يدل على بطلانه ان القرن الذى جاء بعده بخمسين سنة، شرقون الدنيا وهو أحد القرون التى ذكرها فى النص وكان ذلك القرن هو القرن الذى قتل فيه الحسين. وادقع بالمدينة، وحوصرت مكة، ونقضت الكعبة وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه المنتصبون فى منصب النبوة ، الخمر وارتكبوا الفجور ، كما جرى ليزيد بن معاوية و ليزيد بن عاتكة ولوليد بن يزيد ، وارىقت الدماء الحرام، وقتل المسلمون وسبى الحرير، واستعبد أبناء المهاجرين والانصار ونقش على ايديهم كما ينقش على ايدى الروم ، وذلك فى خلافة عبد الملك ، وامرة الحجاج واذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية ، شرا كلها لاخير فيها

ولافي رؤسائها وامرائها ، والناس برؤسائهم وأمرائهم . والقرن خمسون سنة فكيف يصح هذا الخبر؟ .

٦- فاما ماورد في القرآن من قوله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين » وقوله : « محمد رسول الله والذين معه » وقول النبي ﷺ « ان الله اطلع على اهل بدر » ، ان كان الخبر صحيحاً فكله مشروط بسلامة العاقبة ، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلفاً غير معصوم ، بانه لاعتقاب فيه فليفعل ما شاء .

٧- من الذى يجترء على القول بان اصحاب محمد ﷺ لا تجوز البراءة من احد منهم وان اساء وعصى بعد قول الله تعالى للذى شرفوا برؤيته : « لئن اشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين » (١) وبعد قوله : « قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم » (٢) ، وبعد قوله : « فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » (٣) ، الا من لا فهم له ولا نظر معه ولا تمييز عنده .

٨- والعجب من الحشوية وأصحاب الحديث اذ يجادلون على معاصي الانبياء و يثبتون انهم عصوا الله تعالى ، و ينكرون على من ينكر ذلك و يطعنون فيه و يقولون : قدرى ، معتزلى : وربما قالوا ملحد مخالف لنص الكتاب وقدرأينا منهم الواحد و المائة و الالف يجادل فى هذا الباب فتارة يقولون : ان يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرجل من المرأة ، وتارة يقولون : ان داود قتل اوريا لينكح امرأته ، وتارة يقولون ان رسول الله ﷺ كان كافراً ضالاً قبل النبوة وربما ذكر وا زينب بنت جحش وقصة الفداء يوم بدر ، فاما قدحهم فى آدم عليه السلام واثباتهم معصيته ومناظرتهم من ينكر ذلك ، فهو رأيتهم وديدهم ، فاذا تكلم واحد فى « عمر وبن العاص » وفى « معاوية » وامثالهما ونسبهم الى المعصية وفعل القبيح احمرت وجوههم ، وطالت اعناقهم وتخازرت اعينهم ، وقالوا مبتدع ، رافضى ، يسب الصحابة ويشتم السلف ، فان قالوا انما تبعتا فى ذكر معاصي الانبياء نصوص الكتاب



قيل لهم: فاتبعوا في البرائة عن جميع العصاة نصوص الكتاب فانه تعالى قال: « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » (١)، وقال: « فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء الى امر الله » (٢) وقال: « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » (٣-٤).

### قتل الخليفة المفترض الطاعة :

قد تصافق اهل السير والتاريخ ان عثمان بن عفان قد حوَّص ثم هو جرم و قتل في عاصمة الاسلام وقد قتلته الصحابة والتابعون لهم باحسان، حتى منعوا عن تجهيزه وتغسيله ودفنه والصلاة عليه، وهذا امام المؤرخين يتلوع علينا كيفية الاجهاز عليه والهجوم على داره بعد محاصرته قرابة اربعين يوماً .

يقول الطبرى: « دخل محمد بن ابى بكر على عثمان فاخذ بلحيته . . . ثم دخل الناس فممنهم من يجأ بنعل سيفه ، واخر يلكزه ، وجاءه رجل بمشاقص معه فوجأه في ثرقوته ودخل آخرون فلما رأوه مغشياً عليه جروا برجله ، وجاء التجيبي مخترباً سيفه ليضعه فى بطنه فوقته نائلة فقطع يدها ، واتكأ با لسيف عليه فى صدره وقتل عثمان رضى الله عنه قبل غروب الشمس .

وفى نص آخر يقول : طعن محمد بن ابى بكر جنبه بمشقص فى يده و ضرب كنانة بن بشر مقدم رأسه بعمود ، وضربه سودان بن حمران المرادى بعد ماخر لجبينه، ووثب عمرو بن الحمق فجلس على صدره وبه رمق قطعنه تسع طعنات الى آخر ما ذكره . (٥)

وقد وقعت الواقعة بمراى ومسمع من معظم الصحابة وليس لاحد ان يتفوه انهم لم يكونوا عالمين بها فانها ماكانت مباغته ولا غيلة حتى يكونوا فى غفلة

(١) المجادلة : ٢٢ . (٢) الحجرات : ٩ . (٣) النساء : ٥٩ .

(٤) الشرح الحديدي ج ٢٠ ص ١٢-٣٠ والرسالة المبسطة مفصلة - اخذنا المهم منها

(٥) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٤٢٣ .

عنها وقد استدام الحوار أكثر من شهرين والحصر حوالى اربعين يوماً كل ذلك يعرب عن انهم كانوا راضين بهاتيك الاحدوثة ، لولم نقل انهم كانوا بين مباشر لها الى خاذل للمودى به الى مؤلب عليه ، الى مثبط عنه ، الى راض بما فعلوا، الى محبذ لتلك الاحوال كما هو واضح لمن قرأ تاريخ الدار وقتل الخليفة متجرداً عن اهواء وميول اموية .

فعندئذ يدور الامر بين امرين بايهما اخذنا يبطل الاصل المزعوم من عدالة الصحابة اجمع .

فان كان الخليفة ، قائماً على جادة الحق غير مائل عن الطريقة المثلى فالمجهزون على قتله والناصر ون له مساقان لم نقل انهم مراق عن الدين لخر وجههم على الامام المفترضة طاعته .

وان كان مائلا عن الحق ، منحرفاً عن الطريقة ، مستحقاً للقتل فما معنى القول بعدالة الصحابة كلهم من امامهم الى مأمومهم .

واما تبرير عمل المجهزين عليه ، المهاجمين على داره بانهم كانوا عدولا خاطئين فى اجتهادهم ، فهو خداع وضلال وتمهل لا بصاراليه ، ولا ير كن اليه اى "ذومسكة من العقل اذاى" قيمة لاجتهادهم، تجاه نصوص الكتاب العزيز قال عز من قائل «من قتل نفساً بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعاً». (المائدة- ٣٢) هذا غييض من فيض . وقليل من كثير من تاريخ الصحابة واحوالهم وهى مشحونة بالصواب والخطاء والهدى والضلال . ضعه امام عقلك وفكرك فاقض ما انت قاض ولا تتبع اهواء .

«وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين»

(المائدة - ٤٢)



## عشرة لاستقلال :

لما انتهت محاضراتنا الى البحث عن عدالة الصحابة وقفنا على كتاب باسم « صورتان متضادتان لنتائج الرسول الاكرم » تأليف الكاتب : السيد ابو الحسن الندوى الهندى - أقال الله عثراته - وقد بالغ في الذب عن عدالتهم بملفق الكلام وتزويره، مضافا الى ما فيه من بوادر وعثرات اعاد فيها ما سبقه الاخرون من رمى الشيعة الامامية الى نسب مفتعلة هم براء منها وكانه لم يك يحسب ان يأتي عليه يوم يناقشه قلم التنقيب او كان غير مكترث لاية تبعة ومغبة .

وقد صاغ كتابه هذا في قالب « علم كلام جديد » لم يسبقه اليه احد من ائمة الاعتزال واعلام الاشاعرة فاصبح كحاطب ليل رزم في حزمته كل رطب ويابس ولذلك - عقدنا الفصل التالي - لتتبع عثراته وزلاته . والى الله المشتكى .

## ملخص المحتويات

١- مقدمة

٢- مفهوم التناقض في الفلسفة الإسلامية

٣- أنواع التناقض

٤- شروط التناقض

٥- أمثلة على التناقض

٦- دور التناقض في الفكر الإسلامي

٧- خاتمة

## ٤

### صورتان متضادتان

أو

### رسالتان متضادتان

«دراسة موجزة وتحليل رائع»

«للشروط اللازمة للرسالة الخالدة»

«والنبوة الدائمة»



## في هذا الفصل

- ١ - نظريتان متضادتان حول الشعب الايراني المسلم .
- ٢ - الحوافز التي دعت الكاتب الى اتخاذ موقفين متضادين .
- ٣ - الملامح العامة للشعب الايراني في الرسالة الاولى .
- ٤ - الملامح العامة المناقضة لها في الرسالة الثانية .
- ٥ - النشاطات القرآنية في الجمهورية الاسلامية .
- ٦ - موقف الكاتب من الطغمة الاثيمة وركونه اليها في حله وترحاله .
- ٧ - الشرط الاول للرسالة الخالدة .
- ٨ - نظرية الكاتب توكب نظرية الملاحدة : ماركس وانجلس والبهاية .
- ٩ - النبي الاكرم كان ناجحا في دعوته لابعنى عدالة كل من صحبه .
- ١٠ - ارتداد الصحابة ورجوعهم الى الفقههري في الصحيحين : البخارى مسلم .
- ١١ - الشرط الثانى للرسالة الخالدة وموقف الشيعة منه .
- ١٢ - حكم الكتاب العزيز والسنة النبوية في هذا المجال .
- ١٣ - الشرط الثالث للرسالة الخالدة واصفاق الشيعة والسنة على صحته وتحققه .
- ١٤ - الكتب المؤلفة بيد اعلام الشيعة في صيانة الكتاب عن التحريف .
- ١٥ - اعتماد الكاتب على روايات ضعاف لاقيمة لها في سوق الاعتبار .
- ١٦ - نظرية قائد الثورة الاسلامية حول التحريف .
- ١٧ - اقتراح للمسرعين في الكتابة وطلب اقامة مؤتمر حرفى احدى العواصم الاسلامية .
- ١٨ - الشرط الرابع للرسالة الخالدة وتحليله وماهى مشكلة المسلمين الاساسية

## «صور تان متضادتان» أو «رسالتان متضادتان»

في هذه الظروف الصعبة، التي تمر بها الأمة الإسلامية في كافة أرجاء العالم وبعاني فيها المسلمون من أنواع الابتلاءات والمحن، وصلنا كتاب باسم «صور تان متضادتان» لنتائج جهود الرسول الأعظم، نشره المجمع الإسلامي العلمي في «لكهنو» في الهند عام ١٤٠٥ هـ ق - ١٩٨٥ م، الف بقلم العالم الأديب السيد أبو الحسن الندوي أصلح الله حاله، وقد ترجم الكتاب إلى لغات عديدة وتم نشره على نطاق واسع.

والنتيجة التي أريد للقارى، أن يستنبطها من خلال سبر هذا الكتاب هي، أن هناك أمة إسلامية كبيرة باسم الشيعة الإمامية يعتقدون بأمور - على زعم الكتاب - لا تجتمع مع شروط النبوة الخالدة والرسالة المستمرة.

والكتاب بمادته وصورته - الأما شد - على غرار الرسائل الكثيرة التي ألفت على مر القرون بهدف النيل من عقيدة هذه الطائفة، والتي أجيب عنها عشرات المرات على أيدي المحققين وأصحاب البصائر. والكل يشتمل على نبش الدفائن واثارة الضغائن، وما يشق به عصى المسلمين، وتنفك به أواصر الوحدة بينهم، مضافاً إلى التهم المفتعلة والنسب الباطلة إلى هذه الطائفة، وكان المترقب من كاتب مثل السيد الندوي وخاصة في ظرفنا الحساس أن يسعى إلى تقريب الخطى بين المسلمين، وإزالة النعرات الطائفية ذات الضرر العظيم، والخطر الكبير، على الرسالة المحمدية ولكن باللاسف أن الكاتب أطلق عنان قلمه في بيان معتقدات



هذه الطائفة وتحليلها على نحو لا يناسب مقام الكاتب المتحرى للحقيقة .  
ولعله كان مجبراً على اتخاذ تلك المواقف من قبل حكام المنطقة أعني الذين لا يروقهم انتشار - الثورة الاسلامية في مناطقهم واندلاعها في بلدانهم .  
واعجب من هذا أن الاستاذ الف كتيباً باسم «اسمعي يا ايران» قبل قيام الثورة الاسلامية في ايران ، «ونشرته دار عرفات في الهند عام ١٣٩٣ هـ ق - ٩٧٢ م) وعند ما يقارن بين محتوى الرسالتين ، يقف القارى على التناقض الواضح بين التحليلين عن شعب واحد في فترتين متقاربتين ، وعندئذ يطرح السؤال نفسه . ان الرسالة الاولى كتبت ونشرت قبل قيام الثورة الاسلامية في ايران ، وكان - الترف والتظاهر بالسفور والحمور ، والانحراف التربوي ، والمظاهر اللادينية ، طاغية على المجتمع ، ومع ذلك كله فقد وصف الكاتب الايرانيين حكومة وشعباً بعكس ما وصفهم بعد قيامة الثورة . فاطرى في الرسالة الاولى عليهم ، بما يناسب الحكومات المثالية ، والامة المسلمة المتكاملة ، وعندما تحولت الملكية الى الجمهورية الاسلامية ، تحولت تلك الصفات الى خلافها وهذا من العجيب جداً .

واليك خلاصة ما في الرسالة الاولى :

خاطب الاستاذ في هذه الرسالة الشعب الايراني على وجه يستظهر منه أنه الفيلسوف الكبير ، العارف بالداء والدواء ، يريد نصح أبنائه وتلاميذه تحت عنوان «اسمعي يا ايران» وفيها العلماء والقادة ، والحكماء والمفكرون ، ممن لا يشق غبارهم علماً ، ولا يصل الكاتب مهما جد واجتهد الى شأهم ومستواهم ، يقوله بنص عبارته :

«كانت زيارة ايران - يوتان الشرق امنية قديمة كانت تراود النفس ، الفضل في هذه الزيارة وما لقيه اعضاء الوفد من حفاوة بالغة من حكومة ايران الموقرة والشعب الايراني المسلم ، والمنظمات الدينية والعلمية والشخصات البارزة في هذا البلد الكبير ، يرجع الى رابطة العالم الاسلامي وكان لرئاسة مجلس الاوقاف بايران ، الذي يشرف عليه معالي الدكتور «منوچر آزهمون» نائب رئيس وزراء

ايران ، الفضل الكبير في تيسير هذه الرحلة ووضع مخططها ، وكانت الايام العشرة التاريخية التي قضاها الوفد في ايران ، حافلة بالزيارات ، واللقاءات ، والرحلات ، والمحاضرات ، وكان التنزل في «پارك هتل» احد فنادق العاصمة الكبرى وقدزار الوفد خلال هذه الايام عددا من الوزراء الكبار نخص بالذكر منهم «عباس هويدا» رئيس الوزراء ومعالى الاستاذ «كاظم زاده» وزير التعليم العالى ، ومعالى الدكتور آزمون ، فقد اقام الدكتور حفلة عشاء فاخرة ، تكريماً لاعضاء الوفد في فندق «هلتون» حضرها عدد من الوزرا وغيرهم .

ومن المدن التي زارها الوفد ، مدينة طهران وقم ومشهد واصفهان وشيراز وقد تجول الوفد في أحياء هذه المدن وزار في مدينة مشهد ضريح شاعر ايران الخالد الفردوسى ، كما زار قبر السيد على بن موسى الرضا عليه السلام ولم يعرف أثراً لضريح «هارون» الرشيد الذى دوى اسمه فى الافاق كما زار قبر الشيخ مصلح الدين سعدى ، وقبر الخاجا حافظ وتخت جمشيد فى شيراز ، وقد عقدت حكومة ايران فى هذا المكان «تخت جمشيد» فى العام الماضى مهرجانباً بمناسبة مرور ٢٥٠٠ - سنة على الامبرا طورية - الايرانية حضره رؤساء الجمهوريات وملوك العالم ، وانفق عليه الملايين من النقود ، وتفصيل هذا المهرجان لانقل عن اساطير الف ليلة ليلة .

ثم يقول . «هذا استعراض مجمل لهذه الجولة التي كان لها صدق فى القلوب والنفوس» . (١)

### نظرتنا حول هذه الجولة :

١ - كان اللازم على العالم الاسلامى ، العارف بحلال الاسلام وحرامه ، أن يرفض ضيافة حكومة جائرة زائغة عن الحق ، متسلطة على الشعب بقوة السيف ورعب الارهاب ، لأن فى قبول هذه الضيافة تأييداً لها ولا هدفها ، والعجب أن

(١) رسالة «اسمعى بايران» ص ٤ - ٢٠ بتلخيص .



الاستاذ يتقبل تلك الهدية الموهوبة له ولوفده من حكومة ضالة مضلة ولكنه عوض أن يرفضها، أخذ يفتخر بحفلات العشاء ومأدبات الطعام التي اقيمت له في الفنادق الكبرى التي أسست وبنيت من دم الشعب المظلوم .

فلو كان الوفد عارفاً بوظيفته ، عالماً بحدود الإسلام «وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كفاة ظالم ولا سغب مظلوم» لاستنكر هذه الضيافات الفاخرة ، بدل الافتخار بها ، كيف وفي البلد «بطون غرني واكباد حري واقدام حافية» . هذا امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، الاسوة الحسنة لكل من أراد الاقتداء به ، لما بلغه أن عامله استجاب دعوة أحد الاثرياء ، كتب اليه : «فقد بلغني أن رجلاً من فتية اهل البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعت اليها ، تستطاب لك الالوان ، وتنقل اليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب دعوة قوم ، عائلهم مجفو وغنيهم مدعو . . . فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم ، فما اشبه عليك علمه ، فألفظه ، وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه . . . هيهات ، هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جسعي الى تخير الاطعمة ، ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع ، أو ابيت مبطانا وحولي بطون غرني واكباد حري ، او اكون كما قال القائل :

وحسبك داء أن تبيت ببطنة      وحولك اكباد تحن الى القدر

٢- لا يشك من طالع كتب الاستاذ او استمع الى محاضراته ، انه من المتأثرين بالوهابية ومن دعائها ومن المعلوم ان الوهابية تعتقد بحرمة شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة المعروفة ، تمسكاً بالحديث النبوي «لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى» .

ولكن نسأل الاستاذ واعضاء الوفد كيف شدوا الرحال الى زيارة قبور ابي حامد الغزالي ، وسعدى الشيرازي ، وخاجا حافظ الدين وقد دفنوا في مشارق ايران و مغاربها فقد تجول الوفد لزيارة هذه القبور من العاصمة الى الشرق ، ومنه الى الجنوب ، ما هذا التناقض بين العقيدة والعمل ، والفكرة والتطبيق ، أهمل يسوغ

شد الرحال الى زياره الشعراء واصحاب الملحمت، ويحرم شدها الى زيارة ضريح الرسول الاعظم ﷺ .

واعجب منه ان الاستاذ اشتاق الى زيارة ضريح هارون الرشيد الذي سم الامام الطاهر موسى بن جعفر عليهما السلام وحبس كثيراً من العلويين في سجونته الذي لا يميز فيها النهار من الليل وكان له من الجنبايات والفضائح ما تزخر به كتب التاريخ .

٣ - واعجب من ذلك ، التناقضات الصارخة بين ما جاء في تلك الرسالة في حق الشعب الايراني وما جاء في الرسالة الثانية في حق هذا الشعب بعد قيام الثورة الاسلامية ، مع أن الامة هي الامة لم يتغير منها شيء الا النظام السائد عليها في الفترة الاولى : فتبدلت الحكومة الفردية الملكية ، الى الجمهورية الاسلامية المباركة .

ومقتضى الطبع ان تكون الامة في الفترة الثانية، أشد تمسكاً بالقيم والاخلاق والكتاب والسنة وأحرى بالمدح والتمجيد ومع ذلك فوصفها في الكتاب الثاني عنهم، يصور تدهور الشعب الايراني فيما يرجع الى صلب الدين واليك مقارنة البيانين :

### الملاح العامة للشعب الايراني في الرسالة الاولى :

أ - ان اول شيء بهرنا وأثار فينا الاستغراب مع الاعجاب ، والحيرة مع المسرة هي قوة العاطفة الاسلامية وشدة رغبة اخواننا الايرانيين على اختلاف طبقاتهم وثقافتهم في الوحدة الاسلامية والالتقاء على صعيد واحد من جوهر الاسلام ومبادئه الاولى ، وأعترف هنا أننا لم نكن نتوقع هذه الموجة القوية من حب الوحدة ومد يد الاخوة والصداقة الى سائر المسلمين في العالم، وتكوين جبهة موحدة ضد اللادينية التي تتحدى جميع الاديان وجميع القيم الخلقية .

با - والشئ الثاني ما لمسناه في هذه الزيارة من عناية زائدة بالاثار الاسلامية والتأليف باللغة العربية ، واحياء التراث الاسلامي ، ونشر آثار علماء الاسلام ،



والاعتناء الزائد بالمصاحف الاثرية ، وتزيينها مما يدل على التقدير والاجلال والاحترام والاهتمام وقراءة القرآن واكثره من صوت القراء المصريين المسجل في المشاهد والحفلات باحترامها وذلك يدل على الايمان واجلال القرآن .  
جيم - الغيرة الدينية ومحاربة الحركات الهدامة النائرة على الاسلام .  
دال - دماثة الخلق ورقّة العاطفة وكرم الضيافة والتواضع الزائد الذي يلقاه به المسلم الايراني اخاه الوافد من بلاد الاسلام ، واشعاره بأنه بين اخوانه واحبائه وفي بلده (١) ،

#### الملاحم العامة للشعب الايراني في الرسالة الثانية .

هذا ما عرف به الكاتب الشعب الايراني بما انهم يمثلون مذهب الشيعة الامامية في المجتمع الاسلامي ، وأليك ما يذكره الاستاذ عنهم في الرسالة الثانية كأنه نسي ما ذكره في أولهما .  
يقول :

١ - ونتيجة لما مر من آراء ومعتقدات الشيعة عن القرآن الكريم ، فانهم لا يهتمون بالقرآن ولا يرتبطون به عملياً وان الشيعة لا يوجد فيهم حفظة القرآن وذلك نتيجة نفسية الشك في صحة القرآن الكريم واصلته وقد جربت ذلك شخصياً لدى رحلتي الى ايران عام ١٩٧٣ م .

بالله عليك أيها الاستاذ ، لو كان الشعب الايراني - كما زعمت - شاكاً في صحة القرآن الكريم فما معنى قولك في الرسالة الاولى في الفقرة الثانية : الاعتناء الزائد بالمصاحف الاثرية وتزيينها . . . وذلك يدل على الايمان واجلال القرآن - فهل يجتمع الايمان بالقرآن مع الشك فيه .

كيف تتهم الايرانيين بعدم الاهتمام بالقرآن وحفظه وقد وقف الأصم والابكم فضلاً عن السميع والبصير على أنهم شاركوا في مسابقات عديدة لقراءة القرآن

(١) اسمى بايران ص ٢٠-٢٣ (بتلخيص)

وحفظه في البلاد الاسلامية المختلفة و فازوا بالرتب الاولى ، مرة بعد اخرى ،  
واحياناً كانوا في الدرجة الثانية من الفائزين ، ونحن نكتب هذه السطور وقد  
انعقدت مباراة دولية لتلاوة القرآن وحفظه في مسجد ارشاد في طهران ، اشترك  
فيها قراء من ٢٦ - بلداً اسلامياً آسيوياً وافريقياً وتستغرق المباراة خمسة ايام  
و ذكرت الانباء ان سيرلانكا ، ماليزيا ، تنزانيا ، موريتانيا ، عمان ، الهند ،  
غانا ، باكستان ، سوريا ، بالاضافة الى عدد آخر من الاقطار المسلمة ، قد بعثت  
مشاركين الى المؤتمر وتقيم المباراة مؤسسة الحج والعمرة الايرانية للسنة الخامسة  
على التوالي بمناسبة ذكرى تأسيس الجمهورية الاسلامية .

وهذه هي اذاعة القرآن التي أسست بصورة مستقلة في الجمهورية الاسلامية  
وتبث القرآن قراءة وتعليماً وعلومياً عدة ساعات كل يوم ، فهو خير شاهد على  
ما قلناه .

وهؤلاء هم حفظة القرآن في عاصمة الجمهورية الاسلامية ، وسائر بلدانها  
يقرؤون القرآن في المجالس والمحافل عن ظهر القلب ، ويشتركون في المسابقات  
الدولية والمؤتمرات العالمية ويفوزون وهم بين طفل لم يبلغ الحلم ، او شاب  
يافع ، او كهل او شيخ طاعن في السن .

### النشاطات القرآنية في الجمهورية الاسلامية :

على الرغم مما نسب الكاتب الى الشعب المسلم في ايران من عدم ايمانه  
بصححة القرآن الكريم والقول بتحريفه ، فنحن نجد في هذا البلد الاسلامي نشاطات  
واسعة وجادة حول القرآن الكريم بعد الثورة الاسلامية قلما يوجد لها نظير في  
سائر العواصم والبلاد الاسلامية .

ونحن نشير الى ابرز هذه النشاطات باختصار ، مضافاً الى ما اشرنا من تأسيس  
اذاعة خاصة بالقرآن :

١ - تأليف ووضع دائرة المعارف القرآنية تضم كل المعلومات التي ترتبط



بالقرآن الكريم .

- ٢ - فتح جناح خاص بكنوز القرآن يضم اقدم المخطوطات القرآنية وذلك في مؤسسة دار القرآن الكريم في مدينة قم و طهران .
- ٣ - تأسيس مؤسسة خاصة باسم «بنياد قرآن» منذ اكثر من اربع سنوات تهتم بنشر كل ما يرتبط بالقرآن ويدور حوله من مؤلفات وقد طبعت الى الان ما يزيد على الخمسين كتابا ورسالة لمختلف علماء الاسلام .
- ٤ - الاهتمام بتعليم القرآن بطريقة سريعة وميسرة وذلك بابتكار طريقة تتكفل بتعليم قراءة القرآن لغير الناطقين بالعربية خلال ثلاثين ساعة او اقل من ذلك .

٥ - تأليف كتاب يضم اكثر من ثلاث مائة حديث مرويا عن النبي الاكرم واهل بيته الطاهرين عليهم السلام تحت ابواب مختلفة باسم «القرآن في احاديث النبي واهل بيته» صلوات الله عليهم اجمعين تأليف جعفر الهادي وقد الف للبحث والتشجيع على تعلم القرآن الكريم والعناية به قراءة وحفظا وتجويدا طبعته مؤسسة تحفيظ القرآن الكريم في طهران عاصمة الجمهورية الاسلامية مرة في القاهرة ومرات في ايران ووزع في كثير من البلاد الاسلامية . والروايات المتضاربة المنقولة في هذا الكتاب تمثل نظرية اهل البيت وشيعتهم في القرآن الكريم «وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» (فصلت ٤١ - ٤٢) واي باطل اشوه وافظع من تطرق النقصان اليه . سبحانك انت القائل : «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» (الحجر - ٩) وانت حفظته من ابطال المبطلين .

٦ - «ان مكاتب الاثنا عشرية لا تحتوي على آثار ونماذج كثيرة لخدمة القرآن والتأليف بمختلف مطبوعاته ولا تشهد بالحركة العلمية القوية في بيان اعجازه وما يشتمل عليه من علوم وحقائق» .

اقول : لو كانت مكاتب الشيعة الامامية على ما وصفت فما معنى قولك

في الفقرة الثانية : « والشيء الثاني ما لمسناه في هذه الزيارة من عناية زائدة بالاثار الاسلامية والتأليف باللغة العربية واحياء التراث الاسلامي ونشر آثار علماء الاسلام والاعتناء الزائد بالمصاحف » .

ان الشيعة الامامية تهتم بالقرآن الكريم لانه الثقل الاكبر الذي تركه رسول الله ﷺ بين الامة و ان الكتب والرسائل التي ألفت بيد تلك الامة حول القرآن الكريم، تتجاوز المئات، وان الفهارس المطبوعة تغنينا عن طرح اسمائها. اني لاعذر الاستاذ في عدم وقوفه على كتب الشيعة في التفسير وعلوم القرآن وتبيين طرق اعجازه ، اذ ليست بينه وبينهم آية صلة ، حتى انه بعد زيارته ايران لم يلتق بالعلماء الربانيين الذين كرسوا حياتهم لخدمة العلوم والمسائل الاسلامية ولم يلتق الا بمراسم سمحت مديرية الاوقاف بزيارته ولقائه ، ولم يزر المكتبات العامة الكبيرة المليئة بنفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة ، ولم يجالس علماء الشيعة الواقعيين الا الشاذ النادر، فان الزيارة الرسمية التي رسم مقدماتها عملاء الطاغوت لاتسمع بانجاز هذه الامور .

كيف ينكر الاستاذ خدمة الشيعة للقرآن وعلومه وتبيين وجوه اعجازه مع أن المفسر الاول هو امام الشيعة وامام المسلمين علي بن ابي طالب عليه السلام ، ثم تلميذه الاكبر ابن عباس حبر الامة ، ثم ائمة اهل البيت عليه السلام كلهم ، ثم تلاميذهم المتربون في احضانهم و مناهجهم وقد توالى التأليف حول القرآن في كل ما يرجع اليه من زمن ابن عباس الي زماننا هذا .

ولا يقف الاستاذ على النزر اليسير من الجهود العلمية التي تحملها علماء الشيعة نأتى باسماء التفاسير التي ألفا اكثرها في اواخر القرن الرابع عشر الهجري باللغة العربية فقط وترك ما ألف بغيرها .

١ - الاء الرحمن في تفسير القرآن : تأليف العلامة المجاهد الشيخ محمد

جواد البلاغي المتوفى عام ١٣٥٢ هـ - صدر منه جزءان .

٢- الميزان في تفسير القرآن تأليف العلامة المحقق المتأله الاكبر السيد



محمد حسين الطباطبائي المتوفى ، عام ١٤٠٢ هـ وهو في عشرين جزءاً طبع في بيروت وايران .

٣- البيان في تفسير القرآن تأليف المحقق الاكبر السيد ابو القاسم الخوئي النجفي دام ظله .

٤ - التفسير الوجيز للعلامة الفقيه السيد محمد مولانا المتوفى عام ١٣٦٣ هـ وهو تفسير على غرار تفسير الجلالين .

٥ - التفسير الكاشف في سبعة اجزاء تأليف العلامة الحجة المجاهد الشيخ محمد جواد مغنبيه رحمه الله من فطاحل علماء بيروت ومن المناضلين ضد البدع وله مع ذلك تفسير آخر صغير ألفه للشباب .

٦- الفرقان في تفسير القرآن للعلامة الحجة الشيخ محمد الصادق الطهراني صدرت منه عدة اجزاء في بيروت.

٧ - التمهيد في علوم القرآن للعلامة الحجة الشيخ محمد هادي معرفة صدرت منه اجزاء.

٨ - التفسير الامثل للعلامة الحجة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي وهو ترجمة لتفسيره باللغة الفارسية في ستة وعشرين جزء حياها الله وبياه .

٩ - القرآن والعقل للعلامة السيد نورالدين العراقي وهو تفسير بديع في اسلوبه .

١٠ - تقريب القرآن الى الاذهان تأليف العلامة الحجة السيد محمد الشيرازي ويقع في ٣٠ جزء.

١١ - التحقيق في كلمات القرآن في اربعة عشر جزء تأليف المحقق الشيخ حسن المصطفوي دام ظله ، وقد خرجت منه سبعة اجزاء .

١٢ - مواهب الرحمن في تفسير القرآن للعلامة الحجة السيد عبدالاعلى النجفي خرج منه جزء ان .

١٣- مفاهيم القرآن كتاب يفسر القرآن حسب موضوعاته وهو مبتكر في

موضوعه ، بديع في بابه ، تأليف كاتب هذه السطور. صدرت منه خمسة اجزاء .  
هذه هي اسما التفاسير التي ألفت باللغة العربية في العصر الاخير أتينا  
باسمائها من دون مراجعة الفهارس المكتبية .

وهناك تفاسير كثيرة باللغة العربية مخطوطة لاعلام المعاصرين لم يسمح  
لهم الزمان بنشرها و من اراد الوقوف على عناية طائفة الامامية بتفسير الذكر  
الحكيم طول القرون فعليه الرجوع الى كتاب « الذريعة الى تصانيف الشيعة »  
(الجز الرابع مادة التفسير) ومع ذلك فقد فاتته اسما قسم من التفاسير التي ألفت  
في العصر الاخير .

ونحن نكتفي بهذا المقدار من التناقض الموجود بين الرسالتين، ولا يفوت  
القارئ الكريم عرفان الحوافز التي دفعت المؤلف الى هذا التناقض .  
فان الكاتب في الفترة الاولى أطل بنظره على الحقائق لابين السخط ،  
وان قصر في كثير من الامور ولكنه في الرسالة الثانية أطل بنظره عليها بعين  
السخط بعد قيام الثورة الاسلامية التي اثارت المستضعفين والمحرومين في المنطقة  
على اصحاب العروش ، الذين لم يزل الاستاذ واعضاء الوفد ، والرابطة يؤيد ونهم  
وينصرونهم باقلامهم وألسنتهم . فلم يكن له بد من النظر الى تلك الطائفة من  
زاوية السخط والغضب ولاجل ذلك جاء بالطامات والاكاذيب والنسب المقتعلة  
التي نشير الى بعضها وقد قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا  
ولكن لم يكن هناك اي سوء أبداه سوى النسب المقتعلة .

و هناك مؤاخذة عامة نعم هذا الفريق من الكتاب ولا تختص بالاستاذ ولا  
بوفده وهي أنهم قداعتادوا على السكوت على الظالم بل الركون اليه والجلوس  
على موائده ، والتبجح بضيافته ، وهذه شنشنة نعرفها من هذه الجماعة من عصر  
الامويين الى يومنا هذا ، ونجل العلماء الواقعيين من السنة عن هذه المؤاخذة .  
ولذلك ينبغي ان نركز على هذه النقطة التي كانت ولا تزال أساس الكثير



من الانحرافات التي ألحقت بالمسلمين اكبر الاضرار في حياتهم الاجتماعية والسياسية ، وجعلت الكتاب والمفكرين في خدمة الظالم .

### الركون الى الظالم وحكمه في الاسلام :

لاشك أن الاسلام قد حرم الركون الى الظالم فقال سبحانه : «ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار» ( هود : ١١٢ ) والكتاب وزملائه من مؤيدي الحكومات الجائرة والدعاة لهم في صلوات الجمعة والجماعة ، فما هو جوابهم عندالله من هذا الركون الذي لايمكن انكاره، هذا هو زميله ابو الاعلى المودودي أول فائز بجائزة الملك فيصل ، وذاك نصيره الاخر «عبدرب الرسول سياف» الفائز بالجائزة الملكية عام ١٤٠٤ هـ - (١) وهكذا دواليك فلايشك ذومسكة ان جميع مشاريعهم وخططهم قائمة بالاجور المبذولة من قبل الحكومات المفروضة على الامة الاسلامية ، وهؤلاء قبال هذه النعم والترف، يسعون بكل قوة وحماس ، في تدعيم عروشهم وتحكيم دعائمها، ومع ذلك يدعون أنهم على خط الاسلام والتوحيد وغيرهم على خط الوثنية والشرك .

فما هذا التوحيد الذي يدعونه ويجعلونه واجهة لكل آمالهم وأمنياتهم الدنيوية ، فلو كانت حقيقة التوحيد كسر الاصنام والادنان ، وحذف الوسائط بين العبد والرب، فما معنى تكريم هذه الطواغيت الجائرة، والدعاء لهم والافتخار بضيافتهم الفاخرة ، والنزول عند رغباتهم واتخاذهم سناداً وعماداً في الحياة حتى كأنه لولاهم لما استقر لهم العيش ؟

نراهم ونرى كل من كان في الخط الذي يمشى عليه هؤلاء ، ساكتين في مقابل طواغيت العصر واعمالهم الاجرامية ومنها تسامحهم بل تعاملهم مع الشيطان الاكبر الذي زرع دويلة اسرائيل فسى قلب الامة الاسلامية وهو معلوم للأصم والاعمى فكيف بالسميع والبصير .

نرى انه سبحانه يذم الساكتين ويندد بالمحايدين عندما يطرح حياة أمة من بنى اسرائيل الذين كانوا يعيشون في ساحل من سواحل البحر، فيقسمهم الى ثلاثة اصناف :

الاول : الجماعة الراضة لحكم الله سبحانه ، حيث حرم عليهم صيد البحر يوم السبت قائلا : « . . . اذيعدون في السبت اذ تأتيتهم حيثانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لا تأتيتهم » . (الاعراف - ١٦٣)

الثاني : الجماعة الساكتة التي أهمتهم انفسهم ، لايتهون المعتدين عن عدوانهم بل كانوا يعترضون على القائمين بوظيفة الارشاد، والرد في وجه العاصين والطاغين بقولهم : «لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً» .

الثالث : الجماعة الآمرة بالمعروف والناهيّة عن المنكر ، محتسبين ذلك وظيفه دينية عريضة وقدحكي الله سبحانه على لسانهم وقال : «معدرة الى ربكم ولعلمهم يتقون» .

فالله سبحانه يخبر أنه اباد الطائفتين الاوليين «المنكرين ، والساكتين والمحايدين» وأنجى الطائفة الثالثة قائلا : «فلما نسوا ما ذكرناه انجينا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون» (الاعراف ١٦٣-١٦٥) فالاية صريحة في حصر النجاة في الناهين عن سوء وشمول العذاب للمعتدين والساكتين .

فما اصرح الاية في تبين مصير كم ايها الساكتون في وجه الطغاة ، الجالسون حول مؤاندهم العامرة، المر تادون لمجالسهم وضيافاتهم الفاخرة، من دون ان تقابلوهم بوجوه مكفهرّة او بقلوب مملوءة بالغضب ، ومع ذلك تدعون أنكم دعاة التوحيد وأعلام الهداية وشعاركم الوحيد «الى الاسلام من جديد» ؟؟ وهل الاسلام الا اصول وعقائد واحكام ووظائف جاء بها خاتم الانبياء والمرسلين وملاً فمه «من رأى منكرا فليغيره بلسانه، فان لم يستطع فبيده، ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان» .



فهل أنت ايها الاستاذ ويا اصحاب الندوة والندويين المرتزقين من الوهابية على هذا النمط؟ فهل رفعتهم عقيرتكم على اصحاب الجلالات والعروش بمساهماتهم مع الشيطان الاكبر بايوائه نغر الاسلام وأم القرى ومن حولها، كلا، لا، فانكم تدر كون خطورة الموقف، وأن التخلف عن الادب الرسمي فضلا عن رفع العقيرة، ينتهي الى قطع الراتب والمنح والجوائز، وبالنتيجة السقوط عن اعينهم واعين من يعينونهم.

فانتم بهذه الحال وعاظ السلاطين وخدامهم لا وعاظ الاسلام وخدام المسلمين غير انكم اتخذتم الاسلام والدين واجهة في المجتمع، ومع ذلك تتمنون أن يلتفت حولكم شباب المسلمين زاعمين أنكم الاسلام المجسد مع أن حياتكم ومنحكم واجوركم كلها على عاتق الملوك، لاعلى الشعب المسلم، هذا موجز من دوركم في الحواضر الاسلامية، ولا تريد البسط والاسهاب «في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء».

لقد رأى الكاتب صورتي النبي وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب في المساجد والبيوت، وقد عز عليه ذلك.

اقول: ان الكاتب رأى سفور النساء في شوارع طهران يومذاك ورأى المؤسسات الربوية في جميع المدن التي زارها، كما رأى التماثيل المنصوبة لطاغوت العصر في الساحات والبيادين، ولمس سن القوائين الكافرة في البلاد، ولاحظ البرامج التربوية المنحرفة في الجامعات والكليات، ومع ذلك كله لم ينبس في شأن تلك الموارد - بينت شفة ولم يعترض لاعلى مضيقه ولا أتى بذكر واحدة من تلك الامور المهمة الهدامة لأس الاسلام في صميم رسالته، ولكنه عز عليه وجود صورة النبي والولي في بعض المساجد، التي لا يوافق عليها العلماء ولا يفعلها البعض الجهلة والسذج.

فالاسلام الذي يجتمع مع سفور النساء، وانشاء المؤسسات الربوية، وانحراف المناهج التربوية، ويلتئم مع القوائين الكافرة في جميع المظاهر، ويجتمع مع

الدعاء للطواغيت والخضوع لهم ، واخذ المنح والجوائز من ايديهم ، والتذلل لهم بكل الوسائل ، عليه السلام وعلى مثل ذلك الدين ، العفاو كأني بشاعر المعرة يخاطب تلك الزمرة ويقول :

وغير قساً بالفهاة باقل	اذا وصف الطائي بالبخل مادر
وقال الدجى للمصبح لونك حائل	وقال السهى للشمس انت خفية
وفاخرت الشهب،الحصى والجنادل	وطاولت الارض ، السماء ترفعاً
ويا نفس جدى ، ان دهرك هازل	فياموت زر ان الحياة ذميمة

وباللعجب انكم تشاهدون بأمر اعينكم السفور والخمور في شوارع العواصم الاسلامية وتعلمون ان الحكومات التى انتم تؤيدونها و تدعمونها ، هى السبب الوحيد لهذه الازضاع الخلقية المؤسفة ومع ذلك لا تنبسون ببنت شفة ، ولما قامت الثورة الاسلامية فى ايران ، فجابته فوضى الفساد ، وقطعت جذورها ، خر جتم من اوكاركم متسلحين باسم الاسلام، المرعوم تصبون القارعات عليها، وتشنون الغارات اليها بكل قوة ووسيلة ، وتكتبون فى كل شهر وشهرين رسالة حولها ابعاداً لها عن قلوب الشباب ، وتحاولون تشويه سمعتها ، ماهذا التساهل فى مقابل الطغمة الاثيمة فى الحواضر الاسلامية، وما هو الهدف وراء هذه الهجمة الشرسة على الحكومة الاسلامية الفتية التى تريد ايقاظ الطوائف الاسلامية حتى تقوم بواجبها وتركز على التمسك بالوحدة

فبدلاً من دعمها وتأييدها وصيانتها عن الزلّة حتى تنمو وتصير شجرة مثمرة معطية اكلها كل حين ، قمتم بوجه تلك الحكومة بنشر كتيبات ورسائل تكرررون الشبه التى أكل عليها الدهر وشرب واجاب عنها الفطاحل الاعلام ، وقبل كل شئ تشقون عصا المسلمين وتمزقون الوحدة ولو كان الهدف من نشرها هى الهداية والارشاد الى سبيل التوحيد ، فليست الفرية والافتعال والاعتماد على كتب مخالفيهم وبل على كتب اليهود والنصارى من شروطها، ولا نبش الدفائن من



أسسها «فما هكذا تورد يا سعد الابل» .  
 ان ما تذكرونه من الشبهات مأخوذة من كتاب مغفلين او مستغربين  
 كموسى جاز الله التركستاني ، واحمد امين المصرى ، ذلك الكاتب المتحذلق  
 المختلق والقصيمى النجدى ذلك الكيدان الاشرس على المسلمين جميعاً وعلى  
 الشيعة خصوصاً وغيرهم وقد قام الفطاحل الاعلام من الامامية على نقد هذه النسب  
 المفتعلة او تفسيرها على نهج الحق نظراء والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ،  
 والسيد محسن الامين الشامى ، وشرف الدين العاملى ، وعبدالله السبيتى ، والعلامة  
 الامينى قدس الله اسرارهم وأسكنهم فى فسيح جناته ، فكان الواجب على الكاتب  
 ونظيره ترك التعرض لهذه المسائل بعد الوقوف على هذه الكتب ، غير انه راقه  
 تكرار المكررات واغواء البسطاء وقبل كل شئى ، ارضاء الاسياد الذين يقومون  
 فى وجه الثورة الاسلامية يخافون من اندلاعها فى المنطقة .

لاشك ان الحركة نحو الاسلام قد استفحلت فى جميع الاقطار الاسلامية  
 وتشرف ان تكون ناضجة مثمرة فى الأبعاد الكثيرة ، وان الأمنية التى كانت تجول  
 فى خواطر الشخصيات الاسلامية الكبيرة منذ بداية القرن الرابع عشر كالسيد  
 جمال الدين الاسدآبادى ، وتلميذه شيخ الازهر محمد عبده المصرى والسيد  
 الكواكبى الشامى وسائر الاعلام ، اخذت تتجسد فى المجتمع .

فهل يصح فى هذه الظروف نبش الدقائق والتنقيب عن المسائل التى تفكك  
 عرى الوحدة ، وتوجد القلق والاضطراب ، اوليست الوظيفة فى هذه الظروف  
 الدعوة الى الوحدة وتناسى البحث عن هذه المسائل او تأجيلها الى آونة اخرى  
 هذه خلاصة القول فى الرسالة الاولى وكفانا فى نقدها ما كتبه العلامة  
 المحقق الشيخ لطف الله الصافى دام ظله قبل اعوام عندما نشر الكاتب المذكور  
 رسالته الاولى ، فاجاب عنها الشيخ برسالة اسمها «ايران تسمع فتجيب» (١) وقد

(١) طبعت الرسالة عام ١٣٩٩ هـ - ونشرتها دارالقرآن الكريم فى قم المشرفة .

قابله بأجوبة رصينة وبما أن الظروف في تلك الاعوام لم تسمع له بالاصحار بالحقائق  
باكثر مما فيها ، لذلك طوى الكلام عن كثير من الانتقادات المتوجهة اليها  
فشكر الله مساعى شيخنا المحقق ونفعنا الله بوجوده وعلومه .

### موجز الرسالة الثانية :

ان الرسالة الثانية تشمل قبل كل شئ على «علم كلام» جديد غفل عنه  
مشايخ المعتزلة وأئمة الاشاعرة كما تشمل على أمور مفتعلة على الشيعة وهم براء  
عنها ، وقد طرحت في كتب المغرضين من القدماء كابنا حزم وتيمية وحجر ،  
والمتأخرين عنهم كاحمد امين المصرى والخضرى ذلك الاموى المباهت وغيرهم  
من كتب السلف والخلف والمطلب الجديد الذى أتى به الكاتب مازعم انه يشترط  
فى النبوة الدائمة تحقق شروط اربعة وانها من ملامح الرسالة الخالدة واليك  
تحليل تلك الشروط واحداً بعد الاخر .

### الشرط الاول للرسالة الخالدة .

يقول : ان معجزة التأثير والهداية يجب ان تتحقق فى حياة الرسول وعلى  
اثر وفاته ، ويجب على الرسول أن يقدم امام العالم عددا وجيها من نماذج عملية  
ناجحة ببناء ، ومجتما مثاليا فى ايامه ، لان الشجرة التى لم تؤت ثمارها اليانعة  
الحلوة ولم تتفتح ازهارها العطرة الجميلة ايام شبابها ، وفى موسم ربيعها ، (وهو  
عهد النبوة) لاتعتبر شجرة مثمرة سليمة .

وكيف يسوغ لدعاة هذه الدعوة والدين وممثليهما - الذين ظاهروا بعد  
أن مضى على عهد النبوة زمن طويل - أن يوجهوا الى الجيل المعاصر و العالم  
الحاضر دعوة الى الايمان والعمل ، والدخول فى السلم كافة وهم عاجزون من  
تقديم نتائج حية باهرة للالباب ، مسلمة عند المؤرخين للمجهودات التى بذلت فى  
العهد الاول وفى فجر تاريخه فى سبيل ابراز امة جديدة وانشاء جيل مثالى يمثل



التعاليم النبوية أصدق تمثيل وبرهن على تأثيرها ونجاحها (١) .  
 وحاصل هذا الشرط الذي ذكره مع ما فيه من التعقيد في العبارة هو أن  
 من شرائط النبوة الخالدة أن يكون صاحبها ناجحاً في تربية الجيل الأول و  
 أصحابه الذين التفوا حوله إذ لولا ذلك لما صحت لمن يجيء بعد الرسول ،  
 الدعوة إلى دينه ودعوته بحجة أن صاحب الدعوة إذا لم يكن موفقاً في دعوته ،  
 فكيف تكون دعوة الغير إلى سبيله ناجحة ومفيدة .

وبالتالي يجب أن يكون صحابته جيلاً مثالياً رائعاً، وهذا ما يقتضيه الدليل  
 النفسى الاجتماعى، مع أن الشيعة الامامية يخالفون هذا الرأى ويخطئون الصحابة

#### تحليل هذه النظرية :

ان كمال الدعوة وصحتها يتمثل في قوة المحتوى ورسالة حجتها ، بحيث  
 تكون الدعوة مطابقة للقطرة ، وموافقة لحكم العقل السليم، ومتماشية مع الحياة  
 الانسانية الفردية والاجتماعية ، عند ذلك تتم الحججة من الله سبحانه على العباد  
 واما اشتراط كون الداعى موفقاً وناجحاً في دعوته ، وتربية جيله ، فلم يدل  
 عليه شىء من العقل والشرع ، إذ النجاح والفوز ليس دليلاً على صحة الدعوة ولا  
 تولى الناس وعدم استجابتهم برهاناً لبطالانها ، والعجب ان المنطق الذى اعتمد  
 عليه الاستاذ في بيانه مما تكرر سه الملاحظة من أتباع «ماركس» و«البهاء» وغيرهم من  
 الاحزاب الباطلة فهم يستدلون على صحة خططهم في مجال الحياة بالنفوذ والاستيلاء  
 على الافكار في مختلف الاقطار، ويقولون انه لم يمض على موت ماركس وانجلز  
 حتى اشتملت فلسفتها ربع المعمورة ، واعتنقها ملايين الناس .

وهذه هي البهائية البغيضة تشترط فى صحة دعوى النبوة امورا اربعة :  
 ١- ادعاء النبوة . ٢- النفوذ والنجاح فى الدعوة . ٣- ثبات المدعى فى طريقها  
 ٤- وكونه صاحب شريعة وبرنامج .

هذه هي الامور التي نسمعها من الماركسية و البهاية فاذاً نتحير كيف تسربت هذه الافكار المنحرفة الى ذهن الكاتب فقام بادعاء ، لا يفرق عن ادعاهم قيد شعرة .

لو كان من شروط النبوة الخالدة اقبال الناس على الداعي اليها ، وخاصة جيله المعاصر له ، يلزم أن يعذر المولون عن الدعوة في صدر البعثة نظراء : ابي لهب و ابي جهل و أمية بن خلف اذ في وسعهم ان يقولوا ان من شرائط صحة النبوة الخالدة اقبال الناس الى الداعي و نفوذ دعوته في نفوسهم و نحن لاندرى هل يكون هذا الداعي ناجحاً في دعوته ، وهل الناس يستقبلونها بوجوه مشرقة ، او يردونها بالسنتهم و أكفهم فاذا نحن لانؤمن بدعوته و نبوته و رسالته للشك في صحة رسالته و استجماعها شرائط الصحة .

#### ما شبه الليلة بالبارحة .

و العجب ان يهود: ابناء قريظة و النضير و قين قاع، تمسكو ابهذا العذر عند مادعاهم النبي الى الطريق المهيع .

فقالوا : يا محمد الى ماتدعو؟ قال الى شهادة أن لا اله الا الله و اني رسول الله ﷺ و اني الذي تجدونني مكتوباً في التوراة و الذي اخبركم به علماءكم ان مخرجي بمكة و مهاجري بهذه الحرة .... يبلغ سلطاني منقطع الخف و الحافر فقالوا له : قد سمعنا ماتقول و قد جئناك لنطلب منك الهدنة على ان لانكون لك و لاعليك و لانعين عليك احداً و لانعرض لاحد من اصحابك و لانعرض لنا و للاحد من اصحابنا حتى ننظر الى ما يصير امرك . (١)

فقولهم «حتى ننظر الى ما يصير امرك» تعليق لتوقفهم في الايمان برسول الله ﷺ و أن تثبتهم لاجل الاستطلاع عن بلوغ سلطانه منقطع الخف و الحافر اولا و كانهم يقولون «فما لم نربا ما اعيننا انه آمنت بك جمهرة الناس ، فلانؤمن بك» فلو كان هذا الكلام ، دليلاً رصينا يصح لكل من كفر ولم يؤمن به في بدء



الدعوة ، الالتجاء الى هذا العذر . وعند ذاك اصبح ايمان الناس بدعوة النبي أشبه بالدور اذ تلبية كل انسان معاصر في بدء الدعوة وايمانه بالدعوة النبوية ، يتوقف على تحقق هذا الشرط اى ايمان الجيل المعاصر به . ومن جانب آخر يتوقف تحقق هذا الشرط على تلبية كل انسان معاصر للدعوة وايمانه به وهل هذا الا الدور الصريح المحال وعندئذ لا يصل الداعى الى نتيجة ايجابية ابدا : ويكون الكفار فى صدر الدعوة معذورين حسب هذا المنطق .

هذا كله زاجع الى تحليل هذا الشرط من زاوية قضاء العقل ، فهلم معى نعرض صحة هذا الشرط على القرآن الكريم وهل هو يصدق الكتاب فى هذا الادعاء اوبكذبه من اساس .

نحن نرى ان هناك انبياء صادقين لم ينجحوا فى دعوتهم طيلة حياتهم ، هذا قوله سبحانه يصف كيفية نجاح نوح بقوله :

«وما آمن معه الا قليل» (هود-٤٠) : وقد قام بالدعوة وارشاد الناس ولبث فى قومه الف سنة الاخمسين عاما فما آمن به الا عدة قليلة اركبها على الفلك ان الاعتماد على الكثرة هو منطق الفراعنة وقد كان فرعون يصف اتباع موسى بقوله : «ان هؤلاء لشزيمة قليلون» الشعراء / ٥٤) وعلى العكس يصف سبحانه اتباع الحق ويقول : «الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم» (ص / ٢٤) .

على أنه لاملزمة بين صحة دعوة الداعى ، واجابة المدعوين فربما يكون الداعى كاملا فى دعوته ، قويا فى منطقته ، رصينا فى بيانه ومجربا فى القاء الحججة ، الا ان الظروف لا تسمح للتجاوب والتصويت ، اويكون المدعوون أسراء الشهوة وطلاب اللذة فلا يكون الداعى مهما بلغ فى صحة الدعوة شأوا شامخا ناجحا فى الدعوة .

فلسفة جديدة :

وان تعجب فعجب أنه جعل نجاح الداعى فى تربية الجيل الاول وصحبه

الكرام شرطاً للرسالة الدائمة والنبوة الخالدة لاشترطاً لمطلق النبوة والرسالة وان طال الفصل بين دعوة النبي الأول ودعوة النبي الآخر الناسخ لشريعته كدعوة موسى بن عمران بالنسبة الى دعوة المسيح ، حيث ان الفصل بين الدعوتين يقرب من ثلاثة آلاف سنة فنسأل الاستاذ بأى دليل جعل النجاح شرطاً للرسالة الخالدة دون مطلقها مع ان بعض الرسائل غير الخالدة، كانت مستمرة حوالى ثلاثة آلاف سنة اى اكثر مما مضى من بعثة الرسول الاكرم الى زماننا هذا ، فلو كان عدم النجاح فى الرسالة الخالدة دليلاً على وهن الدعوة فى نظر الناس الذين جاؤا بعد مضى صاحبها بقرون ، فليكن عدم الفوز والنجاح موهناً فى نظر الناس فى نظائر الرسائل الطويلة وان لم تكن خالدة. وعلى هذا الاساس يكون الكافرون بشرائع ، كشرية موسى لاجل عدم نجاحه فى طريق دعوته ، معذورين عند الله ولأظن لمسلم واع ان يصحح ذلك الادعاء ويعذر الكافرين والمتولين عن دعوة الانبياء و لاجل ذلك يصبح منطق الاستاذ فلسفة جديدة لم يسبق اليها احد من علماء الكلام ولا فلاسفة الاسلام .

### النبي الاعظم كان ناجحاً فى دعوته .

ان النبي الاكرم قد نجح فى دعوته ولكن ليس معنى نجاح دعوته هو عدالة كل من رآه او سمع منه شيئاً او صحبه يوماً او اياماً أو سنة او سنتين إذ لاملزمة بين نجاح الدعوة وعدالة من صحبه بل المراد من نجاحه هو تأثيرها فى أمم العالم معاصرة كانت او لاحقة ، والدعوة المحمدية اثرت فى امم العالم وشعوبها واصحابه والتابعين لهم باحسان حتى المنافقين من اصحابه ، والكل اخذوا منه حسب قابليته واستعداده ، فقد بلغت عدة من اصحابه الى القمة كعلى بن ابى طالب وسلمان وابى ذر والمقداد وخزيمة بن ثابت الى غير ذلك من اصحابه الكرام ، كما بلغت عدة منهم درجة المتوسطين فى الايمان والعمل ، كما ان هناك عدة اخرى تعد من الراسبين فى كلا المجالين ، ومن قرأ تاريخ الصحابة يعلم انهم لم يكونوا على مستوى واحد فى الايمان والعمل .



نحن نفترض صحة ما ادعاه من الشرط وان الصورة الواقعية من الاسلام الصحيح، هو الذى رسمه من لزوم نجاح الرسول في تربية جيله الاول عامة، وان كل من رآه وسمع كلامه وصحبه، كان مؤمنا ورعا متربيا بالتربية الصحيحة الاسلامية، وبقوا على هذه الحالة حتى انتقلوا الى رحمة الله، غير اننا نرى ان الصحاح والمسانيد، تقدم صورة معاكسة لما صوره الاستاذ، فهي تهدم كل مجهودات النبي في مجال التربية وتوجيه الرعي الاول، وتثبت له اخفاقا لم يواجهه اى مصلح او مرب خبير، وتقدم صورة كالحجة جاحدة للنعمة واليك ما يذكره البخارى في صحيحه عن ذلك الجيل المثالي: خريج مدرسة النبي الاكرم ﷺ فروى الشيخان: البخارى ومسلم في صحيحيهما ما يدل على ان اصحابه رضي الله عنهم ارتدوا على ادبارهم القهقري فما هو جوابك ايها الاستاذ عن هذه الاحاديث هوجواب الشيعة عن أخبار الارتداد حرفا بحرف واليك نقل مارواه الشيخان .

١ - روى عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ص)، انا فرطكم على الحوض . وليرفعن الي "رجال منكم، حتى اذا أهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فاقول: اي رب، اصحابي فيقال: انك لاتدرى ما احدثوا بعدك؟ اخرجه البخارى ومسلم .

٢ - روى انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رأيتهم ورفعوا الي، اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي اصحابي فليقالن لي انك لاتدرى ما احدثوا بعدك وفي رواية ليردن على "اناس من امتي - الحديث - وفي آخره فاقول سحقا لمن بدل بعدى اخرجه البخارى ومسلم .

٣ - روى ابو حازم رحمه الله عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول انا فرطكم على الحوض من ورد شرب، ومن شرب لم يظماً ابدا وليردن على اقوام اعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم قال ابو حازم فسمع النعمان بن ابي عياش وانا احدثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلا يقول؟ فقلت

نعم قال : وانا اشهد على ابي سعيد الخدرى : لسمعته يزيد فيقول : انهم منى فيقال : انك لاتدرى ما احدثوا بعدك فاقول : سحقا سحقا لمن بدل بعدى» اخرجه البخارى ومسلم

٤ - وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال يرد على يوم القيامة رهط من اصحابى او قال من امتى - فيحلون عن الحوض فاقول يارب اصحابى فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك ، انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وفي رواية «فيجلون» اخرجه البخارى ومسلم .

٥ - روى البخارى : ان رسول الله ﷺ قال «بيننا انا قائم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال : هلم فقلت : اين ؟ قال الى النار والله فقلت ماشأئهم ؟ قال : انهم قد ارتدوا على ادبارهم القهقرى ، ثم اذا زمرة اخرى ، حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم . فقال لهم : هلم فقلت : الى اين ؟ قال الى النار والله قلت : ماشأئهم ؟ قال انهم قد ارتدوا على ادبارهم فلا اراه يخلص منهم الا مثل حمل النعم .

٦ - وروى : مسلم : ان رسول الله ﷺ قال ترد على امتى الحوض وانا ذود الناس عنه ، كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا : يا نبى الله تعرفنا ؟ قال : نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غيرا محجلين من اثار الوضوء وليصدن عنى طائفة منكم ، فلا يصلون فاقول : يارب هؤلاء من اصحابى فيجيبنى ملك فيقول : وهل تدري ما احدثوا بعدك ؟

٧ - روت عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول - وهو بين ظهرانى اصحابه - انى على الحوض انتظر من يرد على منكم ، فوالله ليقططن دونى رجال فلا قولن اى رب منى ومن امتى فيقول : انك لاتدرى ما عملوا بعدك مازالوا يرجعون على اعقابهم اخرجه مسلم .

٨ - روت اسماء بنت ابي بكر رضى الله عنهما قالت : قال رسول الله ﷺ انى على الحوض انظر من يرد على منى وسيؤخذ ناس دونى فاقول يارب منى ومن



امتى - وفي رواية فاقول اصحابى - فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على اعقابهم اخرجهم البخارى ومسلم . (١)

فاذا كان رمز صدق الرسالة الخالدة هو النجاح الذى يلقاه صاحب الدعوة فى دعوته وتربية الجيل الاول فمن هؤلاء الذين يقول فى حقهم النبى ﷺ :  
سحقاً سحقاً لمن غير بعدى ؟

هذا كله حول الشرط الاول للرسالة الخالدة . وفى ما يلى دراسة باقى شرائط الرسالة الدائمة فى ضوء العقل والكتاب والسنة .

### الشرط الثانى للرسالة الخالدة :

يقول الكاتب:

يجب ان يكون الداعى الاول متميزا عن مؤسس الحكومات والدعاة الماديين ، فان محور الجهود التى يبذلها مؤسسوا تلك الحكومات هو قيام مملكة خاصة وتأسيس حكومة وراثية ، ثم استنتج من هذا الشرط ان عقيدة الشيعة بالامامة الموروثة على خلاف هذا الشرط . (٢)

اقول : ان الشيعة الامامية عن بكرة ابيهم لم يقولوا بالحكومة الوراثية ، وانما هى تهمة الصفت بهم بسبب الجهل بمعتقداتهم فان الشيعة وان قالت بان الامام المفترضة طاعته بعد على ، هو ابنه الحسن ، فالحسين وهكذا ولكنه ليس لاجل انهما ولدا الامام على بن ابي طالب ، وانما لاجل التنصيب على امامتهما من جانب الرسول خلال حياته ، بقوله : الحسن والحسين ابناى امامان قاما واقعدا (٣) ولوقالت الشيعة بان الامام بعد الحسين هو ابنه على بن الحسين

(١) راجع جامع الاصول ج ١١ ص ١١٩ - ١٢١ وعليك مراجعة ذلك الكتاب لمعرفة ما لم تنزل من الاحاديث، لاحظ ص ٣٥٢ من هذا الموسوعة .

(٢) صورتان متضادتان ص ١٢ .

(٣) - او ابناى هذان ... رواه اعلام الفريقين لاحظ « اهل البيت » تأليف ابو علم طبع مطبعة السعادة بالقاهرة .

لامن جهة انه ولده ووارثه، بل لاجل التنصيب من الله سبحانه لهم ولو كانت الوراثة هي المحور للامامة لكان اخو الامام الحسين، اعني محمد بن الحنفية اولي بها من علي بن الحسين لانه ابن الامام امير المؤمنين علي واكبر سنّامن ابن الحسين علي السجاد.

وعلى ذلك فالشيعة تعتقد بامامة الائمة الاثني عشر اولهم امير المؤمنين عليه السلام وآخريهم الامام القائم الذي اخبر عنه الرسول وعن غيبته وظهوره وقيامه في كلماته، وقد ملأت كتب الفريقيين احاديثه وذلك لاجل وجود النص على امامة هؤلاء من النبي الاكرم ومن كل امام بالنسبة الى امام بعده، فباكتمال العدد الاثني عشر، انتهت الامامة التنصيصية فلو كانت الامامة عندهم بملاك الوراثة لوجب ادامة الامامة، ادامة وراثية من اهل بيت النبي ﷺ واولاد الائمة الاطهار وهذه الحقيقة يلمسها كل من وقف على معتقدات الشيعة.

ثم لو فرضنا صحة مايقوله الاستاذ، فنقول: ان الشيعة والسنة في هذا الامر سواسية، وقد روى مسلم في صحيحه مسألة وراثة قريش الامامة والخلافة واحداً تلو الاخر، منهم الى ان ينتهي عددهم الى الاثني عشر، فما هو جواب الاستاذ عن هذه الاحاديث هو جواب الشيعة عن الامامة الوراثةية المزعومة.

روى مسلم في صحيحه عن رسول الله انه قال: لا يزال هذا الامر في قريش ما بقى من الناس اثنان.

وروى عن جابر بن سمرة، قال دخلت مع ابي علي النبي ﷺ فسمعتة يقول: ان هذا الامر لا ينقض حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة ثم تكلم بكلام خفي علي قال: فقلت لابي ما قال؟ قال: قال كلهم من قريش وفي نص آخر يقول: لا يزال الاسلام عزيزا الى اثني عشر خليفة ثم قال كلمة لم افهمها فقلت لابي ما قال؟ فقال: كلهم من قريش. (١)

(١) صحيح مسلم الجزء الثاني كتاب الامارة باب الناس تبع لقريش والخلافة



فنسأل الاستاذ ما معنى هذه الحكومة الوراثية التي اخبر عنها النبي الصادق بالحق ، وان قبيلة قريش تستلم الخلافة واحداً تلو الاخر الى ان ينتهي عدد الخلفاء الى اثني عشر خليفة ، فلو كانت الحكومة الوراثية صورة معكوسة عن الحكومة الالهية والدعوة السماوية فلما ذا اخبر عنها النبي كما اخبر بان - الاسلام يعترف بهم افهل يتصور عزة الاسلام بحكومة على غرار الحكومات المادية؟ ثم نسأل الاستاذ من اولئك الائمة الاثنا عشر الذين اخبر عنهم خاتم الانبياء والرسل افهل ينطبق ذلك بعد الخلفاء الاربعة ، على خلفاء الامويين والعباسيين وهل الاسلام اعترف بخلافة معارفة ثم ابنه يزيد ثم المرثيين وبعدهم العباسيين ؟ نعم هذه الاحاديث التي جاءت في صحيح مسلم لا تنطبق الا على الائمة الاثني عشر، الذين ذهب الامامية الى خلافتهم وجاءت النصوص على امامتهم من النبي الاكرم واهل بيته على وجه لو جمعت تلك النصوص لصارت كتاباً مفرداً ضخماً وقد اعترف الاسلام بعلومهم وسلوكهم .

وفي ختام دراسة هذا الشرط نالفت نظر الكاتب الى انه اذا كانت الحكومة الوراثية شعار الحكومات المادية ، فيجب تنزيه النبوات على الاطلاق عنها من غير فرق بين الدائمة والمؤقتة ومع ذلك كله نرى وجود الحكومة الوراثية في النبوات السابقة قال سبحانه : «ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» (النساء / ٥٤) فالله سبحانه وهب الملك العظيم لآل ابراهيم ، فجعل من بينهم ملوكاً وامراء فلو كانت الحكومة الوراثية رمز الحكومات المادية البشرية ، فلما ذا وهبها سبحانه للانبياء من ذرية ابراهيم عليه السلام اذ قال : «ام يحسدون... الخ .

وقال سبحانه اذكروا نعمت الله عليكم ان جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم مالم يؤت احداً من العالمين» (المائدة / ٢٠) هذا كله حول الشرط الثاني من الشرائط التي انتخبها الاستاذ للنبوات الخالدة حسب ذوقه ، وقد عرفت ان الكتاب والسنة يخالفاه واليك تحليل الشرط الثالث .

## الشرط الثالث للرسالة الخالدة :

قال الاستاذ :

يجب ان تكون الصحيفة السماوية الاخيرة التي نزلت على النبي الخاتم (والتي تعتبر أساساً لدينه ، ومصدراً لتعاليمه ودعوته ووسيلة دائمة لربط الخلق بخالقه) مصنونة سالمة في كل حرف من حروفها ونقطها .

اقول : لاشك ان الرسول الخاتم لاجل خلود رسالته ودوام نبوته يجب ان تكون صحيفته السماوية مصنونة عن كل تحريف ، لان المفروض ان رسالته خاتمة الرسالات ونبوته خاتمة النبوات ، وكتابه خاتم الكتب ، لا ينزل بعده اى كتاب وصحيفة الى يوم القيامة وعلى ضوء ذلك لا محيص عن تعلق مشيئته الحكيمة على حفظه وصيائمه ، ليتسنى للبشر الى يوم القيامة العمل ببرامج وتعاليم تلك الرسالة ولوطراً عليه التحريف لما تسنى للاجيال الالوية القيام بوظائفهم الحقيقية وعندئذ ضاعت غاية «البعثة» وهدفها ويكون الناس الى يوم القيامة جاهلين بالشريعة .

وقد ذهب المحققون من الشيعة والسنة الى تحقق هذا الشرط في نبوة النبي الاكرم ﷺ وان وجد بين الطائفتين من الحشوية من السنة ، والاخبارية من الشيعة من ذهب الى طرء التحريف على كتابه لكن القول به شاذ في كلتا الطائفتين والروايات الواردة في كتبهم روايات شاذة لا يعابها والرأى السائد في عامة الاجيال بين الفريقين هو صيانة الكتاب عن التحريف ، اما السنة فقد تسالم عليها الاستاذ واما الشيعة فقد نسب اليهم الكاتب التحريف تقليداً لمن سبقه من رعاة القول على عواهنهم ومن راجع كتب المحققين منهم يرى اتفاقهم على ذلك ، ونحن نأتى باسماء مجموعة منهم ، وان كان الفأئت من اسمائهم اكثر مما أتينا به .

١ - ابو جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى المعروف بالصدوق

(م ٣٨١ هـ) يقول : اعتقادنا فى القرآن انه كلام الله ووحيه وتنزيله وقوله و كتابه وانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليهم



وانه القصص الحق وانه لحق فصل وماهو بالهزل وان الله تبارك وتعالى محدثه ومنزله وربّه وحافظه والمتكلم به . (١)

٢ - السيد المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى (م ٢٣٦ هـ) قال : ان جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود، وابى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى عدة ختمات و كذلك يدل بادنئ تأمل على انه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا ميثوث (٢) .

٣ - ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسى المعروف بشيخ الطائفة (م ٤٦٠ هـ) قال : واما الكلام فى زيادة القرآن ونقصه فمما لا يلىق به ايضاً لان الزيادة فيه مجمع على بطلانها ، واما النقصان فالظاهر ايضاً من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الا لىق بالصحيح من مذهبنا ، وهو الذى نصره المرتضى وهو الظاهر فى الرواية قيل انه رويت روايات كثيرة من جهة الشيعة واهل السنة بنقصان كثير من آى القرآن ونقل شىء منه من موضع الى موضع ؟ لكن طريقها الاحاد التى لا توجب علما ولا عملا والاولى الاعراض عنها (٣) .

٤ - ابو على الطبرسى ، صاحب تفسير «مجمع البيان» يقول : الكلام فى زيادة القرآن ونقصانه اما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها واما النقصان منه فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية العامة ان فى القرآن تغييراً او نقصاناً والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه (٤) .

٥ - السيد على بن طاووس الحلئ (م ٦٦٤ هـ) قال : ان رأى الامامية هو عدم التحريف (٥) .

٦ - الشيخ زين الدين العاملى النباطئ البياضئ (م ٨٧٧ هـ) يقول : فى

(١) الاعتقادات ص ٩٣

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ١٠ نقلا عن جواب المسائل الطرابلسيات للسيد .

(٣) التبيان ج ١ ص ٣

(٤) مجمع البيان ج ١ ص ١٠ (٥) سعد السعود ص ١٤٤ .

تفسير قوله : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اى انا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان (١).

٧ - القاضي السيد نورالله التستري صاحب كتاب احقاق الحق (م ١٠١٩) يقول : مانسب الى الشيعة الامامية من وقوع التغيير فى القرآن ليس مما يقول به جمهور الامامية انما قال به شذمة قليلة منهم ، لا اعتداد لهم فيما بينهم (٢) .

٨ - الشيخ البهائي نابغة عصره ونادرة دهره محمد بن حسين المشتهر ببهاء الدين العاملى (م ١٠٣٠ هـ) قال : الصحيح ان القرآن العظيم محفوظ من ذلك زيادة كان او نقصانا وماشتهر بين العلماء من اسقاط اسم امير المؤمنين (ع) فى بعض المواضع فهو غير معتبر عند العلماء والمتتبع للتاريخ والاختبار والآثار يعلم بان القرآن ثابت بغاية ونقل الالاف من الصحابة وان القرآن فى الكريم كان مجموعا فى عهد الرسول (٣) .

٩ - المحدث الاكبر الفيض الكاشانى صاحب كتاب الوافى الذى يعد من الجوامع الحديثية المؤخرة (م ١٠٩١ هـ) قال : وقال الله تعالى : (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وقال وانا نحن نزلنا الذكر له لحافظون» عندئذ كيف يتطرق اليه - التحريف والتغيير... مع ان خبر التحريف مخالف لكتاب الله ، مكذب له فيجب رده والحكم بفساده وتأويله (٤) .

١٠ - الشيخ الحر العاملى (م ١١٠٤ هـ) يقول فى كتابه والمتتبع للتاريخ والاختبار والآثار يعلم يقينا بان القرآن ثابت بغاية التواتر وينقل الالاف من الصحابة وان القرآن كان مجموعا مؤلفا فى عهد الرسول (٥) .

هذه هى الشخصيات الكبيرة من الامامية الذين عرفت تنصيبهم على عدم طرد تحريف على الذكر الحكيم ، وقد جئنا باسما القائلين بعدم التحريف الى

(٢-٣) آلاء الرحمان ص ٢٥

(١) اظهار الحق ج ٢ ص ١٣٠

(٥) راجع الاء الرحمان ص ٢٥

(٤) تفسير الصافى ج ١ ص ٥١



نهاية القرن الحادى عشر واما الذين نصوا على عدم التحريف فى القرون الاخيرة فحدث عنهم ولا حرج ، كيف وقد الفوا رسائل كبيرة وصغيرة حول الموضوع ، ونحن نسأل الاستاذ باى دليل يقول بان تنصيب الشخصيات الاربع الاول على عدم التحريف من باب التقية ، اهكذا ادب العلم وادب الاسلام ؟ اليس الله تعالى يقول : (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناؤ النساء/٥٩٤) والعجب انه يستشهد على هذا النظر بقول اعداء الشيعة ويترك قول علمائهم وبما ان الكاتب يستند فى بعض ابحائه الى كلمات قائد الثورة الاسلامية الامام الخمينى دام ظله نأتى بنص كلامه فى هذا الموضوع ، وهذا ماجاء فى محاضراته التى القيت قبل بضع وثلاثين سنة :

«ان الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب وحفظه وضبطه قراءة وكتابة ، يقف على بطلان تلك المزعمة (التحريف) وانه لا ينبغي ان يركن اليها ذومسكة ، وماوردت فيه من الاخبار ، بين ضعيف لا يستدل به ، الى مجعول ، يلوح منه امارات الجعل ، الى غريب يقضى منه العجب ، الى صحيح يدل على ان مضمونه تأويل الكتاب وتفسيره ، الى غير ذلك من الاقسام التى يحتاج بيان المراد منها الى تأليف كتاب حافل ، ولولا خوف الخروج عن طور البحث لارخينا عنان البيان الى تشريح تاريخ القرآن وماجرى عليه طيلة القرون ، واوضحنا لك ان الكتاب هو عين ما بين الدفتين والاختلاف الناشى بين القراء ليس الامراً حديثاً لاربط له بما نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين (١) .

### الرسائل المنفردة حول صيانة القرآن من التحريف :

ان علماء الشيعة الامامية لم يقتصروا على هذه الجمل القصيرة حول صيانة الذكر الحكيم من التحريف بل الفوا رسائل مفردة منذ اربعة قرون حولها :

١- الشيخ الحر العاملى قد افر رسالة فى هذا الموضوع اسمها تواتر القرآن (٢)

(١) تهذيب الاصول ، تقريرات ابحاث الامام الخمينى ج ٢ ص ٩٦ بقلم جعفر سبحانى

(٢) امل الامل ج ١ ص ٣١

٢ - الشيخ عبدالعالي الكركي ، فقد الف رسالة في نفي النقيصة عن القرآن ، ذكرها العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي في آلاء الرحمن (١) وقد جاء في الرسالة كلام الصدوق ثم اعترض علي نفسه بورود روايات تدل علي التحريف فاجاب بان الحديث اذا جاء علي خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة او الاجماع ولم يتمكن تأويله ولا حمله علي بعض الوجوه ، وجب طرحه .

٢ - المتتبع البارع الشيخ آغا بزرك الطهراني مؤلف الذريعة الي تصانيف

الشيعة ، فقد افرد رسالة اسمها النقد اللطيف في نفي التحريف .

٤ - العلامة الحجة الشيخ عبدالحسين الرشتي الحائري ، فقد الف رسالة حول الموضوع اسمها كشف الاشتباه .

٥ - خصص العلامة المحقق السيد الطباطبائي بحثا مبسوطا في صيانة الذكر الحكيم في ميزانه في تفسير قوله : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (٢).

٦ - ان العلامة المحقق السيد الخوئي دام ظله قد افرد بحثا صافيا حول صيانة الذكر الحكيم في كتابه البيان في تفسير القرآن وقد اغرق نزعا في التحقيق فلم يبق في القوس منزعا .

٧ - وقد قام العلامة الشيخ رسول جعفريان بتأليف رسالة نافعة حول الموضوع اسمها «اكذوبة تحريف القرآن» حياها الله وبياه

ولست عقيدة الشيعة حول الذكر الحكيم امراً مخفياً علي المحققين من السنة ، فهذا علامة الهنود رحمة الله الهندي نقل عقيدة الشيعة في كتابه ، وقال : ان القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل ، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه ، فقله مردود غير مقبول عندهم (٣) .

(١) آلاء الرحمن ج ١ ص ٢٦

(٢) الميزان ج ١٢ ص ١٠٦ - ١٣٧

(٣) اظهار الحق ، ج ٢ ص ١٢٨ .



واخيراً نلفت نظر القارى ، الى محقق عصرنا السيد عبد الحسين شرف الدين العاملى ، فقد قال فى كتابه اجوبة موسى جارالله نسب الى الشيعة القول بتحريف القرآن باسقاط كلمات وآيات ثم قال : نعوذ بالله من هذا القول : ونبراً من الله تعالى من هذا الجهل ، وكل من نسب هذا الرأى الينا ، جاهل بمذهبننا او مفتر علينا فان القرآن العظيم والذكر الحكيم متواتر من طرفنا بجميع آياته و كلماته وسائر حروفه و حركاته وسكناته تواترا قطعياً عن ائمة الهدى من اهل البيت (ع) ولا يرتاب فى ذلك الامعتوه (١) .

ثم ان المتحاملين على الشيعة فى مسألة تحريف القرآن يستندون الى كتاب «فصل الخطاب» للمحدث النورى الذى جمع فيه المسانيد والمراسيل التى استدل بها على النقيصة ولكن غفل المتحامل عن الرسائل الكثيرة التى الفت ردا عليه وكفى بذلك ما ذكره العلامة البلاغى فقال : ان القسم الوافر من الروايات ترجع اسانيده الى بضعة انفار وقد وصف علماء الرجال كلا منهم بانه .

١ - اماضعيف الحديث ، فاسد المذهب ، مجفوا الرواية .

٢ - واما بانه مضطرب الحديث والمذهب يعرف حديثه وينكر ، ويروى عن الضعفاء .

٣ - واما بانه كذاب متهم لاستحل ان اروى من تفسيره حديثا واحداً وانه معروف بالوقف واشد الناس عداوة للرضا (ع) .

٤ - واما بانه كان غالباً كذاباً .

٥ - واما بانه ضعيف لا يلتفت اليه ولا يعول عليه ومن الكذابين .

٦ - واما بانه فاسد الرواية يرمى بالغلو ومن الواضح ان امثال هؤلاء

لا تجدى كثرتهم شيئاً هذه حال المسانيد واما اكثر المراسيل فمأخوذة من تلك المسانيد (٢) .

(١) اجوبة مسائل موسى جارالله ص ٣٤ .

(٢) الاء الرحمن ص ٢٦

هذا توصيف اجمالى عن هذه الروايات التى يستند اليها اعداء الشيعة فى هذه النسبة ، ويكفى فى ذلك ان ثلاثمائة حديث من هذه الاحاديث ، يرويها السيارى : ويكفى فى ضعفه قول الرجالى المحقق النجاشى : انه ضعيف الحديث فاسد المذهب ، مجفوا الرواية ، كثير المراسيل ، متهم بالغلو ، كما ان كثيرا من هذه الروايات ينتهى الى يونس بن ظبيان الذى وصفه النجاشى بقوله : ضعيف جدا لا يلتفت الى ما رواه كل كتبه تخليط ، كما ان قسما منه ينتهى الى منخل بن جميل الكوفى وقد نص النجاشى على كونه ضعيفا فاسد الرواية . (١)

#### الكافى كتاب حديث لا كتاب عقيدة :

ثم ان الكاتب يستند فى هذه النسبة الى وجود روايات التحريف فى الكافى ولكنه غفل عن ان كتاب الكافى فى نظر الامامية ليس كالصحاح فى نظر اهل السنة الذين يقولون ان كل ما فى البخارى صحيح ، وانما هو كتاب : فيه الصحيح والضعيف والمرسل وما يوافق الكتاب وما يخالفه ، فلا يمكن الاستدلال بوجود الرواية فيه على عقيدة الشيعة ، وما يلهج به علماء الحديث فى حق صحيح البخارى ومسند الامام احمد ويقولون :

وما من صحيح كالبخارى جامعا ولا مسند يلقى كمسند احمد

اقول . ان ما يلهجون به فى حق كتبهم مخصوص بهم فليس كل ما فى الجوامع الحديثية عند الشيعة ، صحاحا يستدل بكل حديث ورد فيها فى كل موضوع ومورد ، بل الاستدلال يتوقف على اجتماع شرائط الصحة التى ذكرها علماء الدراية والحديث ، ونحن والله نعانى من عدم اطلاع هؤلاء على «ابجدية» عقائد الشيعة ومداركها ومصادرها .

(١) راجع فى الوقوف على نصوص النجاشى حول هؤلاء ، الثلاثة ، رجااه الرقم

١٩٢ ١٢٧ من الطبعة الحديثة .



## التحريف في كتب اهل السنة :

نحن نجعل علماء السنة ومحققيهم عن نسبة التحريف اليهم ولكن لو كان وجود الرواية في كتب التفسير والحديث دليلا على العقيدة . فقد رويت احاديث التحريف في كتبهم ، ايضا ولاجل ايلاف القارى على نماذج من هذه الروايات نشير الى بعضها .

١ - اخرج ابو عبيد في الفضائل وابن مردويه وابن الانبارى عن عائشة قالت : « كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمان النبي ﷺ مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها الا على ما هو الآن » (١) .

٢ - عن عمر . « لولا ان يقول الناس ان عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي » (٢) .

٣ - نقل عن ابن مسعود انه حذف المعوذتين من المصحف ، وقال : انهما ليستا من كتاب الله (٣) .

وهناك روايات كثيرة مبثوثة في كتب التفسير والحديث والتاريخ تحكى عن طرؤ التحريف على الذكر الحكيم ، ونحن نقصر على الاقل القليل منها ، ومن اراد التفصيل فليرجع الى كتاب « كذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة » (ص ٢٧ - ٣٣)

ونحن نرى ان في الاصرار على نسبة التحريف الى آية طائفة من الطوائف الاسلامية ضررا واسعا على الاسلام والمسلمين ولايستفيد منه الا المستعمرون واذنابهم .

وعلى الرغم من كثرة هذه الروايات نحن لانؤمن بصحتها كما لا يؤمن علماء

(١) الدر المنثور ج ٥ ص ١٨٠ تفسير القرطبي ج ١٤ ص ١١٣ .

(٢) صحيح البخارى باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء ج ٩ ص ٦٩

ط مصر ١٣٧٢ هـ .

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٤١٦ .

اهل السنة المحققون بهاء ولابتنى عقيدتهم عليها فهي بين ضعاف السند، اضعاف الدلالة وقبل كل شيء تخالف الذكر الحكيم واجماع الامه .

### اقترح للمترعين في الكتابة :

نحن نرى ان عدة من المترعين في الكتابة حول الملل والنحل ، وبالاخص حول الشيعة الامامية، يجترئون في خلق النسب المخزية الي تلك الطائفة، ويعتمدون في كل ذلك على كتب المستشرقين او ما الفت بيد المغفلين الجاهلين بعقيدة الشيعة واخيراً يعتمدون على بعض كتب الشيعة التي لاتعد مصدراً رصيناً لبيان عقيدة تلك الطائفة .

ونحن نقترح على هؤلاء الكتاب ان يقيموا مؤتمراً علمياً حراً في احدى العواصم الاسلامية تحضره عدة من محققى السنة والشيعة ليتدارسوا تلك النسب المفتعلة ، على ضوء المصادر الصحيحة للشيعة والسنة ، فلعل هذا المؤتمر اذا اقيم بشكل صحيح يكون ناحجا في رفع الاغطية والاعشية عن اعين كثير من غير المطلعين على عقيدة تلك الطائفة . وان علماء الشيعة مستعدون للبحث والنقاش والحوار الصحيح الذي دعى اليه القرآن الكريم، في كل مكان وزمان بشرط ان يكون المؤتمر محايداً حراً غير منحاز الى فئة دون فئة وسياسة دون سياسة ، فعند ذلك تتجلى الحقيقة ويرى اخواننا اهل السنة ان هناك مشتركات بين الطائفتين تزيد على مفترقاتهما القليلة وان ما يجمعنا اكثر مما يفرقنا كما تتجلى قوة منطق الشيعة في مورد المفترقات «فسيعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى» .

هذا كله حول الشرط الثالث واليك الشرط الرابع الذي هو آخر الشرائط الاربعة للنبوة الخالدة .

### الشرط الرابع للنبوة الخالدة :

قال الكاتب : الشرط الرابع هو ان يكون النبي بذاته مر كز الهداية ومصدر



القيادة ومحور العلاقة القلبية والانقياد الفكري للامة ، فتعتقد بكونه خاتم الرسل ولا تسمع لاحد بعده بالمشاركة في النبوة والتشريع المطلق ، ولا تعتقد في احد آخر ، العصمة وتعتبره مورد الوحي ثم انه استنتج من هذا الشرط ان الشيعة الامامية يخالفونه ويعتقدون بالامور التالية :

- ١ - ان خلفاء الرسول قد تم تعيينهم من عند الله .
  - ٢ - وانهم معصومون كالنبي .
  - ٣ - انهم مفترضوا الطاعة ، وطاعتهم واجبة كطاعة الرسول .
  - ٤ - ان الملائكة تتردد على الائمة ليلا ونهارا .
  - ٥ - ان الائمة لهم الخيار في تحليل الاشياء وتحريمها .
  - ٦ - ان المؤمن بالائمة من اهل الجنة وان كان ظالماً وفاسقاً وفاجراً .
- ثم استشهد على ذلك بقول المستشرقين الثلاثة : البطريق «هو جيس» «فيلب- حتى» (١) «ايبوانو» .

#### نظريتنا في هذا الشرط وتحليله :

ان مراتب على هذا الشرط بين صحيح دل عليه الدليل ، وبين مخلوق مكذوب على الشيعة ، كما ان نفس الشرط امر مجمل يحتاج الى تفسير ، ولجل ذلك نبحت عن كل واحدة من هذه النتائج واحدا تلو الاخر حتى يتضح مدى صحة هذا الشرط وصحة ما تعتقده الطائفة الامامية من بعض هذه النتائج :

اما الاولى اعني كون الامامة عند الشيعة الامامية تنصيبية وعند اهل السنة انتخابية ، فالشيعة يعتقدون ان الامام بعد الرسول الاكرم يعين من جانبه سبحانه

(١) صورتان متضادتان في ص ١٦ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ولاتنس ان الكاتب يعد النبي الاكرم مصدر التشريع . والشيعة كما لا نقول بكون الائمة من مصادره لا نقول بانه (ص) مشرعاً ومصدراً للتشريع بل مبلغاً رسالات الله فلو وصفا النبي احياناً بمصدر التشريع فهو من باب المجازاة لقرم .

واهل السنة يعتقدون بان اهل الحل والعقد يقومون بانتخابه، فكلتا النظريتين بالنسبة الى الشرط الرابع سواسية ، فان كون شخصية الرسول مر كز الهداية ومحور العلاقة القلبية، لا ينافي ان يأمره سبحانه بنصب الخليفة بعده، كما لا يخالف ان يفوض امر تعيينه الى الامة، فاستنتاج صحة احدى القضيتين وبطلان النظرية الاخرى من الشرط الرابع على فرض صحته، غريب جدا وای معارضة بين كون الرسول مر كز الهداية وكون الامام بعده والخليفة القائم مقامه منصوبا من جانبه سبحانه ، لان للنبي وظائف، ولل امام والخليفة وظائف ولا يشارك الامام فى جميع شؤون النبي منصوبا كان او منتخبا فتأسيس الشريعة يختص به لا يشاركه الامام فسي كلتا النظريتين .

لا شك ان الكلیم موسى كان مر كز الهداية، ومحور العلاقة القلبية ومع ذلك نصب هارون مكانه ، وقال : «اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين» (١) ولم يكن تنصيبه اخاه مكانه الا برضا منه سبحانه .

ان معنى كون الرسول الاعظم مر كز الهداية عبارة عن كونه خاتما للنبوته والرسالة لا خاتما للوصاية والخلافة والامارة ، والاوصياء عند الشيعة ليسوا بانبياء كما انهم ليسوا رسلا، وانما هم خلفاء الرسول شأنهم تنفيذ ما شرع الرسول الاعظم فى غيابيه .

واما الثانى اعنى عصمة الائمة من الذنب فتكفى فى ذلك آية التطهير ، اعنى قوله سبحانه: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهر كم تطهيرا» (الاحزاب / ٣٣) فان الآية بحكم «تذكير الضمائر اعنى «عنكم» و «يطهر كم» لامت بنسائه وزوجاته بصلة، وقد دلت الاثار النبوية على اختصاص الآية بالخمس الطاهرة اعنى النبي الاكرم وفاطمة وبعلاها وبنيتها ، واما دلالتها على نزاهتهم من الذنب فلاجل ان الارادة الواردة فى الآية ارادة تكوينية خلافة للمراد لانفك عنه،



اعنى التطهير من الذنوب ، و ليست الارادة التشريعية بمعنى طلب التطهير عنهم ، لانها لا تختص بطائفة دون طائفة بل تعم المكلفين عامة ، ولكن الاية تخصص هذه الارادة بأهل البيت وتقول : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت » والحال ان الارادة التشريعية عامة تعم جميع المكلفين لاجماعة خاصة . هذا هو موجز مما فصله المحققون في رسائلهم وتفسيرهم حول الاية ومن اراد التفصيل فليرجع الى ما سبق في هذا الجزء .

والكاتب قدم الفكرة أولاً وصورها عند نفسه سالمة عن النقد وهي انحصار العصمة في النبي الاكرم ولاجل ذلك عاد يصور القول بعصمة الائمة امرأ مناقضا لكون النبي مر كز الهداية مع ان كون النبي مر كزها و مصدرها ليس بمعنى انحصار العصمة فيه ، بل معناها انه صاحب النبوة والرسالة وصاحب الشريعة والملة وغيره . ينفذ ما خطه الرسول و رسمه مع عصمة في القول وصيانة عن الزلل في العمل ، وان اردت تصوير كون النبي مر كز الهداية و مصدر القيادة فقل : ان النبي الاكرم واقع في نقطة المر كز من الدائرة وغيره كالخطوط النابعة منه يستضيئ بنوره و يقبس من علمه وهذا لا ينافي ان يكون المستضيئ والمستفيد معصوما مثله ويكون في الوقت نفسه تابعا له متنورا بنوره .

واما الثالث اعنى كونهم مفترضى الطاعة فليس هذا بامر عجيب فان وجوب الطاعة لا يختص بالنبي الاكرم بل تجب اطاعة اولى الامر بنص الذكر الحكيم ، قال سبحانه : « اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم » . (النساء / ٥٩) ان الاستاذ يعيب على الشيعة بانهم يقولون بان الائمة مفترضوا الطاعة مع انهم يقولون باقتراض طاعة السلطان برا كان او فاجراً ولا اقل يقولون بحرمة الخروج على السلطان الجائر وان بلغ من الجور والفساد ما بلغ (١) :  
واما الرابع ، اعنى قوله ان الملائكة تتردد على الائمة ليل نهار ، فلو كان هذا بمعنى كونهم انبياء فالشيعة براء آء منه فان النبوة قد ختمت بالنبي الاكرم

(١) مقالات الاسلاميين لامام الاشاعرة ص ٣٢٣ ط القاهرة

بنص الذكر الحكيم واجماع المسلمين وتواتر الروايات وان كان بمعنى كونهم محدثين (بالفتح) وان الملائكة تكلمهم فليس هذا بامر غريب، وهذه مريم البتول قد كلمتها الملائكة وقالت لها : «واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين (آل عمران / ٤٢) . فلم تكن مريم بتكليم الملائكة اياها، نبية اورسولة وانما صارت محدثة (بالفتح) وكون الانسان محدثا غير كونه نبياً اورسولا، والكاتب يفرق بين الرسالة والنبوة ومسألة التحدث مع الملائكة. وقد اصفقت الامة الاسلامية على ان في هذه الامة على غرار الامم السابقة اناساً محدثون (بالفتح) وقد اخبر بذلك النبي الاعظم كما ورد في الصحاح والمسائيد والمحدث من تكلمه الملائكة بالنبوة ولارؤية صورة، او يلهم ويلقى في روعه شيء من العلم على وجه الالهام والمكاشفة من المبدأ الاعلى او ينكت له في قبله من حقائق تخفى على غيره، او غير ذلك من المعاني التي يمكن ان يراد منه، فهذا امر مسلم غير ان الخلاف في مصاديقه وجزئياته، فالشيعة تعتقد بان عليا أمير المؤمنين واولاده الائمة من المحدثين واهل السنة يرون غيرهم.

اخرج البخارى في باب مناقب عمر بن الخطاب ج ٢ ص ١٩٤ عن ابي هريرة قال : قال النبي ﷺ : «لقد كان فيمن قبلكم من بنى اسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء فان يكن من امتي منهم ، فانه عمر بن الخطاب» .

ونحن نكتفى بهذا المقدار في تحقيق الحال والتبسيط يحتاج الى افراد رسالة في هذا الموضوع على ان الآية الحاكية عن تكريم الملائكة لمريم البتول كافية في الموضوع فانها دليل اولاً على كون مريم محدثة تكلمها الملائكة وهي تسمع كلامهم كما انها دليل على اعتصامها بعصمة الله فهي مصطفاة معصومة ، فلا ذنب للشيعة اذا اعتقدت ان الائمة من بعد الرسول محدثون بالنبوة ولارسالة ، مطهرون من الذنب والخلاف ، نظير مريم البتول .

والعجب من الكتاب ومن لف لفه انهم يفرون من نسبة العصمة الى الائمة فرار المزكوم من المسك مع انهم يتعاملون مع الصحابة معاملة العصمة ، ويحرمون



البحث حول ما صدر عنهم من الافعال المضادة للكتاب والسنة، والانسان عندما يقف على حساسية القوم الخاصة بحياة الصحابة، يتحير انهم كيف يجعلون الصحابة بمقربة من العصمة وفي الوقت نفسه لا يبالون عن نسبة الذنب والخلاف الى انبياء الله ورسله، والكتب الكلامية لاهل السنة لا تأبى عن نسبة الذنب الى الانبياء صغيرة واحيانا كبيرة (١).

واما الخامس اعنى كون الائمة لهم الخيار في تحليل الاشياء وتحريمها فهي فرية واضحة على الشيعة فان الشيعة عن بكرة ابيهم قائلون بختم النبوة والرسالة وان حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة. اتفقت كلمتهم على ان منكر الخاتمية مرئد خارج عن الاسلام، وقد تضافرت الروايات على ذلك (٢).

ولعمر الحق ان الرجل قد اشرك الشيعة في امور لاناقة لهم فيها ولا جمل وهم براء منها برائة يوسف عن تهمة الطاغية. وبما ان هذه الفكرة الخاطئة قد تسربت الى اذهان البسطاء في حق هذه الطائفة نبحت عن هذا الموضوع باسهاب:

### الشيعة وفكرة التشريع:

ان الشيعة الامامية تعتقد بان مصدر التشريع هو الله الجليل وانه ليس للنبي فضلا عن الائمة حق التشريع وانه محصور في حقه سبحانه، وان الاعتقاد بذلك هو احد مراتب التوحيد ودرجاته، وقد دلت الايات على انحصار هذا الحق به سبحانه وقال: «ان الحكم الا لله امران لا تعبدوا الاياه، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون» (يونس/٤٠).

(١) لاحظ مفاهيم القرآن ج ٤ ص ١ للوقوف على آراء اهل السنة حول عصمة الانبياء

(٢) ومن اراد الوقوف على عقيدة الشيعة في الخاتمية وكيفية برهنهم عليها من الكتاب

والسنة فليرجع الى مرسوعتنا القرآنية مفاهيم القرآن الجزء الثالث، ص ١١٧ - ٣١٧.

وليست هذه الآية هي الآية الوحيدة في هذا الباب بل هناك طائفة من الآيات تتحد معها في حصر الحاكمية بالله سبحانه كما تحصر حق التقنين والتشريع به ومن أجل ذلك يندد القرآن باليهود والنصارى حيث اتخذوا الأجرار والرهبان مصادر للتقنين بقوله سبحانه : ( اتخذوا أجرارهم ورهبانهم آربابا من دون الله ) (التوبة / ٣١) ومعنى الاعتقاد برؤيتهم هو امتلاكهم زمام التحليل والتحريم ، مع ان زمامهما بيده سبحانه لم يفوضهما لاحد .

قال الامام الباقر عليه السلام: «يا جابر انالو كنا نحدثكم برأينا وهو انالكننا من الهالكين ولكننا نحدثكم باحاديث نكتنرها عن رسول الله كما يكتنر هؤلاء ذهبهم وفضتهم» .

وفي رواية اخرى : « ولكننا نفتيهم باثار من رسول الله واصول علم عندنا فتوارثها كابرنا عن كابرنا » .

وفي رواية محمد بن شريح عن الصادق عليه السلام : « والله ما نقول باهوائنا ولا نقول برأينا ولا نقول الا ما قال ربنا » .

وفي رواية عنه عليه السلام : مهما اجبتك فيه بشيء فهو عن رسول الله لسنا نقول برأينا من شيء » (١) .

ولولا الخوف من تعكير الصفو لاتينا بنصوص كثيرة ممن يحسبون ان الخلفاء والصحابة من مصادر التشريع ، بل لا يختص التشريع بالصحابة ويعم الامراء والساطين فتتخذ آرائهم ونظرياتهم احكاما الهية وبما ان البحث في هذه المواضيع يوجب الخروج عن الموضوع فنطوى الكلام فيه وكفى في ذلك ان الاستاذ عبدالوهاب خلاف عد في كتابه « مصادر التشريع الاسلامى » فيما لانس فيه : اجماع اهل المدينة وقول الصحابي و اجماع اهل الكوفة و اجماع الخلفاء الاربعة من مصادر (٢) .

(١) راجع جامع احاديث الشيعة المقدمة ج ١ ص ١٧ .

(٢) مصادر التشريع الاسلامى ص ١٠٩ .



واما الامر السادس اعنى كون المؤمن بالائمة من اهل الجنة وان كان ظالما وفاسقا فهو بهتان عظيم ويكفى في ذلك قول الامام الباقر عليه السلام لتلميذه جابر الجعفي قال له : يا جابر ايكفى من اتحل التشيع واحبنا اهل البيت ، فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه ، وما كانوا يعرفون يا جابر الا بالتواضع والتخضع وبالانابة وكثرة ذكر الله والصلاة والصوم وبر الوالدين وتعاهد الجيران والفقراء والمساكين والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف اللسن عن الناس الا من خير وكانوا امناء عشائرهم في الاشياء (١) وقال سبحانه : «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» (آل عمران / ٣١).

#### ماهى المشكلة الاساسية للمسلمين :

ان الكاتب ومن لفه يزعمون ان المشكلة الوحيدة التى يواجهها الاسلام هى مشكلة الشيعة والجمهورية الاسلامية الايرانية ، ولجل ذلك لا يهتم شىء الا الكتابة حول عقيدة الشيعة والنيل من مبادئهم واصولهم ولهذا ترى ان الهجمة والصوله اشتدت فى السنوات الاخيرة على الشيعة ومبادئهم وافكارهم لكى يستطيع هؤلاء ان يزيلوا مشكلتهم الصعبة هذه من مسيرتهم ويصلوا الى القمة من السعادة والهنأ !!.

وعجيب ان الكاتب يعيش فى شبه القارة الهندية التى تحدى فيها بالمسلمين مشاكل جملة، وكانت العناية بحلها اولى والزوم من النيل من عقائد طائفة ليس لها ذنب الا التمسك بكتاب الله وعتره رسوله الطاهرة اللذين تر كهما رسول الله ﷺ حجتين بين الامة الى يوم القيامة وقال : انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى (٢) .  
اوليس الكاتب يرى بام عينه ان الوثنية هى التى اخذت تتزايد وتوسع فى القطر

(١) امالى ابن الشيخ المطبوع مع امالى الشيخ ص ٩٧ .

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢ وسنن الترمذى ج ٢ ص ٣٧ ومسند احمد بن حنبل

ج ٣ ص ١٤ و ١٧ وغيره .

الهندي . المكان الذي يقطن فيه الكاتب مع ابناء جلدته ومامن يوم ولا اسبوع الا ويؤسس فيه معبد بل ومعابد للوثنيين حتى في البلاد المكتظة بالمسلمين كلكهنو الندوي التي تكون فيها المعابد الوثنية على مقربة من داره .

وهذه الصحف العالمية تتناقل اخبار شروع الحكومة الوثنية الهندية باغتصاب مساجد المسلمين ومعابدهم وتحويلها الى معابد للاوثان بحجج واهية، هذا والندوي وداره واعواته لا ينبسون في ذلك بينت شفة ولا يبضون بكلمة ، فهم لا يعنيههم تبديل بيوت الله الى بيوت اوثان انما تعنيهم مهاجمة الشيعة ومبادئها . وهذه ايضا مدينة حيدرآباد الاسلامية في الهند ، مكتظة باتباع الرسالة المحمدية وكان بناء معابد الوثن فيها ممنوعا اشد المنع ، الا ان الحكومة الوثنية هناك ضربت بهذا المنع عرض الحائط، وبدأت ببناء المعابد الوثنية تاركة بذلك استئصال شأفة المسلمين وقطع جذورهم .

وزيادة على ذلك ، فقد اريقت دماء مليون مسلم في ولاية آسام بيد الحكومة الهندية ، ونشرت خبر ذلك الصحف وتناقلته وكالات الانباء ومع ذلك كله لا ترى ولا تسمع استنكارا شديدا مقرونا بحماس من دار الندوة وروادها، اصف الى ذلك انتشار الافلام والكتب التي تهين الاسلام وتتعدى على حرمة وتصور النبي الاكرم ﷺ بصورة معكوسة تقشعر منها الجلود ولكن باللاسف ان هذه ليست مشكلة الوهابية ودعاتها ، انما مشكلتهم هي مسألة زيارة القبور والتوسل بالارواح المقدسة ودعاء الله سبحانه بجرمتهم ومقامهم .

واما المخازي والجنائيات الموجودة في الهند ضد الاسلام فحدث عنها ولا حرج وهي لازالت في تزايد كما ان هجمة القوم القوية، ضد الشيعة والجمهورية الاسلامية لازالت تتسع ومنطقهم في ترك مكافحة الشرك والالحاد الواجبة على كل مسلم، والهجمة على الطائفة الامامية المسلمة المؤمنة بالكتاب والسنة والعترة الطاهرة، هو قول القائل :



إذا لم تستطع أمراً فدعه  
وجاوزه إلى ما تستطيع  
وفي الختام ندعوا سبحانه بالدعاء التالي :  
اللهم اننا نرغب اليك في دولة كريمة تعزبها الاسلام واهله ،  
وتذل بها النفاق واهله ، وتجعلنا فيها من الدعاء  
الى طاعتك ، والقادة الى سبيلك  
وترزقنا بها كرامة  
الدنيا والآخرة  
آمين رب العالمين .

جعفر السبحاني

قم المقدسة مؤسسة الامام الصادق (ع)

عشبة آخر شعبان من سنة ١٤٠٧ هـ

## فهرس أمهات المطالب

الصفحة	العنوان
٥ - ٣	كتاب كريم لسماحة العلامة الحجة آية الله المحقق الصافي دام ظله
٨ - ٦	خطاب تفضل به الاستاذ المحقق آية الله الشيخ ناصر مكارم دام ظله
١٦ - ٩	مقدمة المؤلف

### الفصل الاول في عصمة الانبياء :

١٧	١ - عصمة آدم (ع) والشجرة المنهى عنها
٢١	ما هي نوعية النهي في «لاتقربا»
٢٦	مامعنى وسوسة الشيطان لادم
٢٨	ما معنى قوله «وعصى» و«فغوى»
٣٠	مامعنى قول «آدم» ربنا «ظلمنا أنفسنا»
٣١	ما هو المراد من قوله «فتاب عليه»
٣٢	ما معنى الغفران في قوله «وان لم تغفر لنا»
٣٣	عصمة آدم وجعل الشريك لله
٣٤	تفسير قوله «فلما آتاها صالحا جعلاله شر كاء»
٣٧	٢ - عصمة شيخ الانبياء نوح والمطالبة بنجاة ابنه
٣٨	كيف يجتمع قول نوح «ان ابني من أهلى» مع قوله سبحانه «انه ليس من أهلك»



الصفحة	العنوان
٤٢	لادلالة لقوله «فلا تسألن ما ليس لك به علم» على صدور سؤال غير لائق بساحة الانبياء
٤٤	تفسير قوله «والا تغفر لي وترحمني»
٤٦	٣ - عصمة ابراهيم الخليل (ع) والمسائل الثلاث
٤٧	تفسير قوله للنجم «هذا ربي»
٤٩	تفسير قوله «بل فعله كبيرهم»
٥٢	تفسير قوله «انى سقيم»
٥٥	٤ - عصمة يوسف (ع) وقوله سبحانه «وهم بها»
٥٦	اسباب هائلة فى صرح العزيزه لوتوجهت الى جبل لهدته
٥٧	تفسير قوله «ولقد همت به وهم بها»
٥٩	ما هو جواب «لولا ان رأى برهان ربه» ؟
٦٠	ما هو المراد من البرهان ؟
٦١	دلالة الاية على عصمة يوسف
٦٣	الاسئلة الاربعة واجوبتها
٦٩	٥ - عصمة موسى (ع) وقتل القبطى ومشاجرتة اخاه
٧١	تفسير قوله «هذا من عمل الشيطان»
٧٢	تفسير قوله «رب انى ظلمت نفسى»
٧٣	تفسير قوله «فاغفر لي فغفر له»
٧٣	تفسير قوله «فعلتها اذا وانا من الضالين»
٧٥	تحليل القائه الالواح ومناقشته اخاه

الصفحة	العنوان
٧٩	٦ - عصمة داود وقضائه في النعجة
٨٢	لماذا استغفر داود (ع)؟
٨٤	٧ - عصمة سليمان عليه السلام ومسألة عرض الصافنات الجياد
٨٦	عرض عسكري قام به سليمان في ايام ملكه
٨٧	تفسير قوله «فطفق مسحاً بالسوق والاعناق»
٩٠	الفتنة التي امتحن بها سليمان
٩٣	مامعنى طلبه الملك؟
٩٥	٨ - عصمة ايوب ومس الشيطان له بعذاب
٩٧	تفسير قوله «مسنى الشيطان» وقوله «بنصب وعذاب»
١٠١	٩ - عصمة يونس وذها به مغاضباً
١٠٢	لماذا كشف العذاب عن قوم يونس دون غيرهم
١٠٤	هل كان كشف العذاب تكذيباً لا يعاد يونس
١٠٦	مامعنى قوله «مغاضباً» ومن المغضوب عليه؟
١٠٧	ما معنى قوله «فظن ان لن نقدر عليه»؟
١٠٩	١٠ - عصمة النبي الاكرم وما تمسكت به المخطئة
١١٠	دلائل عصمته عن الذنب في القرآن الكريم
١١٣	العصمة والخطابات الحادة
١١٦	العصمة والعفو والاعتراض
١١٩	العصمة والامر بطلب المغفرة
١٢٢	العصمة وغفران الذنب



الصفحة	العنوان
١٢٢	ما هو المراد بالفتح من الآية ؟
١٢٥	كيف يكون الفتح غاية لمغفرة الذنب ؟
١٢٩	ما هو المراد من الذنب
١٣٠	العصمة والتولي عن الاعمى
١٣١	شأن النزول لا ينطبق على اوصاف النبي ﷺ في القرآن الكريم
١٣٣	شأن النزول الثاني لا ينطبق على ظاهر الآيات
١٣٥	دين النبي الاكرم ﷺ قبل البعثة
١٣٦	عبدالمطلب وايمانه ومواقفه
١٤٠	ابوطالب وايمانه قبل البعثة وبعدها
١٤٥	ايمان والدى النبي الاكرم ﷺ
١٥١	ايمان النبي الاكرم ﷺ قبل البعثة
١٥٣	الشريعة التي كان النبي ﷺ يعمل بها قبل البعثة
١٦٤	الآيات التي وقعت ذريعة لبعض المخطئة
١٦٥	تفسير قوله «ووجدك ضالا فهدى»
١٧١	تفسير قوله «والرجز فاهجر»
١٧٣	تفسير قوله «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان»
١٧٩	تفسير قوله «ما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب»
١٨١	تفسير قوله «لو شاء الله ما تلوته عليكم»
١٨٤	عصمة النبي ﷺ عن الخطأ والسهو في القرآن الكريم
١٨٨	نقد أدلة المخطئة على جواز عروض الخطأ والنسيان للنبي ﷺ
١٩٠	الرأى السائد بين الامامية حول سهو النبي ﷺ
١٩٢	كيفية معالجة المأثورات حول سهو النبي ﷺ

العنوان	الصفحة
<b>الفصل الثاني :</b>	
<b>في مفهوم الامامة وملاكها في الخليل ودلائل عصمة الامام</b>	
الامامة منصب اجتماعي عند أهل السنة	١٩٧
الخلافة والعدالة والاجتهاد عند السنة	١٩٩
الامامة منصب الهى عند الشيعة الامامية	٢٠٢
ماهو الهدف من الابتلاء في قوله سبحانه «واذ ابتلى» ؟	٢٠٦
ماهو المراد من الكلمات في قوله «بكلمات»	٢٠٩
ماهو المراد من الاتمام في قوله «فأتمهن» ؟	٢١٤
ليس للامام الامعنى واحد وانما الاختلاف في ملاك الامامة	٢١٥
ماهو ملاك امامة الخليل ؟ وهل هو النبوة ونقده ؟	٢١٨
الملاك الثاني لامامته كونه اسوة في المجالات الثلاثة	٢٢١
الملاك الثالث لامامة الخليل كونه معلم الهداية عبر العصور	٢٢٤
الملاك الرابع لامامة الخليل كونه مفترض الطاعة	٢٢٦
الشواهد القرآنية على كون ملاك أمامته هو افتراض طاعته	٢٢٧
ماهى النسبة بين النبوة والامامة الواردة في الآية ؟	٢٣٥
الامام لا يحقق اهدافه الا في ضوء الشريعة .	٢٣٦
هل الامامة رهن الابتلاء في جميع الادوار والعصور ؟	٢٣٧
هل حقق الخليل اهداف الامامة ؟	٢٤٠
دلالة امامة النبي الاعظم .	٢٤١
الامامة في الاحاديث الاسلامية .	٢٤٥
الملاك الخامس لامامة الخليل تسيير النفوس الى الكمال بهداية تكوينية	٢٤٦



الصفحة	العنوان
٢٥٢	هل الامامة عهد من الله ؟
٢٥٣	ماهو المقصود من الظالمين وبيان دلالة الآية على العصمة .
٢٦٠	آية التطهير وعصمة العترة الطاهرة .
٢٦١	ماهو المراد من الرجس ؟
٢٦٣	الإرادة في الآية تكوينية لا تشريعية .
٢٦٧	الإرادة التكوينية لا تخالف اختيار المعصوم وحرية .
٢٧٣	ماهو الاساس لتفسير الإرادة بالتشريعية عند اهل السنة .
٢٧٥	هل الآية تدل على فعلية التطهير ؟
٢٧٥	هل الانهاب يستلزم الثبوت ؟
٢٧٦	مفهوم اهل البيت عليه السلام في اللغة والقرآن .
٢٨٠	ماهو المراد من اهل البيت عليهم السلام في الآية الكريمة ؟
٢٨٠	القرائن الثلاث على ان المراد هو العترة الخمسة الطاهرة .
٢٨٤	اهل البيت على لسان النبي الاكرم ﷺ .
٢٨٦	الطوائف الثلاث من الروايات .
٢٩٥	الكلام حول نزول الآية في نساء النبي ﷺ .
٢٩٦	ترجمة عكرمة وعروة بن الزبير ومقاتل بن سليمان من دعاة هذا القول
٣٠٢	مشكلة السياق في الآية .
٣٠٣	الدلائل الثلاثة على كون قوله « انما يريد الله » آية مستقلة .
٣٠٩	ماهو السرفى جعل الآية جزءاً من آية اخرى ؟
٣١٠	الإقوال الاخرى في الآية .
٣٢١	الشيعة وآية التطهير .

الصفحة	العنوان
	الفصل الثالث في اطاعة السلطان وعدالة الصحابة
٣٢٥	اطاعة السلطان بين الوجوب والحرمة .
٣٢٦	اطاعة السلطان العادل من صميم الدين وحكم اطاعة السلطان الجائر .
٣٢٩	لزوم اطاعة السلطان الجائر او حرمة الخروج عليه عند اهل السنة .
٣٣٣	عرض هذا القول على الكتاب والسنة .
٣٣٧	صراع بين العقيدة والوجدان عند شباب اهل السنة .
٣٣٩	عدالة الصحابة بين العاطفة والبرهان :
٣٤١	عدالة الصحابة جميعهم .
٣٤٣	تقييم هذه النظرية من ناحية المباحث النفسية .
٣٤٥	الصحابة في الذكر الحكيم واصنافهم .
٣٥٢	الصحابة في السنة النبوية .
٣٥٤	الصحابة والتاريخ المتواتر وما ظهرت من بعضهم بوادر الارتداد آراء الصحابة بعضهم حول بعض وثورة الحيان : الاوس والخزرج في حضرة الرسول ﷺ
٣٥٧	التعزير التافه او اسطورة الاجتهاد في تنزيه الظالمين
٣٥٩	كلام ابي المعالي الجويني حول الصحابة ونقد بعض الزيدية له
٣٦١	ماورد في القرآن من ابداء الرضا عن المؤمنين مشروط بسلامة العاقبة
٣٦٢	قتل الخليفة المفترض الطاعة دليل على عدم عدالة الصحابة
٣٦٤	عشرة للكاتب الندوي لاتقال
٣٦٧	صورتان متضادتان اورسالتان متضادتان



الصفحة	العنوان
٣٧١	ملامح الشعب الايراني في الرسالة الاولى للندوي
٣٧٢	الملامح العامة لهذا الشعب المضادة للصورة الاولى ، له ايضاً
٣٨٣	النشاطات القرآنية في الجمهورية الاسلامية
٣٧٨	الركون الى الظالم وحكمه في الاسلام
	الكاتب لا يتأثر من سفور النساء والمؤسسات الربوية و لكن يتأثر من مشاهدة
٣٨٠	صورة الامام علي(ع) في المساجد
٣٨٣	الشرائط الاربعة التي انتخبها الاستاذ للرسالة الخالدة
	الشرط الاول للرسالة الخالدة :
٣٨٤	نجاح النبي ﷺ في تربية الجيل الاول ، وتحليل هذا الشرط
٣٨٥	وحدة منطق الكاتب مع منطق يهود بدء الرسالة
٣٨٨	النبي الاعظم كان ناجحاً في رسالته بلا كلام
٣٨٩	الاحاديث الدالة على ارتداد الصحابة في الصحاح
٣٩٠	الشرط الثاني للرسالة الخالدة:
	تأسيس حكومة غير وراثية
٣٩١	براءة الشيعة عن فكرة الحكومة الوراثية
٣٩٢	الائمة الاثنا عشر في صحيح مسلم
٣٩٣	الشرط الثالث للرسالة :
	صيانة كتابه عن التحريف
٣٩٤	صيانة القرآن عن التحريف عند الشيعة
٣٩٥	نصوص المحققين من الشيعة في المقام
٣٩٦	الرسائل المفردة حول عدم التحريف

الصفحة	العنوان
٣٩٩	الكافي كتاب حديث لا كتاب عقيدة
٤٠٠	احاديث التحريف في كتب اهل السنة
٤٠١	اقتراح للمتسرعين في الكتابة
٤٠٢	الشرط الرابع للرسالة الخالدة : ان النبي مر كز الهداية
٤٠٢	عصمة الائمة وتعيينهم من جانب الله وتكليمهم الملائكة لا يخالف ذاك الشرط
٤٠٣	الدلائل القرآنية على عقيدة الشيعة في هاتيك المواضيع
٤٠٦	الشيعة والسنة وفكرة التشريع
٤٠٨	ماهي المشكلة الاساسية للمسلمين
٤٠٩	تدهور الوضع الاسلامي في القطر الهندي
٤١١	فهرس امهات المطالب
(ق-٣٧)	«ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اولقى السمع وهو شهيد»

### صدر كتابان :

#### ١- الوهابية في الميزان :

يبحث عن عقائد الوهابيين في ضوء الكتاب والسنة ، وير كز قبل كل شيء على تمييز الشرك عن التوحيد بقلم : جعفر السبحاني .

#### ٢ - البداء في الكتاب والسنة :

يبحث عن مسألة البداء التي تضارب حولها آراء الفريقين ، ويثبت ان المسألة اتفافية من حيث اللب والمعنى وانما الاختلاف انما هو في التسمية وهو بقلم جعفر الهادي .



ان اريد الا الاصلاح ما استطعتم

اخطاء مطبعية يرجى اصلاحها

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
عرض	وعرض	٨٩	١
للعاديين	وللعاديين	٨٩	١٣
الثلاثة	الثلاث	١٠٩	٧
بامور	بالامور	١٧٧	٣
بسورة	لسورة	١٨١	١٢
عنوان	عنوانه	١٨٢	٢٣
دين النبي	عصمة النبي عن الخطأ	١٨٥-١٩١	١
والمحل	والمحمل	١٩٤	١٧
النبي	التي	٢٠٣	١٠
الثلاث	الثلاثة	٢٢١	١٢
علية	عليه	٣٢١	٦
قال	القاء	٣٣٦	١٧
المتزين	المتزين	٣٣٧	١٥

